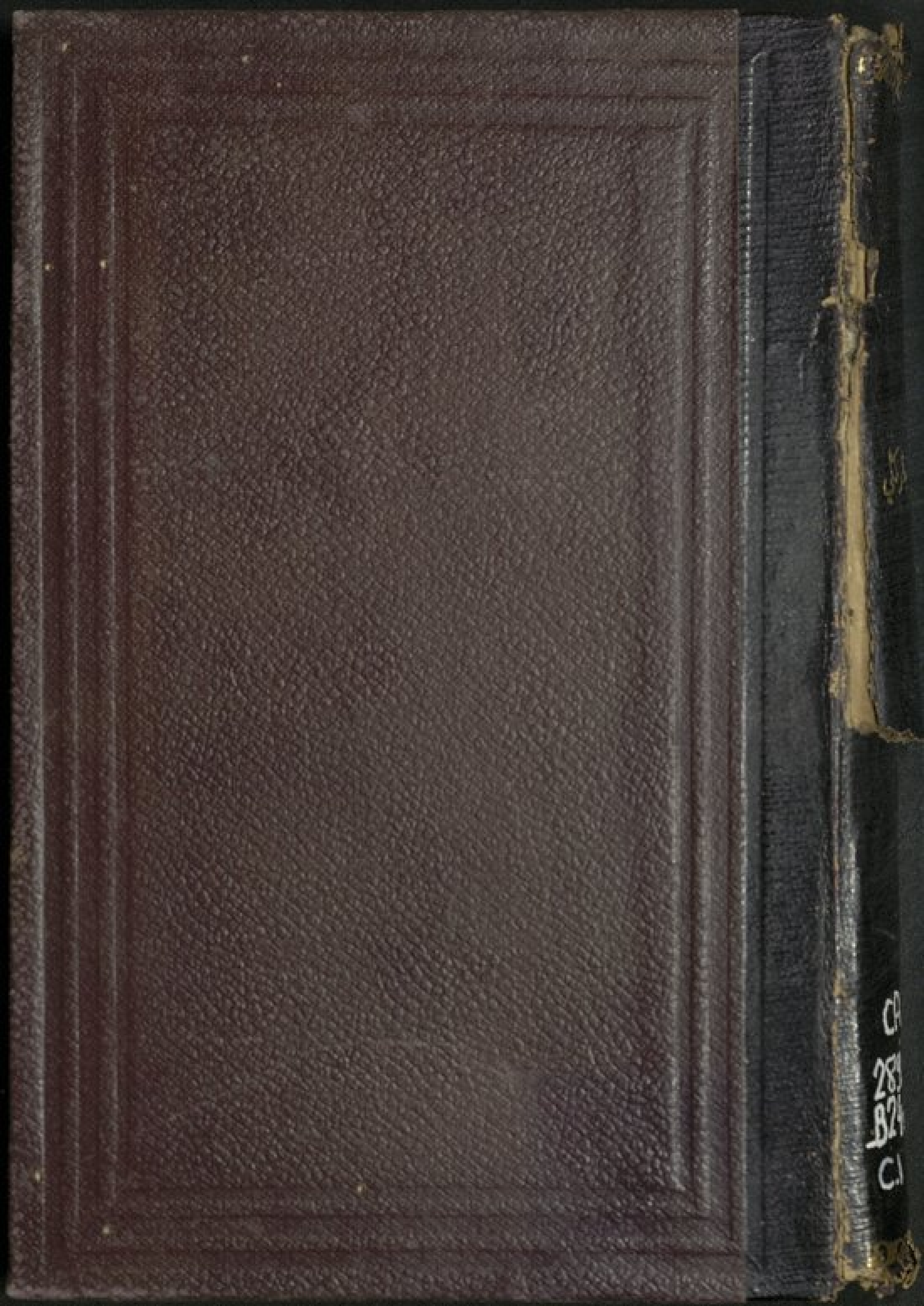
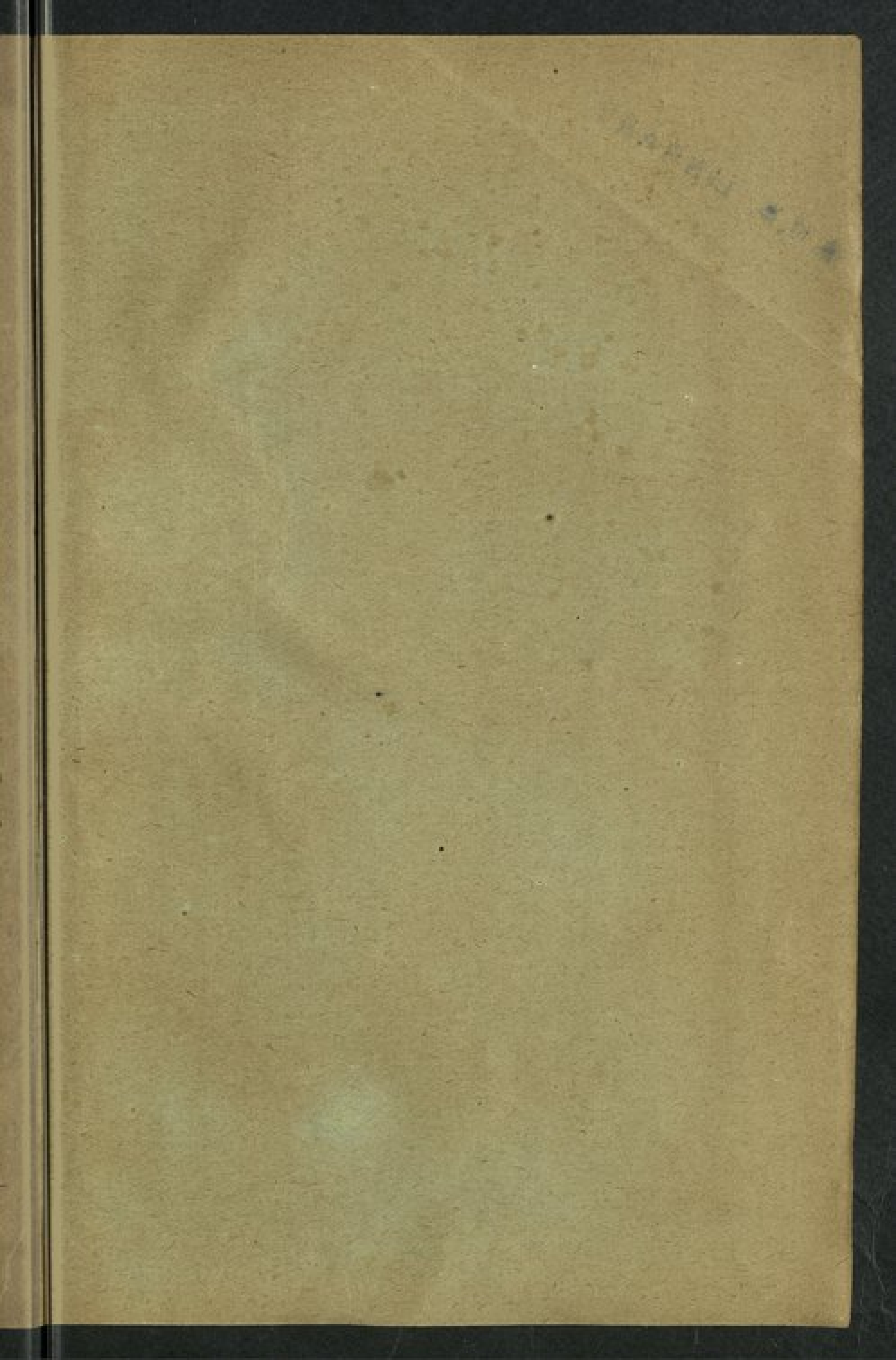




كتاب

محاماة باركلي

عن الحقائق المسيحية

حسبما تؤمن وتعلّم بها جمعية الفرندز (الكوايكرس) وهو يتضمن شرحاً وافياً عن مبادئ الفرندز وتعاليمهم المثبتة بالبراهين الدامغة من الكتاب المقدس والعقل السليم وشهادات مشاهير المؤلفين القدماء والمتأخرين مع ردّ صريح على كل الاعتراضات التي تسدد نحوها

تُرجم عن الانكليزية وطُبع بواسطة جمعية الفرندز في فيلدلفيا

المطبعة الاميركانية في بيروت السنة ١٩٢٤

محاماة باركلي

القضية الاولى

اساس المعرفة الحقيقية

بما ان اساس كل سعادة هو معرفة الله المعرفة الحقيقية "وهذه هي الحياة الابدية ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي ارسلتهُ" (يو ١٧) كان فهم اساس تلك المعرفة الصحيح وادراكهُ من اهمّ ما يجب الاطلاع عليهِ والايمان بهِ

القضية الثانية

في الاعلان الالهي

مت ١١ : ٢٧ لما كان لا احد يعرف الآب الّا الابن ومن اراد الابن ان يعلن لهُ و٢ ان اعلان الابن هو بالروح وبواسطة الروح القدس فشهادة

الروح انما هي الواسطة الوحيدة لاعلان معرفة الله الحقيقية فالاله الذي بتحريك روحهِ حوّل مادة هذا الكون الى نظـام كامل عجيب منذ البداءة وقد خلق الانسان روحًا حية حاكمًا فيهِ وسائدًا عليهِ. فباعلان ذلك الروح قد اظهر نفسهُ في كل العصور لبني البشر للآباء والانبياء والرسل . وقد بنى ايمانهم منذ القديم على هذه الاعلانات الروحية سواء كان ذلك باصوات او بظهور خارجي او بالاحلام او بتأثيرات قلبية داخلية. ولم يزل الى الآن كذلك لان غاية ايمان القديسين هي واحدة في كل الاجيال وان تنوعت صور بيانها . وهذه الاعلانات الروحية الداخلية المقدسة الضرورية لبناء الايمان الحقيقي لم تتناقض ولا يمكن ان تناقض شهادة الكتاب المقدس والعقل السليم على انهُ لا يستدل من هذا ان تلك الاعلانات يجب ان تكون عرضة للامتحان والمقابلة مع شهادة الكتاب المقدس الخارجية او عقل الانسان الطبيعي كقانون او قياس اسمى او اشرف . لان هذا الاعلان المقدس والنور الداخلي هما برهان قاطع على صحتهما ولشدة وضوحهما يجبران العقل الصحيح على التسليم بهما دون تردد وارتياب نظير تلك الاوليـات الطبيعية التي ترشد العقل الى نتائج طبيعية لا يشك في صحتها كقولك الكل اعظم من جزئهِ او قولك كما انهُ لا يمكن صحة متناقضين لا يمكن تخطئة كليهما الامر الذي هو ظاهر بحسب مبدإ مناظرينا الذين (اذا فرض صحة الاعلانات الداخلية المقدسة) يعترفون معنا ان شهادة الكتاب المقدس والعقل السليم لا تناقضها لكنهم مع هذا لا يسلمون ان الكتب المقدسة والعقل السليم يجب ان يكونا خاضعين لفحص اعلان الروح في القلب

القضية الثالثة

في الاسفار المقدسة

ان الاسفار المقدسة هي صادرة عن اعلان روح الله لقديسيهِ وتضمن ما يأتي: اولاً نص تاريخ صادق عن اعمال شعب الله في اجيال مختلفة والعناية الالهية التي كانت تصحبهم. ثانياً نصٌ نبوي عن امور عديدة منها ما قد مرَّ حدوثهُ ومنها ما سوف يأتي. ثالثاً نصٌ مدقق تام عن اهمّ مبادئ وتعاليم المسيح المعلنة ببينات وانذارات واحكام متعددة اوحى بها روح الله في ازمنة مختلفة واوقات متفرقة وكتبت الى بعض الكنائس او رعاتها ولكن مع كل ذلك بما ان هذه المثبتات ليست سوى اعلانات ذلك الينبوع وليست الينبوع نفسهُ فلا يجب ان تعتبر الاساس الاصلي لكل حق ومعرفة ولا الدستور الاولي للايمان والسلوك. ولكن بما انها تشهد شهادة صادقة وامينة للاساس الاولي يجب ان تعتبر دستوراً ثانوياً خاضعاً للروح الذي منهُ سموّها ويقينيتها. لانهُ كما اننا لا نستطيع ان ندركها الاَّ بواسطة شهادة الروح الداخلية وهي نفسها تثبت بان ذلك الروح هو الهادي الذي يرشد القديسين الى كل حق اذاً فبحسب نص الكتاب ان الروح هو المرشد الاصلي الاول واذ اننا نقبل الكتاب ونؤمن بهِ لان مصدرهُ الروح فللسبب نفسهِ يجب ان نعتبر الروح الدستور الاصلي الاساسي وفقاً للقانون المعتبر في كل المدارس ان ما استحق الاعتبار لشبهٍ ما فالمشبَّهُ بهِ احق بالاعتبار

القضية الرابعة

في حالة الانسان بعد السقوط

ان ذرية آدم اي الجنس البشري بكاملهِ من يهود وامم قد سقطت وانحطت بآدم الاول واستحقت الموت وفقدت كل شعور واحساس بالشهادة الداخلية اي زرع الله فاصبح والحالة هذه الجنس البشري خاضعًا لقوة الحية وطبيعتها وزرعها الذي زرعته في القلب فاصبح من ثمَّ ليس اقوال البشر واعمالهم فقط شريرة في عيني الرب بل تصوُّرات افكارهم ايضًا على الدوام لانها صادرة عن هذا الزرع الشرير الفاسد وما زال الانسان يأبى الانفصال عن هذا الزرع الشرير ويصرُّ على البقـاء في حالتهِ التعيسة ويمتنع عن الاستنارة بالنور الالهي فهو لا يستطيع ان يعرف شيئًا معرفة حقيقية صالحة وكل تصوراتهِ وافكارهِ لايمكن ان تكون مفيدة لهُ او لغيرهِ . ولهذا السبب نحن نرفض اضاليل السوسنيين والبلاجسيين الذين يثنون بالنور البشري الطبيعي ويعظمونهُ واضاليل البابَاويين واكثر الانجيليين الذين يقولون ان الانسان يقدر ان يكون خادمًا للانجيل دون ان يكون مشمولاً بنعمة الله الحقيقية . الآن هذا الروح الفاسد ليس لهُ سلطة على الاطفال ما لم يخضعوا لهُ ويتحدوا معهُ فعلاً لان ابناء الغضب بالطبيعة هم الذين يسلكون بحسب رئيس سلطان الهواء الروح الذي يعمل الآن في ابناء المعصية السالكين بحسب شهوات الجسد عاملين مشيئة الجسد والافكار

القضيتان الخامسة والسادسة

الفداء الذي قد عمّ كل الجنس البشري والنور الروحي الذي ينير كل انسان للخلاص

القضية الخامسة

ان الله بمحبتهِ الفائقة الغير المحدودة لا يسرّ بموت الخاطئ بل يشاء ان الجميع يخلصون ويحيون لانهُ هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنهُ الوحيد نوراً للعالم لكي يخلص كل من يؤمن بهِ يو ٣: ١٦ كان النور الذي ينير كل انسان آتياً الى العالم يو ١: ٩ والكل اذا توبخ يُظهَر بالنور اف ٥: ١٣ ويعلم كل تعقل وبرّ وتقوى وينير قلوب الجميع منهُ ما للخلاص فهو الذي يوبخ كل فرد على الخطيئة ويهب الخلاص لكل من لا يضادّ او يعاكس عليهِ وهو ليس اقل شمولاً من زرع الخطيئة لانهُ قد اشتري بدم الذي ذاق الموت لاجل كل انسان "لانهُ كما في آدم الاول يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع" ١كو ١٥: ٢٢

القضية السادسة

اننا بموجب هذا التعليم الصحيح الثابت يمكننا ان ندحض كل اعتراض على كون المسيح قد مات من اجل جميع الناس ونثبت انهُ في الوقت الحاضر

لاحاجة الى الاستناد على خدمة الملائكة والوسائل الغير الاعتيادية التي يزعم البعض ان الله يستخدمها لاجل اعلان تعليم المسيح وتاريخ موتهِ وآلامهِ لانهُ وان كان البعض عائشين في جهات من المعمور لم تصل اليها بشارة الانجيل الخارجية فهم يمكنهم ان يستفيدوا ويتقدموا بالنعمة العامة المعطاة للجميع لانهُ كما يستفاد مما تقدم ان الخلاص كان ممكنًا لبعض الفلاسفة القدماء هكذا الآن ايضًا يمكن لبعض الذين اوجدتهم العناية والتدابير في اماكن خارجًا عن نطاق التعليم المسيحي ان يصيروا شركاء الاسرار المقدسة ان قبلوا هذه النعمة المعطى اعلانها لكل واحد للمعرفة ولم يرفضوها ١كو ١٢: ٧ فاذ قد قبلنا هذا التعليم الثابت الصحيح انهُ يوجد في كل انسان نور ونعمة بحسب الانجيل للخلاص وتحققنا شمول رحمة الله ومحبتهُ لكل الجنس البشري سواء كان بموت ابنهِ الحبيب الرب يسوع المسيح او باعلان النور في القلب يمكننا بذلك دحض كل اعتراض بتقدمهُ منكرو هذا التعليم فالمسيح قد ذاق الموت لاجل كل واحد ليس لاجل كل انواع البشر كما يقول البعض بل لاجل كل فرد من افراد البشر ففائدة آلام الفداء لا تنحصر في الذين اكتسبوا المعرفة بواسطة البشارة الخارجية او الاطلاع عليها مما هو مدوَّن في الكتاب المقدس بل تمتدُّ ايضًا الى الذين حُرموا من التوصل اليها بالوسائل الخارجية المذكورة بسبب وسائل قُدِّر عليهم ان يوجدوا فيها وليس من طاقتهم ازالتها

فكما اننا نعترف ان المعرفة بالطرق المارّ ذكرها هي مريحة وكبيرة الفائدة نحن نعتقد ايضًا ان الذين أُمسكت عنهم هذه الطرق بحسب مشيئتهِ تعالى يمكنهم بدونها ان يصيروا شركاء سرّ موتهِ اذا لم يمنعوا زرع الله ونورهُ من العمل في قلوبهم لانارتها وبهذا النور يمكن الانسان ان يتمتع بالشركة الالهية مع الآب والابن وبهِ يصير الاشرار قديسين ويلبسون رغبة ومحبة تلك القوة التي بتأثيرها الخفي الداخلي يشعرون انهم يتحولون من سُبُل الشرّ الى الصلاح ويتدربون لكي يعاملوا غيرهم بذات المعاملة التي يرغبونها لانفسهم والسيد المسيح نفسهُ قد

صرّح بان هذا الناموس يعمّ الجميع فالذين ينكرون ان المسيح قد مات لاجل كل فرد من افراد الجنس البشري يعلّمون تعليمًا كاذبًا مضلاً اما الذين يعلّمون بكونهِ قد مات لاجل كل فرد ولكنهم يقولون ان معرفة قوتهِ بطريق البشارة الخارجية هي ضرورية للخلاص فهم لا يعلمون الحق كلهُ وقد ذهب هذا المذهب الارمينيسيون في هولنك وغيرهم ممن يعتقدون بالفداء العام الاّ انهم لا يعلّمون بحسب ناموس نور الحياة المقدس الذي في الانجيل وهو ان الرب يسوع المسيح ينير كل انسان يأتي الى العالم كما يثبت جليًا من نصوص الكتاب الآتية تك ٦:٣ وتث ٣٠:١٤ ويو ١:٧ و٨ و٩ و١٦ ورو ١٠:٨ وتي ٢:١١

القضية السابعة

التبرير

ان كل الذين يقبلون النور ولا يقاومون فعلهُ يولدون ولادة ثانية روحية نقية مقدسة يكتسبون بواسطتها البر والطهارة والقداسة وكل الاثمار المباركة المرضية لله وبهذه الولادة الثانية الروحية اي كون المسيح موجودًا في داخلنا وعاملاً فينا نتقدس ونتبرر امام الله كما قال الرسول ١كو ٦:١١ "لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع المسيح وبروح الهنا" اذًا نحن لا نتبرر باعمالنا المعمولة حسب مشيئتنا ولا بالاعمال نفسها بل بالمسيح الذي هو الهبة والواهب معًا والعامل المؤثر فينا والذي صالحنا ونحن اعداءٌ وبحكمة خلصنا وبررنا حسب مشيئتهِ كما قال الرسول ذاتهُ في تي ٣:٥ "لا باعمال في

برّ عملناها نحن بل بمقتضى رحمتهِ خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس"

القضية الثامنة

الكمال

ان الذين وُلدوا الولادة الثانية المقدسة الطاهرة وصلبوا جسد الخطيئة والموت فاتحدت قلوبهم باطاعة الحق ولم يعودوا يسلكون في اطاعة تجارب الشرير بل تحرروا من تعمد عمل الخطيئة وتعدي الناموس يعدون كاملين. انما هذا الكمال قابل النموّ كما انهُ عرضة على الدوام للوقوع في الخطيئة لما لا يداوم العقل الاتكال على الرب والالتفات اليهِ بسهر واجتهاد

القضية التاسعة

الثبات في النعمة وامكان السقوط منها

مع ان هذه المحبة ونعمة الله الداخلية كافية لاتمام الخلاص في الذين يقبلونها يمكن ان نتحوّل في الذين يقاومونها الى دينونة لان الذين تعمل فيهم هذه النعمة جزئيًّا لاجل تطهيرهم وتقديسهم وترقيتهم نحو درجة الكمال قد يسقطون منها بواسطة العصيان فيحولون نعمة الله الى الدعارة يهوذا عد ٤ وتنكسر بهم سفينة الايمان اتي ١ : ١٩ " وبعد ان ذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس سقطوا " عب ٦ : ٤ - ١٠ اما الذين يثبتون فيزدادون رسوخًا في الحق في هذه الحياة الى ان يصلوا الى حالة لا يمكن الارتداد معها

القضية العاشرة

الخدمة

ان كل معرفة حقيقية في الامور الروحية تقبل وتعلن بواسطة النور او عطية الله وبما ان كل معرفة تعلن للقلب وتقبل منهُ بفعل هذا النور وقوتهِ هكذا كل قسيس او خادم للانجيل برسم ويعدّ ويؤهل للخدمة بواسطة النور فقط وبارشادهِ وفعلهِ وتأثيرهِ ايضًا يجب ان يسير كل مبشر انجيلي وكل راعٍ مسيحي ويهتدي في عملهِ وفي خدمتهِ الانجيل . سواءٌ كان من جهة مركز العمل او الاشخاص الذين يعمل بينهم او الوقت الذي يعمل فيهِ . فكل من نال هذه الدعوة والقوة يمكنهُ بل يجب عليهِ ان يبشر بالانجيل بقطع النظر عن معارفهِ واستعداداتهِ البشرية الخارجية اما كل من ليس لهُ هذه الدعوة او العطية ومارس الخدمة فهو مكار وليس خادمًا حقيقيًا للانجيل مهما كان عالمًا ومتقدرًا في نظر الناس والكنائس والذين قبلوا هذه العطية المقدسة الطاهرة فكما أُعطيت لهم مجانًا هكذا يجب ان يقدموها مجانًا ايضًا بلا اجرة ولا مكافاة وبدون ان يستعملوها وسيلة للاتجار والربح . اما اذا دعا الله البعض ليتركوا اعمالاً او تجارة ما يرتزقون بها وهي علة معيشتهم فيجوز لمثل هؤلاء بحسب الحرية الممنوحة لهم من الرب ان يقبلوا معاشًا يسدون بهِ ضروريات الحياة من قوت وكسوة اذا قدم لهم عن رضا وطيبة خاطر من الذين يخدمون بينهم

القضية الحادية عشرة

العبادة

ان العبادة الحقيقية المقبولة عند الله هي التي تقدم بفعل الروح والهامهِ الداخلي فهي لا تنحصر في زمان او مكان او اناس خصوصيين لاننا مع رغبتنا في عبادة الله والسلوك في محبتهِ وخوفهِ على الدوام يجب ان نلجأ في ترتيب العبادة والصلوات وتقديم الشكر الى الهام روح الله القدوس ولا نعتمد على معرفتنا او اميالنا الخارجية في تحديد المكان والزمان . فالعبادة التي يستمعها الله ويقبلها هي التي يدربنا هو نفسهُ ويرشدنا اليها . اما كل عبادة اخرى ان كان مديح او صلوات او مواعظ يدبرها الانسان ويرتبها حسب قصدهِ ومشيئتهِ فيبتدئ بها ويختمها كما يشاء عندما يريد ويتممها او يهملها حسبما يشتهي بموجب ترتيب سابق كأن يكتب الصلوات او بدون ترتيب سابق ولكن بقوة البداهة والعقل فعبادة كهذه هي خرافية بشرية باطلة ونظير عبادة الاوثان مكروهة في عيني الرب ويجب رفضها واهمالها والابتعاد عنها وقت النهضة الروحية هذه. مع كل هذا لقد حسن في عيني ذاك الذي يتغاضى عن الجهل وينظر الى بساطة قلوب البعض وطهارتهم وحسن قصدهم فيما يختص بالزرع الروحي الذي وُجد مستوراً في قلوبهم بخرافات عديدة فنفخ على العظام الميتة اليابسة وهبّت من عندهِ نسمات واحيتها الى ان يبزغ الفجر وينبلج نور النهار

القضية الثانية عشرة

المعمودية

كما انهُ يوجد اله" واحد وايمان واحد هكذا يوجد معمودية واحدة وهي ليست ازالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح امام الله تعالى بقيامة يسوع المسيح وهذه المعمودية طاهرة روحية اي معمودية الروح والنار التي بها دُفنّا معهُ واغتسلنا لكي نتنقى من الخطايا فيمكننا ان نسلك في جدة الحياة .وقد كانت معمودية يوحنا رمزاً لها تبقى الى حين وليس لتدوم الى النهاية اما معمودية الاطفال فهي تقليد بشري محض ليس لهُ وجود في الكتاب سواء كان بالوصية او الاستعمال اف ٤ : ٥ ابط ٣ : ٢١ رو ٦ : ٤ غل ٣ : ٢٧ كو ٢ : ١٢ يو ٣ : ٣٠ اكو ١ : ١٧

القضية الثالثة عشرة

العشاء الرباني او شركة جسد المسيح ودمهِ

ان شركة جسد المسيح ودمهِ هي امر داخلي روحي اي الاشتراك بجسدهِ ودمهِ الذي بهِ يغتذي يومياً الانسان الداخلي في قلوب الذين يسكن المسيح فيهم وقد كان رمزاً لهُ كسر يسوع الخبز مع تلاميذهِ حتى ان الذين حصلوا على الجوهر استعملوهُ مدة من الزمن من اجل الضعفاء كما امتنعوا ايضاً عن المخنوق والدم واستعملوا غسل ارجل بعضهم بعضاً والمسحة بالزيت وهذه

العادات الاخيرة كانت تمارس بدقة ووقار كالعشاء الرباني اما فلأن كلها معهُ ظل امور اسمى وافضل فقد أبطل رسمها الخارجي ورسمهُ ايضاً الذين لم الجوهر في قلوبهم

القضية الرابعة عشرة

سلطة الحكومة المدنية في الامور الدينية البحتة المتعلقة بالضمير

ان الله اختص نفسهُ بالسلطة على الضمير فهو وحدهُ يقدر ان يدربهُ ويحكم عليهِ بالحق ولا يجوز لاحد من ارباب السلطة في هذا العالم ان يسيطر او يضغط على ضمير غيرهِ لذلك فالحكم بالنفي او الاعدام او التغريم او السجن وما اشبه الصادر بحق اناس عملوا ما توحيهِ اليهِ ضمائرهم وخالفوا رأي غيرهم في طرق العبادة هو من روح قايين السفاح ويخالف الحق القويم لانهُ لا يسوغ لاحد تحت ستار الضمير ان يضرَّ بحياة قريبهِ او يغتصب او يتلف املاكهُ او يعاملهُ معاملة سيئة لا تنطبق على ناموس الانسانية والذوق السليم

القضية الخامسة عشرة

التحيات والملاهي الخ

ان غاية الديانة في حفظ الانسان من روح العالم الباطل واحاديثهِ الفارغة وارشادهُ الى الشركة الداخلية مع الله الذي أن سلكنا دائماً في خوفهِ نعيش عيشة السعادة لذلك يتوجب على الجميع اجتناب كل العادات الرديئة

سواء كان بالكلام او بالاعمال كرفع القبعة مثلاً والخضوع بانحناء وباقي التحيات التي هي من نوعها مع ما يلحق بها من التكريمات الخرافية التي هي اختراع الانسان الرجعي اشباعاً لكبرياء قلبهِ حسب فخفخة هذا العالم وامجادهِ كما ويجب اجتناب كل الالعاب العديمة الفائدة والملذات الباطلة والملاهي كالقمار والمراهنة التي تقتل الوقت الثمين وتحوّل قوى العقل عن الشهادة لله في القلب وعن خوفهِ تعالى وعن روح الانجيل الذي يجب على كل المسيحيين ان يختمروا فيهِ لانهُ المرشد الى التعقل والرزانة والتقوى التي ان سلكنا فيها ترافقنا بركة الرب في كل اعمالنا اللازمة لاجل اعالة انساننا الخارجي



محاماة باركلي

القضية الاولى

اساس المعرفة الحقيقية

بما ان اساس كل سعادة هو معرفة الله المعرفة الحقيقية (يوحنا ١٧) وهذه هي الحياة الابدية ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي ارسلتهُ كان فهم اساس تلك المعرفة الصحيح وادراكهُ من اهمّ ما يجب الاطلاع عليهِ والايمان بهِ. وكما انهُ يجب على كل من يرغب اكتساب علم او فنّ ما من العلوم والفنون العالمية الطبيعية ان يفحص اولاً عن الوسائل التي يمكنهُ تحصيلهُ بها فكم يجب بالاحرى ان يبحث عن الحقائق الروحية بكل تدقيق واجتهاد لان من اخطأ الشروع في الطريق الصحيح او شرد عنها في بداءة سفرهِ صعب عليهِ الرجوع اليها وكلما تقدم في ضلالهِ تعاظمت الصعوبة وازدادت عليهِ مشقة التوصل الى الطريق الصحيح المستقيم

الطريق لمعرفة الله الحقيقية

فحالما يشعر الانسان بحقارتهِ ودناءتهِ ويضطرب مرتبكاً ومتعباً من توبيخ ضميرهِ وتبزغ اشعة نور الله على قلبهِ التي وان تكن ضعيفة فهي حقيقية يندفع لطلب تلك المعرفة الالهية ولشدة ميلهِ للتخلص من حالتهِ التعوسة وشهوات قلبهِ الفاسدة ورغبتهِ في الحصول على الراحة والسلام والثقة بان الله يحبهُ ويريد ان

يهب له السعادة والسلام بتليين قلبهِ ويصير شديد الانفعال والتأثر (ولكونهِ اذ ذاك لا يدرك منهاجًا واضحًا جليًا) يميل للتمسك بما يخفف ارتباكهُ ويسكن اضطرابهُ وهكذا وهو على هذه الحالة من الضعف اذا اثر فيهِ اعتبار خاص لمعارف اشخاص يثق بهم او ميل داخلي طبيعي فيهِ فاتخذ لنفسهِ سبيلاً توهم انهُ يوصلهُ الى معرفة الله الحقيقية يصعب حينئذٍ اقناعهُ لان يرتدَّ عن ضلالهِ مهما كان عظيمًا واضحًا وذلك لتوهمهِ زوال ارتباكهِ وكون عدوّ نفسهِ قريبًا منهُ وساهرًا على الدوام لكي يولد فيهِ سلامًا كاذبًا ولان عقلهُ بالطبع يميل ان يرفض الدخول في شكوك وارتباكات جديدة يحتم عليهِ السعي ثانية للتخلص منها – فكل هذه الامور تعمل معًا لكي تقسي قلبهُ وتمنعهُ من قبول التعليم الصحيح والمعرفة الحقيقية

مقاومة علماء اليهود والفريسيين للمسيح

ويثبت هذا باجلى بيان مقاومة الفريسيين وعلماء اليهود للمسيح بسبب أنفتهم من ان يُدعَوا جهلاء لان ادعاءهم الباطل بمعرفتهم منعهم من قبول المعرفة الحقيقية بينما عامة الشعب البسطاء الذين كانت عقولهم خالية من الاعتقادات الكثيرة والمبادئ المتشعبة وليس لهم سبيل للادعاء بمعارفهم السابقة آمنوا بهِ وحينئذٍ وبخهم الفريسيون بقولهم يو ٧: ٤٨ و ٤٩ "ألعلَّ احد من الرؤساء او من الفريسيين آمن بهِ ولكن هذا الشعب الذي لا يعرف الناموس هو ملعون"

والامثلة على هذا كثيرة والبراهين متعددة وقد ثبت بالاختبار ان كثيرين حالما شعروا ان دعوة الله مست قلوبهم لجأوا الى معلمين كذبة فكان الدواء شرًا من الداء وعوضًا عن ان يرشدوا الى معرفة الله وطريق الخلاص الصحيح اشتغلت عقولهم بافكار ومبادئ مغلوطة يعسر عليهم التخلص

منها فاصبح ارشادهم الى الصواب اصعب كثيراً مما لو بقيت قلوبهم خالية منها لان اقناع الذين يشعرون بجهلهم اقلّ عناء من اقناع المتطفلين وابليس عدوّ الجنس البشري الألدّ هو اكثر رغبة في زرع التعاليم الباطلة والآراء الفاسدة في ذهن الانسان من ابعاده بالكلية بالكفر والالحاد اذ ان الطريقة الاخيرة مكروهة وممقوتة لا يقع في حبائلو بها الاّ القليلون. اما الاولى فضررها عظيم جداً قد لازم الكون منذ البداءة ويكاد يكون عاماً فقلما يوجد من الشعوب من لا يدين بدين من الاديان . فالكفر اذاً لم يكن سبب انتشار الوثنية والاديان الخرافية بل المعتقدات الفاسدة والاغلاط الفظيعة التي اوجدتها التخيلات الفاسدة البشرية والحكمة العالمية المتقلقلة الغير الثابتة التي نجم عنها آراء متعددة عن الله والدين واختلاف هذه الآراء ومباينتها بعضها لبعض جعلت كثيرين يكفرون به عزّ وجلّ

مما ذكر ومن امور عديدة يمكن ذكرها يظهر لنا جلياً عظم الخطر المحيط بمن اخطأ الشروع في الخطوة الاولى (الذي لا يدخل من الباب بل يطلع من موضع آخر فذاك سارق ولص)

ايكتيتس

وقد بيّن ايكتيتس شدة الافتقار الى تلك المعرفة التي بواسطتها نحصل على الحياة الابدية بقوله النفيس فصل ٣٨ " اعلموا ان اساس التقوى هو التمسك بالآراء السديدة عن الله تعالى ومعرفته معرفة حقيقية "

هذا ما رأيت اثباته ضرورياً كقضية اولى ولا لزوم لزيادة الاسهاب في البرهان فيما يسلم بهِ الجميع (حباً للاختصار فيما لا خلاف فيهِ) لسهولة قبوله عند كل ذي عقل سليم وشعور حيّ

وسأتقدم لبيان القضية الثانية التي وان تكن حقيقتها ليست اقل ثبوتاً

من الاولى لكنها بسبب جهالة الكثيرين ووساوس ابليس في اذهانهم اوسع مجالاً للبحث والجدال

القضية الثانية

في الاعلان الالهي

لما كان لا احد يعرف الآب الا الابن ومن اراد الابن ان يعلن له وبما ان اعلان الابن هو بالروح وبواسطة الروح القدس فشهادة الروح انما هي الواسطة الوحيدة لاعلان معرفة الله الحقيقية . فالاله الذي بتحريك روحه حوّل مادة هذا الكون الى نظام كامل عجيب منذ البداءة وقد خلق الانسان روحاً حية حاكماً فيه وسائداً عليه. فباعلان ذلك الروح قد اظهر نفسه في كل العصور لبني البشر للآباء والانبياء والرسل . وقد بنى ايمانهم منذ القديم على هذه الاعلانات الروحية سواء كان ذلك باصوات او بظهور خارجي او بالاحلام او بتأثيرات قلبية داخلية. ولم يزل الى الآن كذلك لان غاية ايمان القديسين هي واحدة في كل الاجيال وان تنوعت صور بيانها . مت ١١: ٢٧

وهذه الاعلانات الروحية الداخلية المقدسة الضرورية لبناء الايمان الحقيقي لم تناقض ولا يمكن ان تناقض شهادة الكتاب المقدس والعقل السليم على انه لا يستدل من هذا ان تلك الاعلانات يجب ان تكون عرضة للامتحان والمقابلة مع شهادة الكتاب المقدس الخارجية او عقل الانسان الطبيعي كقانون او قياس اسمى او اشرف . لان هذا الاعلان المقدس والنور الداخلي هما برهان قاطع على صحتها ولشدة وضوحها يجبران العقل الصحيح على التسليم بها دون تردد

وارتياب نظير تلك الاوليات الطبيعية التي ترشد العقل الى نتائج طبيعية لايشك في صحتها كقولك الكل اعظم من جزئهِ او قولك كما انهُ لا يمكن صحة متناقضين لايمكن تخطئة كليهما

(١) ويترجح ان عدداً كبيراً من المسيحيين الجسديين الطبيعيين يناوم هذه القضية لانهم لم يختبروا ارشاد روح الله وعملهُ في قلوبهم وبسبب جهلهم وعدم اختبارهم يزعمون ان لاحاجة اليهِ بل يجترئ اكثرهم على التكلم عن الاعلان الالهي بطريقة الاستخفاف والازدراء حتى ان اكثر المذاهب المسيحية اهملت بل رفضت القول بالاعلان الالهي مع انهُ لايوجد قضية تثبتها نصوص الكتاب المقدس وتصرّح بها باجلى بيان اكثر منها وقد تطرّف البعض الى درجة قصوى من الجهل والغباوة وسددوا سهام التعنيف والتوبيخ نحو من يجاهر بوجوب طلب ارشاد روح الله على ان المسيحيين في الزمان القديم والعصر الرسولي رو ٨: ٩ لم يحكموا بمسيحية احد الاَّ من كان روح الله ساكناً فيهم اما الآن فقد كثر عدد الذين يدعون انفسهم مسيحيين وهم يعترفون علناً ان روح الله ليس فيهم وليس هذا فقط بل هم يؤنبون ويوبخون الذين يتخذون ذلك الروح دليلاً ومرشداً لهم ويسخرون ويزدرون بهم اما في الزمان القديم فقد كان يدعى اولاد الله الذين كانوا ينقادون بروح الله فقط رو ٨: ١٤ اما الآن فكثيرون يدَّعون انهم اولاد الله وهم يجهلون ارشاد روحهِ تماماً ويحكمون ان الذين يحثون الناس على طلب الاعلان الالهي وارشادهِ لاجل انارة قلوب المؤمنين هم هراطقة وفي الوقت نفسهِ يدَّعون انهم مستقيمو الرأْي

وعند اقل تأَمل يتضح لنا سبب هذا الضلال ذلك لانهُ قد كثر في عصرنا الحاضر من يكتفون باسم يسوع الخارجي حال كونهم لم يختبروا قط عمل روح الله في القلب ولم يدركوا قوة قيادتهِ وارشادهِ وبين هولاء عدد عديد من علماء اللاهوت والاساقفة والقسوس الذين سدوا آذانهم فلم يسمعوا او اغمضوا عيونهم فلم يبصروا هذا المرشد الامين وهكذا بتوا غريبين وبعيدين

عنهُ ووقعوا في حيرة الاختيار بين امرين وهما امَّا الاقرار بانهم لا يزالون بعيدين عن الله ويجهلونهُ كل الجهل وان لم ظلَّ المعرفة دون حقيقتها او ان يصرُّوا على الادعاء بانهم يمكنهم الوصول الى معرفة الله الحقيقية بدون الاعلان الالهي وتأثير روحهِ رأسًا في قلوبهم

التمييز بين المعرفة الحقيقية والغير الحقيقية

ولكي نفهم هذه القضية باجلى بيان علينا ان نميز بين معرفة الله الحقيقية والغير الحقيقية بين المعرفة بالروح والمعرفة بالشفاه فقط بين المعرفة القلبية التي بها ننال الخلاص والمعرفة العقلية الخيالية الباطلة الغير الثابتة اما هذه فيمكننا تحصيلها بطرق متعددة واما تلك فلا يمكن نوالها الَّا بطريقة واحدة وهي اعلان روح الله الداخلي الذي ينير القلب والذهن معًا

(٢) لما كنت انوخى في هذه القضايا ان ابيّن واثبت كل ما لهُ علاقة بالمعرفة الحقيقية الفعَّالة التي بها فقط نيل الحياة الابدية وكنت قد بينت فيما مضى طريق نيلها الوحيد لم يبقَ سبيل لاحد لان يدَّعي الحصول عليها الَّا باعلان روح الله الداخلي في قلب كل مؤْمن

ولكون هذه القضية حقيقة ثابتة فقد اعترف وشهد بها اشهر وافضل علماء الدين المسيحي في كل الاجيال الذين لما كانت قلوبهم مخلصة ورغبتهم في التوصل الى معرفة الله الحقيقية شديدة رغمًا عما كانوا محفوفين بهِ من الصعوبات بسبب الاغلاط التي استطرقت الى الدين المسيحي في ازمنة مختلفة فالله بمجدهِ الفائقة استجاب دعاء اولئك المخلصين الذين نشأُوا في ازمنة مختلفة واظهر كراهة ونفورًا من كل الوسائل والفروض الخارجية ولاسيما الموجودة في المذاهب التي كانوا يختصون بها واخيرًا توصلوا برأي واحد الى هذه الاولية وهي انهُ لا يمكن التوصل الى معرفة الله الحقيقية الَّا باعلان روحهِ الداخلي في

القلب وهاك شهادات علماء الديانة المسيحية الاقدمين

رسالة اوغسطينس عن يوص ؟

(١) قال اوغسطينس "لا يمكن نيل العلم الصحيح والمعرفة الحقيقية سوى بواسطة المعلم الداخلي المسيح هو المعلم والالهام الالهي هو المعلم ايضاً فعبثاً نرفع اصواتنا لنحدث تأثيراً من الخارج متى فقدت قوة التأثير بالالهام" وقد قال في موضع آخر "لان الذي خلقنا وافتدانا ودعانا الى الايمان يسكن فينا بروحهِ فعبثاً نرفع اصواتنا ما لم نشعر انهُ يتكلم فينا"

منشور اكليمنضس الاسكندري

(٢) قال اكليمنضس الاسكندري "ان الفرق عظيم بين ما يقولهُ الانسان عن الحق وبين ما يقولهُ الحق عن نفسهِ موضحاً بو ذاتهُ فلا يمكن المقابلة بين ما نكتسبهُ بالتمرين والممارسة وبين ما ننالهُ بالقوة والايمان" الى ان قال "ان التوصل الى الحق سهل المنال وادراكهُ قريب منا حتى وفي بيوت سكنتنا كما صرح موسى الكلي الحكمة"

رسالة ترتليانوس

(٣) قال ترتليانوس "هل يمكن ان يكف الله عن العمل ما دام الشيطان مجداً بلا انقطاع لكي يقوي العقل لعمل الشرور فالسيد لهُ المجد ارسل المعزي لهذه الغاية ولكن نظراً للضعف البشري لا نقدر ان نحتمل كل شيء دفعة واحدة فمنحنا الله تدريجاً الى ان نصل رويداً رويداً الى الكمال بفعل الروح القدس النائب الالهي" وقد قال لهُ المجد "ان لي اموراً كثيرة

لاقول لكم ولكن لا تستطيعون ان تحتملوا الآن واما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق ... ويخبركم بامور آتية" هذا هو بيان عمل الروح فما هو اذاً عمل المعزي أليس التدريب والهداية الى حياة مرتبة واعلان رموز الكتاب وغير ذلك

رسالة جيروم الى بولس ١٠٢

(٤) قال جيروم "ان الناموس هو روحي ولذلك يحتاج الى تدريب الروح واعلانه لاجل فهمه" وقد قال في رسالته ايضاً ١٥٠ الى هيدبيبا سؤال ١١ "ان رسالة رومية هي صعبة الفهم ويوجد فيها امور كثيرة غامضة فلا يمكن ادراكها الاَّ بتدريب الروح القدس وارشاده الذي قد كتب بولس هذه الرسالة بالهامه"

رسالة اثناسيوس

(٥) قال اثناسيوس "ما اعجب اعمال مخلصنا اليومية يوجّهُ اميالنا نحو التقوى ويرشدنا الى الفضيلة ويعلمنا ان النفس خالدة يرفع عواطفنا ويجذبنا نحو الامور السموية ويعلن لنا الآب يهب لنا قوة الغلبة على الموت ويظهر نفسهُ للجميع"

رسالة غريغوريوس

(٦) قال غريغوريوس الكبير في شرح هذه الكلمات وسيعلمكم جميع الامور "ان لم يعمل الروح في قلب السامع فعبثاً يعظ المعلم فلا ينسبنَّ احد فضل ما قد فهمهُ وادركهُ الى مقدرة المتكلم في الكلام لانهُ ان لم يكن المعلم في داخله فكلام الواعظ يطرق مسامعهُ لغير جدوى"

كيرلُّس الاسكندري

(٧) وقد صرَّح كيرلُّس الاسكندري قائلاً "ان الانسان يتوصل الى المعرفة الحقيقية بان يسوع المسيح هو رب بالروح القدس كما ان من يذوق العسل يعلم انهُ حلو من طعمهِ الخاص"

شرح برنردس مز ٨٤

(٨) قال برنردس "يا اخوتي نحن نحثكم يوميًّا لتسلكوا في السبيل الذي يوحي اليهِ القلب ولكن نفوسكم مستعدة دائمًا لاستماع ما يقولهُ الرب في داخلكم" ثم تكلم ما يأتي على قول الرسول من يفتخر فليفتخر بالله "ان كل رجال الدين هم عرضة كثيرًا او قليلاً لخطر السقوط في نقائص فظيعة لانهم لا يصغون بآذان قلوبهم لما يوحيهِ روح الحق العديم التملق في داخلهم" وهذا هو الاساس الوطيد الاركان الذي بنى عليهِ المصلحون الاولون

لوثيروس المجلد الخامس وجه ٢٦

قال لوثيروس في كتابهِ الى اشراف جرمانيا "لقد تقرَّر وثبت ان الانسان لا يستطيع فهم الكتاب المقدس الاَّ بالروح القدس" وقد قال ايضاً "لا يقدر احد ان يعرف الله ويفهم كلمتهُ فهمًا حقيقيًّا ان لم يرشد داخليًّا بالروح القدس ولا يقدر احد ان يحصل على ارشاد الروح القدس ما لم يختبر بذاتهِ عمل الروح في قلبهِ وهذا الاختبار هو المدرسة الوحيدة التي بها نحصل على تعليم وتدريب روح الحق وبدونهِ وخارج مدرستهِ نتعلم سرد الكلام فقط"

فيليب مالنكتون

قال فيليب مالنكتون في شرح يوحنا ص ٦ "ان الذين يصغون الى الصوت الخارجي يسمعون كلام الجسد الخارجي المخلوق فقط ولكن الله روح ولا يمكننا ان نراهُ او نعرفهُ او نسمعهُ الاَّ بالروح فعلينا اذاً ان نعرف روح الله ونختبرهُ لكي نستطيع ان نشاهد مجدهُ ونسمع كلامهُ لانهُ انما بروح الله تعرف اعماق الله وقد اقرَّ بهذا رجال الدين في كل الاجيال الى عصرنا الحاضر اولئك الذين لم يكتفوا بالمعرفة السطحية الظاهرية لكي يتخذوها ستراً او حرفة بل قد خصَّصوا ذواتهم للتعمق في درس الحقائق المسيحية الى ان اختبروا تأثير عمل الله في قلوبهم واهباً لهم الفداء ومغفرة الخطايا وباختبارهم هذا صرَّحوا باخلاص انهُ لا يمكن نيل المغفرة والفداء الاَّ بفعل الروح القدس وتأثيرهِ في القلب اذ بهِ يستنير العقل والفكر باشعة النور الالهي"

الدكتور سمث من كمبردج في الهية الكتاب

وما اجمل ما تفوَّهَ بهِ احد المؤلفين المحدثين الدكتور سمث من كمبردج "ان من يطلب معرفة الله بواسطة التآليف والكتب فقط هو كمن يطلب الحي بين الموتى وكثيراً ما تطلب الله عبثاً حينما لا يوجد اثر لمعرفتهِ الحقيقية فاطلب الله داخل نفسك" وقد وصف ذلك بلوتينوس بقولهِ ان افضل طريقة لادراك الله هي ان نلمسهُ عقلياً فيجب ان نبصر كلمة الله بعيوننا ونسمعها بآذاننا ونلمسها بايدينا كما قال يوحنا (ان النفس كالجسد لها حواس مختصة بها) وعند ما قصد داود ان يبين جودتهُ تعالى لم يطلب التصور بل الادراك الحسي حيث قال 'ذوقوا وانظروا ما اطيب الرب' فمعرفة الله الحقيقية الفضلى تنمو وتضطرم فينا بواسطة الحرارة الروحية السماوية في قلوبنا وليس

باجهاد عقولنا واتعاب ادمغتنا فالمعرفة الحقيقية في يسوع وبطبيعته المسيحية
كما انها بروحهِ المحب المتواضع الحلو الذي يشرق على نفوس الصالحين
كشمس الضحى الساطعة بنور الحياة فقلما نستفيد من معرفة المسيح الخارجية لكنهُ
يهب لانقيائهِ الصالحين روحهُ الذي بهِ يفحصون ويفهمون اعماق الله وقد قال
في موضع آخر ان المعرفة المكتسبة بمجرد التخيلات والاقيسة والبراهين
المنطقية هي ضعيفة واهنة اما التي تصدر عن التقوى الحقيقية فهي كما قال
اوريجنس تنير النفس بنور الهي يفوق جميع البينات جلاء واقناعًا

ادخال الكفر والمعرفة الكاذبة

(٣) اما خطة الشيطان الشديد الرغبة في امتداد سيطرتهِ على بني
البشر واجتذابهم اليهِ فقد كانت ولا تزال ترمي الى تحويل ابصار الانسان
عن هذه القاعدة الصحيحة التي بها يتوصل الى معرفة الله الحقيقية فلما اشرق نور
الديانة المسيحية المجيد على قسم كبير من العالم وبددت حقيقتهُ غيوم تعاليم
الوثنية المظلمة الفاسدة كتعداد الآلهة وغير ذلك من الخزعبلات الخرافية
وعرف ذلك العدو انهُ لا يمكن ارجاع الجنس البشري الى تلك الظلمات
عينها لجأ الى طريقة اخرى وهي انهُ نفث في الانسان معرفة باطلة عنهُ تعالى
وحوَّل افكارهُ الى ان يطلبهُ بطرق معوجة وغير صحيحة مقنعًا اياهُ ان يكتفي
بالمعرفة الباطلة التي توصلهُ اليها تخيلاتهُ والاعتماد على فهمهِ البشري غير
ناظر الى الله لاجل العلم والارشاد وقد نجح عدوّ الانفس بمكرهِ هذا نجاحًا
باهرًا لانهُ يوافق ذوق الانسان الفاسد الملتوي المائل بالطبع الى الاعجاب
والمباهاة فأتمّ مآربهُ الشريرة وجعلهُ يهين الله بخيلائهِ وعجبهِ واذ قد تمكن
منهُ على هذه الصورة لم يعد يهتم اذا اكثر الناس من الاعتراف الشفهي
بالخالق فابليس لا يقلق مهما اكثر الانسان الطبيعي من التصورات الخيالية

والاعتراف الخارجي بالله تعالى حال كونهِ في الوقت نفسهِ يسير في طرقهِ الفاسدة وشهواتهِ الرديئة طائعاً اشاراتهِ الشريرة وتجاربهِ المهلكة

المسيحية كعلمٍ يكتسبهُ الانسان بجدّهِ وحذقهِ

وهكذا اصبحت الديانة المسيحية فنّاً يكتسبهُ الانسان بجدّهِ ومعارفهِ كباقي العلوم الطبيعية ولم يكتفِ البعض بتسمية انفسهم مسيحيين بل توصلوا بمكرهم وخداعهم لان يوهموا الناس انهم بمكان عظيم من السيادة في الديانة المسيحية حال كونهم بعيدين وغرباء عن روح المسيح وحياتهِ

ثم اذا حددنا المسيحي تحديداً مطابقاً لشهادة الكتاب اي ان المسيحي الحقيقي هو من كان روح المسيح ساكناً فيهِ ومرشداً لهُ فكم من المسيحيين بل ومن الرؤساء العظام ومعلمي الديانة المسيحية يقضي العدل بتجريدهم من هذا اللقب الشريف السامي

فاذا كان اولئك الذين لديهم كل الوسائط الخارجية لاكتساب المعرفة وقد اتقنوها بفروعها من درس الكتاب المقدس وتقاليد الكنائس او من اعمال الخليقة والعناية الالهية وصاروا من ثم قادرين ان يحاوروا او يباحثوا مثبتين آراءهم ببراهين متينة يفحمون مقاوميهم بها (ومن الممكن ان تكون احياناً سديدة بحدّ ذاتها) انما رغماً عن كثرة اتساع معارفهم لا يستحقون ان يلقَّبوا مسيحيين بحسب تحديد الكتاب الصادق لكلمة مسيحي حال كون غيرهم ممن هم بسطاء أُميُّون او لهم معرفة قليلة الّا انهم اختبروا فعل الروح الالهي العامل فيهم للخلاص داخلياً هم مسيحيون بالحق فلنا مما تقدم هذه النتيجة الصادقة ان الاعلان الالهي الداخلي هو الطريق الصحيح الامين للتوصل الى معرفة الله الحقيقية العاملة للخلاص

فبما ان المقدمة صحيحة فالنتيجة صحيحة ايضاً

وبما ان هذا البرهان الاخير يثبت بجلاء طريقة المعرفة الحقيقية هذه ونحن ناكرها لان الاركان التي بني عليها هي قوية ولا يستطيع حتى مقاومنا سوى الاقرار بها وقد اثبتها الاختبار ان كثيرين من اشهر علماء الدين وجهابذته سقطوا بسبب سلوكهم وعرّضوا انفسهم للدينونة والهلاك مع ان اناساً بسطاء نالوا الخلاص ويمكن لمن هم نظيرهم نيله ايضاً

الاستشهاد بهابيل وشيث ونوح

ثم انه لا يستطيع احد ان يجزم بان لا احد توصّل الى معرفة الله الحقيقية العاملة للخلاص بالاعلان الالهي الداخلي فقط وبدون واسطة خارجية الاّ من اوصلته محنة لان يحرم هابيل وشيث ونوح وابرهيم وايوب وكل الآباء القديسين من المعرفة الحقيقية والخلاص

(٤) انني لا اقصد ان يستدلّ من كلامي هذا ان اجرّد الوسائل الخارجية من كل فائدة او نفع للانسان كلاً وسيتضح ذلك من كلامي في القضية الآتية وموضوعها الكتاب المقدس انما موضوع بحثنا ليس المساعد والمفيد بل ما هو الركن الجوهري ومن الممكن ان يوجد اشياء عديدة تساعد على تحسين ما عليه حال كونها ليست الركن الرئيسي الذي يقوم به ذلك العمل ويجري

فخلاصة ما قد ذكر هو هذا انه اذا توصلنا الى معرفة الله الحقيقية باعلان الروح في القلب فقد حصلنا على الكل ولا لزوم لغير ذلك اما حيث لا توجد هذه المعرفة فاسمى العلوم والمعارف الخارجية واعمقها بدون التأثر الداخلي لا يجدي اقل نفع للخلاص

وقد اثبت هذا بالبراهين القاطعة والادلة المتعددة الثابتة في بداءة هذه القضية وساذكر هذه الادلة بوجهِ الاختصار تحت القواعد الآتية

اولاً   لا يستطيع احد ان يعرف الآب الاَّ بالابن
ثانياً   لا يستطيع احد ان يعرف الابن الاَّ بالروح
ثالثاً   ان الله قد اعلن ذاتهُ لابنائهِ دائماً بالروح
رابعاً   ان تلك الاعلانات هي الركن الذي بُني عليهِ ايمان القديسين
خامساً واخيراً انها (اي الاعلانات) لا تزال الى الآن غاية ايمان القديسين وسأتكلم بالتفصيل عن كل منها ثم انقدم الى البحث عن القسم الاخير

القاعدة الاولى

(٥) اما الاولى من هذه القواعد وهي انهُ لا يستطيع احد ان يعرف الآب الاَّ بالابن فاثباتها سهل لكونها مؤسسة على كلمات الكتاب المقدس الواضحة وستكون وسيلة موافقة جداً للتوصل الى اثبات بقية القواعد لان الاله الحكيم السرمدي هو اساس واصل وينبوع كل عمل وقد خلق كل الاشياء بابنهِ الكلمة السرمدي

هذا هو الكلمة الذي كان في البدء مع الله وكان هو الله "كل شيء بهِ كان وبغيرهِ لم يكن شيء مما كان" يو ١: ١-٣ وهذا هو يسوع المسيح الذي بهِ خلق الله الجميع اف ٣: ٩ والذي بهِ ولاجلهِ "خلق كل ما في السموات وما على الارض ما يُرى وما لا يُرى سواء كان عروشاً ام سيادات ام رياسات ام سلاطين" كو ١: ١٦ ولذلك دُعي بكر كل خليقة كو ١: ١٥ فكما ان هذا الينبوع الغير المحدود والفائق ادراك العقل البشري هو مصدر كل حياة وحركة ويعمل في مخلوقاتهِ بكلمتهِ وقوتهِ السرمديتين هكذا لا يستطيع احد ان يأتي الى الله الاَّ بالابن حسب كلمات الكتاب الصريحة "ولا احد يعرف الآب الاَّ الابن ومن اراد الابن ان يعلن لهُ" مت ١١: ٢٧ ولو ١٠: ٢٢ وقد قال هو عن نفسهِ ايضاً

"انا هو الطريق والحق والحياة ليس احد يأتي الى الآب الاَّ بي" يو ١٤: ٦
لذلك هو جدير بان يُدعى الوسيط بين الله والناس لانهُ اذا كان منذ الازل مع الله وهو الله نفسهُ وفي الوقت ذاتهِ قد صار مشاركاً للانسان بطبيعتهِ فانما فيهِ فقط قد اعلن الله جودتهُ ومحبتهُ للجنس البشري وبهِ ينال الانسان تلك النعم ويشترك بها

اذاً اثبات هذه القاعدة الاولى سهل للغاية . فبما ان "لا احد يستطيع ان يعرف الآب الاَّ الابن ومن اراد الابن ان يعلن لهُ" فقد انحصر التوصل الى معرفة الآب بالابن

ولكن لا احد يعرف الآب الاَّ الابن اذاً لا يستطيع احد معرفة الآب الاَّ بواسطة الابن

اما مقدمة هذه القاعدة فهي صحيحة ثابتة لانهـا نصّ الكتاب ولذلك فالنتيجة صحيحة ايضاً وغير قابلة الاعتراض الاَّ اذا اراد احد ان يقول انهُ يعرف الآب وهو لا يعرف وذلك ادعاءٌ فارغ ومكابرة باطلة

ثم اذا كان الابن هو الطريق والحق والحياة حتى انهُ لا يقدر احد ان يأتي الى الآب الاَّ بهِ اذاً لا يستطيع احد ان يعرف الآب الاَّ بالابن

فهذه المقدمة هي ايضاً صحيحة ثابتة لانها كلمات الكتاب والنتيجة هي ايضاً كذلك لانهُ كيف يستطيع احد معرفة شيءٍ حال كونهِ لا يسير في الطريق التي دونها لا يمكنهُ التوصل اليهِ وبالنتيجة الى معرفتهِ فقد ثبت انهُ لا يوجد طريق الى الآب الاَّ الابن فكل من لا يسلك هذا الطريق لا يقدر ان يعرفهُ او يأتي اليهِ

اثبات القاعدة الثانية

(٦) فاذ قد اتضح ثبوت القاعدة الاولى انقدم لاثبات القاعدة الثانية

وهي انهُ لا يستطيع احد ان يعرف الابن الاَّ بالروح وبعبارة اخرى ان اعلان ابن الله هو بالروح

انما الامر الذي ارغب في الانتباه اليهِ هو هذا انني لما اتكلم عن معرفة الله اقصد تلك المعرفة الثابتة الضرورية العاملة للخلاص التي لا يمكن نيلها الاَّ بالروح حسب ما يتضح جليًا في عدة مواضع من الكتاب المقدس لان يسوع المسيح الذي فيهِ وبهِ يعلن الآب نفسهُ يعلن ذاتهُ لتلاميذهِ واحبائهِ في الروح وبالروح وكما ان اعلانهُ نفسهُ بالجسد وهو في هذا العالم عند ما شهد للحق كان امينًا وصادقًا هكذا الآن وهو ليس بالجسد يعلّم ويرشد الجنس البشري بروحهِ في الداخل وهو واقف على الباب يقرع فمن سمع صوتهُ وفتح الباب يدخل اليهِ رو ٣: ٢٠ وفي غل ١: ١٦ يصف بولس اعلان المسيح نفسهُ لهُ وان هذا الاعلان هو سرّ خدمتهِ الجليلة وصحة دعوتهِ كما وان وعد المسيح بقولهِ "وها انا معكم الى انقضاء العالم" يؤيد هذه القاعدة ايضًا لان حضورهُ معهم روحي داخلي لا خلاف فيهِ معترف بهِ من الجميع وما جرى حدوثهُ مرة يمكن تكرارهُ مرارًا

البرهان الاول

امور الله لا يعرفها احد الاَّ روح الله

وساسند برهان هذه القضية الى منطوق الكتاب المقدس الصريح في موضعين الاول من ١ كو ٢: ١١ و١٢ حيث يقول لان مَن من الناس يعرف امور الانسان الاَّ روح الانسان الذي فيهِ هكذا ايضًا امور الله لا يعرفها احد الاَّ روح الله. ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذي من الله لنعرف الاشياء الموهوبة لنا من الله وقد قال الرسول هذا بعد ان كان قد تكلم في الاعداد السابقة عن الامور العجيبة التي اعدَّها الله لقديسيهِ وبيّن ان الانسان الطبيعي لا يقدر ان يفهمها لانها انما تعلن بروح الله فقط عد ٩ و ١٠ مقدمًا

هذا السبب "لان الروح يفحص كل شيء حتى اعماق الله" ثم يأتي على ذكر المقابلة والتشبيه في الاعداد نفسها وهي برهان جلي يثبت هذه القاعدة اي كما ان امور الانسان لا يعرفها سوى روح الانسان هكذا ايضاً امور الله لا يعرفها احد الاَّ روح الله وقد عنى بهذا انه كما ان كل ذي روح ادنى من الانسان (كروح الحيوانات او بقية المخلوقات مثلاً) لا يستطيع ان يدرك امور الانسان وذلك لان طبيعة الانسان هي ارقى وارفع هكذا لا يقدر روح الانسان او الانسان الطبيعي عد ١٤ ان يقبل او يدرك امور الله اي الامور الروحية اذ انها اعلى واسمى من طبيعته وبناء عليهِ اقدم السبب الآتي "ولا يقدر ان يعرفها لانهُ انما يحكم فيها روحياً" ولنا من كلمات الرسول قياس يثبت جلياً ما نحن بصددهِ وهو

اذا كان ما يختص بالانسان لا يمكن ان يدرك بقوة حيوية ادنى من روح الانسان هكذا الامور المختصة بالله وبالمسيح لا يمكن ان يدركها او يعرفها من هو من دون روح الله او المسيح

البرهان الثاني

ليس احد يقدر ان يقول يسوع ربٌ الاَّ بالروح القدس

المقدمة صحيحة لذلك فالنتيجة صحيحة وثابتة ايضاً ولما كان هذا القياس مبنياً على كلام الرسول الذي مرَّ بيانهُ وهو امر مقرَّر غير قابل الاعتراض اتقدم لبيان القياس الثاني وهو ان كل ما هو روحي لا يمكن معرفتهُ الاَّ بروح الله وبما ان اعلان الرب يسوع المسيح ومعرفتهُ الحقيقية المخلصة هما روحيان فاعلان يسوع المسيح ومعرفتهُ العاملة للخلاص لا يمكن فهمها او ادراكها الاَّ بروح الله

وقد اتى بولس الرسول على ذكر هذا اكو ١٢: ٣ "ليس احد يقدر ان يقول يسوع ربٌ الاَّ بالروح القدس" والانسان المسيحي الحقيقي المستنير بالروح

يقدر ان يفهم ويدرك ان هذه الآية صحيحة وحقيقة ثابتة لكونها تنطبق على اختباره اما الجسداني الذي يدّعي انهُ يتبع المسيح وهو لا يعرفهُ الاَّ بالاسم فقط فقد يستهجنها او تظهر لهُ بمظهر من الغرابة لانهُ لا يهتم ان يتوصل الى الفهم الحقيقي بامعان

اذا تكلم الجسداني بالحقائق المسيحية فهو يكذب

ولذلك اثبت الرسول في كلامهِ شدة الاحتياج الى الروح القدس في فهم الامور المختصة بالمسيح وقد صرّح بل بالحري حتم قائلاً لا يقدر احد ان يقول يسوع رب الاَّ بالروح . فكأنهُ قال ان حقائق الانجيل الروحية اذا تفوَّهَ بها المسيحي بالاسم فقط اي الجسداني والغير الروحاني فهو يكذب. ومع ان هذه الحقائق صادقة بذاتها فهي ليست صحيحة بالنسبة الى المتكلم لانهُ لم يدركها ولا تفوَّهَ بها حسب القاعدة الثابتة اي بالروح الذي يدرّب العقل ويرشدهُ في الامور الروحية فهو في ذلك اشبه بالذين يمثلون الروايات في المسارح فالذين يمثلون اسكندر الكبير او يوليوس قيصر او غيرهما ليسوا اولئك الاشخاص والاعمال التي يشخصونها هي ليست حقيقية ايضاً لانها ليست الاعمال نفسها

هي كهذرمة الببغاء

هكذا الذين يتفوّهون بالروحيات دون تدريب الروح الالهي لا يمكن ان تكون اعمالهم حقيقية صادقة ومعرفتهم عن الله او المسيح ثابتة لان معرفة المسيح دون اعلان روحهِ في القلب ليست معرفة حقيقية بل تشبهُ الفاظ ببغاء التقطت بعض كلمات فلا يليق ان يقال انها لفظ انسان حقيقة لان الببغاء وكل طير آخر اذا تلفظ ببعض كلمات او جمل فهو لم يتدرب الى التلفظ بها بواسطة قوة الفكر او الوجدان الحيّ . وما اشدَّ شبه ما تقدم

بالانسان البشري الجسداني ومعرفتهِ او كلامهِ عن الامور الالهية التي التقطها من كلام الغير او من كتابات رجال الله الروحيين — فمعرفتهُ هي ليست حقيقية بالنسبة اليهِ لانهُ انما ادركها بالروح الطبيعي فقط ولم تعلن لهُ عن طريق الروح الالهي الحقيقي. فكما ان الفاظ طير تعلمها وهذر بها بدون ادراك لا يمكن القول انها صحيحة بالنسبة الى الطير الذي هذر بها كذلك كلام الانسان الطبيعي في الروحيات فاستناداً على نصّ الكتاب الذي ورد ذكرهُ ساضع القياس الآتي

اذا كان لا يقدر احد ان يقول يسوع ربّ الاّ بالروح القدس فلا يقدر احد ان يعرف يسوع ربّاً الاّ بالروح القدس

اما القياس الاول فصحيح وبالنتيجة الثاني ويمكن ان يتخذ منهُ قياس آخر فيها بذات الكلمات

اذا كان لا احد يقدر ان يعرف ان يسوع ربّ الاّ بالروح القدس لذلك لا تكون معرفة الرب يسوع المسيح وادراكهُ حقيقيين الاّ بالروح فكما ان الركن الاول هو صحيح فكذلك الثاني ايضاً

البرهان الثالث

(٧) القاعدة الثالثة وهي ان الله قد اعلن ذاتهُ لاولادهِ بالروح فقط فلايضاح صحة هذه القاعدة ينبغي ان نمعن النظر الى اعلان الله ذاتهُ لمخلوقاتهِ منذ القدم واول من وصف ذلك هو موسى النبي بقولهِ في تكوين ٢:١ "وروح الله يرفّ على وجهِ المياهِ" وعلى ما اظنّ ان لا احد ينكر ان الله تكلم مع الناس من آدم الى موسى بواسطة اعلان روحهِ رأساً وكذلك في العصور التالية وعند اعطاء الشريعة كما قد اتضح من القواعد المثبتة سابقاً وكل من يعترف بان حقائق الكتاب المقدس قد كُتبت بوحي الروح القدس لا يقدر ان ينكر اعلان الله بالروح لان كل اسفار الكتاب من موسى الى ملاخي ان الله كل

تلك المدة كان يعلن ذاته لاولادهِ بواسطة روحهِ رأساً وبدون توسط

اعتراض ولرب معترض يقول ان الله بعد اعطاء الشريعة غيَّر طريقة كلامهِ مع البشر

الجواب فاجيب في الردّ على هذا الاعتراض اولاً ان الله كلم اليهود رأساً دون واسطة فكان يكلم رئيس الكهنة الجالس بين الكروبيم عندما يدخل الى قدس الاقداس ثم يخرج ويخبر الجماعة كلها عن صوت الله وارادتهِ المعلنين لهُ هناك وهذا يوضح ان كلام الله مع الانسان باعلان الروح لم يبطل في كل الاجيال

ثانياً ان كل الذين طلبوا هذه الشركة الالهية برغبة وشوق وتوقعوها بالصبر لم يحرموا منها فكثيرون غير رئيس الكهنة وغير اللاويين والانبياء قبلوا الروح وتكلموا بهِ كما هو مكتوب في عدد ١١ : ٢٥ عندما حلَّ الروح على سبعين شيخاً وعلى اثنين آخرَين لم يكونا داخل الخيمة بل في المحلة. ولما طُلب من موسى ان يردعهما رفض قائلاً "ياليت كل شعب الرب انبياء اذا جعل الرب روحهُ عليهم" العدد ٢٩ وبهذا اظهر سرورهُ بذلك. ومما يثبت ما نحن بصددهِ ما جاء في نحميا ص ٩ حيث يذكر ان شيوخ الشعب بعد ان رجعوا من السبي وقدَّسوا انفسهم بالصلاة والصوم مرددين مراحم الله نحو آبائهم وقائلين في العدد ٢٠ "واعطيتهم روحك الصالح لتعليمهم" و٣٠ "فاحتملتهم سنين عديدة واشهدت عليهم بروحك عن يد انبيائك" واقوال داود النبي بهذا الشأن عديدة متعددة مز ٥١ : ١١و١٢ "وروحك القدوس لا تنزعهُ مني ... وبروح منتدبة اعضدني" ومز ١٣٩ : ٧ "اين اذهب من روحك" واشعيا النبي يصرح بان مصدر شهادتهِ هو الروح بقولهِ اش ٤٨ : ١٦ "والآن السيد الرب ارسلني وروحهُ"

اما من جهة اعلان نفسهِ في العهد الجديد للرسل والاربعة الانجيليين

والتلاميذ الاولين فهو امر مقرر يعترف بهِ الجميع فسانقدم في الكلام عن مدة دوام هذا الاعلان على هذه الصورة

اثبات القاعدة الرابعة

(٨) وقد وصلنا الآن الى القاعدة الرابعة وهي ان تلك الاعلانات هي الركن الذي بُني عليهِ ايمان القديسين ولنا في تحديد كلمة ايمان والتمعن في معناها الحقيقي ايضاح جلي لهذه القاعدة الا انني في الكلام عن ذلك سانجنب الدخول او التدخل في تصورات وآراء علماء اللاهوت الغربية المتعددة بل اقتصر على كلمات بولس الرسول القويـة الواضحة التي يحدد بها الايمان على وجهين

تحديد الايمان اما الايمان فهو الثقة بما يرجى والايقان بامور لا ترى عب ١١ : ١ فالايمان بحسب الامثلة المتعددة التي اوردها الرسول في نفس الاصحاح ليس سوى اقتناع العقل الحقيقي الثابت الذي بهِ يطمئن ويرتاح اذ يحصل على الثقة بما يرجى بتصديق وعد الله فتنال النفس بهذا الايمان يقيناً في الحصول على امور آتية لا ترى

اساس الايمان واساس هذا الايمان وعد الله وكلمتهُ وشهادتهُ عندما يكلم الذهن ولذلك ثبت الاعتقاد وعلى وجه عام ان اساس الايمان هو (Deus Loquens) اي "الله متكلماً" وهذا يتضح جليًّا ايضاً من الامثلة المتعددة التي اوردها الرسول في كل الاصحاح وهو لم يبنِ ايمانهُ على شهادة خارجية ولا على اعلان او شهادة انسان بل على اعلان ارادة الله لمختاريهِ وفيهم كقولهِ عن نوح عب ١١ : ٧

ايمان نوح "بالايمان نوح لما اوحي اليهِ عن امور لم ترَ بعد خاف فبنى فلكاً لخلاص بيتهِ فبهِ دان العالم وصار وارثاً للبرّ الذي حسب الايمان"

فما هو اساس ايمان نوح أليس كلام الله معهُ فهو لم يكن لديهِ كتابات او نبوات سبق فكتبها اناس قبلهُ ولم يكن لديهِ تعليم كنيسة او شعب من الشعوب يرتشد بهِ لاجل تدريب ايمانهِ انما كان ايمانهُ بكلمة الله عظيمًا وبهِ سار معاكسًا كل معاصريهِ فنجا هو وكل اهل بيتهِ

ايمان ابرهيم وقد اتخذ الرسول ابرهيم مثالاً ايضًا ذاك الذي لاجل ايمانهِ دُعي اب المؤمنين الذي يقال عنهُ انهُ "على خلاف الرجاء آمن على الرجاء" ليس فقط لانهُ ترك وطن آبائهِ وهو لا يعلم الى اين يذهب بل لانهُ آمن بولادة اسحق (بعد فوات سن الولادة) فلم يتردد في تقديم الذبيحة لانهُ لم يشك بان الله قادر ان يقيم من الاموات ذاك الذي قيل عنهُ انهُ باسحق يدعى لك نسل واخيرًا آمن بالوعد ان نسلهُ بعد اجيال كثيرة سيملك الارض التي كان متغربًا فيها وذلك لان ابرهيم كان ايمانهُ مبنيًا على الاعلان الالهي الداخلي اي ان الله بيّن ارادتهُ لهُ بواسطة روحهِ داخليًا

فاذ قد اثبت فيما مضى من هذه القضية على ذكر الاصوات والاعلانات والرؤى الخارجية فسانتقل الآن الى ذكر الاعتراضات التي يمكن ان يعترض بها عليها لاجل التوصل الى حقيقة معرفتها

اعتراض فلرب معترض يقول ان الذين يبنون الآن ايمانهم على الاعلان الالهي رأسًا بطريقة محسوسة يجب ان ينالوا ذلك الاعلان بواسطة اصوات او احلام او رؤى خارجية

الجواب فاجيب انهُ لا ينكر ان الله استخدم الملائكة لاجل مخاطبة قديسيهِ في الزمان القديم فكلموهم بصوت مسموع متخذين هيئة بشرية كما انهُ اعلن لهم اموراً كثيرة بالاحلام والرؤى. الا انهُ لا يمكن الحتم بان تلك الطرق قد بطلت واضعين حدًا لقدرتهِ تعالى وهو القادر في كل الاجيال ان يظهر ذاتهُ لاولادهِ كيفما شاء. انما ونحن في معرض البحث في اساس الايمان وغايتهِ لا يجب ان نتمسك

بما قد عرض حدوثهُ احيانًا بل بما هو جوهري عام كما انهُ ينبغي ان نميّز بين الامور التي هي عرضة للريب والشك اذا اعتبرت بحد ذاتها لان التسليم بها وقبولها هو باعتبار غيرها . وبين ما هو ثابت لا شك ولا ريب فيهِ والتسليم بهِ وقبولهُ هو باعتبار ذاتهِ لانهُ (Prima viritas) اي "الحق الاولي الاصلي"

الاعلان بالاحلام والرؤى ولننعم النظر في هذه الاصوات والاعلانات الخارجية والاحلام وكيف كانت غاية ايمان القديسين ولاي حد اثرت في تأسيس ايمانهم . هل كان اعتبارها لمجرد اعلانها باصوات وظواهر خارجية واحلام . فهل كانوا يجهلون ان الشيطان نفسهُ يقدر ان يصدر اصواتًا يُسمع بها الاذن الجسدية وينعش الحواس الخارجية بجعلهِ الامور تظهر بخلاف حقيقتهـا . أفلا نعلم باختبارنا اليومي ان المحتالين والمشعوذين يقدرون على ايهامنا وخدع حواسنا بشعوذتهم فحاشا اذًا ان يكون ايمان القديسين مؤسسًا على اساس واهن كحواس الانسان القابلة الانخداع

ولرب سائل يقول ماذا جعلهم اذًا ان يصدقوا تلك الرؤى ؟

إن ما حملهم على تصديق كل ذلك هو شهادة روح الله الحقيقية في قلوبهم وثقتهم ان هذه الاصوات والاحلام والرؤى هي من الله فابرهيم صدّق الملائكة ولكن من اعلمهُ ان هؤلاء الرجال ملائكة ؟ فلا نسمح لانفسنا ان نتوهم ان ايمانهُ كان مبنيًا على شهادة حواسهِ الخارجية بل قد صار عن اقتناع قلبي بفعل روح الله فيهِ

اذًا يجب الاعتراف ان هذا هو اصل واساس ايمان القديسين وبدونهِ لا يوجد ايمان صحيح ثابت وبهِ يبتدئ الايمان مرارًا كثيرة وينمو ويتقوى بدون مساعدة خارجية منظورة ولنا على ذلك شهادة الكتاب المقدس في اماكن متعددة حيث يقول "وكان كلام الرب" الى فلان "وقال الله" "وكلمة الرب حلت على فلان" الخ

اعتراض واذا بقي احد مصراً على الاعتراض بقولهِ ان كل هذا كان بمثابة أصوات خارجية تسمعها الاذن الجسدية

الجواب فاجيب انهُ ليس لدى هذا المعترض سوى تخيُّلاتهِ وتخميناتهِ الشخصية لانهُ قد كُتب "ان الروح يشهد لارواحنا" (وليس لآذاننا) رو ٨: ١٦

الروح يكلم الاذن الروحية وليس الجسدية وبما ان روح الله داخلنا وليس خارجًا عنا فقط فهو يتكلم الى الاذن الداخلية وليس الى الاذن الجسدية وهكذا عندما يقول الكتاب ان الروح كلم او حرَّك او منع او دعا هذا او ذاك ليتمم عملاً او يكفَّ عنهُ فليس هذا السبب كافٍ للاستنتاج انهُ لم يكن صوتًا داخليًا تشعر بهِ الاذن الروحية وليس صوتًا جهوريًا تسمعهُ الاذن الجسدية. وان بقي احدٌ مصرًا على التشبث بمخالفة ما اوردناهُ فليأْتِ ما استطاع من البراهين لكي نتبصر بها

فلنا مما تقدم هذا القياس الذي يبنى عليهِ برهان هذه القاعدة على الوجه الآتي

ان كل ما يعتقد بهِ الانسان و يثق انهُ اساس رجائهِ بالله والحياة الابدية هو غاية ايمانهِ

لكن القديسين كانوا يعتقدون ويثقون ان اساس رجائهم بالله والحياة الابدية هو اعلان روحهِ القدوس في قلوبهم مخاطبًا اياهم او متكلمًا بهِ بواسطتهم

اذًا هذه الاعلانات الداخلية في القلب هي غاية ايمانهم

برهان القاعدة الخامسة

(٩) اننا ننتقل الآن للبحث في اثبات كون تلك الاعلانات الداخلية لم تزل الى الآن غاية ايمان القديسين وفي هذا يخالفنا كثيرون من الذين

يصدِّقون ما اثبتناهُ سابقًا

غير انهُ يوجد لدينا برهان متين تتضمنهُ القضية نفسها يثبت حقيقة هذه القاعدة وهي

ان غاية ايمان القديسين هي واحدة في كل الاجيال وان تكن تعلن بطرق متنوّعة وساضع ذلك بصورة القياس الآتي

اولاً اذا كان الايمان واحدًا فالغاية هي واحدة ايضًا

ولكن الايمان واحد فالغاية اذًا واحدة ايضًا

ايمان القديسين الاولين وايماننا هو واحد وقد اثبت بولس الرسول كون الايمان واحدًا بقولهِ في افسس ٤:٥ "ايمان واحد" بعد قولهِ "ربٌّ واحد" فكأنهُ يقول ان الاعتقاد بوجود ايمانين هو فاسد كالاعتقاد بوجود المين. فلو لم يكن ايمان الاقدمين كايماننا جوهرًا واحدًا لكان من العبث ان يحدّد الرسول الايمان عب ١١:١ ثم يورد عليهِ امثلة من ايمان الاولين وما الفائدة من حضهِ ايانا بمثل ابرهيم (لو كان ايمانهُ يخالف ايماننا) فالحقيقة اذًا انهُ لا فرق بيننا وبينهم. هم آمنوا ان المسيح سيأتي ظاهرًا بالجسد ونحن نؤمن انهُ اتى متجسدًا فلو لم يشعروا بحضورهِ بل شاهدوهُ (بعين الروح) قريبًا منهم لما كانوا آمنوا بانهُ عتيد ان يأتي

وقد قال الرسول "ان الجميع شربوا من تلك الصخرة الروحية التي تبعتهم وتلك الصخرة كانت المسيح" ونحن ايضًا لولا شعورنا بحضورهِ وثقتنا انه معنا وبهِ نقتدي لما كنا نؤمن انهُ اتى متجسدًا كما قال الرسول "ان لم يكن المسيح فيكم فانتم مرفوضون" اذًا ايماننا وايمانهم واحد وغايتهما واحدة ايضًا

اما من جهة القياس اي انهُ اذا كان الايمان واحدًا فالغاية واحدة فيثبتهُ كلام الرسول في الاصحاح المذكور آنفًا لانهُ ذكر فضائل الآباء الاقدمين مثالاً لنا وذلك المثال هو ايمانهم بالله وانما اساس ايمانهم وغايتهُ هو الاعلان

الداخلي في قلوبهم كما قد تبرهن سابقًا فلو لم يكن ايماننا وايمانهم واحدًا وغايتهُ واحدة لما حضّنا الرسول على الاقتداء بهم

وقول بولس الرسول عن نفسهِ يوضح ايضًا ما نحن بصددهِ بطريقة جلية غل ١ :١٦ انهُ عندما اعلن الله ابنهُ ليبشر بهِ بين الامم للوقت لم يستشر لحمًا ودمًا بل آمن للحال واطاع امر الله . وقد قال محرضًا العبرانيين لكي يتمثلوا بايمان الشيوخ عب ١٣ :٧و٨ "اذكروا مرشديكم الذين كلموكم انظروا الى نهاية سيرتهم فتمثلوا بايمانهم" "يسوع المسيح هو هو امسًا واليوم والى الابد" فالامر واضح اذًا ان الغاية لا يطرأ عليها تغيير

اعتراض ولرب معترض يقول ان الغاية تتنوّع تنوّع الخدمة

الجواب فاجيب ان تنوّع الخدمة لا يغيّر الغاية لان الرسول نفسهُ بعد ان ذكر تعدّد انواع الخدمة ثلاث مرات ١ كو ١٢ :٤و٥و٦ صرّح بوحدة مصدرها وغايتها اي الروح الواحد والرب الواحد والاله الواحد

ثم اذا لم تكن غاية ايماننا وايمانهم واحدة لوجب ان نتوصل الى معرفة الله بغير الروح ولكن معرفة الله بغير الروح باطلة . اذًا الادعاء بان غاية ايماننا وايمانهم ليست واحدة هو باطل ايضًا

اخيرًا ان صحة ما ذُكر يثبتها ايضًا دستور عام شائع عند علماء اللاهوت وهو (Omnis actusopecificatur objecto) اي "كل امر يعتبر من حيث غايتهِ" وهذا يثبت انهُ ان اختلفت الغاية اختلف الايمان (على انني من اجل الكثيرين لا التجيء الى هذا القياس كانهُ افضل او ادقّ علميًا لانني اعتمد في البرهان على بساطة الانجيل المحمودة وليس على مواد كهذه

والذين ينكرون هذه القضية اليوم اي انهم يسلمون بان الله يعرَف بالروح ولكن ليس بالاعلان القلبي الداخلي رأسًا بل بواسطة الكتاب المقدس الذي يستنير بهِ العقل الروحي (على زعمهم) وحينئذٍ يتوصل الى معرفة الله

المرشد في كل الاحوال

اما وجه هذه القضية السلبي اي ان الكتاب المقدس ليس كافياً ولم يقصد بهِ ان يكون القانون الوحيد لاجل ارشاد وتدريب المسيحي في كل المسائل التي يجب عليهِ معرفتها فسأترك البحث فيهِ الى القضية الثالثة متقدماً الآن لاثبت بالبرهان ما يناسب اثباتهُ وهو انهُ. ينبغي ان يرشد المسيحيون اليوم بواسطة تدريب روح الله في الداخل بنفس الطريقة التي أُرشد بها القديسون الاولون (حتى ولو لم يتوصل عدد كبير لذات الدرجة من الارشاد)

يجب ان يُرشَد المسيحيون في الوقت الحاضر كما أُرشد القديسون قديماً

(١٠) انني انقدم لاثبات ما تقدم ببراهين واقيسة متعددة مبتدئاً بوعد المسيح الجلي بهذه الكلمات يو١٤: ١٦ "وانا اطلب الى الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم الى الابد" ثم العدد ١٧ " روح الحق الذي لا يستطيع العالم ان يقبلهُ لانهُ لا يراهُ ولا يعرفهُ واما انتم فتعرفونهُ لانهُ ماكث معكم ويكون فيكم" ويقول ايضاً في العدد ٢٦ "واما المعزي الروح القدس الذي سيرسلهُ الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بما قلتهُ لكم" ثم ص ١٦: ١٣ "واما انتم متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانهُ لا يتكلم من نفسهِ بل كل ما يسمع يتكلم بهِ ويخبركم بامور آتية". وهذا يدلنا اولاً من هو ذلك الروح الذي دُعي بالقاب مختلفة كالمعزي وروح الحق والروح القدس والمرسل من الآب باسم المسيح. وفي الوقت نفسهِ تظهر حماقة السنوسيين الذين يجحدون لاهوت المسيح وكفارتهُ والمسيحيين الجسديين الذين لا يعترفون بروح او قوة داخلية بل بما هو طبيعي فقط ولهذا يسمُّون انفسهم عالميين اذ لا يقدرون ان يقبلوا الروح اذ لا يمكنهم ان يروهُ او يعرفوهُ ثانياً اما

ثم ان وجود هذا الروح فواضح في قولهِ " وهو ماكث معكم ويكون فيكم تالثًا ما هو عملهُ " فهو يكلمكم بكل شيء ويذكركم بكل ما قلتهُ لكم ويرشدكم الى جميع الحق "

السؤال الاول

من هو المعزي اما من جهة السؤال الاول اي من هو **المعزي** فالاكثرون يقرُّون بما يستفاد من هذه الكلمات السهلة الفهم وسيتضح ذلك ايضًا في مواضع اخرى عديدة من الكتاب المقدس أُوردها حسب ما يقتضيهِ المقام ولا ادري كيف يسلم القائلون ان الروح هو الكتاب من ان يعتبروا مجدّفين لانهُ لو كان المعزي والروح القدس وروح الحق والكتاب المقدس واحدًا فالكتاب المقدس والله واحد لان الروح القدس هو الله

سخافة مذهب السوسنيين من ان الكتاب هو الروح ولو صح زعم هولاء وكلما ذكر الروح القدس بالنسبة الى القديسين يفهم ان المقصود حقيقة هو الكتاب المقدس لظهرت الديانة المسيحية عند اقل تأمل بمظهر مضطرب غريب التركيب. كما لو قلنا " ولكل واحد يعطى اظهار الكتاب للمنفعة " فاي معنى يستفاد. ثم لو صار استبدالها في الاعداد الباقية من الاصحاح نفسهِ ١ كو ١٢: ٩-١١ حيث يقول ولآخر ايمان بالروح الواحد ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد ولآخر عمل قوات الخ ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد قاسمًا لكل واحد بمفردهِ كما يشاء " فما هو حكم السوسنيين في استبدال كلمة روح بكلمة كتاب في كل هذه المواضع. هل ينطبق على عقلهم الذي يعتبرونهُ المرشد العظيم لايمانهم او هل يناسب ان يدرس في مدارسهم المنطقية بان الكتاب يقسم لكل واحد بمفردهِ كما يشاء ويعطي للبعض مواهب وللبعض عمل قوات . فالروح

الذي باظهاره يعطى لكل واحد منفعة هو روح الحق الذي يُرشد الى جميع الحق ولا يمكن ان يكون الكتاب. ومخافة هذا المذهب يمكن اظهارها على مئة وجه ولكن حسبي ما قد ذُكر ولا سيما لان بعض ذاهبي هذا المذهب كثيراً ما يعترفون إمَّا عن ذهول او خجل بتعليهم " قائلين ان روح الله هو غير الكتاب بل يمتاز عنه في ارشاد القديسين والعمل فيهم

السؤال الثاني

اين مكان وجوده بما ان هذا الروح هو داخلي فلا يحتاج الى شرح او تفسير " فهو ماكث معكم ويكون فيكم " وهذه المعرفة وان الايمان الروح يسكن في القديسين هما ضروريان جداً وقد اثبت الكتاب في اماكن متعددة صحة هذا المعتقد كغيره من الحقائق الراهنة

الروح الداخلي هو العلامة الرئيسية لتمييز المسيحي قال بولس الرسول رو ٨:٩ " واما انتم فلستم في الجسد بل في الروح ان كان روح الله ساكناً فيكم " و ١ كو ٦:١٩ " ام لستم تعلمون ان جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم " و ٣:١٦ " وان روح الله يسكن فيكم " . وفي آخر الشاهد الاول المذكور آنفاً رو ٨:٩ يقول " ان كان احد ليس له روح المسيح فذلك ليس له " وهذا يظهر جليًا ان الرسول لا يحسب احداً مسيحياً بدون الروح بل يتخذهُ العلامة المهمة التي يتميز بها المسيحي الحقيقي مثبتاً ذلك على الطريقة السلبية والايجابية في الاعداد التي مرّ ذكرها. وذلك بعد ان كان صرّح في عدد ٧ " لان اهتمام الجسد هو عداوة لله " وعدد ٨ " فالذين هم في الجسد لا يستطيعون ان يرضوا الله " ثم وجّه كلامهُ الى اهل رومية قائلاً " اما انتم فلستم في الجسد بل في الروح ان كان روح الله ساكناً فيكم " وهذا اثبات جلي ان الذين يسكن روح الله بهم هم الذين يسرّ الله بهم وهؤلاء ليسوا فيما بعد في الجسد بل قد صاروا

مسيحيين بالروح والحق ثم يفهم من قوله في ختام العدد التالي هذه العبارة السلبية "ان كان احد ليس له روح المسيح فذلك ليس له" اي فهو ليس بمسيحي

اذاً كل من يقرّ انه يجهل حلول الروح القدس في قلبهِ ويعترف انهُ لم يزل غريباً عنهُ فهو يقرّ بكونهِ لم يزل مقيماً ومهتماً بالجسد واهتمامهُ هذا هو عداوة لله ولكونهِ في الجسد فهو لا يستطيع ان يرضي الله. وبالاختصار ان الانسان مهما تعلّم عن المسيح والايمان بهِ واكثر من استظهار آيات الكتاب وتعمق في معرفتها ولم يختبر وجود الروح ساكناً فيهِ. فهو لم يزل اجنبياً عن الديانة المسيحية التي اذا جردت من الروح القدس اشبهت الجثة البشرية بعد مفارقة الروح لها. فلا يستطيع الاحياء ابقاءها طويلاً مهما كان اعتبار صاحبها عظيماً بل تستودع التراب كشيء نتن عديم الفائدة

الاعمال العظيمة التي صُنعت وتُصنع هي بقوة الروح اخيراً كل ما هو سامٍ وفاخر كل ما هو شريف ونقي وطاهر كل ما يتمناهُ الانسان في الايمان المسيحي منشأهُ ذلك الروح القدوس الذي بدونهِ تضمحل عالمنا اذا جرّد من شمسهِ. والمسيحيون الحقيقيون في كل الاجيال ينسبون حياتهم وقوتهم الى عمل روح الحق الساكن فيهم. فهم يصرّحون معترفين انهم بهِ وحدهُ (اهتدوا الى الله تعالى) (وارتدوا عن اضاليلهم) نجوا من العالم تقوّوا في الضعف تقوّوا في الضيق ثبتوا في التجارب تشجعوا في البلايا والمصائب فرحوا وتهللوا وسط الاضطهادات الاليمة ويشهد لذلك كتاباتهم المملوءة من ذكر الاعمال المشهورة العظيمة التي عملوها بقوة وفضل وتأثير فعل روح الله العامل فيهم يوحنا ٦: ٦٣ "الروح هو الذي يحيي" الروح هو الذي منحهم قوة الكلام اع ٢: ٤ الروح هو الذي تكلم في استفانوس فلم يقدر اليهود ان يقاوموهُ اع ٦: ١٠ لا شيء اذاً من الدينونة على السالكين

حسب الروح" رو ٨: ١و٥ "ناموس الروح هو الذي يعتق من ناموس الخطية والموت رو ١: ٢" روح الله الذي يسكن فينا هو الذي يحررنا من عبودية الجسد واهتماماته عد ٩ . روح الله العامل فينا هو الذي يحيي اجسادنا المائتة عدد ١١ روح الله هو الذي يميت اعمال الجسد فنحيا عد ١٣ هذا هو الروح الذي به اخذنا روح التبنّي الذي به نصرخ يا ابا الآب عد ١٥ .هذا هو الروح الذي يشهد لارواحنا اننا اولاد الله عدد ١٦ هذا هو الروح الذي يعين ضعفاتنا و يشفع فينا بانّات لا ينطق بها عد ٢٦ .هو الروح الذي به قد اعلن لنا الله الاشياء المجيدة التي اعدَّها لنا ما لم تسمع به أُذن ولم تره عين ولم يخطر على بال انسان ١ كو ٢: ٨ و ١٠ هذا هو الروح الذي به يعطى لنا كلام حكمة وعلم وايمان وعمل قوات والتكلم بالسنة والتفوه بالنبوات ١ كو ١٢: ٩ و ١٠ هذا هو الروح الذي به اعتمدنا لجسد واحد عد ١٣ و بالاختصار انهُ ما من امر يتعلق بخلاص النفس والحياة المسيحية يتسنى الحصول عليهِ او اتمامهُ كما يجب بدون الروح وانهُ ليعوزني الوقت عن تعداد كل ما يتكلم بهِ رجال الله الانقياء الصالحين منذ القدم. واستفاد منهُ وتمتع بهِ القديسون الغيورون حتى يومنا هذا. وكل ذلك بفضل قوة ارشاد روح الله الساكن فيهم.و بالحقيقة ان هذا الكتاب يضيق دون استيفاء الشهادات العديدة التي تثبت هذا الحق من اقوال الآباء الصالحين وكتابات لوثيرس وملانكثون

كلام كلفن في الحاجة الى حلول الروح داخلنا على انني سآتي على ذكر شهادة كلفن الجديرة بالاعتبار لان كثيرين من اتباعهِ بسبب عدم اختبارهم الشخصي يرفضون القول بحلول الروح في القلب ويحسبونهُ كانهُ امر غير حقيقي وموضوع محفوف بالخطر. فان لم يذعن هؤلاء الى شهادة الكتاب المقدس ونصهِ واقوال الآباء والبراهين المقنعة فلعلهم يخجلون من كلام معلمهم وقائدهم الذي اتى على ذكرهِ في الكتاب الثالث من قوانينهِ الفصل الثاني

لكنهم يتشبثون بهذا قائلين انهُ لوقاحة عظيمة اذا ادعى احد معرفة ارادة الله تماماً (فاقول) انني اوافقهم على هذا لو كنا ندعي ذلك بقوتنا كاننا قادرون ان نخضع مشورة الله الغير المدركة الى مداركنا الضعيفة ولكن عند ما نتحد مع بولس بقولهِ اننا لم نحصل على روح هذا العلم بل على روح الله الذي بارشادهِ نعلم تلك الامور التي منحنا اياها الله فاي كلام يوجهونهُ ضدنا ولا يظهرون بهِ انهم يوبخون روح الله عز وجل ؟ فانهُ اذا عُدَّ ابهامنا اعلانات الله لنا بالغموض او الكذب والريب تجديفاً فظيعاً فهل يُعدّ علينا خطأً ان نثبت صحتها. كلا . ولكن بعض علماء هذا الدهر يقولون ان افتخارنا هذا لا يخلو من جسارة عظيمة . فمن يستطيع ان يصدّق ان هؤلاء الذين يدعون انفسهم رؤساء ومعلمين قد قصروا عن فهم المبادىء الاولية في الديانة المسيحية ولولا كتبهم التي تشهد عليهم لما كنت اصدق هذا عنهم. فبولس الرسول يحسب ان اولاد الله هم الذين يعمل روح الله فيهم. اما هم فيحسبون ان اولاد الله هم الذين يحركهم الروح الشخصي وليس روح الله . اما بولس فيقول اننا ندعو الله ابا بالهام الروح الذي يشهد لارواحنا اننا ابناء الله . وهم مع انهم لا ينفكون عن السجود لله تعالى يهملون ذلك الروح الذي هو المرشد الوحيد لاتمام مرضاتهِ. بولس ينكر على الذين لا ينقادون بالروح كونهم ابناء الله او خدام المسيح اما هم فيتظاهرون بمسيحية لا تحتاج روح المسيح . بولس يعلّم ان لا رجاء بالقيامة المباركة ان لم نشعر ان روح الله يسكن فينا اما هم فيدعون بالرجاء بدون هذا الشعور ومن الممكن انهم يجيبون انهم لا ينكرون حقيقة ضرورة وجود هذا الشعور انما عدم اعترافهم هو من نوع اللياقة والتواضع . اما بولس فامر اهل كورنثس ان يمتحنوا انفسهم اذا كانوا في الايمان ويفحصوا اذا كان المسيح ساكناً فيهم ومن لا يسلّم بكونهِ ساكناً فيهِ يكون مرفوضاً وقد قال يوحنا "بالروح الذي اعطانا اياهُ نعلم اذا كان هو يسكن فينا" واذا اعتبرنا انفسنا عبيد الله وهو ليس ساكناً فينا نكون قد اهملنا وعدهُ القائل انهُ سيسكب

روحهُ على كل الذين هم له فهذه الامور اذاً هي اساس التقوى وقد تهوَّر في ضلال مبين كل من بينهم الذين يفتخرون بحضور الروح بالادّعاء والمباهاة لان الديانة المسيحية بدون هذا الروح هي باطلة ومن ينكر عمل الروح هو مثال يوضح حقيقة ما قال المسيح ان روحهُ لا يعرفهُ العالم لانه يمكث في الذين يعترفون بهِ فقط" هذا ما قالهُ كلفن

بدون الروح المسيحية باطلة أيليق بنا بعد هذا ان نتمادى في الجهالة والضلال وننكر عمل الروح ولا نسعى في الحصول عليهِ والمسيح نفسهُ وعد انهُ سيسكن في ابناء الله فاذا اصرَّ احد على الاعتقاد أن حلول الروح القدس في القلب وارشادهُ قد بطلا يجب ان يعتقد ان الديانة المسيحية التي يمكن وجودها بدونهِ بطلت ايضاً

السؤَال الثالث

ما هو عمل الروح يو ١٦: ١٣ و١٤: ٢٦ لقد اظهرنا مما سبق بعض الاظهار ما هو عمل هذا الروح الذي يحصرهُ المسيح بامرين او ثلاثة "وهو يرشدكم الى جميع الحق ويعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلتهُ لكم" فاذ لنا هذه العطية الصالحة من المسيح لماذ نذهب وراء وصايا وتقاليد هي وصايا الناس التي قد اشغل مسيحيون كثيرون انفسهم بها؟ ولماذا نتخذ الجسد او الذهن الفاسد مرشداً لنا في الامور الروحية كما يفعل البعض؟ لكن اولاً يجب ان يلام هؤلاء كما لام الرب بني اسرائيل بفم ارميا النبي ص ٢: ١٣ "لان شعبي عمل شرَّين. تركوني انا ينبوع المياه الحيَّة لينقروا لانفسهم آباراً آباراً مشققة لا تضبط ماء"

الروح هو المرشد الامين ألم يهمل الكثيرون هذا الروح ألم يرفضوهُ ألم يتركوا ذاك المرشد الامين الهادي الى كل حق وانخلوا لانفسهم

طرقاً طرقاً معوجة لم تخرجهم الى الآن من نير الجسد وسلطة العالم ولا اعتقتهم من عبودية شهواتهم واهوائهم الشريرة التي بواسطتها لم يزل طريق الحق الذي انما يرشد اليهِ الروح فقط غريباً على الارض

الدستور الثابت لكنيسة المسيح وشعبهِ

فكلما قد اثبتناهُ من مواعيد المسيح وآياتهِ يرشدنا جليًّا انهُ يجب على كل المسيحيين ان ينظروا دائماً الى الروح الساكن فيهم وان يتخذوا هذا الروح دستوراً ثابتاً للكنيسة عموماً في كل الاجيال ولكل فرد ايضاً خصوصاً ولزيادة الايضاح نورد القياس الآتي

ان مواعيد المسيح لابنائهِ هي "نعم وآمين" ولا يمكن ان تذهب فارغة بل يجب ان تتمَّ في اوقاتها

ولكن المسيح وعد ان المعزّي الروح القدس روح الحق سيمكث مع بنيهِ الى الابد وسيسكن فيهم ويكون معهم ويرشدهم الى جميع الحق و يعلمهم كل شيء ويذكّرهم بما قالهُ لهم

اذاً المعزّي الروح القدس روح الحق وكونهُ يمكث مع ابنائهِ الخ هي "النعم والآمين" الخ

كذلك لا احد يمكنهُ التخلص من اهتمام الجسد الذي هو عداوة لله وغير خاضع لناموس الله لانهُ ايضاً لا يستطيع فلا يقدر احد ان يسلك حسب الروح ان لم يسكن روح الله فيهِ بل يبقى سالكاً في الجسد غير قادر ان يرضي الله

لكن كل مسيحي حقيقي يكون على نوع ما قد تخلص من اهتمام الجسد وابتعد عن عداوة الله وصار قادراً ان يخضع لناموسهِ تعالى فلا يسلك فيما بعد في الجسد بل في الروح اي روح الله الساكن فيهِ

اذاً كل مسيحي حقيقي يكون روح الله ساكناً فيهِ

كذلك كل من ليس لهُ روح المسيح فذلك ليس لهُ اي ليس ابناً ولا صديقاً ولا تلميذاً للمسيح

ولكن كل مسيحي حقيقي هو ابن وصديق وتلميذ للمسيح

اذاً كل مسيحي حقيقي لهُ روح المسيح

وايضاً ان كل من كان هيكلاً للروح القدس يسكن روح الله فيهِ لكن كل مسيحي حقيقي هو هيكل للروح القدس

اذاً كل مسيحي حقيقي يسكن روح الله فيهِ

وفي الختام ان كل من يسكن فيهِ روح الله لا يكون ذلك الروح فيهِ كسلاً ابكم عادم النفع لكنهُ يلهمهُ ويعمل فيهِ ويدرّبهُ ويرشدهُ ويعلمهُ كل ما معرفتهُ لازمة ضرورية بل ويذكّرهُ بكل ما قالهُ لهُ

ولكن روح الله يسكن في كل مسيحي حقيقي

اذاً روح الله يرشد ويدرّب ويعلم كل مسيحي حقيقي كل ما يحتاج الى معرفتهِ

اعتراض انهُ يوجد اناس يعترفون بان الروح لا يزال يرشد القديسين ويعمل فيهم الا انهم يقولون انهُ يفعل ذلك مقاداً قيادة تتوقف على انارة مداركهم التي بها يتوصلون الى معرفة الحق المعلن في الكتاب المقدس وليس بان يبسط الحقائق للذهن بطريقة نظرية يسمونها Medium incognition Assentiendi اي (ان يندفع الانسان لعمل بدون ان يشعر) على ان هذا الرأي وان يكن اكثر احتمالاً من الاول فهو مع ذلك لا يطابق الحق تماماً ولا يبلغ الى كمالهِ

جواب اولاً لانهُ يوجد حقائق عديدة توافق بعض الناس لدرجة تصبح معرفتهم لها ضرورية ولازمة حال كون تلك الحقائق غير موجودة في

الكتاب المقدس كما سيأتي بيانه في القضية التالية

فضلاً عن ذلك ان الاقيسة الآنفة الذكر تبرهن بان الروح لا يساعدنا فقط بطريقة انقيادية اذ يبين لنا حقائق معلنة في موضع آخر ولكنه يبين ويقرّب تلك الحقائق الى الذهن بطريقة نظرية محسوسة لان ذاك الذي يعلمنا كل شيء وقد أُعطي لنا لتلك الغاية هو بلا شك قادر ان يبدي ويوجّه الى عقولنا تلك الامور التي يعلمنـــا اياها فلم يقل الكتاب "وهو سيعلمكم ان تفهموا الاشياء المكتوبة" بل قال "وهو يعلمكم كل شيء" فذاك الذي يذكّرنا بكل ما قاله لنا لابد من ان يجلو لنا ذلك بطريقة محسوسة والاّ فلا يمكن ان يقال انه يذكّرنا بل كان يقال يسعفكم لكي تتذكروا اشياء مبينة في مكان آخر

القياس الثاني

وسأستخرج مما سبق القياس الآتي وذلك من مفهوم طبيعة العهد الجديد ولنا مع ما يلي برهان ثابت ان الروح يرشدنا رأساً داخلياً بطريقة حسية ومفهوم العهد الجديد موضح في عدّة اماكن من الكتاب

البرهان الاول ارشادات الروح اولاً اشعيــاء يقول ٥٩: ٢١ "اما انا فهذا عهدي معهم يقول الرب روحي الذي عليك وكلامي الذي وضعته في فمك لا يزول من فمك ولا من فم نسلك ولا من فم نسل نسلك قال الرب من الآن والى الابد" فالقسم الاخير من هذا الكلام يبيّن جلياً ان المقصود من هذا الوعد ان يبقى دائماً فذكر في القسم الاول الوعد نفسه وهو ان روح الرب عليهم وان كلمات الرب موضوعة في افواههم ثم قال ببقائه واستمراره قال الرب لا يزول من الآن والى الابد

١ – **بدون واسطة** فمن هذا يتبين ان الوعد رأساً فلا يوجد

ذكر لواسطة فلم يقل انهُ بواسطة هذه الكتابات او تلك الكتب ساضع هذه الكلمات في افواههم لكنهُ قال "كلامي الذي وضعتهُ (انا بذاتي) في افواههم"

ثم ان ذلك يجب ان يكون بطريقة عقلية لان الكلمات الموضوعة في الفم هي مقدمة من الله فلا يقال الكلمات التي ترونها مكتوبة سيعيّن روحي افهامكم لكي تقبلوها بل قال بتاتًا "كلامي الذي وضعتهُ في فمك" الخ ومن هذا ساتخذ القياس الآتي

كل من يحلّ فيهِ الروح ويضع كلمات في فيهِ يعلمهُ الروح رأسًا وبطريقة عقلية دائمًا

ولكن الروح هو حالٌ دائمًا في نسل الابرار ويضع كلمات في افواههم ولا يتحوَّل عنهم

٢ - **بطريقة داخلية** اذًا الروح يعلّم الابرار رأسًا وبطريقة عقلية دائمًا ان طبيعة العهد الجديد تتضح باكثر جلاء من ارميا ٣١: ٣٣ وقد اعادهُ الرسول في الرسالة الى العبرانيين ٨: ١٠ و١١ "لان هذا هو العهد الذي اعهدهُ مع بيت اسرائيل في تلك الايام يقول الرب اجعل نواميسي في اذهانهم واكتبها على قلوبهم وانا اكون لهم الهًا وهم يكونون لي شعبًا ولا يعلمون كل واحد قريبهُ وكل واحد اخاهُ قائلاً اعرف الرب لان الجميع سيعرفونني من صغيرهم الى كبيرهم"

الفرق بين الناموس الداخلي والخارجي

فالغاية من هذا ان ناموس الله موضوع في قلوبهم ومكتوب في اذهانهم وانهم بذلك يصيرون شعبهُ ويعرفونهُ حق معرفة. اذًا بهذا يمتاز الناموس عن الانجيل . الناموس كان اولاً خارجيًا مكتوبًا على الواح حجرية . اما الان فهو داخلي مكتوب في القلب. قديمًا كان الشعب يتكل في معرفتهِ تعالى على الكهنة

اما الان فالجميع يعرفونهُ معرفة اكيدة محسوسة وقد اجاد اوغستينوس بما قالهُ في هذا الموضوع في كتابهِ المسمى De Litera et Spiritu الذي يظهر أنَّ منهُ اكونياس اغتنم الفرصة لطرح هذا السوَّال. هل ناموس العهد الجديد هو ناموسٌ مكتوبٌ ام ناموس ارسخ في الذهن Lex Scripta, vel lex indita ثم اثبت بعد ذلك حلهُ بقولهِ ان ناموس العهد الجديد او الانجيل هو ليس ناموساً مكتوباً كالناموس القديم بل Lex indita ناموس مغروس في الذهن . فبينما الناموس القديم كُتب خارجياً فالناموس الجديد هو مكتوب داخلياً على صفحات القلب

العهد الجديد اسمى من الناموس وما اعظم غرور الذين عوضاً عن ان يعتمدوا على تعليم العهد الجديد قد جعلوا القديم اسمى منهُ وحسبوا الذين كانوا في ظل العهد القديم اسمى وارقى من الذين هم الان في ظل العهد الجديد فيقولون ان ذلك قد بطل حال كون مناجاة الله رأساً وبدون واسطة هي بدون شك اسمى وافضل من مناجاتهِ بالواسطة

وزد على ذلك انهُ في العهد القديم تحت الناموس كان يوجد قدس الاقداس يدخل اليهِ رئيس الكهنة ويقبل كلمة الله رأساً بين الكروبيم وهكذا كان يتوصل الشعب الى معرفة مشيئة الرب معرفة اكيدة . اما الان فبحسب هوَّلاء قد اصبحنا نحن في حالة تعيسة جداً اذ ليس سوى كلمات الكتاب لنبني عليها افكارنا وقلما تجد اثنين متفقين على تفسير عدد منها

الا ان الرب يسوع قد وعد بامور افضل وان يكن جهل البعض يمنعهم عن الايمان بوعدهِ . فهو وعد انهُ يرشدنا بروحهِ العديم الغلط واذ قد شق الحجاب وازالهُ فمن ثم ليس انسان واحد فقط يمكنهُ الدخول مرة واحدة في السنة بل الجميع في كل حين يتسنى لهم الاتيان اليهِ كلما اقتربوا منهُ بقلوب نقية طاهرة فهو يعلن مشيئتهُ بروحهِ ويكتب شريعتهُ في قلوبنا

فاذ قد انيت بما نقدم ابني عليهِ القياس الآتي

حيث تكون شريعة الرب موضوعة في الذهن ومكتوبة في القلب فهناك غاية الايمان واعلان معرفة الله الداخلية المحسوسة رأساً بدون واسطة

لكن شريعة الله هي موضوعة في ذهن المسيحي الحقيقي ومكتوبة في قلبهِ بفضل العهد الجديد

اذاً غاية الايمان واعلان معرفة الله لكل مسيحي حقيقي يكون رأساً داخلياً وبطريقة محسوسة

اما الغرض فهو كلمات الكتاب الواضحة لذلك فالقضية هي حقيقية ثابتة الا اذا كان ما يوضع في الذهن ويكتب في القلب هو ليس داخلياً محسوساً بدون واسطة وذلك مستحيل

القياس الثالث المسحة الموصى بها

(١٢) ان القياس الثالث هو مبني من كلمات يوحنا ١ يو ٢: ٢٧ "واما انتم فالمسحة التي اخذتموها منهُ ثابتة فيكم ولا حاجة لكم الى ان يعلمكم احد بل تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء وهي حق وليست كذباً. كما علمتكم تثبتون فيهِ"

١ — كمسحة عامة ان هذه المسحة لا يمكن ان تكون خصوصية غير اعتيادية لكنها ممنوحة عموماً لكل القديسين لان الرسالة عمومية موجهة لكل ابناء ذلك الجيل

٢—اكيدة ان الرسول يقدم لهم هذه المسحة الكائنة فيهم كحجر نقد بها يهتدى الى امتحان ومعرفة المكّارين المضلّين حتى ويفضلها بذلك على كتاباتهِ نفسها لانهُ قال في العدد السابق انهُ قد كتب عن المضلين ثم عاد فقال في العدد الذي يليهِ واما انتم فالمسحة الخ " ولا حاجة الى ان يعلمكم احد الخ " فهو يعني انهُ بعد ان افرغ جهدهُ وقال لهم كل ما يستطيع ان يقولهُ وجه انظارهم

الى المسحة الداخلية التي تعلم كل الاشياء وتقف كحصن منيع تنجيهم من حبل المخادعين المضلين

٣ – **دائمة** اخيراً ان هذه المسحة هي دائمة مستمرة (المسحة الثابتة) فلو لم تكن ثابتة فيهم لما امكن ان تعلمهم كل الاشياء وتحفظهم من كل الاخطار المحدقة بهم ومما تقدم لنا القياس الآتي

ان كل من نال مسحة ثابتة فيهِ تعلّمهُ كل الاشياء فلا يحتاج معها الى تعليم انسان بل يكون فيهِ معلم داخلي بدون واسطة خارجية وبذلك تعلن لهُ بعض امور داخلياً وبدون واسطة

لكن القديسين نالوا هذه المسحة

اذاً القديسون فيهم معلمٌ داخلي الخ

وفي امكاني اثبات هذا التعليم من اماكن اخرى عديدة من الكتاب المقدس ولكني اكتفي بما ذكر حباً للاختصار وانتقدم الى القسم الثاني من القضية مجيباً على الاعتراضات التي يعترض بها ضدها

(١٣) **اعتراض** ان الاعتراض الشائع هو ان هذه الاعلانات هي غير حقيقية

جواب وعلى هذا اجيب ان الاعتراض ناتج عن جهالة المقاومين لاننا يجب ان نميز بين القضايا الثابتة والظن المفروض اي بين القضية العملية الحقيقية والقضايا الفرضية الظنية . فالاثبات بان روح الله الحقيقي الذي لا ريب فيهِ هو صادق ومنزه عن الغلط هو غير الاثبات بان هذا الشخص او هذه الجماعة من الناس يقاد او يقادون بالاعلان وهم بما يتكلمون بهِ او يكتبونهُ معصومون عن الغلط لانهم ينقادون داخلياً باعلان الروح . اما الاول فهو ثابت حقيقة واما الثاني فهو قابل للشك وموضوع البحث ليس من أُرشد او لم يرشد بصحة ولكنهُ هذا ألا ينبغي ان يحصل الجميع على هذا الارشاد ؟ وهل ذلك غير ممكن ؟

اثبات صدق ارشاد الروح فقد تبرهن سابقًا ان المسيح يمنح روحهُ لاجل ارشاد ابنائهِ وان كل واحد يمكنهُ بل يجب عليهِ ان يحصل على ارشاد الروح فاذا حاد احد عن ارشاد هذا المرشد الامين في اعمالهِ و بقي مصرًا على القول فقط ومدعيًا ان الروح ارشدهُ الى عمل هذه الاشياء الغير الصالحة فلا يصح ان يقال ان الروح الغير الحقيقي هو بسبب ذلك غير صحيح. كما انهُ لا يصح ان يقال بان الشمس مظلمة لان الاعمى او من يغمض عينيهِ تعمدًا سقط في حفرة نصف النهار لانهُ لم يرَ النور. او ان نجزم بعدم التفوه بكلام ما لان أصمَّ لم يسمع بهِ او بان حديقة ملآنة من الازهار العطرية تفوح منها رائحة طيبة لان مَن فقد قوة الشم لا يشمها لان النقص في هذه كلها في العضو الخاص بها وليس فيما تصدر عنهُ

ومن ثمَّ ينبغي ان ننسب كل الاغلاط والهفوات الى ضعف الانسان وشرهِ وليس الى ارشاد الروح القدس

اما الذين يناقضون الروح الصحيحة والعديمة الخطإ مقدمين حجة شيعة الخوارج الاقدمين (شيعة في عصر المسيحيين القدماء خلطوا المبادىء المسيحية وفلسفة اليونان و بعض مبادىء شرقية قديمة) او انابابتست تبعة منستر النظيعة المضرة فكل هذا لا يمس قوة تعليمنا ولا يؤثر فيهِ ولاجل دحض هذه التخرصات ومقاومة مناقضات كهذه اضيف هذا التذييل وهو القسم الاخير من هذه القضية مبرهنًا ايضًا ان الاعلانات الالهية الداخلية هي ضرورية جدًا لتأسيس الايمان الحقيقي ولا تناقض وغير ممكن ان تناقض شهادة الكتاب والعقل السليم

الاختبار وعدا عن ان هذه القاعدة حقيقة لاشك فيها مبدئيًا يمكننا ان نثبتها بكل جرأة بواسطة اختبارنا الحقيقي المبارك لان روح الله لم يخدعنا قط ولم يحملنا الى التهوُّر في الضلال لكن اعلاناتهِ الداخلية لنا هي بغاية

الصراحة والجلاء ويمكننا ان ندركها عندما نترقبها بنور الله النقي الطاهر والواسطة الوحيدة للحصول على تلك الاعلانات انما اذا احتج احد على الصورة الآتية

اعتراض انهُ بما ان بعض الاشرار الاردياء المنافقين قد ارتكبوا اعمالاً شريرة منكرة ثم سوَّل لهم ضميرهم الشرير ان يتوغلوا اكثر في الدناءة والخبث ويصرحوا قائلين انهم سيقوا الى عملها بالروح الالهي

اذاً يجب ان لا يعتمد على روح الله او يطلب ارشادهُ

جواب فرداً على هذا الاحتجاج اقول انني انكر بالكلية صحة هذا الاستنتاج

جهالة الاستنتاج لانهُ لو قيل بصحتهِ لاصبح ايماننا بالله ورجاؤنا بالخلاص عرضة للشك وامست الديانة المسيحية هدفاً للالحاد والشك لانهُ يمكنني ان احاجّ على نفس الصورة قائلاً

بما ان حواء انخدعت بكذب الحية

لذلك اصبح من الواجب ان لا نثق بوعد الله

او بما ان العالم قديماً تهوَّر في الضلال بواسطة الارواح الشريرة لذلك كان من الواجب ان لا يثق نوح وابرهيم وموسى بروح الله وكذا بما ان روح كذب تفوَّه بواسطة الاربع مئة نبي الذين حملوا آخاب على الصعود لمحاربة راموت جلعاد

لذلك كانت شهادة روح الرب بواسطة ميخا غير صحيحة واتباعها خطر. ولانهُ تطرَّق الى الكنيسة منذ القديم ارواح مضلة

لذلك ليس من المناسب او من الصواب ان تتبع الكنيسة تدريب تلك المسحة التي تعلّم كل ما هو حق وكل ما لا ريب فيهِ ولا كذب

فمن يتجاسر ويقول بان لهذه النتائج اثراً من الصحة لانهُ بذلك ليس

فقط ايمان القديسين وكنيسة الله القديمة تصبح عرضة للشك والارتياب بل ايمان كل الطوائف المسيحية حتى اولئك الذين يؤسسون ايمانهم على غير اعلان الروح ايضاً لانهُ لو صح ما ذكر لامكنني على نفس القياس ان اثبت باستنتاج لا مناص منهُ (ab incommodo,) اي عدم الموافقة اي انهُ كان يترتب ترك اتباع الروح وعدم الاعتماد على ارشادهِ لان بعض الذين ادّعوا انهم حاصلون عليهِ قد ارتكبوا شروراً فظيعة . اذاً كل من التقاليد والكتاب المقدس والعقل الانساني هذه التي بحسبها البابويون والبروتستانت والسيوسينين قاعدة ايمانهم ليست باكثر صحة . فكنيسة رومية تعتبر الاحتفال بعيد الفصح على غير سنتهم ضلالاً وحكمهم هذا مبني على التقاليد فقط وفي الوقت نفسهِ كنيسة الروم وهي تتبع التقاليد تحتفل بهِ على طريقة اخرى ولم ينفع التقليد في تسوية الخلاف لان بوليكاربوس تلميذ يوحنا وانيسيتوس اسقف رومية اللذين عقبا الرسل واتفقا انهُ اقتفاء لمثلهم يجب ان تصير تسوية هذه المسئلة الا ان التقليد لم يساعد للاهتداء على وجه التوفيق

١ — امثلة عن التقليد

فلا بد من ان يكون واحد من هذين الفريقين مخطئاً وذلك بالنظر الى التقليد فهل يحسب البابويون اننا قد احسنّا معاملتهم اذا استنتجنا ان التقاليد يجب ان تهمل وتعتبر لغواً

ولقد يقعون في الصعوبة نفسها في امور ذي اهمية اعظم جداً كرئاسة اسقف رومية مثلاً لان كثيرين يثبتون من التقاليد انهُ في الست مئة سنة الاولى لم ينل اساقفة رومية لقب الراعي العام ولم يعترف لهم احد بهذا اللقب ثم ان الذين يرفضون هذه الرئاسة يؤكدون بواسطة التقليد ايضاً ان بطرس الرسول لم يرَ رومية مطلقاً ولذلك اسقف رومية لا يستطيع ان يكون خليفة

له أفيظن ان كنيسة رومية والحالة هذه تسلم بصحة هذا الحكم او هذا القياس

ان كثيرين قد انخدعوا وضلّوا ضلالاً مبيناً بتصديقهم التقاليد

لذلك يجب ان نرفض كل التقاليد حتى وتلك التي هي بخلاف ما ذُكر وحسب زعمنا تثبت الحقيقة

وختام الامر ان اعظم علماء اللاهوت في كنيستي رومية والروم الارثوذكس قد صرفوا جلسات طويلة برمتها في البحث في تفسير جملة واحدة قيلت في مجمع افسس وابيفانيوس وباسيليوس ولم يمكنهم الاتفاق عليها

٢— **امثلة عن الكتاب** اننا نصادف ذات الصعوبة نفسها من جهة الكتاب المقدس فاللوثريون يقولون انهم يؤمنون بحقيقة اتحاد جسد المسيح في الخبز والخمر في العشاء الرباني مثبتين ذلك من الكتاب والكلفينيون ينكرون ذلك كضلال مبين اعتماداً على الكتاب

ثم بينما الكلفينيون ايضاً يرفضون لنا ذلك تماماً ترى الارمينيوسيين ينكرون ذلك عليهم قائلين انهم يتبعون نص الكتاب والعقل السليم في المسئلة

فلو فرضنا هذا القياس للكلفينيين معترضين بقولنا

بما ان اللوثريين والارمينيوسيين يضلون ضلالاً عظيماً باتباعهما الكتاب في هذه المسئلة

لذلك فالكتاب ليس بقانون جيد صحيح

او لو قلنا بالعكس للوثريين والارمينوسيين فهل تقبل كل فئة منهما هذا الافتراض ام تعتبره صحيحاً جيداً

وماذا اقول عن الاسقفيين والقسوسيين والمستقلين وناكري المعاد في بريطانيا العظمى الذين يحاجّون بعضهم بعضاً وكل منهم يستند على قول الكتاب فبحسب ذاك الزعم يصح افتراض ذات القياس من كل منهم من جهة

الكتاب حال كونهم كلهم يعترفون و يصرّحون بصوت واحد انهُ (اي الكتاب) هو الدستور الوحيد

٢- **عن العقل** اما العقل فلا حاجة الى اطالة الشرح عنهُ لانهُ ليس مصدر هذه المشاحنات والمنازعات والمحاورات في العالم مع هذا أَو ليس كل واحد يزعم انهُ يتبع العقل السليم

ثم ما هو سبب المباحثات بين الاستوكيين (فئة من الناس لا يبالون لما يحدث في العالم من التأثر بالفرح والكره) والافلاطونيين والرواقيين (تبعة ارسطوطاليس سموا بهذا اللقب لانهُ كان يتلو تعاليمهُ وهو يتمشى في رواق البناية) والفيثاغوريين واخيرًا بين الفيثاغوريين (تبعة فيثاغورس الفيلسوف وفلاسفة مهمين منهم كان ديوجينوس) وحديثًا بين ارسطوطليس وكارتيزيين وطبيعيين آخرين

أَفيمكننا ان نستنتج ام هل يسمح لنا السوسنيون ان نقول انهُ يجب ان لا يستعمل عقلهُ او ان يثق او يصدق فيما يعلم انهُ مطابق حقيقة للعقل السليم. وذلك لان الكثيرين وبينهم هؤلاء الفلاسفة العظام ايضًا قد ضلوا مع انهم كانوا يتوخون بكل جد واجتهاد التوصل الى الحقيقة متبعين في ذلك كلهُ تدريب العقل هذا من جهة الاثراء اما المبادىء الاخرى فهي مقرونة بذات الالتباس

كل من ناكري العماد والبروتستانت والبابويين قد استندوا على الكتاب ان كان لجهة اعمالهم العظيمة والمعارك التي نشأ عنها سفك دماء

(١٤) اما من جهة الاعمال فانني اكره وامقت جدًا الاعمال الفظيعة التي صدرت عن تبعة مونستر ويمكنني ان اتجاسر واقول ان اعمالاً نظيرها بل افظع منها اقترفها الذين يعتمدون على التقليد والكتاب والعقل وحال كونهم

في الوقت نفسهِ يعتقدون بان اعمالهم الردية تجيزها لهم تلك المبادىء والسنن التي يجرون بحسبها ولا يمكنني ان اعدد جميع المعارك والمكايد والمذابح الهائلة التي اضنكت اوربا اجيالاً عديدة . فقد ثار باباويون ضد باباويين وكلفينيون ضد كلفينيين ولوثريون ضد لوثريين وباباويون وبروتستانت ضد بروتستانت وباباويين. كل هؤلاء قامت قيامتهم ضد بعضهم البعض فابلوا بالعذاب وذبحوا وقتلوا بعضهم بعضاً واندفعوا لذلك البعض بسبب الغيرة الباطلة والبعض مستأجرون بدراهم والبعض مكرهون وكثيراً ما كان ذلك وليس لهم سابق معرفة او خصومة وهكذا جرت تلك المجازر الدموية التي تفتت الاكباد وكلٌ يزعم انهُ كان يندفع الى ذلك متبعاً تدريب عقلهِ ومعتقداً كل الاعتقاد ان الكتاب يجيز لهُ ذلك بل ربما فعلوا ما فعلوا خدمة لله وللكتاب

فما هي الحجة التي يدَّعي بها الباباويون انها تجيز لهم تلك المذابح الهائلة العديدة التي عمَّت فرنسا وسائر بلدان اوربا تقريباً او لم يستندوا بذلك على التقاليد والكتاب والعقل او لم يقولوا بان العقل دفعهم والتقليد سمح لهم والكتاب امرهم بان يضطهدوا ويهلكوا الهراطقة الذين انكروا معنى هذه الآية هذا هو جسدي Hoc est corpos Meom او لم يجز البروتستانت لانفسهم مذابح دموية هائلة مستعملين طرق الاضطهاد نفسها من حريق ونفي

وفي الوقت الذي كان فيهِ اخوتهم يعانون الوان العذاب ألم تظهر بريطانية العظمى وايرلندة والعالم المسيحي برمتهِ مدة سنين عديدة بمظهر مراسح عظيمة تمثل فيها اراقة الدماء البرية واهلاك انفس لا تحصى حتى ان عيالاً كثيرة فُرضت عن آخرها ولم يكن من سبب او حجة تدفع لذلك (على زعمهم) سوى تعاليم ووصايا الكتاب والدين فما هو الفرق بين هذه الاعمال او

اعمال تبعة مونستر انها لمتشابهة تماماً ولا فرق فيها فزعماء كلا الفريقين ادّعوا انهم مدعوون وان قتل الاشرار واحراقهم واهلاكهم مباح جائز

قال اتباع مونستر اننا يجب ان نقتل كل الاشرار لنملك الارض نحن الابرار القديسين ويقول الباباويون يجب ان نحرق كل الاشرار والهراطقة العنداء لكي نطهر كنيسة رومية المقدسة من الاعضاء الفاسدة وتعيش بسلام

ويقول البروتستانت الاسقفيون يجب ان نقطع كل المنشقين المكّارين الذين يقلقون راحة الكنيسة ويرفضون الرئاسة الالهية واحتفالاتها الدينية ويقول الكلفينيون القسوسيون يجب ان نقتل الخبثاء النجسين الذين يرفضون المجمع الديني المقدس وسلطة القسوسية المختصة به ويبذلون جهدهم في المحاماة عن الرئاسة البابابوية الاسقفية فلسان الكل هو ان نُقتل ونفترض كل الشيع التي تكدر السلام وصفاء الكنيسة التي يختصون بها

فيا ايها القارئ المنصف والعديم الغرض ارجوك ان تقول لي ما هو الفرق الذي تراهُ بين كل هؤلاء

اعتراض — فاذا اعترض احد بقوله ان ناكري معمودية الاطفال فعلوا ما فعلوهُ دون السلطة الحاكمة وبعكس ما كانت ترضاهُ واما الآخرون فبخلاف ذلك

جواب — امثلة القساوة البابوية — فيمكنني في الجواب على هذا الاعتراض ان ادحضهُ بسهولة مستخدماً البينات الصريحة التي يقيمها كل من هذه الشيع ضد غيرها فتصرُّف البابابويين ضد هنري الثالث والرابع ملكَي فرنسا ومؤامرتهم ضد جيمس السادس بخيانة ومكيدة البارود واعتقادهم ان للحبر الروماني سلطة ان يعزل الملوك عندما يحكم بكونهم هراطقة وعندئذ يجعل رعاياهم في حلّ من اليمين الذي اقسموهُ لهم ثم يعطيهم لملوك آخرين كل هذه الامور تشهد

عليهم انهم قاموا ضد السلطة الحاكمة

اضطهادات وتعديات البروتستانت في سكتلندة وانكلترة وهولندة

اما البروتستانت فلا فرق بين افعالهم وما تقدم ذكرهُ وذلك يتضح من الدسائس والثورات التي اضرموها في سكتلندة وانكلترة وغير ولايات ومدن هولندية نحو مئة سنة (١٥٧٥ الى ١٦٧٥) ألم يلتمسوا مرارًا من الحكام البابويين وغير البابويين (ممن شرعوا بالاصلاح واعطوهم قسمًا من الحرية الدينية) ان يمنحوا تمام الحرية في الاعتقاد وممارسة شعائرهم الدينية واعدين ومتعهدين هم انفسهم ان لا يقاوموا ولا يكدروا البابايويين في ممارسة طقوسهم. ثم بعد ذلك لما صارت القوة في جانبهم ما لبثوا ان نكثوا بوعودهم مسيئين التصرف الى مواطنيهم بطردهم من المدن والاماكن التي كانوا يسكنونها حتى وصلت اساءتهم الى رفاقهم الذين تركوا الديانة البابايوية نظيرهم الامر الذي هو شرٌ وافظع. أولم يفعلوا هذا كلهُ في اماكن كثيرة ضد مشيئة الحكام. أولم يقذفوا علنًا بخطب حتى في حكامهم انفسهم الذين كانوا من مدة قصيرة قد منحوهم ما طلبوهُ من الحرية الدينية لما امتنع هؤلاء الحكام من الاعتراف برئاستهم الدينية فاتهموهم انهم لا يعرفون الله ولا الديانة؟

الم يستولوا على الكنائس البابايوية بالقوة عنوة ضد ارادة الحكام. ألم يطردوا حكامًا ويقلبوا مجالس برمتها بدعوى انهم يميلون الى غيرهم وهم تحت النفوذ البابايوي حال كونهم قبل مدة قصيرة كانوا قد اعترفوا مصرحين ان اولئك الحكام قد عيّنوا من الله مقدمين لهم كل طاعة وخضوع ليس خوفًا بل اتباعًا لوحي ضميرهم. ألم يجاهر مبشرو تلك الكنائس التي قبلت الاصلاح ونظارها ان كلمة الله تدعوهم ان يكرهوا اميرًا شريرًا بعد ان كانوا قد حلفوا لهُ يمين الطاعة والامانة. وامثلة هذه عديدة مدوّنة في تواريخهم ويوجد ايضًا اردأ وافظع نعلم حقيقتها لم تزل مستمرة الى وقتنا الحاضر نضرب عنها صفحًا

حبًا للاختصار

دسائس اللوثريين ضد المعلمين المصلحين وهجومهم على المركيز برنديبرج الخ في جرمانيا اما اللوثريون فيمكنني ان اطيل الكلام عن اعمالهم الثوروية ضد الحكام الذين لم يقبلوا تعاليمهم نقلاً عن مؤرخين كثيرين يوثق بكلامهم الا انني اقتصر على ذكر واحدة من حوادث جمة ليعتبر القارئ وهذه الحادثة جرت في برلين سنة ١٦١٥ حيث جمهور اللوثريين المشاغب والمتهيج بواسطة تحريض مبشريهم اليومي للثورة لم يقتصر على الهجوم والدخول بعنف الى بيوت المعلمين المصلحين وقلب مكاتبهم وتحطيمها ونهب الامتعة والآنية الثمينة بل توصلوا الى ان هجموا بالحجارة صارخين ومتفوهين بكلام بذيء ضد المركيز برنديبرج شقيق المنتخب لانه كان يسعى ان يسكن الشغب وصياح الجماهير بالكلام اللطيف فقتلوا عشرة من حرسه وبالجهد قدر ان يتخلص منهم فائزًا بحياته

فكل ما ذكر يثبت ان رضى الحاكم لم يؤثر في المبادىء حتى ولا في كيفية تنفيذ الغايات وطريقة التصرف

اما انا فلا ارى فرقًا بين اعمال اتباع مونستر وغيرهم ممن مرّ ذكرهم (الا بان اولئك كانوا يدعون انهم ينقادون بالروح. اما غيرهم فبالتقليد او الكتاب او العقل) فالاولون كانوا عجولين متصلفين متهورين في تصرفاتهم فانحطوا في مدة قصيرة وفقدوا ما كان لهم من الاعتبار حاملين عار الاحتقار والازدراء. اما الآخرون فاذ كانوا ذوي دراية وتدبير ثبتوا ممارسين تلك الشرور والفظائع مدة اطول تحت ستار الشريعة والعقل. فاعمال الجميع هي متشابهة في القبح انما الفرق بينهم كالفرق بين السارق المغفل الذي يقبض عليه بسهولة فيكفي الناس شرهُ وزمرة لصوص جسورين متيقظين ومتحفظين ونظرًا لشدة باسهم وعدم مبالاتهم بالخطر واخشاء بطشهم يلتزم اولو الامر

ان يغضوا الطرف ويتساهلوا في معاملتهم مع ان ذنبهم هو اعظم من ذنب ذلك السارق المغفل

على كل واحد ان لا يرفض ارشاد روح الله الصائب لان البعض قد ادعوا بهِ باطلاً فمن كل ما تقدم يتضح فساد حجة الذين يحتقرون ناموساً ما او يرفضونهُ لان بعض الذين يدَّعون انهم ينقادون بهِ ارتكبوا شروراً او فظائع وفي الوقت نفسهِ غير ناظرين الى طبيعة ذلك الناموس وكونها هي نفسها لفسادها تهوّر الانسان في تلك الاعمال الشريرة فتحتم اذاً ما ذكر انهُ اذا رفض التعليم بارشاد الروح للاسباب المذكورة آنفاً فالاسباب نفسها يجب ان ترفض كل الاركان التي مرَّ الكلام عنها. اما انا فاعتباري عظيم لشهادة الكتاب المقدس الخالية من كل شائبة ولست باقل تصديقاً لتقليد ثابت منطبق على الحقيقة ولا احتقر العقل تلك القوة السنية الكائنة في الذهن لان اناساً مفسودي الذهن تحت هذا الستار خدعوا البسطاء مخبئين اعمالهم الشريرة واودُّ ايضاً ان لا احد يرفض هذا الروح الصادق الذي وهبهُ الله مرشداً دائماً لاولادهِ وبهِ وحدهُ الهداية الى كل حق غير مكترثين بالذين ادَّعوا بهِ ادّعاء باطلاً

(١٥) وبما ان روح الله هو ينبوع كل حق وعقل سليم فقولنا انهُ لا يمكن ان يناقض شهادة الكتاب والعقل السليم هو قول حسن وحق ثابت مع ذلك قد تبيَّن من هذه القضية التي وصلت الى آخرها انهُ لا يجب ان يستنتج بان هذه الاعلانات الالهية يجب ان تمتحن بشهادة الكتاب الخارجية او بعقل الانسان البشري الطبيعي كمرجع اسمى او اصح. لان الاعلان الالهي والانارة الداخلية هما ثابتان بذاتهما ولشدة صراحتهما يجبران العقل الصحيح على التسليم دون تردد كما ان الاوليات الطبيعية ترشد العقل الى نتائج طبيعية صحيحة

وكل من ينكر هذا القسم من القضية عليهِ ان يبرهن ان روح الله

لا يستطيع ان يعلن ولا اعلن ذاته الى الانسان دون الكتاب او مناقضة العقل . او بان تأثير هذا الروح الفائق الطبع العامل في نفوس البشر هو اقل صراحة وثبوتاً من مجرى القواعد الطبيعية وكلا القولين عديما الصحة

١ – لانه يمكننا ان نلاحظ في كل اسفار الكتاب ان ظهور الله واعلانه بروحهِ الى الآباء والانبياء والرسل كان رأساً و بطريقة حسّية كما قد تبرهن وهم انفسهم لم يمتحنوهُ بقاعدة اخرى سوى البرهان الداخلي الصريح

٢ – **شهادة الروح نفسهِ** اننا لو قلنا ان روح الله هو اقل ثبوتاً في اعتبار العقل الانساني من القواعد الطبيعية نكون قد انزلنا من مقام هذا الروح. وكيف يدعونا داود بقولهِ اذاً " ذوقوا وانظروا ما اطيب الرب " اذا كنا لا نستطيع ان نذوقهُ ونشعر بهِ ؟ ونكون ايضاً قد تجاسرنا على مخالفة وقلب ايمان واعتقاد جميع القديسين في الوقت الحاضر ومنذ القديم ايضاً فماذا اقنع بولس بانهُ لا شيء يقدر ان يفصلهُ عن محبة الله الاَّ تلك الشهادة الصريحة التي اعطاهُ اياها الروح . و يوحنا الرسول الذي يعلم حق العلم قوام يقينية الايمان صرَّح دون تردُّد ان يقينية معرفتهِ و يقينية جميع القديسين هي بواسطة الروح ١ يو ٣: ٢٤ " بهذا نعرف اننا نثبت فيهِ وهو فينا انهُ قد اعطانا من روحهِ " ثم ص ٥: ٦ " والروح هو الذي يشهد لان الروح هو الحق "

الروح لا يناقض الكتاب ولا العقل السليم وهذا هو البرهان الذي قدمهُ الرسول " لان الروح هو الحق " والى هذه اليقينية والعصمة قد اشرت فيما مضى وعليهِ فاعتقادنا ان اعلان الروح الحقيقي لا يمكن ان يناقض الكتاب ولا العقل السليم و بقولنا انهُ لا يمكن ان يناقضهما لا نجعلهُ اكثر صحة او ثبوتاً بل لنقرّب ذلك الى افهام الذين لا يدركون الاعلانات الالهية الصادرة من الله رأساً بل يقابلونها بهذه الوسائط اما الذين لهم الحواس الروحية و يقدرون ان يذوقوا امور الروح القدس Prima instantia اي حال

ظهورها فهؤلاء يستطيعون ادراكها دون او قبل مقابلتها بالكتاب والعقل السليم. كما ان الفلكي البارع يقدران يحتم بحدوث كسوف او خسوف بواسطة حساب مختص بعلم الفلك (اذا دام المجرى الطبيعي ولم يعترض سبيلهُ امر غير منتظر) ويعيّن اليوم والساعة التي يحدث فيها ذلك الكسوف والخسوف الا انهُ لا يقدران يقنع جهولاً مغفلاً الا بأن يريهُ بعينيهِ حقيقة حدوثهِ. والرياضي ايضاً يقدر ان يعلم بقواعد علمية ان مجموع زوايا كل مثلَّث يعدل زاويتين قائمتين نعم بل يتأكد صحة ثبوت هذه المعادلة اكثر ممن يستعمل القياس الحسي. وقد يوجد بعض قضايا هندسية صحيحة يسلم كل من يعلم هذا الفن بصحتها مع انهُ يكاد ان لا يقدر احد ان يدركها او يبرهنها بطريقة محسوسة فلو تقدم عالم هندسة ان يفهم رجلاً أُميًّا مسئلة تتعلق بعلمهِ بطريقة قياسية ليقربها الى فهمهِ فلا يستنتج من ذلك ان تلك القضية لا تكون ثابتة صحيحة بدون قياس

الاعلان الالهي هو الاساس الغير متقلقل للايمان المسيحي

(١٦) وساضيف في الختام قياساً واحداً لاثبت بهِ زيادة عما اثبتُّهُ فيما تقدم ان هذا الاعلان الداخلي دون واسطة وبطريقة محسوسة هو اساس الايمان المسيحي الوحيد الثابت والغير متقلقل. ولي ملء الامل ان هذا القياس يقنع كل من يمعن النظر فيهِ من جميع المسيحيين على اختلاف الطوائف وهذا بيانهُ

ان القاعدة التي لابد ان يتخذها كل علماء الديانة المسيحية من اي مذهب كانوا مرجعاً لايمانهم اذ بها تقوم وعليها تتوقف صحة جميع الاركان التي تستحق ان يؤْمن بها البشر ودونها لا تعدُّ هذه الاركان شيئاً يجب ان يكون اساس الايمان المسيحي الوطيد الغير المتزعزع

ولكن الاعلان الداخلي بواسطة الروح رأساً وبطريقة محسوسة هو ما اضطر كل علماء المسيحيين من اي مذهب كانوا ان يتخذوهُ مرجعاً

اذًا فالاعلان الالهي الداخلي بواسطة الروح رأسًا وبطريقة محسوسة هو الاساس الوحيد الثابت الذي يجب أن يبنى عليهِ الايمان المسيحي وهذه القضية جليَّة واضحة لا يمكن ان ينكرها احد على انني سأاتي ببرهان كل قسم منها بالتفصيل

ان اساس ايمان البابا ويين هو كنيستهم وتقليدهم ولماذا ؟ اولاً ان اساس ايمان البابا ويين هو حكم الكنيسة والتقليد واذا وجهنا نحوهم هذا السوءال لماذا يؤمنون بما تحكم بهِ الكنيسة يجيبون لان الكنيسة هي دائمًا تحت قيادة الروح المنزه عن الغلط اي ان ارشاد الروح هو الاساس الاعظم . ثم اذا سألنا ثانية لماذا يجب ان تصدق التقاليد يجيبون لاننا تسلمنا هذه التقاليد من الآباء ومعلمي الكنيسة الذين بواسطة اعلان الروح القدس وارشادهِ قد امروا الكنيسة ان تراعي هذه التقاليد وتحافظ عليها فمن هنا يتضح ان اعلان الروح هو المرجع الاساسي

ان البروتستانت والسوسنيين يجعلون الكتاب اساس ايمانهم ولماذا ان البروتستانت يتخذون الكتاب المقدس اساسًا ودستورًا لايمانهم وذلك لان الاولين يعتقدون ان روح الله يلهمهم ويرشدهم في استعمالهِ وللآخرين لانهُ يدرّبهم لذلك بواسطة العقل . فاذا سُئل كلٌّ من الفريقين لماذا يؤمنون بالكتاب ويتخذونهُ دستورًا لهم لكان الجواب لاننا نجد فيهِ مشيئة الله التي سلمنا اياها الذين أُعلنت لهم داخليًا دون واسطة وبطريقة محسوسة بروح الله وليس لان هذا او ذاك كتبهُ بل لان روح الله اوحى بهِ

المسيحيون بالاسم وليس بالحق يذهبون بان الاعلان قد أُبطل بخلاف شهادة الكتاب على انهُ لامرٌ مستغرب جدًا كيف ان اكثر الناس يجعلون اتباع هذا الاساس الوحيد الثابت المبني عليهِ ايمانهم عرضة للشكوك ويحرمون انفسهم من نوال الشركة المقدسة مع الله التي لا نستطيع التمتع بها الاَّ

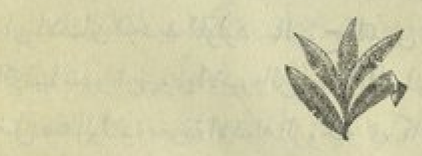
بالروح الذي يامرنا الكتاب ان نسلك فيهِ ونحيا بهِ

فبعد مطالعة ما قد قيل اذا اقتنع احد بصحة الاقيسة والبراهين المارّ ذكرها وآمن وصدّق بان هذه الاعلانات هي ضرورية لازمة انما وجد نفسهُ غريبًا عنها (الامر الذي اشرت اليهِ سابقًا) ولهذا السبب هو يقاوم صحتها فليعلم انهُ هو نفسهُ غريب عنها وليس لان الاعلان لكل مسيحي حقيقي قد بطل وهو انمّا مسيحي بالاسم فقط وليس بالحق

من ليس لهُ باصرة لا يرى النور واعلم ايها القارئ ان النور الخفي الذي ينير القلب ويبكّت على الشرور هو اول بداءة روح الله المرسل ليبكّت العالم اولاً عن الخطيئة يو ١٦: ٨ وبما انك بتركك الخطيئة تصير قادرًا ان تميز ذلك الصوت السموي المتكلم في قلبك وتخلع عنك الانسان العتيق او الانسان الطبيعي الذي لا يقدر ان يذوق حلاوة الامور المختصة بملكوت الله حال كونهِ باقيًا في اميالهِ الشريرة وشهواتهِ الفاسدة فحينئذٍ تشعر بان الانسان الجديد المولود بالروح القدس ينمو ولهُ هذه الحواس الروحية التي بها يقدر ان يرى الامور الروحية ويلمسها ويذوقها ويشتمّ رائحتها. ولكن قبل هذه الولادة معرفة الاشياء الروحية هي كالتصديق بامور تاريخية فقط فالاعمى لفقد باصرتهِ لا يستطيع ان يدرك وصف نور الشمس والالوان المتنوعة مهما اتسعت مداركهُ وقواهُ العقلية ومهما كان ذلك الوصف حقيقيا بديعًا واضحًا كما يدركهُ طفل صغير بباصرتهِ. وهكذا الانسان الطبيعي لا يستطيع ان يدرك اسرار الملكوت مهما اتسعت مداركهُ العقلية ولو صيغت لهُ بكلام حسن السبك بليغ المعنى كما يدركهـا اضعف ولد ولو ذاق لذتها بواسطة اعلان الروح الداخلي

فاطلب وانتظر اعلان ذلك النور النقي الذي بنيلهِ تعلن المعرفة الحقيقية وكلما تقدمت وصرت اهلاً لقبولهِ تنال منهُ اكثر فاكثر وباختبارك

الشخصي الحقيقي يمكنك ان تبكم بسهولة الذين يسألون بجهالة — كيف تعلم انك تلهم بروح الله ؟ الذي يظهر لك سؤالاً جديراً بالاستخفاف كما لو سئل انسان بصير كيف يعلم بان نور الشمس مشرق في وسط النهار وهذه الطريقة الصحيحة الثابتة لنقض كل اعتراض فوق ما قد تبين مما كتبت من الاقيسة الثابتة والبراهين الراهنة التي تفحم كل من ينكر ويقاوم هذا التعليم



القضية الثالثة

في الاسفار المقدسة

ان الاسفار المقدسة هي صادرة عن اعلان روح الله لقديسيهِ وتتضمن ما يأتي : اولاً نص تاريخ صادق عن اعمال شعب الله في اجيال مختلفة والعناية الالهية التي كانت تصحبهم

ثانيًا نصًّا نبويًّا عن امور عديدة منها ما مرَّ حدوثهُ ومنها ما سوف يأتي

ثالثًا نصًّا مدققًا تامًّا عن اهمّ مبادئ وتعاليم المسيح المعلنة ببيّنات وانذارات واحكام متعددة اوحى بها روح الله في ازمنة مختلفة واوقات متفرقة وكتبت الى بعض الكنائس او رعاتها

ومع كل ذلك بما ان هذه المثبتات ليست سوى اعلانات ذلك الينبوع وليست الينبوع نفسهُ فلا يجب ان تعتبر الاساس الاصلي لكل حق ومعرفة ولا الدستور الاولي للايمان والسلوك . ولكن بما انها تشهد شهادة صادقة وامينة للاساس الاولي يجب ان تعتبر دستورًا ثانويًّا خاضعًا للروح الذي منهُ سموّها ويقينيتها . لانهُ كما اننا لا نستطيع ان ندركها الاَّ بواسطة شهادة الروح الداخلية وهي نفسها تثبت بان ذلك الروح هو الهادي الذي يرشد القديسين الى كل حق اذًا فبحسب نص الكتاب ان الروح هو المرشد الاصلي الاول واذ اننا نقبل الكتاب ونؤمن بهِ لان مصدرهُ الروح فللسبب نفسهِ يجب ان نعتبر الروح الدستور الاصلي الاساسي وفقًا للقانون المعتبر في كل المدارس **Propter quod unumquodquo est tale, illud ipsum est magis tale** ان ما استحق الاعتبار لشبهٍ ما فالمشبَّهُ بهِ احق بالاعتبار

اولاً ان القسم الاول من هذه القضية لايحتاج الى برهان او محاماة بل هو مجدٌ ذاتي اعظم وافضل محامٍ عنا لانهُ يساعد على دحض التهم التي نرشق بها كاننا من ناكري الاسفار المقدسة او المستخفين بها وما سنثبتهُ بالبيّنات الواضحة يظهر جليًّا ما لهذه الاسفار عندنا من الاعتبار السامي والمنزلة الكبرى لاننا نعتبرها بدون تملق او مخادعة

الكتاب المقدس هو اسمى كتاب في العالم وليس اننا لانفضّل عليهِ كتابًا بل لا نشبّه بهِ كتابًا ما. ونعلم حق العلم بان صحة الكتاب لا تقوم باستحسان او بقوانين كنسية او مجمع ما. ولا يمكننا ان نخضعهُ للعقل البشري الساقط الدنس المفسود الأ اننا مع كوننا نتحد مع البروتستانت من الجهة الواحدة ضد اغلاط البابويين لا نقدر ان نتطرّف معهم الى الجهة الاخرى ونسند صحة الكتاب للفضيلة والقوة الموجودتين في الاسفار نفسها بل ننسب كل ذلك الى الروح القدس التي صدرت عنهُ

ونحن نقرّ ان الكتاب المقدس لاينقصهُ سموّ الانشاء او تمام التناسب او القصد الحسن في كل اجزائهِ . ولكن بما ان هذه الامور لا يقدر ان يدركها الانسان الطبيعي بل الانسان الروحي . فروح الله اذًا هو الذي يلهمنا لان نؤمن بالكتاب وتطمئن بهِ ضمائرنا وقد اقرّ بذلك مرارًا كثيرة مشاهير علماء البروتستانت في كتاباتهم الخصوصية واقراراتهم العلنية

شهادة كلفن وهكذا كلفن مع قولهِ انهُ اذا اعترف بوجود الهٍ فهو قادر ان يبرهن ان الكتاب صادر منهُ لكنهُ يختم كلامهُ مقرًّا بالافتقار الى معرفة اخرى بقولهِ "اذا كنا نجهد الضمير ونودّ ان لايكون متعبًا بالتردد والشكوك عند كل صعوبة يجب ان نستمدّ ايماننا الذي هو موضوع كلامنا من مصدر اسمى جدًّا في الحكم من العقل البشري اي من شهادة الروح الداخلية" وقد قال ايضًا "انني أجيب الذين يطلبون ان يبرهن لهم عقليًّا بان الروح

هو الذي اوحى الى موسى والانبياء ما قد تكلموا به وان شهادة الروح القدس هي اسمى جدًا من كل شهادة عقلية " وقال ايضًا " انها بالحقيقة بيّنة ان الذين يستطيعون الاتكال على الكتاب بيقين ثابت هم الذين قد اقتنعوا به بواسطة شهادة الروح القدس فقط " واخيرًا قال " اذًا هذا هو حكم لايمكن نيله الاّ باعلان سماويّ الخ "

اقرار الكنائس الفرنسية وقد اثبتت الكنائس الفرنسية هذا باقرار علني السنة ١٥٥٩ في المادة ٤ هذا مآله " نحن نعلم ان هذه الاسفار هي قانونية وانها دستور ايماننا الوحيد واعتقادنا هذا ليس لكون كل الكنائس قد اتفقت على ذلك ولكن اعتمادًا على شهادة الروح القدس الداخلية المقنعة "

اثبات كنائس هولندة والمادة الخامسة من قانون ايمان كنائس هولندة التي قد اثبتها مجمع دورت تصرّح بما يأتي " نحن نقبل هذه الاسفار كاسفار مقدسة قانونية ليس لان الكنائس قبلتها واستحسنتها ولكن لان روح الله يشهد في قلوبنا انها من الله "

تصريح لاهوتيي وستمنستر واخيرًا ان اللاهوتيين الملقبين بلاهوتيي وستمنستر لما شعروا انه قد ابتدأ ان يبزغ نور ديانة اسمى وارقى من ديانتهم التي كاد ان يكسفها تنبهوا اخشناه من ان لايكونوا حاصلين على ارشاد الروح وصرّحوا بالاقرار الآتي (الذي وان يكن ليس صريحًا واضحًا كاقرار الذين سبقوهم الاّ انه يؤدي الى ذات المعنى) الفصل الاول القسم الخامس " اننا نبني اقتناعنا التام ويقيننا بان الكتاب المقدس هو صادق ولا ريب فيه على عمل الروح الداخلي الذي يشهد للكلمة وبالكلمة في قلوبنا "

فمن كل ما تقدم يتضح جليًّا اننا باحتياج عظيم الى شهادة الروح لكي نتحقق ونتيقّن صحة الكتاب اما الذين ينهجون غير هذه الطريق فهم عرضة للاختلافات الدائمة والمجادلات التي لا نهاية لها

اما مسيحيو الاجيال الاولى فلم يتفق رأيهم فيها فالبعض رفضوا اسفاراً نقبلها نحن وغيرهم قبلوا اسفاراً لا يسلّم بها بعض مسيحيي عصرنا الحاضر

ولا يخفى على الذين لهم معرفة بتاريخ الاجيال المسيحية الاولى كم نشأ من الاختلافات العظيمة بخصوص رسالة بطرس الثانية ورسالة يعقوب ورسالتي يوحنا الثانية والثالثة ورؤيا يوحنا فعدد عظيم من المسيحيين منذ القدم لا يسلّم بان يوحنا الحبيب هو كاتب هذه الاسفار الثلاثة الاخيرة بل يوحنا آخر فكيف تكون حالة المسيحيين لو لم يقبلوا عطية الروح والحواس الروحية التي بها فقط يقدرون ان يميّزوا الحق من الباطل وهذه هي النعمة التي اختصّ بها الراعي الصالح خرافه فتسمع صوته وترفض صوت الغرباء ولولاها لاصبحت فريسة لذئاب كثيرة خاطفة لا تُشفق على الرعية

الكتاب ليس الاساس الاصلي للحق

ثانياً اننا وان كنا نعترف بان الاسفار المقدسة هي سماوية المنشأ وبان استعمالها هو ضروري جدًّا للكنيسة ونقدم بفرح وابتهاج الحمد لله لاجل عنايته العجيبة في حفظ هذه الاسفار على ما هي عليه نقية من كل شائبة بعد ان مرّ عليها ليل اجيال الكفر والغباوة المظلم الطويل لتكون شاهدة للحق ومقاومة لكل شر ورجاسة حتى ولشرّ بعض الذين عنوا بالمحافظة عليها . انما مع كل هذا الاعتبار نحن لا ندعو هذه الاسفار المصدر الاصلي لكل حق او لمعرفة كل حق ولا الدستور الكافي للايمان والسلوك لان المصدر الاصلي لكل حق يجب ان يكون الحق نفسه اي الذي لا يتوقف ثبوته وصحته على شهادة آخر لاننا عند ما نرتاب من جهة مصدر نهر او طوفان ما نستقصي مكان الينبوع ومن ثم لا نعود قادرين ان نبعد اكثر لانه اذ ذاك يتدفق من قلب الارض الذي لا يستقصى . وهكذا السؤال في كل كتابات البشر واقوالهم يجب ان

ترجع الى كلمة الله الكلمة الازلية فان اتفقت معها حكمنا بصوابيتها لان هذه الكلمة تنبعث دائمًا وابدًا من الله وفيها وبواسطتها تعلن لنا حكمة الله التي لا تستقصى وارادته ومشورته الخفية الغير المدركة . فالكتاب المقدس اذًا هو ليس دستور الايمان والمعرفة الاصلي على ما بيّناهُ ونبيّنهُ في هذه القضية وساصيغ مما تقدم القياس التالي

ان كل ما يتوقف صدقهُ وثبوتهُ على غيرهِ ويسلَّم بكونهِ حقًا لصدورهِ عن آخر لا يحسب المصدر الاصلي لكل حق ومعرفة

لكن صدق الكتاب وثبوتهُ يتوقفان على الروح الذي اوحاهُ ولكونهِ صادرًا عن الروح قد أُعتبر حقًا ولا ريب فيهِ

لذلك فالكتاب المقدس هو ليس المصدر الاصلي لكل حق ومعرفة

والقانون الاساسي المذكور آنفًا يبرهن صحة هذا القياس وهو "ان ما استحق الاعتبار لشبهٍ ما فالمشبه بهِ احق بالاعتبار"

وهذا القانون الاساسي وان يكن لا يصح عمومًا في كل الاشياء الأ انهُ يطابق تمامًا ما ورد وسيرد من هذه القضية وهو ان الكتاب ليس الدستور الجامع الاصلي للايمان والسلوك فامعن النظر فيما يأتي

ان كل ما لا يمكن اتخاذهُ دستور ايماني في تصديق الاسفار المقدسة ليس دستورًا كافيًا للايمان والسلوك

ولكن الاسفار المقدسة لا يمكن ان تكون الدستور الذي بهِ اومن بالكتاب

اذًا الاسفار المقدسة ليست الدستور الكافي للايمان والسلوك

الروح هو الدستور ولي على هذا اقيسة عديدة منها القياس التالي الذي يؤيد ما قد برهناهُ آنفًا من ان الروح هو الدستور وليس الكتاب المقدس

اذا كنا بالروح نتوصل الى معرفة الله الحقيقية وبهِ ايضًا نرشد الى كل

حق وتعلم كل الاشياء

اذاً الروح وليس الكتاب هو اساس كل حق ومعرفة وهو الدستور الاصلي للايمان والسلوك

ولما كان الركن الاول حقيقياً فالثاني المبني عليه هو حقيقي ايضاً

(٢) ان الانجيل نفسهُ يصرّح ان الكتاب لايمكن ان يكون الدستور الوحيد الاصلي للمسيحيين والاّ لما كان فرق بين الناموس والانجيل حال كوننا قد اثبتنا بالبرهان في عدة مواضع من القضية السابقة انهُ يوجد فرق ظاهر في طبيعة العهد الجديد

وزيادة عما ذُكر اقول ان الناموس يختلف عن الانجيل بكونهِ كُتب كقانون يقضي بالدينونة على كل من يخالفهُ وليس فيهِ قوة ما للخلاص . اما الانجيل فكما انهُ يعلن ويبيّن الشرّ والخطيئة فهو في الوقت نفسهِ ينير افهامنا وقلوبنا بالروح ويعطينا قوة الطاعة للخلاص من الخطيئة ولذلك سمي بشارة مفرحة . فالناموس او الحرف الذي هو خارجي عنا يقتل . اما الانجيل الذي هو الناموس الروحي في داخلنا فيحيي لانهُ ليس مملوءًا ومشحوناً كلام سنن فقط بل فيهِ ملء كل فضيلة وكل من يهتمّ بمطالعتهِ كما يجب يبتدئ ان يشعر حالاً بقوة عظيمة ينال بواسطتها الغلبة على الشرور التي لا تقدر كل النواميس والقوانين الخارجية ان تمنحهُ اياها . وقد قال في هذا بولس الرسول رو ١٤:٦ "فان الخطيئة لن تسودكم لانكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة" فهذه الداخلية هي دستور المسيحيين وليس الناموس الخارجي وعليهِ فقد خاطب الرسول شيوخ الكنيسة هكذا اع ٣٢:٢٠ "والآن استودعكم يا اخوتي لله ولكلمة نعمتهِ القادرة ان تبنيكم وتعطيكم ميراثاً مع جميع القديسين" فهو لا يستودعهم هنــا الى نواميس وكتابات خارجية بل الى كلمة النعمة الداخلية اي الناموس الروحي الذي بهِ نتحرر كما قال في رومية ٢:٨" لان

ناموس روح الحياة في المسيح قد اعتقني من ناموس الخطيئة والموت " وهذا هو الناموس الروحي الذي كرز بهِ للشعب ووجّه انظارهم اليهِ وليس الناموس الخارجي كما يظهر ايضاً مما قالهُ في رومية ١٠: ٨ "الكلمة قريبة منك في فمك وفي قلبك اي كلمة الايمان التي نكرز بها" ولنا مما تقدم القياس الآتي

ان دستور المسيحيين حسب نور الانجيل ليس هو حرف الكتاب الخارجي ولا ناموس خارجي كُتب ووزّع بل ناموس روحي داخلي منقوش في القلب ناموس روح الحياة والكلمة القريبة من القلب والفم

ولكن حرف الكتاب هو خارجي مائت بذاتهِ ومجرد اعلان اشياء صالحة وليس الاشياء نفسها

الكتاب ليس الدستور اذاً الكتاب المقدس ليس الدستور الاساسي الاصلي ولا يمكن ان يكون

ثالثاً ان كل ما أُعطي للمسيحيين دستوراً ومرشداً يجب ان يكون تاماً لكي يرشدهم بصراحة وجلاء ويدربهم في كل الحوادث التي تجري عليهم

واذ انهُ يوجد امور لا تحصى تتعلق بظروف خصوصية لبعض المسيحيين لا يوجد لها دستور خصوصي في الكتاب المقدس

لذلك فالكتاب المقدس لا يمكن ان يكون دستوراً لهم

(١) انني سأُقدم شاهداً لاجل ايضاح صحة هذه القضية من وجهين او ثلاثة . لا شك ان بعض الناس يُدعَون لاجل اتمام وظائف خصوصية في الكنيسة وهولاء ان اهملوا اتمامها يُحسَب عليهم ذلك شراً عظيماً لانهُ وان لم تكن هذه الوظائف واجبات عمومية مطلوبة من الجميع على السواء فالله غيور على مجدهِ وكل عصاوة او تمرُّد على ارادتهِ المعلنة داخلياً يكفي لنزع سلامة الضمير ويستوجب الدينونة ايضاً

فالبعض يدعون لخدمة الكلمة مثلاً وقد قال بولس الرسول في هذا

الصدد انه ان كان مدعواً لان يكرز بالانجيل " فويل لي ان كنت لا ابشر "

وان كان ضرورياً اليوم ان يكون للكنائس رعاة كما كان لها قبلاً فلا بد ان يكون البعض اكثر موافقة من غيرهم لكي يشغلوا هذه الوظائف وذلك بحسب الاهلية والمقدرة الا ان انتقاءهم يجب ان يكون حسب ارشاد الروح اذ لا يمكن ان يجزم بحسب الكتاب المقدس اوان يكون هو القول الفصل

اعتراض ولربَّ قائل يقول ان صفات راعي الكنيسة مذكورة في الكتاب المقدس وبمقابلة هذه الصفات يمكن ان يعرف الانسان نفسهُ اذا كان اهلاً لتلك الخدمة ام لا

الجواب ان صفات الاسقف او الراعي المذكورة في رسالتَي تيموثاوس وتيطس تنطبق على صفات كثيرين من عامة المسيحيين فلا يمكن ان يكون الجميع مدعوين ولا يمكن ان يجزم بان كل من وُجدت فيهِ هذه الصفات وجب ان يكون اسقفاً لان المقدرة على اتمام وظيفة ما ليست بدعوة كافية لها

(٢) باي قانون احكم بانني اهل لهذه الخدمة والوظيفة . وكيف اعلم بانني صاحٍ ووديع ومسالم . ألا يؤيد لي ذلك شهادة الروح الداخلية في ضميري ثم لو فرض انني اهل ومدعوٌ فاي قانون من الكتاب يبيّن لي مكان خدمتي أهي في هذا المكان او ذاك في فرنسة او انكلترة في هولندة او جرمانية . ام هل يجب ان اكرّس وقتي في تثبيت المؤمنين ام هداية الكفرة وردّ المراطقة ام كتابة رسائل الى هذه الكنيسة ام تلك . نعم ان القاعدة العمومية ان اكون مجتهداً في واجباتي وان افعل كل شيء لمجد الله ولخير الكنيسة هي موجودة في الكتاب الا انها لا يمكن ان تدرّبني في الاختبار

فكثيرا ما يوجد مشروعان يتقضيان الاتصاف بذات الصفات فبأي

نور اهتدي الى ما دُعيت اليهِ منها وآمن على نفسي من ارتكاب الخطإِ والتهوُّر العظيم باختيار غير ما أُنتدبت لهُ . فلو ان بولس مثلاً عوضاً من ان يذهب الى اورشليم حسب الارشاد الالهي توجَّهَ الى اخائية او مكدونية متصوراً او مدعياً ان خدمتهُ هناك في تعليم الكنائس وتثبيتها هي اكثر فائدة ونفعاً من ذهابهِ الى اليهودية ليلقى في السجن . فهل يا ترى كان يرضى الله او يسرّ بعملهِ هذا كلاّ "الطاعة افضل من الذبيحة" لان عمل الاعمال لمجرد كونها جيدة لا يسرّ الله كعمل الاعمال الصالحة التي يدعونا هو اليهـــا فكل عضو من اعضاء الجسد لهُ وظيفة خاصة بهِ ١ كو ص ١٢ فلو ان الرجل اقدمت على اتمام عمل اليد او اليد على اتمام وظيفة اللسان ألا تكون الخدمة مشوَّشة مضطربة وغير مقبولة . وعوضاً عن ان تتساعد اعضاء الجسد ينجم عن ذلك شقاق وانقسام فهكذا وبذات الطريقة احياناً يجوز لغيري بل يجب عليهِ عمل امر ويحسب لهُ ذلك خدمة صالحة وفي الوقت نفسهِ ارتكب انا بمباشرتهِ او اتمامهِ شرّاً عظيماً . فالسادة يطلبون من الخدام الطاعة التامة فيما يفرضونهُ عليهم كما يشاؤُون هم وليس كما يشاء الخدام . ولا يقدر احد ان يبرّر نفسهُ اذا خالف بقولهِ ان عملهُ يعود بالفائدة على سيدهِ . ولو ان لاحد اشغالاً ضرورية في البيت واخرى نظيرها في الحقل فهل يبرّر الخادم لو خالف مشيئة سيدهِ وذهب واشتغل في الحقل بعد ان علم ان ارادة سيدهِ هي ان يبقى ويشتغل في البيت او لا يستحق التوبيخ والتعنيف لعدم تتميم رغائب مولاهُ ام اي مدبر عمل تتصل بهِ حماقتهُ وجهلهُ لحدّ انهُ لا يعيّن عملاً معيناً في مركز معيّن لكل من فعلتهِ بل يتركهم وشأنهم لكي يعملوا ما يشاؤُون من الاعمال بشرط ان تكون مفيدة نافعة أفلا يفضي مسلكهُ هذا الى الارتباك والتشويش العظيمين

فهل نجسر اذاً ان ننسب الى المسيح رئيس الكنيسة ومرشدها امراً اذا

ارتكبهُ انسان عدّ ضعيفاً مغفلاً . وبولس الرسول يوضح هذا بقولهِ رو ١٢: ٦—٨ " ولكن لنا مواهب مختلفة حسب النعمة المعطاة لنا أنبوّة فبالنسبة الى الايمان ام خدمة ففي الخدمة ام المعلم ففي التعليم ام الواعظ ففي الوعظ " فاي قاعدة من الكتاب اعلم بها انني يجب ان اعظ لا ان انبأ . ان اخدم لا ان اعلّم لا يوجد قاعدة مطردة يمكننا ان نميّز بها هذه الامور فيكون المسيحي اذاً عرضة للصعوبات والارتباكات في هذه الحياة

هل يولد الكتاب الايمان والخلاص لايمكن ان يكون الكتاب المقدس دستوراً كافياً حتى وفي الاركان الاولية المهمة الضرورية اذ ان الانسان لا يقدر ان يتاكد منهُ حقيقة كونهِ مؤمناً ووارثاً للخلاص . حال كون الجميع يعترفون انهُ من الواجب على كل مسيحي ان يتاكد صحة ذلك من جهة نفسهِ والرسول يأمر بهِ ايضاً بقولهِ ٢ كو ١٣: ٥ " جرّبوا انفسكم هل انتم في الايمان امتحنوا انفسكم ام لستم تعرفون انفسكم ان يسوع المسيح هو فيكم ان لم تكونوا مرفوضين " و ٢ بط ١: ١٠ " ولذلك بالاكثر اجتهدوا ايها الاخوة ان تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين " فاي دستور من الكتاب يؤكد بهِ كوننا مؤمنين وان دعوتنا ثابتة

ولربَّ قائل يقول انهُ يتسنى للانسان معرفة هذا بمقابلة نفسهِ على ما يصرّح بهِ الكتاب عن الايمان الحقيقي

فاقول كيف يمكنهُ التوصل الى نتيجة هذه الملاحظة وماذا يوكد للانسان انهُ ليس مخطئاً في الاستنتاج فالكتاب لايمكنهُ من ذلك . وهذا هو موضوع بحثنا الآن

خداع قلب الانسان

ثم لو قال قائل ان قلبي يؤكد لي ذلك

فاجيب ان القلب هو حَكَم غير لائق بالحكم ولاسيما من جهة نفسهِ .

فاذا اعتمد عليهِ الانسان عرّض نفسهُ الى خطر شديد وخصوصاً اذا كان قلبهُ غير متجدد . ألم يقل الكتاب انهُ "اخدع من كل شيء" وكما انهُ توجد في الكتاب المواعيد توجد التهديدات ايضاً فما هو المرشد لي كون هذا نصيبي او تلك . الكتاب يصرّح بذكرها لكنهُ لا يطبقها على اعمال كل فرد فلو قيل انما نحن نطبقها . فان عثرنا مثلاً على الآية الآتية "كل من آمن خلص" وبنينا عليها الفرض الآتي

كل من آمن خلص

لكن انا فلان مؤمن

لذلك سأخلص

فالركن الاول من المفروض هو قولي وليس قول الكتاب وهو استنتاج بشري وليس اثبات الهي وايماني ويقيني هما ليسا مبنيين على قول الكتاب بل على قاعدة بشرية يجب ان يثبتها مصدر آخر لان قول الكتاب لم يفِد حقيقة صحتها

ثم لو وضعنا القياس على نسق آخر متخذ من الكتاب نقع في الصعوبة ذاتها كما ترى في الصورة الآتية

ان كل من توجد عندهُ دلائل الايمان الحقيقي الثابت الواضح ايمانهُ حقيقي لكن هذه الدلائل موجودة عندي

لذلك انا حاصل على الايمان الحقيقي الثابت

فالفرض هنا تأليفي محض وليس من قول الكتاب وعليهِ فالنتيجة ليست بافضل لانها مبنية على ركن ضعيف . وهذا البرهان هو مقنع وناخس ومفحم وعليهِ ترى مشاهير البروتستانت الذين يرغبون في التوصل الى حقيقة الامور يجعلون شهادة الروح الداخلية حكماً كما قد جاء فيما اوردناهُ عن

كلفن في القضية السابقة وعدا عن كتابات البروتستانت الاولين المملوءة من الشواهد التي تؤيد مبدأنا . هاك ما صرح بهِ قانون كنيسة وستمنستر فصل ١٨ قسم ١٢ "ثم ان هذا ليس بغرض وهمي او اقتناع ضعيف مبني على ارجحية مؤسسة على رجاء قابل الغلط ولكنهُ ايمان ثابت منزه عن الغلط ومؤسس على صدق الوعد الالهي بالخلاص والبينات الداخلية لهذه النعم التي أعطيت المواعيد لاجلها اي شهادة روح التبني الشاهد لارواحنا باننا ابناء الله وهذا الروح هو عربون ميراثنا الذي نختم بهِ يوم الفداء"

شهادة الروح الداخلية هذا والكتاب نفسهُ الذي يحثنا بحرارة لاجل اقتناء هذا اليقين الثابت لا يعلن ذاتهُ مطلقًا انهُ الدستور الكافي لنا للحكم بل يعلن ان الروح هو الشاهد الامين رو ٨: ١٦ "والروح نفسهُ يشهد لارواحنا اننا اولاد الله" ويوحنا اولى ٤: ١٣ "بهذا نعرف باننا نثبت فيهِ وهو فينا انهُ قد اعطانا من روحهِ" ومن ٥: ٦ "والروح هو الذي يشهد لان روح الله هو الحق"

الكتاب المقدس ليس دستورًا رئيسيًا

رابعًا واخيرًا ان كل ما لا يقدر ان يصل اليهِ كل فرد بطريقة عامة لا يمكن ان يكون الدستور الحقيقي او القاعدة الرئيسية التي يمكن ان تأتي بكل فرد الى النتيجة اللازمة وكذلك ايضًا ما لا يتسنى استعمالهُ لكثيرين ممن هم ضمن دائرة الكنيسة المنظورة بل ومن مختاريها ايضًا لكونهم محرومين منهُ اضطرارًا او لعدم امكانهم التوصل اليهِ رأسًا بسبب افتقار لا يلامون عليهِ او نقص طبيعي لا ضرر منهُ . الا ان هذا الامر كثير الوقوع من جهة الكتاب المقدس فهل يمكن ان يقال ان الذين لا يحصلون على الكتاب المقدس اي الذين بهم صمم او البسطاء الذين لا يستطيعون الاستفادة منهُ رأسًا انهم كلهم

دون دستور من نحو الله ؟ او بانهم كلهم مديغون ؟ كلاَّ بل ان هذا الكلام باطل بنفسهِ وغير مطابق لعدل الله وحلمهِ ورحمتهِ ولا يسلم بهِ العقل السليم واذا وجد اناس في الظروف المذكورة تحت ناموس العهد الجديد الامر الذي لا بد من وقوعهِ فلا يليق ان يقال البتة ان هؤلاء هم بدون دستور او محرومون وسائط المعرفة ويثبت هذا صريحًا ما قد جاء في يوحنا ٦ : ٤٥ وعب ٨ : ١١ "لان الجميع سيعرفونني من كبيرهم الى صغيرهم" وفضلاً عن الصعوبات المارّ ذكرها ألا يوجد عدد من الأُميين الصالحين الامناء في كنيسة الله الذين لا يقدرون ان يقرأُوا حرفًا واحدًا في لغتهم الاصلية . وهذا النقص وإن يكن متبعًا لا يمكن ان يعد عليهم ذنبًا فهل يمكن ان يقال ان هؤلاء لكونهم أُميين لا يمكنهم ان يختبروا بانفسهم او يلتذُّوا بمعرفة ثبوتهِ ويقينية دستور ايمانهم الا بالواسطة الخارجية ان ايمانهم يجب ان يتوقف على الثقة بما يقرأُهُ او يقصهُ عليهم الغير الامر الذي لا يسلم غالبًا من الزيادة او النقصان والتبديل بل قد يكون احيانًا كثيرة سببًا لضلالٍ عظيم في السامع المسكين فيصدق ما هو ويرتكب الشرور عن جهل وعدم معرفة فهل ترك هؤلاء دون شاهد امين في قلوبهم ؟ ثم ان الباباويين مثلاً قد تطاولوا على حذف الوصية الثانية من كل كتب التعليم المسيحي والامتحانات العمومية لانها تعلم صريحًا ضد استعمال الصور وعبادة الايقونات فحذف هذه الوصية جعل كثيرين من الناس يتمسكون بهذا الرأي الباطل حتى اصبح ردهم عنهُ امرًا صعبًا للغاية يقرب من المستحيل . ثم لو فرض ايضًا ان كل انسان قادر على قراءة الكتاب المقدس بلغتهِ الخاصة فهل يوجد واحد من الف يعرف اللغات الاصلية التي كتبت اسفارهُ فيها لكي يتوصل الى الفائدة المرغوبة بنفسهِ رأسًا ألا يجب اذًا ان نعتمد في ذلك كلهِ على امانة المترجمين وصدقهم ؟

وجود تحريف في نسخ الاسفار وترجمتها وقد قام كثيرون من

البروتستانت انفسهم ونشروا مقالات اصلاحية عديدة وفاهوا بخطب كثيرة (وفيها كلها يلوم المتأخرون الاولين مبينين اغلاطهم وكلٌّ يلقي تبعة النقائص ويذنب غيره كمخطئين) حتى ان العلماء المدققين الآن يقولون بان الترجمات الحديثة الى اللغات العامة تحتاج ايضًا الى التصليح. ولو سمح المقام لكنت ابين هذا بالبرهان الجلي فبنيان الانسان ايمانه على الكتاب فقط امر مشكوك به وغير اكيد. ويمكن القول ايضًا ان سعي نفس البارعين في اللغات الاصلية لا يستطيعون ان يتوصلوا انفسهم الى افكار كاتبي الاسفار او يقبلوها لانه لامر مقرر ان النسخ الاصلية مفقودة فايمانهم اذًا هو مبني على امانة وصدق الناسخين

وقد كتب جيروم يلوم في زمانه هؤلاء الناسخين قائلاً " انهم لم يكتبوا ما كانوا يجدونه بل ما كانوا يدركونه" ويقول ايفانيوس انه كان مكتوبًا في نسخ لوقا الجيدة الصحيحة ان المسيح بكى وقد استشهد بذلك ايرانس انما الكاثوليك حذفوها خوفًا من ان يكون المراطقة قد حرّفوها وآباء آخرون يقولون ان المانيخيين قد حذفوا اعدادًا برمّتها من انجيل مرقس وزد على ذلك اختلاف قراءة الحرف العبراني بسبب النقط التي يعتقد البعض انها اخترعت موخرًا واضيفت الى الكتابات الاولى بعد كتابتها. اما البعض الآخر فيؤيد بنفس التأكيد انها كانت موجودة في الكتابات الاولى. ثم عدم مطابقة الشواهد التي قدمها المسيح والرسل من العهد القديم ونص العهد القديم المستشهد به. والاختلاف العظيم الذي وقع بين الآباء فالبعض منهم يفضل الترجمة اليونانية السبعينية ذامًّا النسخة العبرانية ومرتابًا بها ومتهمًا اليهود انهم غيّروا وحرّفوا مواضع كثيرة منها والبعض الآخر خصوصًا جيروم يبالغ في اثبات النسخة العبرانية وبرفض الترجمة السبعينية ساخرًا بتاريخها مع انها كانت اعتماد الكنيسة الاولى والآباء الذين كانوا قبله بقرون عديدة اثبتوا صحتها كانه

يوجد ايضاً اختلاف في نصّ النسخ اليونانية القديمة نجم عنهُ مشاجرات عديدة بين الآباء في الثلاثة القرون الاولى حال كون مركزهم كان يمكنهم من رفض واثبات تلك الكتابات اكثر منا فكل ما ذكر وما يمكن ان يذكر يدخل في عقل العلماء ظنون وصعوبات لا نهاية لها. وبناء عليهِ يمكنني ان اصرح اختشاء بان يسوع المسيح الذي وعد بان يكون مع اولادهِ دائمًا ويرشدهم الى تمام الحق حافظًا اياهم من حبائل الشرّ ومؤسسًا ايمانهم على الصخر الثابت لا يتركهم خاضعين لدستور كان ولم يزل هدفًا لاختلافات وشكوك عديدة متنوّعة ولكنهُ اعطاهم المرشد الخصوصي الذي لا يفنيهِ سوس ولا تغيّرهُ مدة ولا يفسدهُ ناسخون او مترجمون ذلك الروح الذي يستطيع كل انسان الدنو منهُ مهما كان حقيرًا او بسيطًا او بعيدًا فالروح هو مرشد الجميع الى الطريق المستقيم وبارشاد هذا الروح فقط يمكننا ان نتخلص من كل صعوبة تطرأُ علينا من جهة الاسفار المقدسة. وقد اختبرت بنفسي اختبارًا حقيقيًا لا ريب فيهِ

اغلاط الترجمة يكشفها الروح احيانًا لمن يجهلون القراءة

اعلان الله محبتهُ لاولادهِ في هذه الايام بطريقة تستحق الاعجاب والاندهاش وهو ان بعض اصحابي الذين يتحدون معي بهذا الاعتقاد وهم خدام امناء لله العلي ومملوءون من معرفة الحق الالهي المعلن لهم داخليًا بواسطة روح الله في قلوبهم والذين يجهل البعض منهم ليس اليوناني او العبراني فقط بل قراءة لغتهم الخاصة البسيطة عند ما ضايقهم محاوروهم مقدمين بعض الشواهد من الترجمة الانكليزية فلما لم تنطبق تلك الشواهد على شهادة روح الحق في قلوبهم قاوموا بكل جسارة مخطئين تلك الشواهد ومصرحين انهم لا يمكنهم أن

يصدّقوا ان الانبياء والرسل القديسين قد كتبوها وبسبب تصريحهم هذا تنبهت انا نفسي للبحث والتنقيب عنها وبعد الفحص المدقق في اللغات الاصلية وجدت انها بالحقيقة محرّفة عن وضعها بواسطة المترجمين الذين كثيرًا ما كانوا يعرضون عن معاني الكلمات الحقيقية ليجعلوها تفيد المعنى الذي ينطبق على عقلهم وادراكهم ويعتقدون حقيقته وهذا يطابق ما قالهُ اوغسطينوس في رسالة ١٩ Adhier المجلد الثاني الوجه ١٤ فبعد ان قال انهُ يرفّع مقام الكتب القانونية التي لم يرتكب كتبتها ادنى غلط عاد فقال " فاذا عثرت في هذه الكتابات على ما يظهر لي انهُ لا ينطبق على الحق فاحكم بدون تردد اما ان الكتاب مغلوط او ان الشارح لم يحصّل المعنى المقصود او انني انا ذاتي لم ادرك ذلك المعنى " وهذا ما يظهر انهُ يذهب هذا المذهب اي ان النسخ والترجمة لا يخلوان من الغلط والسهو

اعتراض خامسًا فاذا سأل احد عما اذا كنتُ اعني بما ذُكر ان الكتاب غير ثابت او عديم الفائدة

جواب أُجيب كلّا بل ان هذه القضية نفسها تظهر عظيم اعتباري للكتاب الّا انني اعطي الروح الموحى بهِ الكتاب الحق الاول الذي يخوّلهُ اياهُ الكتاب نفسهُ واعطي الكتاب المقام الثاني اي المقام الذي يمنحهُ لنفسهِ كما يظهر من قول بولس الرسول في رو ١٥: ٤ " لان كل ما سبق فكُتب كُتب لاجل تعليمنا حتى بالصبر والتعزية بما في الكتب يكون لنا رجاء " وفي ٢ تي ٣: ١٥ و١٦ و١٧ " وانك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة ان تحكّمك للخلاص بالايمان الذي في المسيح يسوع. كل الكتاب هو موحى بهِ من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر لكي يكون انسان الله كاملًا متأهبًا لكل عمل صالح "

فالله يرشدنا بروحهِ الى كل سلام واخلاص ولكنهُ يمنحنا تعزية وسلوى

بواسطة ابنائهِ الذين يلهمهم لكي يتفوّهوا او يكتبوا كلمة في حينها وهم اذ ذاك اشبه بآلة بيدهِ تعالى يقوون و يشجعون بعضهم بعضاً لاجل تكميلهم واعطائهم حكمة الخلاص . فالذين يرشدهم الروح لا يمكنهم ان يستهينوا بما يصدر عن الروح ذاتهِ في غيرهم بل بالحري يحبونهُ ويقتدون بهِ بطريقة عجيبة فتأثير الروح المتبادل ينعش الذهن ويوقظهُ فلا يتغلب عليهِ الغم والكدر كما يصرح بطرس الرسول ٢ بط ١ : ١٢ و ١٣ "ولذلك لا اهمل ان اذكركم دائماً بهذه الامور وان كنتم عالمين ومثبتين بالحق ولكن احسبهُ حقًّا اني ما دمت في هذا المسكن ان انهضكم بالتذكرة"

ان سبب تعزية القديسين المتبادلة هو الروح في الجسد فالله نفسهُ هو معلم شعبهِ وقد قيل صريحاً ان الذين في العهد الجديد ليسوا بحاجة لان يأخذوا علماً من انسان فقد كانت ثمرة صعود المسيح ارسال معلمين ورعاة لاجل تكميل القديسين . وقد منح للكتاب المقدس والمعلم عملاً واحداً فبالواحد يكون انسان الله كاملاً كما ان الآخر قد منح لاجل تكميل القديسين وكما انهُ لا يحق للمعلمين بحسب نور العهد الجديد ان يتجاوزوا تعليم الله بل يتبعوهُ لكي لا يبخسونا تلك النعمة التي اشتراها لنا المسيح بدمهِ هكذا الكتاب ايضاً لا يليق ان نعطيهُ مقاماً يتقدَّم بهِ على تعليم الروح او يفضل عليهِ فتغتصب منا تلك الهبة الروحية

جواب ثانٍ ان الله عزَّ وجل قد رأى انهُ من الموافق والمشجع لنا ان ننظر الى احوال القديسين القدماء واختباراتهم كما ننظر الى مرآة حتى متى وجدنا اختبارنا يوافق اختبارهم نتعزى ونتثبت ونتقوى ويزيد رجاؤنا ولا سيما عندما نصل الى الغاية الواحدة التي وصلوا هم اليها حاصلين على ذات العناية التي رافقتهم في الصعوبات التي احتملوها والنجاة العجيبة التي شملتهم وهكذا نزداد حكمة للخلاص ونتدرب سالكين في سبل البر والاستقامة

عمل الكتاب وخدمته اما عمل الكتاب فينا وخدمته لنا فيقومان بكوننا نرى انهُ قد اكمل من جهتنا وان نختبر ونشاهد ختم روح الله وطرقهِ فيهِ (اي في الكتاب بالمعرفة الداخلية بذات الروح المرشد والعامل في قلوبنا الذي لنا بهِ فوائد كبيرة وتعزية عظيمة نافعة لان الروح نفسهُ ينير اذهاننا ويدربنا لان نرى ان الكلمة قد تمت وتتم فينا وانما الانسان الروحي فقط يدرك هذا انهُ بها يصير انسان الله كاملاً (وليس الانسان الطبيعي) وكلما سبق فكُتب كُتب لاجل تعزيتنا (نحن) المؤمنين (نحن) القديسين والى هؤلاء وجَّه الرسول كلامهُ. واما الآخرون فقد قال عنهم بطرس صريحاً "ان الجهلة وغير الثابتين قد حرفوها لهلاك انفسهم والمقصود بالجهلة هنا الذين يجهلون التعليم الروحي الالهي السموي وليس العلوم المدرسية التي بلا ريب كان بطرس الرسول نفسهُ يجهلها تمام الجهل لانهُ انما كان صياد سمك. ومن المرجح بل من المؤكد ايضاً انهُ كان يجهل علم المنطق الارسطوطاليسي الذي اتخذهُ الباباويون والبروتستانت لانحرافهم عن بساطة الحق ولقبوهُ دعامة اللاهوت ومقدمة ضرورية لخدمتهم الطبيعيَّة البشرية وباعمالهم المظلمة هذه التي لا حدَّ لها ومزجهم الكتاب بامور وثنية قد اصبحت كتاباتهم قليلة الفائدة للعامة البسطاء واستحقوا التوبيخ الذي وبخ بهِ جيروم كتبة عصرهِ من نحو اثني عشر قرناً قائلاً "لقد تطرَّف رجال العلم جداً وجروا على عادة يصعب علينا بها فهم شروحهم وتفاسيرهم اكثر من فهم المسائل المشروحة"

فماذا نقول نحن اذاً عندما ننظر الى كُوَم المجلدات العظيمة الضخمة المملوءة والمشحونة بتفاسير في اعصر اكثر من عصرهِ فساداً

الكتاب المقدس دستور ثنوي

"سادساً" فيتبين جليًا مما ذكر آنفاً ان نفع الكتاب المقدس وفائدتهُ

للكنيسة يتوقفان على كونهِ ملقناً بالروح وفي الروح والجميع يقرُّون ايضاً انهُ قد كُتب بوحي الروح فالكتاب اذاً هو دستور ثنوي . اما الاغلاط التي ربما استطرقت اليهِ على مرور الايام فهي لا تؤثّر بسمو شهادتهِ الجليلة الواضحة الكافية لان ترشدنا الى كل ما هو جوهري في الايمان المسيحي فهو جدير اذاً بان يعتبر حكماً يرجع اليهِ في كل المناقشات والمحاورات بين المسيحيين . وكل تعليم يناقض شهادتهُ يجب ان يرفض كتعليم كاذب . وها اننا نحن نرغب دائماً ان نمتحن كل تعاليمنا ومبادئنا بحسب منطوق الكتاب الذي نرجع اليهِ في كل آن لاجل حسم الخلاف بيننا و بين مناظرينا وكل من يعمل عملاً ما مناقضاً للكتاب ويدّعي انهُ يعملهُ بارشاد الروح فهو بذلك مخدوع ومغرور من الشيطان لانهُ كما اننا لا نقدر ان ندّعي ان الروح يدربنا لكي نستر الخطية ونغطي الاعمال الشريرة التي فينا هكذا يجب ان نتيقن بان كل تعليم يناقض الروح اولاً لان الكتاب قد اوحي بالروح ولا يمكن ان يتناقضا وان ظهرا كذلك احياناً للانسان الطبيعي الناقد البصيرة كما يظهر للبعض ان بولس ويعقوب قد تناقضا فيما كتباهُ

ومما قد اثبتناهُ يتبين جلياً حقيقة ما نؤمن بهِ من جهه الكتاب المقدس ولنا الامل ان نكون قد اعطيناهُ حقهُ انما اذا كان البعض على رغم كل ما ذُكر يصرُّون على اعتبار الكتاب الدستور الخصوصي الوحيد ولا يريدون ان يذعنوا للبراهين ولو كانت متخذة من الكتاب نفسهِ (الذي لا ينزل نفسهُ هذه المنزلة) حال كونهم يدّعون أنهم يثبتون تعاليمهم من الكتاب فساورد بالاختصار البراهين الآتية على صورة اعتراضات اجيب عليها قبل ان اختم هذه القضية

الاعتراض الاول سادساً ان الاعتراض الاول من قول اشعياء ص ٨ : ٢٠ " الى الشريعة والى الشهادة ان لم يقولوا مثل هذا القول فليس

لم تجر " فهم يقولون ان الشريعة والشهادة والقول تعني الاسفار المقدسة

جواب فاجيب انهُ لو فرض ان المقصود من ذلك ما يتوهمون فهو ليس ببرهان كافٍ على انني لا اعلم لاي سبب لا يمكننا ان نتخذ لكلمة شريعة او شهادة او قول المعنى الداخلي. ثم على فرض اننا اتخذنا لها المعنى الحرفي الخارجي فهي مع ذلك لا تأتي بالبرهان الذي يرغبون فيهِ ولا تشهد ضد ما نرغب نحن في اثباتهِ فاننا نعترف ولا يؤثر اعترافنا بالموضوع الذي نحن بصددهِ ان الشريعة كانت دستوراً خارجاً اختص بهِ اليهود اكثر منا لان ناموسهم كان حرفياً خارجياً ولكننا نحن تحت عهد النعمة الجديد الذي قد اثبتنا انهُ عهد روحي داخلي. فشهادة الكتاب اذاً تثبت مذهبنا ولا يمكن ان نتخذ برهاناً ضدنا لانهُ كما ان اليهود أُمروا ان يمتحنوا كل شيء حسب الناموس الخارجي الذي تسلموهُ مكتوباً على الواح حجرية هكذا نحن بذات المعنى يجب علينا ان نقدم ذات الاعتبار لعهد الانجيل الجديد الذي يوصينا ان نمتحن كل شيء بكلمة الايمان المكرز لنا بهِ الذي قد بين الرسول انهُ في القلب وبناموس الله المعطى لنا الذي بين الرسول ايضاً انهُ رسخ في الذهن

واخيراً اذا اعتبرنا هذا الموضوع بحسب الترجمة السبعينية اليونانية فلا يجد اخصامنا سبيلاً للجدال في هذا الموضوع لان نصها يطابق اعتقادنا لانها تقول ان الناموس قد اعطي لنا للمساعدة وهذا ما بيناهُ واثبتناهُ بالبرهان

اعتراض ثانٍ من يوحنا ٥: ٣٩ " فتشوا الكتب " الخ فيقولون ان المسيح نفسهُ يأمرنا بان نفتش الكتب

الجواب اولاً اننا ينبغي ان نفتش الكتب ونحن مستعدون بكل رضى ان نحاكم بموجبها ايضاً كما سبق التصريح بهِ الا ان هذا ليس موضوع بحثنا انما البحث في هل ان هذه الكتب هي الدستور الرئيسي الوحيد ؟ وهذه الآية لا تبرهن ثبوت ذلك بل بالعكس فالسيد المسيح بهِ يحجهم على

اعتبارهم الزائد للكتب واهمالهم له مع انه يستحق نفسه كل الاعتبار لان الكتب تشهد له وذلك يتضح من تتمة تلك الآية "لانكم تظنون ان لكم فيها حياة ابدية وهي التي تشهد لي ولا تريدون ان تأتوا اليَّ لتكون لكم حيوة" فيظهر جليًّا من قول السيد انهم كانوا يظنون ان لهم حياة في الكتب فاهملوا الاتيان الى المسيح الذي تشهد له الكتب بان فيهِ ومنهُ الحياة وهذا يطابق ما نحن بصدده تمام المطابقة فان مقاومينا انفسهم يعطون الكتب مقامًا رفيعًا ويظنون ان لهم فيها الحياة الابدية فكانهم ينظرون اليها كالدستور الرئيسي الوحيد وطريق الحياة ويرفضون الاتيان الى الروح الذي تشهد له الكتب نفسها اي ناموس الروح المعطي الحياة اما جهل اليهود وعدم ايمانهم فلم يكونا بسبب عدم اعتبارهم الكتب لانهم كانوا يعرفونها جيدًا ويقدمون لها وقارًا عظيمًا ومع ذلك قال المسيح في الاعداد السابقة بانهم "لم يبصروا هيئته اي الآب ولم يسمعوا صوته قط وليست لهم كلمته ثابتة فيهم" لانهم لو كانوا كذلك لكانوا آمنوا بالابن

جواب ثانٍ ويمكننا ان نضع هذه العبارة ايضًا بصورة المضارع اي انتم تفتشون الكتب لان الكلمة اليونانية تحتمل هذا المعنى ايضًا وقد ترجمها به باذور. والتوبيخ الذي يليها يظهر ان وضعها في صيغة المضارع اصح واقرب للمعنى وقد اشار الى ذلك سيربلوس قديمًا

اعتراض ثالث "ثامنًا" اما اعتراضهم الثالث فهو مبني على اع ١٧: ١١ "وكان هؤلاء اشرف من الذين في تسالونيكي فقبلوا الكلمة بكل نشاط فاحصين الكتب كل يوم هل هذه الامور هكذا" فهم يقولون ان اهل بيرية نالوا المديح لانهم فتشوا الكتب واتخذوها دستورًا لهم

جواب اول فاجيب اولًا ان تفتيشهم الكتب ونوالهم المديح عليه ليس ببرهان على ان الكتب هي الدستور الرئيسي الوحيد وحملهم هذا وان يكن

حسناً يستحق الاعتبار الا ان حسنة واستحسانة لا يثبت كونة دستوراً رئيسياً وحيداً

جواب ثانٍ يجب ان نلاحظ بان يهود بيرية كان لم الكتاب اي الناموس والانبياء ذلك الدستور الخصوصي . واما موضوع بحثهم وتفتيشهم فقد كان في هل كانت ولادة المسيح وحياتة واعمالة وآلامة مطابقة للنبوات التي سبقت اتيانة؟ ونظراً لكونهم يهوداً فقط انصرفوا حسناً لانهم قابلوا الرسل على الكتب التي كان الرب يسوع يصرح قائلاً انها قد اكملت . فقد قبل اولاً انهم قبلوا الكلمة بفرح ونشاط وهذا يدل انة لو لم يستنر ذهنهم اولاً بالكلمة الساكنة في داخلهم لما كان اقناعهم وردهم ممكناً كما كان الحال مع الكتبة والفريسيين الذين كانوا يفتشون عن الكتب (وعلى ما تبين في الاعتراض الاول) يقدمون لها وقاراً عظيماً الا انهم لم يؤمنوا لان الكلمة لم تكن ساكنة فيهم

جواب ثالث واخيراً ان كان يستدل من مدح يهود بيرية ان الكتب هي الدستور الرئيسي الوحيد الذي بهِ يجب ان يمتحن تعليم الرسول فماذا يقال عن الامم وكيف آمنوا بالمسيح مع انهم لم يعرفوا الكتب ولا آمنوا بها . وفي نهاية الاصحاح لما كان بولس الرسول يعظ الاثينويين وجه افكارهم بطريقة اخرى لكي يطلبوا الله في داخلهم لعلهم يجدونة ولم يجتهد اولاً ان يدخلهم في الدين اليهودي ويقنعهم ان يؤمنوا بالكتاب والناموس والانبياء. ثم بعد ذلك يبرهن لهم منها ان المسيح قد جاء الى العالم بل اتخذ طريقاً اقرب موجودة داخلهم فلنا من كل هذه الحقيقة الثابتة وهي ان الدستور الرئيسي الوحيد لا ينزع بل هو واحد عمومي للجميع لليهود وللامم ايضاً . الا انة يوجد طرق وقواعد ثنوية عديدة متنوعة تقرب ذلك الى افهام الناس بحسب مشاربهم واحوالهم وهكذا الرسول عندما خاطب الاثينويين استشهد بقول احد شعرائهم

لانهُ كان يعلم حق العلم انهم يثقون بكلامهِ وان البرهان المبني على مصادر ثقة عندهم له تأثير اعظم جداً مما لاقوال موسى والانبياء التي لم يكونوا يعرفونها ولا يهتمون بها. فهل يستنتج من كون الرسول اتخذ احد الشعراء الاثينويين شهادة انهُ اعتبر قولهُ الدستور الرئيسي الوحيد الذي يجب ان يُمتحن بهِ تعليمهُ ؟ وعليهِ فللسبب نفسهِ لا يمكن ان يقول انهُ بما ان الرسول امتدح اليهود لانهم فتشوا الكتب التي كانوا يؤمنون بها ومنها يثبت لم صحة تعليمهِ فلذلك يجب ان تعتبر الدستور الرئيسي الوحيد دون غيرها

تاسعاً اما الاعتراض الاخير الذي يظهر لاول وهلة انهُ اقوى الاعتراضات فهو هذا

اعتراض ان لم يكن الكتاب المقدس دستوراً رئيسياً واحداً كافياً فهو اذاً ليس كاملاً او كتاباً تاماً واذا وجد في عصرنا اناس ينقادون بارشاد الروح وتدبيرهِ رأساً يمكنهم ان يضيفوا اسفاراً جديدة لها ذات الاعتبار الذي للقديمة مع انهُ قد قيل قولاً صريحاً ان كل من يضيف الى الكتاب هو ملعون. نعم بل ومن يقدر ان يمنع اياً كان من كتابة انجيل جديد بحسب ما يوافق ذوقهُ وتصرفهُ

جواب ان النتائج الخطيرة المبينة في هذا الاعتراض قد سبق الرد عليها في القسم الاخير من القضية الماضية حيث ظهر جلياً باننا نرفض كل الاعلانات التي لا تنطبق على الكتاب رفضاً تاماً

اعتراض اول ثم اذا احتج احد قائلاً ان انكار هذه النتائج لا يكفي لابطالها اذا كانت ملقنة باعلان الروح رأساً حسب هذا التعليم ولا سيما لانهُ بموجبهِ ينكر على الكتاب كونهُ الدستور الكافي

جواب اول فاجيب انني لقد اتيت بالبرهان الواضح بان هذه التعاليم هي صحيحة وضرورية بحسب نص الكتاب المقدس نفسهُ فليس من الممكن اذاً

ان ينجم عنها نتائج شريرة ومن توهم ذلك فهو لا يتهمنا نحن بل المسيح والرسل الذين كرزوا به

جواب ثانٍ ثم اننا قد اغلقنا الباب على كل تعليم من هذا النوع اذ قد اثبتنا بان الكتاب يؤدي شهادة وافية كافية لكل تعاليم الايمان المسيحي الرئيسية لاننا نؤمن ايمانًا وطيدًا ثابتًا انهُ لا انجيل ولا تعليم آخر يكرز به سوى ما تسلمناهُ من الرسل كما اننا نوافق موافقة تامة على ما قيل في غل ١: ٨ "ولكن ان بشرناكم نحن او ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن اناثيما"

الاعلان الجديد ليس انجيلاً جديدًا

ويوجد فرق عظيم بين القول باعلان انجيل جديد او تعليم جديد وبين الاعلان الجديد عن الانجيل القديم القويم والتعاليم القديمة الصالحة وهذا الاخير نعتقد به ونثبتهُ واما القول الاول فننكرهُ قطعيًا لاننا نؤمن بان الانسان لا يستطيع ان يضع اساسًا آخر سوى ذلك الاساس الذي قد وضع وتقرر . اما كون الاعلان الالهي ضروريًا لازمًا فقد تقدم البرهان عنهُ وهذا الفرق الذي قد اوضحناهُ يقينا من الخطر الموهوم في القياس التالي

كون الاسفار قانونية وانني ارى ايضًا ان ليس من الواجب ان نحصر ايماننا بكون هذه الاسفار هي قانون تامّ مكمَّل انما اذا اصرَّ الذين يعتقدون بان الكتاب هو الدستور الوحيد على قولهم هذا فلا مناص لهم من ان يتحدوا معي بان اثبات قانونية الكتاب من الكتاب هو امر مستحيل لاننا لا نجد في سفر ما من اسفار الكتاب بان هذا الكتب وحدها قانونية وليس غيرها الامر الذي لا يستطيع احد انكارهُ وعليهِ فلا يمكننا ان نتملص من القياس الآتي

ان كل ما لا يمكن اثباتهُ ببرهان من الكتاب لا يعدُّ من عقائد

الايمان الضرورية

ولكن قانونية الكتاب اي انهُ يوجد عدد محدود لهذه الاسفار دون زيادة ولا نقصان لا يمكن ان يبرهن من الكتاب

لذلك لا يمكن ان يعد الكتاب من عقائد الايمان الضرورية

اعتراض ثانٍ واما اذا اصرَّ البعض على القول بان التسليم بامكان كتابة كتب اخرى بواسطة الاعلان الالهي ينجم عنهُ تعاليم جديدة

الكتب المفقودة فاقول انني انكر هذه النتيجة تماماً لان تعاليم الديانة المسيحية الاساسية الرئيسية تنحصر في عشر الكتاب فلا يستنتج من هذا ان ما بقي هو لغو وعديم الفائدة ولو شاء الله ان يرجع الينا الكتب التي لعبت بها يد الزمان وفقدت كنبوءة اخنوخ اوكتاب ناثان الخ او رسالة بولس الرسول الثالثة الى اهل كورنثوس فلا ارى وجهاً لعدم قبولها واعطائها منزلة مساوية لبقية الاسفار . انما الامر الذي يكدرني هو قطع البعض بان الاسفار المقدسة هي الدستور الرئيسي الوحيد ثم بعد ذلك تصريحهم بانهم يعتقدون بمادة ما كانها قسم مهم من دستور الايمان حال كون الكتاب لا يذكر عنها شيئاً

صحة رسالة يعقوب مثلاً كيف يقدر بروتستانتي ان يبرهن بان رسالة يعقوب هي قانونية ويجب اعتبارها قانونية لمن ينكر صحتها

فاذا قيل انها قانونية لكونها لا تناقض غيرها من الكتاب فيمكن ان يجاوب انهُ عدا عن انها لا يوجد لها ذكر في بقية الاسفار فالبعض يظنون انها تناقض رسائل بولس فيما يتعلق بالايمان والاعمال . ثم لو فرض انها لا تناقضها فهل يمكن التسليم بان كل كتابة لا تناقض تعليم الكتاب يجب ان يعترف بكونها قانونية؟ فاذا قيل نعم يقع القائلون هذا القول في صعوبة اعظم من الصعوبة التي يظنون اننا نقع فيها اذ تستطيع حينئذٍ كل طائفة ان تجعل كتاباتها المذهبية مساوية للكتب المقدسة لاعتقادها بانها لا تضاد الكتاب

وهل يناسب ان نضم هذه الكتب لتكون مع التوراة كتابًا واحدًا ؟ فاذ قد تبين فساد هذا البرهان بحسب تعليمهم يثبت قانونية رسالة يعقوب وجب علينا الرجوع الى احد القولين الآتيين اي اما ان نقول اننا نعرف قانونيتها بواسطة شهادة الروح نفسهِ الذي اوحى بها او كما يقال في رومية ان التقليد يعلمنا ان الكنيسة قررت قانونيتها ولكون الكنيسة معصومة عن الغلط فهي اذًا قانونية والا فليجدوا هم طريقة غير ما ذكر اما انا فسأتخذ من هذا الاعتراض قياسًا مفحمًا يثبت تعليمنا وهو

ان ما لا يمكنني ان اتحقق كون معتقدٍ ما ضروريًّا للايمان هو ليس دستور الايمان الرئيسي الكافي

لكن الكتاب المقدس لا يمكن ان يعطيني يقينًا قاطعًا بذلك اذًا الكتاب المقدس ليس دستور الايمان الوحيد الكافي

وهاك اثبات هذا المفروض بالبرهان الآتي

ان ما لا يمكنني ان اتحقق بواسطتهِ قانونية اسفار الكتاب (اي ان هذه الاسفار المعلومة هي قانونية ويجب اثباتها واما الابوكريفا فليست قانونية) هو ليس كافيًا لاثبات كل معتقد

اما الكتاب فلا يمكنني ان اتحقق منهُ ذلك

اذًا الكتاب ليس كافيًا لاثبات كل معتقد

الاعتراض الثالث والاخير من كلمات الرؤيا ٢٢ : ١٨ " لانني اشهد لكل من يسمع اقوال نبوة هذا الكتاب ان كان احد يزيد على هذا يزيد الله عليهِ الضربات المكتوبة في هذا الكتاب "

جواب انني اودّ ان يريني احد كيف يمكن اطلاق هذا القول على غير تلك النبوة الخصوصية . لانهُ لم يقل قد تمّ مجموع الاسفار فلا يكتب احد بالروح فيما بعد . ألا يعترف الجميع بانهُ قد قام انبياء صادقون

وتنبأوا بنبوات حقيقية بعد ذلك التاريخ فالباباويون يقرون بهذا وايضاً البروتستانت انفسهم يوكدون بان يوحنا هس تنبأ عن الاصلاح فهل استحق اللعنة يا ترى ؟ ام هل ارتكب ذنباً ؟ ويمكنني ان اورد شواهد عديدة يقرون هم انفسهم بها

وفضلاً عن ذلك لقد ورد وصية كهذه قبل زمان يوحنا بمدة طويلة اذ جاء في الامثــال ٣٠: ٦ "لا تزد على كلماته لئلا يوبخك فتكذب" وكم جاء من الاسفـــار النبوية بعد هذا . وقد كتب موسى نفسه وصية بذات المعنى تث ٤: ٢ "لا تزيدوا على الكلام الذي انا اوصيكم به ولا تنقصوا منه" حتى على فرض ان نبي الرؤيا يتجاوز نبوات ذلك السفر نفسه فانه لا يفهم منه سوى النهي عن ادخال انجيل جديد او تعاليم جديدة وردع ايا كان من مزج اقواله البشرية بالكلام الالهي ولا يقصد منه منع اعلان روحي جديد عن الوحي القديم كما ذكر آنفاً



القضية الرابعة

في

حالة الانسان بعد السقوط

من اجل ذلك كانما بانسان واحد دخلت الخطيئة الى العالم وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس اذ اخطأ الجميع . ولكن — ليس كالخطيئة هكذا ايضاً الهبة لانه ان كان بخطيئة واحد مات الكثيرون فبالاولى كثيراً نعمة الله والعطية بالنعمة التي بالانسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين" رو ٥: ١٢ و ١٥

ان ذرية آدم اي الجنس البشري بكامله من يهود وام قد سقطت وانحطت بآدم الاول واستحقت الموت وفقدت كل شعور واحساس بالشهادة الداخلية اي زرع الله فاصبح والحالة هذه الجنس البشري خاضعاً لقوة الحية وطبيعتها وزرعها الذي زرعته في القلب فاصبح من ثمّ ليس اقوال البشر واعمالهم فقط شريرة في عيني الرب بل تصوُّرات افكارهم ايضاً على الدوام لانها صادرة عن هذا الزرع الشرير الفاسد وما زال الانسان يأبى الانفصال عن هذا الزرع الشرير ويصرّ على البقـــاء في حالته التعيسة ويمتنع عن الاستنارة بالنور الالهي فهو لا يستطيع ان يعرف شيئاً معرفة حقيقية صالحة وكل تصوراته وافكاره لا يمكن ان تكون مفيدة له او لغيره . ولهذا السبب نحن نرفض اضاليل السوسنيين والبلاجسيين الذين يثقون بالنور البشري الطبيعي ويعظمونه واضاليل الباباويين واكثر الانجيليين الذين يقولون ان الانسان يقدر ان يكون خادماً للانجيل دون ان يكون مشمولاً بنعمة الله الحقيقية . الآن هذا

الروح الفاسد ليس له سلطة على الاطفال ما لم يخضعوا له ويتحدوا معهُ فعلاً لان ابناء الغضب بالطبيعة هم الذين يسلكون بحسب رئيس سلطان الهواء الروح الذي يعمل الآن في ابناء المعصية السالكين بحسب شهوات الجسد عاملين مشيئة الجسد والافكار اف ٢: ١ و ٢

اولاً انا لقد بينّا فيما سبق كيفية التوصل الى معرفة الله الحقيقية والمحافظة عليها . وما هي فائدة الكتاب المقدس للقديسين وخدمته لهم . والآن نتقدم للبحث في حالة الانسان الساقط وقوته ومقدرته وهل يستطيع ان يتقدم وينمو فيما لله بنفسهِ الامر الذي سبقنا ولحنا عنهُ في بداءة القضية الثانية الا ان الاسهاب في بيان كنه هذا الموضوع ضروري ومفيد للغاية لاجل تمام فهمهِ اذ قد نجم عن جهلهِ اضاليل عظيمة ومنازعات ومجادلات ليست بقليلة فالبعض يحسبون النور الطبيعي في الانسان اي قواهُ الطبيعية ويزعمون انهُ قادر من نفسهِ على اتباع الصلاح والتقدم في الطريق السماوية بفعل الارادة والنور والمواهب والقوى الداخلية المختصة بالطبيعة الانسانية وقد ذهب هذا المذهب قديمًا البلاجسيون والنصف بلاجسيين ومؤخرًا السوسنيون وبعض البابويين . اما الفئة الاخرى فتطرفت الى الجهة المعاكسة وقد مهّد اغسطينوس بين الاقدمين السبيل لاعتقادهم الآتي بيانهُ الذي اوصلتهُ اليوحدّتهُ في الجهاد ضدّ بلاجيوس فهم يقولون ليس فقط ان الانسان ليس بقادر على عمل الصلاح من نفسهِ او انهُ ميّال الى الشرور بل انهُ مدنس بالخطية وهو بعد في رحم امهِ قبل ان يرتكب الشرّ او يعرفهُ فعلاً وهو مستحق الموت الابدي . وبناء عليهِ هم يصرّحون بدون خشية . ان عددًا عظيمًا من الاطفال قد دينوا ويدانون واستحقوا ويستحقون عذاب جهنم . اما الله الحق الذي اعلن لنا حقهُ (الطريق الصالح المستقيم) بروحهِ علمنا ان نجتنب تطرّف الجانبين كما سيتضح من الابحاث الآتية في هذه القضية

اولاً ما هي حالة الانسان بعد السقوط ومقدار عجزهِ عن التدخُّل في امور الله

ثانياً ان الله لا يحسب على الاطفال شرًّا ما لم يرتكبوهُ هم فعلاً

ويوجد بحث ثالث بخصوص المعلمين الذين تنقصهم نعمة الله وهو من مباحث هذه القضية الاَّ انني سأرجئُ الكلام عنهُ الى القضية العاشرة اذ يصير سهل المنال وسأذكرهُ هناك مفصلاً بالتطويل

فببسط بيان هذه الحقائق يمكننا ان نظهر ضلال الفريقين وعلى الله الاتكال

(١) انني في الكلام عن المسئلة الاولى ساتجنب التوغل في الآراء الغريبة التي يتشبث بها الكثيرون عن حالة آدم قبل السقوط واذكر ما يتفق عليهِ الجميع وهو ان آدم بسقوطهِ خسر خسارة عظيمة ليس فقط في الامور المختصة بهِ كانسان بل في الشركة التي كانت لهُ مع الله وقد تبيَّن لهُ قبلاً مقدار هذه الخسارة من نصّ الوصية التي أُعطيت لهُ "يوم تاكل منها موتاً تموت" تك ٢: ١٧ فهذا الموت لا يمكن ان يكون موت هيكل جسدهِ الخارجي لانهُ عاش بعد ذلك مئات من السنين بل قصد بهِ فقد حياتهِ الروحية وشركتهِ مع الله. وفوق هذا قد خسر بسقوطهِ ايضاً اثمار الارض ونفذ فيهِ ما قد ذُكر في تك ٣: ٢٤ "فطرد الانسان واقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة" ومهما كان المعنى الحرفي لهذا القول يمكننا ان نفسّر هذا الفردوس بالمعنى الرمزي اي تلك الشركة التي للقديسين مع الله يسوع المسيح لانهُ لهؤلاء القديسين تفتح الكروبيم الطريق اي لكل من يدخل بذاك الذي دعا نفسهُ الباب

خطية آدم لا تلتحق بذريتهِ ومع اننا نعتقد ان خطية آدم لا تلحق بذريتهِ مطلقاً . ما لم يتلطخوا هم بها بارتكابهم المعاصي نظيرهُ . الاَّ اننا لا نقدر

الأ نسلّم بان الذين يدعون ذرية آدم بالجسد قد فقدوا كل صلاح بحسب الطبيعة لان آدم نفسهُ الذي منهُ يرثون طباعهم لم يكن فيهِ صلاح لينتقل اليهم

ولكوننا نقدر ان نقول عن ثقة ان آدم لم يملك بطبيعتهِ (كخاصة من خواصها) النور او الرغبة في التوصل الى معرفة الامور الروحية فذريتهم هم طبعًا نظيرهُ وعليهِ فكل ما يفعلهُ الانسان من الصلاح لا يصدر منهُ بحسب طبيعتهِ الانسانية او كونهِ ذرية آدم بل من زرع الله فيهِ بحسب الحياة الجديدة المعطاة لهُ لكي يحتق من حالتهِ الاصلية الطبيعية وهذا الاصلاح وان يكن فيهِ فهو ليس منهُ كما جاء صريحًا في تك ٦:٥ "ورأى ان كل تصوُّر افكار قلب الانسان انما هو شرير كل يوم" فهذه الكلمات هي صريحة ثابتة كما انها عامة مطلقة ايضًا اذ قد قيل اولاً "ان كل تصوُّر افكار قلبهِ" بحيث لا يترك مجالاً لاستثناء فكر من افكار قلبهِ ثم قيل ثانيًا انهُ شرير كل يوم بحيث لا يمكن ان يقال فيما بعد انهُ شرير في بعض الصور فقط او بعض الاوقات بل انما هو شرير دائمًا وابدًا وهذا التصريح ينفي وجود اقل صلاح في قلب الانسان بحسب الطبيعة على الاطلاق لان كل من هو شرير دائمًا بالطبع لا يمكنهُ ان يأتي بعمل صالح . ويؤيد هذا ايضًا ما جاء من كلامهِ تعالى في ذات السفر بعد هذا بقليل تك ٨:٢١ " ان تصوُّر قلب الانسان شرير منذ حداثتهِ" مما يؤكد ان الشرّ طبيعيٌّ فيهِ ومختصٌّ بهِ وسابني مما تقدم القياس الآتي

اذا كانت افكار قلب الانسان شريرة وشريرة كل يوم اي دائمًا فكل ما يصدر عن قلبهِ ليس فيهِ شيءٌ من الصلاح في اي وقت كان

وكما ان المقدمة صحيحة ثابتة فهكذا النتيجة ايضًا

ثم اذا كانت افكار الانسان كلها دائمًا شريرة فهي بجملتها باطلة وعديمة

الفائدة له في الامور الالهية

وكان المقدمة ثابتة فالنتيجة هي ثابتة ايضاً

القلب اخدع كل شيء ويبين هذا بكل صراحة ما جاء في ار ١٧: ٩

"القلب اخدع من كل شيء وهو نجس" فذو العقل السليم حتى ومن اشتم رائحة العقل لا يقدر ان يتصور قلباً هذه حالته وفيهِ من ذاتهِ اقل قوة تؤهل صاحبهُ لعمل الصلاح او تهديهِ في طريق البرّ حال كونهِ ذاته بحسب الطبيعة منظوراً على خلاف ذلك وهذا الامر يستبعد وقوعهُ كما انهُ يستبعد ارتفاع حجر في الجو من نفسهِ دون قوة تدفعهُ. فكما ان الحجر بحسب الناموس الطبيعي يميل بل يندفع الى الهبوط نحو مركز الارض كذلك قلب الانسان يميل بل يندفع من طبعهِ الى الشرّ على اختلاف انواعهِ ولنا ما ذُكر القياس الآتي

ان كل ما هو اخدع كل شيء ونجس لا يصلح ان يرشد الانسان ولا يمكنهُ ان يرشدهُ في الامور الصالحة المستقيمة

وقلب الانسان هو كذلك

اذاً قلب الانسان ليس صالحاً ولا يمكنهُ ان يرشد الانسان بامانة في الامور الصالحة المستقيمة

وقد وصف بولس الرسول حالة الانسان بعد السقوط بالتفصيل متخذاً ذلك من كلام كاتب المزامير "انهُ ليس بارٌ ولا واحد ليس من يفهم ليس من يطلب الله . الجميع زاغوا وفسدوا معاً ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد مز ١٤: ٣" "حنجرتهم قبر مفتوح بالسنتهم قد مكروا سمّ الاصلال تحت شفاههم وفمهم مملوء لعنة ومرارة ارجلهم سريعة الى سفك الدم في طريقهم اغتصاب وسحق وطريق السلام لم يعرفوهُ ليس خوف الله قدام عيونهم مز ٥٣: ٣"

فايّ كلام اقوى في الدلالة والاثبات من هذا الوصف الذي يتضح منهُ ان المتكلم بذل قصارى جهدهِ لكي يبيّن للملاصريّا ان لا صلاح في الانسان بحسب الطبيعة لانهُ وصفهُ انهُ مدنّس بالخطية في كل طرقهِ وانهُ خالٍ من البرّ والفهم ومعرفة الله قد زاغ وفسد وضلّ عن الطريق فكأنهُ قال بالاختصار انهُ لا يصلح لشيء. وهل من احتياج اذًا بعد هذا الى اكثر مما ذُكر لاثبات مبدإنا. فاذا كانت هذه هي حالة الانسان الطبيعي او الانسان في حالة السقوط. فهو اذًا لا يستطيع ان يتقدم خطوة واحدة صالحة مستقيمة نحو السماء

اعتراض فان اعترض احد بقولهِ ان هذا الكلام وُجّهَ الى بعض افراد البشر ولم يقصد بهِ الجميع على الاطلاق فهو اذًا لا يعمّ كل انسان

جواب أُجيب ان الرسول في نفس الاصحاح قد جعل نفسهُ وهو في حالتهِ الطبيعية مثلاً وبذلك قد رفع كل ريب لانهُ يقول رو ٣:٩ " فماذا اذًا أنحن افضل. كلاّ البتة لاننا قد شكونا ان اليهود واليونان اجمعين تحت الخطية كما هو مكتوب انهُ ليس بارٌ ولا واحد " ثم يتقدم في الوصف الذي ذُكر آنفًا ومنهُ يتبيّن بسهولة انهُ يتكلم عن عموم الجنس البشري

اعتراض وقد يعترض البعض مستندين على قول الرسول نفسهِ في الاصحاح السابق عد ١٤ اي ان الامم يفعلون بالطبيعة ما هو في الناموس فلذلك هم يفعلون بالطبيعة ما هو صالح ومقبول في عيني الله

جواب اول (١) ان هذه الطبيعة لا يمكن ان يقصد بها طبيعة الانسان الساقطة الفاسدة بل الطبيعة الروحية او زرع الله في الانسان بحسب اعتقاد محبتهِ تعالى التي تضرمها فيهِ وهذا يتضح جليًا من كلمات الرسول التابعة " فهولاء اذ ليس لهم الناموس (اي خارجيًا) هم ناموس لانفسهم الذين يظهرون عمل الناموس مكتوبًا في قلوبهم " فاعمالهم هذه اذًا هي نتيجة

الناموس المكتوب في قلوبهم وهذا الناموس المكتوب في القلب هو حسب شهادة الكتاب جزء مهمّ من العهد الجديد وليس نتيجة الطبيعة الانسانية ولا جزء منها

جواب ثانٍ (٢) انهُ لو قصد الرسول بهذه الطبيعة طبيعة الانسان الغريزية المختصة بهِ كانسان لكان قد ناقض نفسهُ بنفسهِ لانهُ قد صرّح في موضع آخر ان الانسان الطبيعي لا يدرك امور الله ولا يستطيع ادراكهـا اما شريعة الله فهي من امور الله ولاسيما لانها مكتوبة في القلب وقد قال في الرسالة ذاتها ان الناموس مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة ثم عد ١٤ ان الناموس روحي اما هو نفسهُ فجسدي فبأي اعتبار يحسب نفسهُ جسديًّا ليس باعتبار كونهِ بالطبيعة ساقطًا وغير متجدد

فما اعظم التناقض الذي نقع فيهِ اذا قلنا ان الرسول جسديٌّ ولكن ليس حسب الطبيعة حال كونهِ سمي جسديًّا لانهُ ذو طبيعة جسديّة وهو نفسهُ يجعل الفرق عظيماً بين الناموس الروحي وبين طبيعة الانسان الساقطة الخاطئة وقد قال السيد المسيح مت ٧: ١٦ "انهُ لا يمكن ان يجتنى من الشوك عنبًا او من الحسك تينًا" فكذلك لا يمكن ان ينتظر من الطبيعة الفاسدة الساقطة الغير المتجددة اتمام الناموس الروحي المقدس العادل . فمما تقدم يتوصل كل ذي وجدان صحيح الى هذه النتيجة الواضحة . ان الطبيعة المقصودة هنا التي بها يفعل الامم ما هو في الناموس هي ليست طبيعة الانسان الغريزية العادية ولكنها الطبيعة الروحية التي يوقظهـا الناموس الروحي المستقيم المكتوب في القلب

اما بعض المتطرفين من المذهب الآخر عند ما يأتيهم السوسنيون والبلاجسيون او نحن بهذه البينة الواضحة من الكتاب التي تظهر ان بعض الامم قد استناروا للخلاص بنور المسيح في قلوبهم يجيبون انهُ لقد بقي في آدم

بعض البقايا من الصورة السماوية وبها يتمكن بعض الوثنيين من اتمام بعض الاعمال الصالحة ومع ان هذا القول غير ثابت بالبرهان فهو يناقض على خط مستقيم ما يصرّحون بهِ انفسهم في اماكن اخرى ويفسد معتقدهم لانهُ لو كانت هذه البقايا كافية لان تمكّن الانسان من اتمام ناموس الله الصالح في القلب لما كان مجيء المسيح ضروريًّا او بالحري لوجد طريقة للخلاص بغيرهِ هذا ما لم يتصلفوا متشبثين ومتمسكين بما هو شرٌّ من هذا وقائلين بانهُ وان اكمل الامم ناموس الله العادل فهم مع ذلك مدانون لانهم ليست لهم المعرفة الخصوصية حال كونهِ تعالى قد اوجدهم في ظروف لا تمكّنهم من الحصول على تلك المعرفة . ولكنهُ تعالى قد جعل ذلك النور سبيلاً يتوصل بهِ اليهِ كل من شاء الاقتراب منهُ

تعظيم السوسنيين نور الانسان الطبيعي

(٣) انهُ يمكنني الاتيان ببرهان آخر جلي من كلمات الرسول في ١ كو ص ٢ يثبت منهُ صريحًا ان الرجل الطبيعي لا يقدر ان يفهم او يدرك امور الله تعالى الَّا انني قد تكلمت عن هذه الآية في بداءة القضية الثانية فاكتفي بالاشارة اليهـا عن تكرار ما قد قلتهُ سابقًا وابتدئُ الآن بدحض آراء السوسنيين وغيرهم ممن يعظمون نور الانسان الطبيعي او بالحري النور الطبيعي في الانسان رادًّا اعتراضاتهم على هذه الآية على الوجهِ الآتي

اعتراض انهم يقولون ان كلمة (بسيخيكوس) اليونانية يجب ان تترجم (حيوانيًّا) وليس (طبيعيًّا) اذ لو قُصد بهـا طبيعيًّا لقيل باليوناني (فيسيكوس) ويحاولون ان يثبتوا بهذا ان الانسان الحيواني انما هو مستثنى بحسب منطوق هذه الآية عن فهم امور وليس الانسان الحكيم المتعقل الَّا ان اعتراضهم هذا هو ساقط بقطع النظر عن معنى الكلمة والجدال فيهِ لان هذا

ليس من مقتضيات بحثنا واليك بيان ذلك

الانسان الحيواني هو نفس الطبيعي اولاً ان الحياة الحيوانية في الانسان هي تلك الحياة التي بها يشترك مع كل الحيوانات الحية لان الانسان لا يختلف عن باقي الحيوانات سوى بقواهُ العاقلة فالرسول قد بنى برهانهُ في الاعداد السابقة على هذا التشبيه . اي كما ان امور الانسان لا يعرفها الاَّ روح الانسان كذلك امور الله لا يعرفها الاَّ روح الله وانا لا اشك ان هولاء المعترضين يعترفون بان امور الانسان لا تعرف بالروح الحيوانية اي تلك الروح التي يشترك بها مع سائر الحيوان بل بروحهِ العاقلة وعليهِ فان كان ذلك كذلك فالمقصود هنا بروح الانسان قواهُ العاقلة ثم ان النتيجة التي اتخذها الرسول مما تقدم تظهر جليًّا انهُ يقصد ما يرغب هولاء ان يلبسوا ظاهر كلامهِ لانهُ حسب زعمهم عند ما قال الرسول "ان امور الله لا يعرفها الاَّ روح الله" كان يجب ان يقول ان امور الله لا يعرفها احد بروحهِ الحيواني بل بروحهِ العاقلة لاننا ان قلنا ان روح الله المحكى عنها هنا هي روح الانسان العاقلة نكون قد ارتكبنا خطية التجديف لان الكتاب يذكرها في مواضع كثيرة كنقيضين متناقضين حتى ان الرسول ذاتهُ يقول بعد هذا ان امور الله تدرك روحيًّا وليس عقليًّا

الانسان العاقل لا يمكنهُ ان يدرك امور الله في الحالة الطبيعية . ثانيًا ان الرسول يظهر في كل الاصحاح ان حكمة الانسان لا يمكنها ان تدرك امور الله وتحكم فيها ولكنها تجهلها بالكلية ثم فليسمح لي هولاء المعترضون ان اوجهَ اليهم هذا السوال هل يُدعى الانسان حكيمًا بسبب قواهُ الحيوانية ام بسبب قواهُ العاقلة ؟ فان قيل انهُ يعدّ حكيمًا بسبب قواهُ العاقلة فالرسول اذًا يستثني من معرفة امور الله وادراكها ليس فقط الانسان الحيواني بل العاقل ايضًا ما دام في الحالة الطبيعية ويميّز بينهُ وبين الانسان

الروحي ويذكرهُ كنقيض لهُ في العدد ١٥ حيث يقول واما الروحي فيحكم في كل شيء لان هذا القول لا يمكن ان يقال عن الانسان على الاطلاق لكونهِ عاقلاً او بالنظر الى الانسانية فقط . فاننا نرى اناساً من اعظم الناس عقلاً وقد عدَّ الكتاب حكماء كقدماء اليونان قد كانوا على الغالب اعداء ملكوت الله . والكتاب يقول ايضاً ان تعليم المسيح هو جهالة عند حكماء هذا العالم كما ان حكمة هذا العالم هي جهالة عند الله . وكل ذي بصيرة وعدم التحزب يقدر ان يحكم لدى اقل تأمل من قصد الكتاب بهولاء الحكماء الذين يعتبرون الانجيل جهالة ام انهم يعتبرونهُ كذلك بواسطة قواهم الحيوانية او العقلية . وهل يقصد بالحكمة التي هي جهالة عند الله القوى الحيوانية او القوى العاقلة

لا خطية جدّية على الاطفال رابعاً والآن انقدم للبحث في القسم الآخر من هذه القضية وهو ان الشرّ او الزرع الفاسد لا يحسب على الاطفال الا متى صدر منهم فعلاً وقد اوردت برهاناً على هذا في آخر نص هذه القضية نفسها من اف ص ٢ "لان هولاء بالطبيعة ابناء الغضب الذين يسلكون حسب رئيس سلطان الهواء الروح الذي يعمل الآن في ابناء المعصية" فالامر واضح ان الرسول يدعو الذين يسلكون السلوك الشرير ابناء الغضب فلا يمكن ان يطلق هذا الاسم على اناس بسبب شرّ غيرهم حال كونهِ لم يصدر منهم وهذا يوافق روح الانجيل تمام الموافقة لان الانجيل لا يهدّد او يوبخ الا الذين ارتكبوا الشرّ والخطية بذات الفعل فالذين يسلكون في الخطية هم الذين يوافقون على خطايا آبائهم واجدادهم بسلوكهم في ذات الطرق الشريرة التي سار فيها اسلافهم وهذا معنى الكتاب عند ما يقول "ان الله يفتقد ذنوب الآباء في الابناء"

اوليس من المستغرب ان يتشبث البعض برأي فاسد شديد القساوة

مخالف لرحمة الله وطبيعته العادلة . لم يأتِ الكتاب المقدس على ذكره . الا ان محبة الذات التي فُطر عليها الانسان تحملهُ على انتحال آراء وافكار نظير هذه صادرة عن ذلك الاصل الذي هو مصدر كل الاضاليل . اما الذين يذهبون هذا المذهب من البروتستانت فاكثرهم من الذين يعتقدون انهم المختارون . وهولاء يحتكرون لهم ولاولادهم حق الخلاص وبعد ان يحصروا هذه النعمة بهم لايترددون في ارسال الباقين جميعًا كبارًا وصغارًا الى جهنم . فتثبت محبة الذات هي التي تجعل الانسان عرضة لان يؤمن بكل ما يتمنى ويشتهي لنفسه وهي التي تضع فيهم هذا الرجاء بان لهم نصيبًا محفوظًا مقدرًا نيله فلا يهتمون ثمة بانهم قد تركوا جيرانهم وغيرهم وهم السواد الاعظم من الجنس البشري في صعوبات وبلايا لاخلاص منها. اما البابويون فيتمسكون بهذا الرأي كحيلة يزيدون بها اعتبار كنيستهم واسرارها لانهم يدَّعون ان الخطية الجدية تغسل بواسطة المعمودية ومع ذلك فهم ارحم من سواهم لانهم لايبعثون بهولاء الاطفال الغير المعمدين الى جهنم بل الى لمبوس (مكان تُسجن فيه الارواح "المطهر") وهذا المكان كغيره ليس له ذكر في الكتاب المقدس . اما الاعتقاد بخطية الاطفال الجدية والاصلية فهو ليس فقط غير منصوص به ولكنهُ يخالف صريحًا نصَّ الكتاب وقد قال الرسول رو ٤: ١٥ "حيث ليس ناموس ليس ايضًا تعدٍ" وقال ايضًا ص ٥: ١٣ "ان الخطية لا تُحسب ان لم يكن ناموس" وهذه النصوص هي واضحة ثابتة لايمكن ان يؤتى باوضح منها . فالناموس انما يسنّ للذين يقدرون على فهمه وادراكه فلا ناموس على الاطفال اذ لا فهم لهم ولا ادراك وعلى هذا يُبنى القياس التالي

ان الخطية لا توجد حيث ليس ناموس

ولا ناموس للاطفال اذًا لا يُحسب على الاطفال خطية

اما الركن فهو مبني على كلمات الرسول نفسها واما النتيجة فتبرهن كما

يأتي . ان كل من هو غير قادر على استماع ناموس ما او معرفتهِ او فهمهِ لا يؤاخذ بذلك الناموس وذلك دون هذا النقص ليس مسبباً عن الارادة والفعل بل هو بحسب سياق الطبيعة المعيَّن من الله

اما الاطفال فهم بحسب الطبيعة عاجزون عن فهم الناموس

لذلك لا ناموس للاطفال وحيث ليس ناموس لا تعدٍ

لا يحسب على الاطفال خطية آبائهم ثانياً انهُ لا يمكن ان يؤتى بشهادة اوضح واصرح مما جاء في حز ١٨: ٢٠ "النفس التي تخطئ هي تموت الابن لا يحمل من اثم الاب" فبعد ان بيَّن في هذه الآية ان موت الانسان يتوقف على ارتكابهِ الخطية نفى قائلاً ان الابن لا يحمل من اثم الاب نفياً صريحاً كافياً لابطال كل رأي من هذا القبيل فلنا من هذا القياس الآتي

اذا كان الابن لا يحمل من اثم ابيهِ واجدادهِ الاقربين فهو بالاولى لا يحمل من اثم آدم

ولكن الابن لا يحمل من اثم الاب

لذلك الابن لا يحمل من اثم آدم

خامساً اما وقد ثبت مما تقدم فساد هذا الرأي فاعود الآن للبحث بوجه الاختصار في الاعتراضات التي يقدمها المتمسكون بهِ

اعتراض اولاً انهم يقولون ان آدم هو اب الجميع لذلك الجميع اخطأوا بخطيتهِ لكونهم من صلبهِ ويستشهدون من كلام الرسول رو ٥: ١٢ "من اجل ذلك كانما بانسان واحد دخلت الخطية الى العالم وبالخطية الموت هكذا اجتاز الموت الى جميع النــاس اذ اخطأ الجميع" الخ ويزعمون ان الكلمات الاخيرة يمكن ان تترجم هكذا الذي فيهِ اخطأ الجميع

جواب فأُجيب انني لا انكر بان آدم هو اب عمومي للجميع وان بواسطتهِ دخل زرع الخطية الى كل العالم وان هذا الزرع هو شرٌّ بهِ ويحمل

الانسان ميالاً طبعاً الى الشرور انما لا يستنتج من هذا كلهِ ان الاطفال الذين لم يشتركوا بزرع الخطية هم مذنبون ايضاً ويتضح ذلك مما جاء في رومية "اذ الجميع اخطأوا" فلا يقال عن احد انهُ اخطأ ما لم يرتكب الخطية فعلاً بنفسهِ والضمير اليوناني في الآية المارّ ذكرها يمكن ان يرجع الى ثانتوس (الموت) التي هي اقرب الكلمات اليهِ فيقال هكذا ان آدم بواسطة خطيتهِ ادخل الخطية الى العالم وبواسطة الخطية الموت وبواسطتهِ او بهِ اي بالموت اخطأ الجميع اي فعلاً . فالانسان الخاطى هو من ارتكب الخطية بنفسهِ وهو قادر على ارتكابها فالاطفال اذاً مستثناة وعليهِ قول الرسول في العدد التالي "ان الخطية لا تحسب ان لم يكن ناموس" وقد برهنا سابقاً ان ليس للاطفال ناموس فلذلك ليس على الاطفال ذنب او خطية

اعتراض ثانٍ يعترض ايضاً بقول المرنم مز ٥١:٥ "ها نذا بالاثم صُوِّرت وبالخطية حبلت بي امي" فيدّعون انهُ يقصد بهذا ان الاطفال مذنبون يوم حُبِلَ بهم

جواب اما انا فلا يمكني ان ارى كيف يمكن التوصل من منطوق الآية الى نتيجة كهذه فالاجدر بنا ان ننسب الاثم والخطية الى الوالدين وليس الى الاطفال لانهُ قد قال بالاثم حبِلَت بي امي وليس ان امي حبلت بي كخاطيء فضلاً عن ان تفسيرهم يناقض النصّ الصريح ويؤاخذ الاطفال بذنب والديهم اذ لا ذكر لآدم في الآية التي يستشهدون بها

وقد تقدم من نصّ الكتاب ان الابن لا يحمل من اثم الاب

اعتراض ثالث ويعترض ايضاً بان الرسول قال ان اجرة الخطية هي الموت وبما ان الاولاد معرّضون للمرض والموت وجب ان يكونوا خطأة مذنبين ايضاً

جواب ١ انني اقرّ ان هذه الضعفات هي نتائج السقوط الاّ انني انكر

بانها تدلّ على شرّ كلّ من هو معرَّض اليها لانهُ وان تكن كل الخليقة قد انحطت بسبب سقوط آدم وانها تئنّ تحت البطل وقد قال ايوب "ان السموات هي غير طاهرة في عيني الله" ولكن لا يمكن ان يستنتج من هذا ان الاعشاب والتراب والاشجار هي خاطئة

٢ وان يكن الموت نتيجة السقوط وهو ملازم طبيعة الانسان الارضية فهو ليس اجرة الخطية في القديسين اذ انهُ رقاد ينتقلون بهِ من الموت الى الحياة وهو ليس متعبًا او مؤلمًا لهم نظير باقي قصاصات الخطية حتى ان الرسول يعدّهُ ربحًا في ٢١:١ "لان لي الموت هو ربح"

اعتراض رابع ان حماقة البعض تجعلهم ان لا يقفوا عن حدّ في الاعتراض فكثيرًا ما يعترضون على الصورة الآتية انهُ اذا كانت خطية آدم لا تحسب الاَّ على الذين ارتكبوها بذات فعلهم فكل الاطفال اذًا خالصون

جواب اما انا فاقول انني ارغب بكل فرح وسرور ان تكون نتيجة تعليمنا هذا الامر الذي يعدّهُ مقاومونا سخافة اي ان كل الاطفال خالصون وليس تلك النتيجة التي يستصوبونها هم اي انهم كلهم هالكون الى الابد وذلك ليس لكونهم اخطأُوا بل لان خطية آدم الجدية تلتحق بهم

وهنا اختم المباحثة تاركًا تصويب احد هذين الرأيين للقارئ المسيحي ذي الفهم المستنير اما ذبكلوس موّسس كنائس سويسرة البروتستانتية فقد خطّأ زعم مباحثينا ودحضهُ في كتابهِ De Baptismo ولهذا السبب حرمهُ مجمع ترنت في جلستهِ الخامسة وسأُضيف الى ما ذُكر الخلاصة الآتية فقط

اننا نعتقد ان زرع الخطية قد انتقل من آدم الى كل الجنس البشري الاَّ انهُ لا تحسب خطية على احد ما لم يتحد بعملها ويرتكبها بذات فعلهِ وهذا الزرع لا شك انهُ قد جعل الجميع يخطئون وهو مصدر كل الاعمال والافكار الشريرة في قلوب الناس كما قيل في رو ص ٥ "انهُ بموتهِ اخطأ

الجميع" حتى انهُ يعبّر عن زرع الخطية احيانًا كثيرة في الكتاب المقدس بكلمة الموت او جسد الموت لانهُ بالحقيقة موت لحياة البرّ والقداسة . فزرع الخطية ونتاجهُ يدعيان الانسان العتيق او آدم الاول الذي فيهِ وبهِ كل الخطية ولهذا السبب نسميهِ الخطية المتنقلة كما يدعوهُ الكتاب وليس الخطية الاصلية الاسم الذي فضلاً عن ان الكتاب لم يأتِ على ذكرهِ قد كان السبب لاستطراق هذا الرأي البربري بين المسيحيين خطية آدم تحسب على الاطفال



القضيتان الخامسة والسادسة

الفداء الذي قد عمّ كل الجنس البشري والنور الروحي الذي ينير كل انسان للخلاص

القضية الخامسة

حز ١٨: ٢٣ و ٣٣: ١١

ان الله بمحبتهِ الفائقة الغير المحدودة لا يسرّ بموت الخاطئ بل يشاء ان الجميع يخلصون ويحيون لانهُ هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنهُ الوحيد نوراً للعالم لكي يخلص كل من يؤمن بهِ يو ٣: ١٦ كان النور الذي ينير كل انسان آتياً الى العالم يو ١: ٩ والكل اذا توبخ يُظهَر بالنور اف ٥: ١٣ ويعلم كل تعقل وبرّ وتقوى وينير قلوب الجميع مدة ما للخلاص فهو الذي يوبخ كل فرد على الخطيئة ويهب الخلاص لكل من لا يضادّ او يعاكس علة وهو ليس اقل شمولاً من زرع الخطيئة لانهُ قد اشترى بدم الذي ذاق الموت لاجل كل انسان "لانهُ كما في آدم الاول يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع" ١ كو ١٥: ٢٢

القضية السادسة

انهُ بموجب هذا التعليم الصحيح الثابت يمكننا ان ندحض كل اعتراض على كون المسيح قد مات من اجل جميع الناس ونثبت انهُ في الوقت الحاضر لاحاجة الى الاستناد على خدمة الملائكة والوسائل الغير الاعتيادية التي يزعم البعض ان الله يستخدمها لاجل اعلان تعليم المسيح وتاريخ موتهِ وآلامهِ لانهُ وان كان البعض عائشين في جهات من المعمور لم تصل اليها بشارة الانجيل الخارجية فهم يمكنهم ان يستفيدوا ويتقدموا بالنعمة العامة المعطاة للجميع لانهُ كما يستفاد مما تقدم ان الخلاص كان ممكنًا لبعض الفلاسفة القدماء هكذا الآن ايضًا يمكن بعض الذين اوجدتهم العناية والمقادير في اماكن خارجًا عن نطاق التعليم المسيحي ان يصيروا شركاء الاسرار المقدسة ان قبلوا هذه النعمة المعطى اعلانها لكل واحد للمعرفة ولم يرفضوها ١كو ١٢: ٧ فاذ قد قبلنا هذا التعليم الثابت الصحيح انهُ يوجد في كل انسان نور ونعمة بحسب الانجيل للخلاص وتحققنا شمول رحمة الله ومحبتهُ لكل الجنس البشري سواء كان بموت ابنهِ الحبيب الرب يسوع المسيح او باعلان النور في القلب يمكننا بذلك دحض كل اعتراض يقدمهُ منكرو هذا التعليم فالمسيح قد ذاق الموت لاجل كل واحد عب ٢: ٩ ليس لاجل كل انواع البشر كما يقول البعض بل لاجل كل فرد من افراد البشر ففائدة آلام الفداء لا تنحصر في الذين اكتسبوا المعرفة بواسطة البشارة الخارجية او الاطلاع عليها مما هو مدوَّن في الكتاب المقدس بل تمتدّ ايضًا الى الذين حُرموا من التوصل اليها بالوسائل الخارجية المذكورة بسبب وسائل قُدّر عليهم ان يوجدوا فيها وليس من طاقتهم ازالتها

فكما اننا نعترف ان المعرفة بالطرق المارّ ذكرها هي مريحة وكبيرة الفائدة نحن نعتقد ايضاً ان الذين أُمسكت عنهم هذه الطرق بحسب مشيئته تعالى يمكنهم بدونها ان يصيروا شركاء سرّ موته اذا لم يمنعوا زرع الله ونورهُ من العمل في قلوبهم لانارتها وبهذا النور يمكن الانسان ان يتمتع بالشركة الالهية مع الآب والابن وبه يصير الاشرار قديسين ويطلبون رغبة ومحبة تلك القوة التي بتأثيرها الخفي الداخلي يشعرون انهم يتحولون من سُبُل الشرّ الى الصلاح ويتدربون لكي يعاملوا غيرهم بذات المعاملة التي يرغبونها لانفسهم والسيد المسيح نفسهُ قد صرّح بان هذا الناموس يعمّ الجميع فالذين ينكرون ان المسيح قد مات لاجل كل فرد من افراد الجنس البشري يعلّمون تعليماً كاذباً مضلاً اما الذين يعلّمون بكونه قد مات لاجل كل فرد ولكنهم يقولون ان معرفة موته بطريق البشارة الخارجية هي ضرورية للخلاص فهم لا يعلمون الحق كلهُ وقد ذهب هذا المذهب الارمينيسيون في هولندا وغيرهم ممن يعتقدون بالفداء العام الّا انهم لا يعلّمون بحسب ناموس نور الحياة المقدس الذي في الانجيل وهو ان الرب يسوع المسيح ينير كل انسان يأتي الى العالم كما يثبت جليًّا من نصوص الكتاب الآتية تك ٦: ٣ وتث ٣٠: ١٤ ويو ١: ٧ و٨ و٩ و١٦ ورو ١٠: ٨ وتي ٢: ١١

قد ثبت فيما مضى ان الانسان هو في حالة السقوط والضلال والفساد والانحطاط والآن نتقدم للبحث عن كيفية تحريره من هذه الحالة التعيسة الشقية وعن الوسائل التي يتم بها ذاك التحرير وسآتي على ايضاح هذا في هاتين القضيتين اللتين اذكرهما معاً كقضية واحدة لشدة العلاقة بينهما ولكون الواحدة منهما مفسرة للاخرى

وصف الهلاك المحتوم اما الغرض الذي هو موضع البحث في هاتين القضيتين فهو الهلاك المحتوم او الرفض المطلق الذي يعتقد به البعض دون

تردد ولا خشية قائلين ان الله حسب قصده الثابت الابدي سبق فعين القسم الاكبر من الجنس البشري لهلاك ابدي بقضاء مبرم لا يتغير بقطع النظر عن خلقهم او سقوطهم وبدون التفات الى عصاوتهم او شرهم بل لاظهار سمو عدله للعيان. ولاتمام هذا فعلاً قد سبق فعين هذه النفوس الشقية لتسلك اضطراراً في سبيل الشر لتقع تحت حكم عدالته ولانهُ تعالى لم يسمح بجعلهم عرضة لهذا الشقاء المُبرم في الاقسام العديدة من المعمور حيث مسكت عنهم بشارة الانجيل ومعرفة المسيح فقط بل وفي الاماكن التي يبشر فيها الانجيل ومعرفة الخلاص بالمسيح ايضاً ومع ان الله يدعوهم بالظاهر علناً فهو يقضي عليهم بعد حال كونهِ قد منع عنهم كل نعمة يمكنهم بها قبول بشارة لانهُ بقصد خفي مكتوم عن جميع الناس قد سبق فعينهم بقضاء محتوم (غير منظور فيهِ الى عصاوتهم او شرهم) لكي يسلكوا بالتمرد ولاَّ يتأثروا ببشارة الانجيل للخلاص بل بالحري لكل تعمل هذه البشارة لزيادة المسؤولية وعظم ثقل الدينونة عليهم

فاقول ان هذا التعليم الفظيع المملوء من التجديف متفق معي برفضهِ كثيرون من الذين اتبعوا نص الكتاب بحكمة وتعقل وقد نشر كتابات مسهبة تبين فساده حتى اصبح ما يذكر بخصوصهِ تكراراً لما قد ذكر سابقاً الا انني سانكلم عنهُ بوجه الاختصار اذ لا يسعني الوقت ان اضرب عن ذكرهِ صفحاً حال كوني ارفضهُ بالكلية لانهُ يعاكس ما اعتقد بهِ كل المعاكسة

ان هذا التعليم مستحدث

"اولاً" اننا يمكننا ان نقول بدون تردد ان هذا التعليم مستحدث لانهُ لم يؤتَ على ذكرهِ الا بعد مرور اربعمئة سنة من التاريخ المسيحي وقد اهملهُ الكتبة الاولون ورؤساء الكنيسة وسكتوا عنهُ سكوتاً تاماً لانهم اعتبروهُ مغايراً ومناقضاً لشهادة الكتاب وروح الانجيل لدرجة لا تحتاج الى التوضيح والتنبيه

فعدوه انه ساقط من نفسهِ واول من اتى على ذكرهِ اغوسطينوس في كتاباته الاخيرة . فهو نظراً لحدتهِ وحموهِ في الاحتجاج ضد بلاجيوس قد تفوه بعبارات قليلة تمسك بها البعض فكانت لسوء الحظ اساساً لهذا الزعم الفاسد الباطل المغاير للحقيقة ولتعليم الكثيرين حتى ولتعليم وكتابات اوغسطينوس نفسهُ الذائعة الصيت وبعد ذلك قام راهب اسمهُ دومنيكوس واشاع هو ورهبان طغمتهِ هذا التعليم واخيراً اقتبسهُ يوحنا كلفن (الذي لولا تمسكهُ بهِ لكان يستحق المديح في اكثر مبادئهِ) فوصم نفسهُ بوصمة العار العظيم وثلم صيتهُ وصيت البروتستانت وكل المسيحيين ايضاً

ولقد اثبت اولاً هذا التعليم مجمع دورت الا انهُ لم يلبث طويلاً حتى قل اعتبارهُ واخذ السقوط وخطاهُ اكثر رجال العلم والتقوى من كل الكنائس البروتستانية

اما نحن فلا نقاوم هذا المعتقد لسكوت الاقدمين عنهُ او لقلة الذين يتمسكون بهِ وكثرة مقاوميهِ واتساع علمهم بل لكونهِ غير مؤسس على تعليم السيد المسيح واقوال رسلهِ الكرام ولانهُ جسارة عظيمة على الله نفسهِ عزَّ وجل وعلى يسوع المسيح وسيطنا وفادينا وعلى قوة الانجيل المبارك وشرفهِ وفضيلتهِ وسموهِ واخيراً لكونهِ محطاً بالجنس البشري ومضراً بهِ اشد الضرر

كون هذا التعليم جسارة على الله تعالى

"ثانياً" ان هذا التعليم جسارة عظيمة على الله لانهُ يجعلهُ مصدر الخطية وهذا يناقض طبيعتهُ تعالى غاية المناقضة ولا شك بان مؤيديهِ انفسهم لا يشاؤون ان يكون لتعليمهم هذه النتيجة المريعة الا انهم يخدعون انفسهم بذلك لان الامر صريح وهذه النتيجة واضحة وانكارها مستهجن بل هو بمثابة من ينكر ان مجموع ١ + ٢ = ٣ لانهُ ان كان الله قد قضى على الخطاة بالهلاك

ليس لان اعمالهم شريرة بل لكونه يسر بهلاكهم وانه قد سبق فعين ذلك قبل ان ظهروا الى عالم الوجود وقبل ان كانوا قادرين على عمل الصلاح او ارتكاب الخطية اي انه رتب انهم يجب ان يسلكوا في طريق المعصية ليكون سلوكهم هذا سبباً ثنوياً لهلاكهم فان كان ذلك كذلك فمن هو اذاً الداعي او المسبب لهذا كله سوى الله الذي شاء فقضى؟ وعلى رغم محاولة الكثيرين من مؤيدي هذا التعليم التملص من هذه النتيجة المزعجة فليس لتعليمهم ثمرة سواها وان يكونوا قد جعلوا فروقات وتمييزات عديدة غريبة مبهمة للمدافعة عن ارائهم الا ان البعض من اشهر كتبتهم قد صرحوا بكل وضوح في هذا الموضوع حتى لم يعد من سبيل للشك فيما يعتقدونه وساورد قليلاً من كثير مما قالوه في هذا الصدد . قال كلفن "ان سقوط آدم كان بامر الله وحسب مشيئته إنّ الله شاء ان يسقط الانسان ان الله حسب امره وارادته يوقع الانسان في الارتباك ويعمي باصرته فسبب قساوتنا هو من الله . ان اقوى واعظم سبب للقساوة البشرية هو مشيئة الله" فيستنتج من كل تصريحات كلفن ان مشورة الله المكتوبة هي سبب القساوة

وقد قال بيزا "ان الله قد سبق فقضى على من شاء ليس فقط بالهلاك بارتكاب الاسباب التي تستوجب الهلاك ان قضاء الله لا يمكن استثناؤه من المسببات للفساد"

وقد قال زانيكوس "انه لامر ثابت ان الله هو السبب الاول لتصلب القلب ان المرفوضين هم مقيدون بحكم الله القدير فليس لهم مناص من السلوك في سبل الشر لكي يهلكوا"

وقد قال باذيس "ان راي علمائنا ان الله قد سبق فقضى قضاء محتوماً على الانسان بان يدخل في التجربة ويسقط فالخليقة تخطي اضطراراً بحكم الله الفائق العادل ولقد اصاب علماؤنا باثباتهم ان سقوط الجنس البشري كان

مقدراً محتوماً بحسب تعيين الله وحكمه السابق "

وقد قال مارتير "ان الله يولد في قلوب البشر الميل الى الخطايا العظيمة ويجبرهم على ارتكابها" ثم قال زنكليوس ايضاً "ان الله يدفع اللص لكي يرتكب جريمة القتل فهو يقتل مرغماً الى ذلك بامر الله فان سئل هل يرغم على ارتكاب الخطية اجيب نعم انني اعتقد حقيقة ذلك واقول انه يرتكب الخطية مدفوعاً اضطراراً "

وقد بيسكاتور "ان الهالكين هم معينون حتماً لهذا القضاء المضاعف والعقاب الابدي وعليه فقد عينوا بالضرورة لكي يسلكوا في الشرور لينالوا عقابهم بعدل "

افلا يفهم من كل هذه التصريحات ان الله هو مصدر الخطية ؟ والا فكلام هؤلاء الناس ليس دليلاً على مبادئهم وهذا يدل انهم قد اتخذوا لانفسهم تلك الارادة الحيوانية المزدوجة التي يتوهمون ان الله تعالى منصف بها فتراهم من جهة يصرحون بما تكنه ضمائرهم علانية ومن جهة اخرى يراوغون بطريقة مبهمة مناقضين ما قد صرحوا به اما قولهم ان الانسان يخطي بارادته فلا يفي بالغرض حال كونهم يزعمون ان ارادته الشر وانصبابه اليه وانقياده له هي قضايا مفروضة عليه وانه لا يقدر الا و يكون كذلك لان الله هكذا شاء وسبق فعين وحجتهم هذه تشبه فيما لو اخذت ولداً عاجزاً عن مقاومتي ورميته في هوة عميقة ثم ادعيت ان ثقل الولد مال به الى الاسفل وان عنف سقوطه على صخر او حجر بسبب هذا الميل حطم رأسه واودى بحياته وليس انا لانني كنت بعيداً عنه عندما حطم رأسه وانما هو قتل نفسه لانه يميل للهبوط طوعاً الى الاسفل ولكن بما انه مع وجود عقله ليس له خيار في سقوطه ومع ان ثقل جسده هو الذي سبب هبوطه بعنف واصطدامه بصخر هو سبب موته لانني كما قلت كنت بعيداً عنه فهل يرتاب احد فيمن هو المسبب الحقيقي لموت الولد ؟ انا

ام هو ؟ فليحكم اذاً كل ذي عقل سليم فيما اذا كانوا (بحسب الشواهد المذكورة من اقوالهم) لا يجعلون الله المسؤول الاعظم والمسبب لشرور الناس ومصدر الخطية بل اكثر ظلماً وجوراً من اظلم الظالمين

ثانيًا هذا التعليم يجعل الله يسر بشرور الناس

ثالثاً ب ان هذا التعليم جسارة على الله تعالى عزَّ وجل اذ يظهر منهُ انهُ تعالى يسر بموت الخطاة بل بالحري يرغب ويشتهي ان يموت الكثيرون على خلاف ما يشهد بهِ الكتاب المقدس خر ٣٣: ١١ او١ تيمو ٢: ٤و٢ بط ٣: ٩ لانهُ لو خلق الله الاشرار ليكونوا اشراراً او كما يزعم هؤلاء لاظهار عدلهِ وقدرتهِ فيهم وهكذا حرمهم الوسائط التي بها يستطيعون على الصلاح لانهُ سبق فعينهم لعمل الخطية والتمرغ في الشرور وجعلهم مائلين بل مدفوعين اضطراراً لارتكاب افظع المعاصي . لكان من الضرورة ان يسر بموتهم ويرغب اهلاكهم لان الله تعالى لا يعمل بل لا يستطيع ان يعمل ما هو معاكس لمشيئتهِ

رابعاً ت ان هذا التعليم هو افتراء على يسوع المسيح وسيطنا وعلى سمو تعليم الانجيل ويخل بعملهِ كوسيط ايضاً فكأن المسيح بعملهِ لم ينقض الحائط المتوسط تماماً ولا ازال غضب الله عن كل الجنس البشري ومنحهم محبتهُ لانهُ قد سبق فعين معظمهم ان لا يستفيدوا بواسطتهِ شيئاً وعلى هذا لا يليق ان يقال بان موتهُ كان كافياً لخلاص العالم اجمع لان قوة هذا الموت ليست شاملة ولا تؤهل كامل الجنس البشري للخلاص

يجعل بشارة الانجيل سخرية

ث ان هذا التعليم يجعل بشارة الانجيل هزءًا وسخرية اذ يستفاد منهُ ان اكثر الذين يسمعون الكلمة قد قضي عليهم قضاء مبرماً الَّا ينتفعوا بها وعليهِ

فلا فائدة من التبشير بالايمان والتعزية ولا من مواعيد الكتاب وتهديداتهِ لانهُ قد قضي بها بتعيين سابق ولا بد ان يتم وما على الانسان الا ان يترقب اوان حدوثهِ ان خيرًا وان شرًا حتى ولو في آخر ساعة من الحياة فان كان من صف المختارين ولا بد من قبولهِ البشارة فيخلص وان كان من المرفوضين فعبثًا يزيد في الجد والانتظار فهو لا يمكنهُ اقتناءها

ج ان هذا التعليم يجعل مجيء المسيح وذبيحة الكفارة الذين يشهد الكتاب بكونهما ثمرة محبة الله للعالم لمغفرة خطايا جميع الناس وخلاصهم دليلاً على غضب الله على الانسان وشدة دينونتهِ لهُ وعظم احتقارهِ للجنس البشري لان الخلاص قد تعين بواسطتهما لفئة قليلة من البشر وقد قضى على معظم الجنس البشري ان يتصلبوا لزيادة دينونتهم لانهم لم يؤْمنوا بحقيقة تلك الذبيحة وسبب عدم ايمانهم على زعم اولئك ليس الاَّ قضاء الله المحتوم وعلى هذا فمجيء المسيح اذًا لم يكن عربون محبة الله بل علامة سخطهِ الغير المتناهي واذا اطلق اسم عالم على السواد الاعظم من الناس العائشين على وجه هذه البسيطة فالله بحسب هذا التعليم لم يحب العالم قط بل اظهر بارسالهِ ابنهُ لكي يصلب عنهم بغضهُ وكرههُ لهم

يجعل الناس اشقى من الشياطين

خامسًا ان هذا التعليم محط جدًا بالجنس البشري ويجعل منزلتهم اشقى جدا من منزلة الشياطين في جهنم لان هؤُلاء كانوا مرة اهلاً لان يقفوا امام الله وما يقاسونهُ الآن من آلام العذاب هو بسبب ذنب صدر منهم انفسهم ولكن ملايين كثيرة من البشر حسب هذا الزعم الفاسد ستقاسي آلام العذاب الى الابد بسبب خطية آدم التي لم يعرفوها مطلقًا ولا اشتركوا بها بل هم اشقى من وحوش البرية لان هذه لا يطلب منها سوى اتمام ما تستطيع عملهُ ومتى ماتت يكون

لها الموت نهاية شقائها اما البشر فسيقيمون الى الابد في العذاب لانهم لم يتمموا ما لا يستطيعون اتمامهُ وحالتهم ايضاً اشقى جداً من الاسرائيليين تحت ظلم فرعون لانهُ وان يكن امسك عن الاسرائيليين التبن فهم بالكد والعمل باجتهاد كانوا قادرين ان يجمعوهُ اما هؤلاء الملايين من البشر فقد منع الله عنهم وسائل الخلاص بحيث يتعذر عليهم الحصول عليهِ

حالة تانتالوس افلا يضع هذا التعليم الجنس البشري في حالة اشبه بحالة تانتالوس الذي وصفهُ الشعراء بانهُ وهو في حالة الظماء الشديد كان مغموراً بالماء الى ذقنهِ دون ان يستطيع التوصل لكي يبرد ولو طرف لسانهِ وكان يقاسي الم الجوع ايضاً وهو محاط بالاثمار المدلاة حولهُ من كل جانب وتكاد تمس شفتيهِ الا انها قد وضعت هكذا لكي لا يستطيع مسها باسنانهِ لسد جوعهِ فقرب الماء والفاكهة لم يكن لارواء ظماه اوسد جوعهِ بل ليزيد في عذابهِ فيحسب هؤلاء الناس ان عمل العناية الالهية وتبكيت الضمير يكفيان لاقناع الوثني بخطيتهِ ليس للخلاص بل لزيادة الدينونة ووقوع القضاء الرهيب عليهِ بعدل ويحسبون ايضاً ان بشارة الانجيل وتقدمة الخلاص بالمسيح ومناولة عشاء الرب والصلوة والاعمال الصالحة هي ايضاً لزيادة دينونة المرفوضين الموجودين في الكنيسة ومع انها تعلمهم ايماناً خارجياً وتولد فيهم رجاء باطلاً فهي لا تجديهم اقل نفع ولا تقربهم خطوة واحدة في طريق الخلاص ذلك لضعف خفي رافقهم منذ الطفولية ووجود هذه الوسائل كان ويكون لزيادة الدينونة عليهم ولتشديد عذاباتهم الى درجة لا تطاق

فالآن اذ قد ثبت فساد هذا التعليم الكاذب بوجه الاختصار فاصبح كل ذي بصيرة قادراً ان يدرك انهُ تعليم مرفوض علمياً ودينياً انتقدم في الكلام عن موضوع قضيتنا الاصلي " وهو ان الله بمحبتهِ الغير المحدودة الذي لا يسر بموت الخاطي بل يريد ان يخلص الجميع ويجيون قد ارسل ابنهُ

الوحيد الى العالم لكي يخلص بهِ" وقد سبقت الاشارة الى ذلك في اول القضية السادسة بهذه الكلمات ان المسيح قد ذاق الموت عن كل فرد من افراد البشر ولكون هذه القضية صريحة واضحة من كلمات الكتاب المقدس فلا احتاج الى الاسهاب في البرهان ولا سيما لان الكثيرين غيري قد اجتهدوا في الدفاع عن الفداء العام طبقًا لشهادة الكتاب وساقتصر في البحث على ايضاح كلما هو جدير بالذكر وفيهِ فائدة خصوصية لنا

كون فداء المسيح عامًا ينافي ان البعض مرفوضون رفضًا مطلقًا

سادسًا ان تعليم الفداء العام او موت المسيح لاجل كل الناس تثبتهُ شهادة الكتاب الصريحة حتى انهُ لا يوجد تعليم من مبادي الايمان المسيحي تكرر ذكرهُ في الكتاب بطريقة ثابتة جلية نظيرهُ وهذا ما يجعلنا نسمي الوعظ بالمسيح بشارة اي اعلان خبر مفرح وقد اعلن الملاك للرعاة مجيء المسيح على هذا المنوال بقولهِ لو ٢: ١٠ "وها انا ابشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب" لم يقل لبعض الشعب فلو ان مجيء المسيح لم يجعل الخلاص ممكنًا لجميع الناس لكان الاحرى ان نسميهِ اعلان خبر محزن مكدر للجانب الاكبر من الشعب ولما كان يحق للملائكة ان يسبحوا الله قائلين "وعلى الارض السلام وبالناس المسرة" حال كونهِ قد اغلق اضطرارًا حتى الانتفاع بمجيء المسيح المخلص عن القسم الاعظم من الجنس البشري والمسيح نفسهُ ارسل رسلهُ ليكرزوا بالانجيل للخليقة كلها مرقس ١٦: ١٥ (وقد فوضهم تفويضًا مطلقًا) ان يكرزوا بالانجيل لكل فرد من افراد الجنس البشري ذكورًا واناثًا بدون استثناء واوصاهم ان يكرزوا بالخلاص والتوبة ومغفرة الخطايا للجميع ايضًا معلمين ومنذرين كل انسان وكما قد كتب بولس الرسول كو ١: ٢٨ فكيف كان ممكنًا لهم لخدام

المسيح ان يكرزوا بالانجيل بيقين ثابت لكل انسان لو كان الخلاص بتلك البشارة غير ممكن للجميع

الانجيل يكرز بهِ لكل انسان ثم اذا فرض صحة ما يزعمون ماذا يجيب اولئك الكارزون من الرسل لو وجه اليهم احد هذا السؤال هل مات المسيح من اجلي ؟ ام ماذا يجيب عليهِ معلمو هذا التعليم في وقتنا الحاضر ؟ فهل يمكن ان يجاوب صريحًا ؟ اما اذا اجيب على صورة الشرط كما في عادة مؤيدي هذا المعتقد اي ان يجاب اذا ثبت فالمسيح قد مات من اجلك فماذا يجيبون لو سئلوا بعد ذلك . هل مات المسيح لاجلي لكي تكون التوبة ممكنة لي ؟ ان هذا السؤال يبكمهم عن الجواب فيلتجئون الى التملص عن طريق المحال ولقد قيل ما اجمل اقدام المبشرين بانجيل السلام وذلك لانهم يبشرون بالخلاص العام بالتوبة للجميع يسوع المسيح الذي قدم نفسهُ فدية عن الجميع وباب هذه الرحمة وهذا الرجاء مفتوح للجميع وحق الدخول مباح لكل من يشاء

سخافة تعليم الرفض التام الانجيل يدعو الجميع وحاشا ان يقصد المسيح ان يخدع القسم الاكبر من العالم حينما صرح " تعالوا اليَّ يا جميع المتعبين والثقلي الاحمال وانا اريحكم ؟ لانهُ ان كان يدعو لكل فرد فينبغي ان يكون الخلاص ممكنًا لكل فرد لانهُ ما من احد يضطر الى طلب ما هو محال فلو طلبهُ المسيح لعد ذلك هزءا وسخرية بالجنس البشري وعليهِ فالذين ينكرون شمول موت المسيح وخلاصهِ لكافة الجنس البشري يجدفون على الله والمخلص قد اوصى ايضًا رسلهُ ان يكرزوا مبشرين بالخلاص للجميع وكان كرازتهم هذه خداع للعالم لانهُ في الوقت نفسهِ قد سبق فعين انهُ غير ممكن للجميع قبول البشرى او لانهم ايضًا من هذا القول ان الرب يرسل خدامهُ بافواه كاذبة (الامر الذي مجرد الافتكار بهِ يعد تجديفًا) لانهُ يوصيهم ان يدعوا الجميع للايمان انهُ قد مات لاجل كل فرد واشترى بموتهِ لكل الحياة والخلاص حال

كونه قد سبق فعين انه لا يقبل الجميع اما المسيح فبعد قيامتهِ واتمامهِ عمل الفداء اوصى بان يبشر بالتوبة مغفرة الخطايا والخلاص للجميع وهذا يثبت انه مات عن الجميع وبما انه اله كل حق فهو لا يهزأ بالجنس البشري الضعيف بل بقصد تمام ما اوصى اما كون الله ايضاً لا يطالب احداً بعمل يتعذر عليهِ القيام بهِ فهو حقيقة تنطبق كل الانطباق على عقل كل فرد من افراد الجنس البشري وهي بالاحرى مشيئة الله اله العدل والرحمة وحاشا عدله ان يأمر احداً من الناس ان يؤمن ويتوب و يجعل ذلك غير ميسور له

(سابعاً) ثم اننا اذا تصفحنا الكتاب نرى انه لا يوجد فيهِ آية تشير الى ان المسيح لم يمت من اجل الجميع بل بالعكس انه يوجد آيات عديدة تبين بجلاء كونهُ تم الفداء عن الجميع ١ تيمو ٢: ١ و٣ و٤ "فاطلبوا اول كل شيء ان تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لاجل جميع الناس لان هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله الذي يريد ان جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون وفي العدد السادس "الذي بذل نفسهُ فدية لاجل الجميع الشهادة في اوقاتها الخاصة" فهل يوجد كلام اوضح من هذا يثبت ما تقدم الا اذا اعتبرنا ان الرسول يتكلم بخلاف ما يقصدهُ ويعتقد بهِ

لان الرسول بحسب نص الكتاب يوصيهم ان يصلوا لاجل جميع الناس وهذا يؤيد البراهين التي اوردناها وينفي اعتراض مناومينا لانهُ حسب زعمهم ان المسيح لم يصلِّ لاجل كل الناس وهو لا يشاء ايضاً ان نصلي نحن لاجل الجميع لانهُ لا يريد ان الجميع يخلصون اذ قد سبق فعين كثيرين للهلاك لكي يظهر عدله فيهم اما الرسول فقد نفى كل ابهام او اعتراض بقولهِ "انهُ حسن ومقبول لدى مخلصنا الله الذي يريد ان الجميع يخلصون" فهل يا ترى كان يمكن ان تثبت او تبين هذه المسئلة باكثر جلاء . ام هل يمكن ان يوجد قضيتان متناقضتان ومتباينتان اكثر من هاتين القضيتين اذا نظر اليهما حسب

اعتقاد مناظرينا الذين كانهم يقولون "ان الله لا يريد ان يخلص بعض الناس" حال كونه تعالى "يريد ان جميع الناس يخلصون" وان يهلك احد فان كانت هذه الاخيرة صادقة كما ثبت من كلام الرسول فالاولى مردودة ومرفوضة لانه كل قضيتين متناقضتين اذا صحت الواحدة فسدت الاخرى وعليه نختم الآن برهان ما سبقنا فذكرناهُ ان الله يريد ان يخلصوا بكلماته الآتية "الذي قدم نفسهُ فدية لاجل الجميع" فكانه يقول بما ان المسيح نفسهُ قد جعل هذا برهان محبة الله للعالم بقولهِ في يوحنا ٣:١٦ "لانهُ هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنهُ الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية" واذا قابلنا هذه الآية بما جاء في ١ يوحنا ٤:٩ نرى ان كلمة (كل من) انما هي مطلقة وغير محدودة فلا يستثنى احد بموجبها وسابني مما تقدم الاقيسة المنطقية الآتية

قياس اول ان كل الذين تجوز الصلوة لاجل خلاصهم ممكن
والصلوة جائزة لاجل كل فرد من افراد البشر
لذلك الخلاص ممكن لكل فرد من افراد الناس

قياس ثانٍ اما القضية الكبرى فاثبتها بحسب القياس الآتي
لا يجبر احد قط بان يصلي لاجل امر لا يمكن الحصول عليهِ
ولكن كل واحد بحسب الوصية مطالب بان يصلي لاجل كل الناس
فبناء عليهِ ان ما يصلّى لاجلهِ ممكن الحصول عليهِ من جهة كل انسان

قياس ثالث ولدينا ايضاً برهان آخر
لا يجب ان يصلي احد الا بالايمان
اما الذي يصلي لاجل شيء يتيقن الحصول عليهِ مستحيل الحصول عليهِ فهو غير مؤمن بما يصلي لاجلهِ
لذلك فالمؤمن لا يصلي لاجل ما يتيقن ان الحصول عليهِ مستحيل

قياس رابع ان ما يريده الله ليس بمستحيل
والله يريد كل الناس ان يخلصوا
لذلك ليس بمستحيل ان يخلص جميع الناس

قياس خامس اخيراً ان الخلاص ممكن لكل من قدم مخلصنا نفسهُ فدية عنهُ
مخلصنا قدم نفسهُ فدية عن الجميع
فاذاً الخلاص ممكن للجميع

البرهان الاول

(ثامناً) ان حقيقة ما تقدم تثبت بوضوح مما جاء في عب ٢: ٩ "ولكن الذي وضع قليلاً عن الملائكة يسوع نراهُ مكللاً بالمجد والكرامة من اجل ألم الموت لكي يذوق بنعمة الله الموت لاجل كل واحد"

فلا يخفى عن كل ذي بصيرة ان الامر صريح واضح لانهُ ان كان قد ذاق الموت لاجل كل واحد فلا يوجد انسان لم يمت المسيح من اجلهِ وبالنتيجة انهُ لا يوجد انسان الا ويشترك بالفائدة التي قدمها موت المسيح لانهُ لم يأت الى العالم ليدين العالم بل ليخلص بهِ العالم يو ٣: ١٧ "لم يأتِ ليدين العالم بل ليخلّص العالم يو ١٢: ٤٧" اما تعليم مناظرينا فيفيد الناس اي ان المسيح قد جاء لكي يدين العالم وليس لكي يخلص بهِ العالم او لكي يخلص العالم لانهُ ان كان جاء بقصد ان يهلك القسم الاكبر من الجنس البشري وليزيد الدينونة عليهم فقد خالف بذلك ظاهر شهادتهِ الواضحة عن نفسهِ التي اثبتها بولس الرسول بطريقة ايجابية كما تقدم سابقاً اذ قال "ان الله يريد الجميع ان يخلصوا واثبتها بطرس الرسول على الوجه السلبي قائلاً ان الله لا يريد هلاك احد ٢ بط ٣: ٩ "لا يتباطأ الرب عن وعدهِ كما يحسب قوم التباطؤ لكنهُ يتأنى علينا

وهو لا يشاء ان يهلك اناس بل ان يقبل الجميع الى التوبة" وهذا ينطبق على ما ذكر في نبوة حزقيال ٣٣: ١١ "قل لهم حي انا يقول السيد الرب اني لا اسر بموت الشرير بل بان يرجع الشرير عن طريقهِ ويحيا

البرهان الثاني اذا كان لنا اقل ثقة بالايمان بالله والاتكال عليهِ فلا يجب ان يخامرنا شك او نسمح لانفسنا ان نتكر ان يقصد بكل هذه التصريحات التي تكلم بها بفم عبيدهِ ان يخدعنا لانهُ انما تكلم بجد وتاكيد فان لم تؤثر فينا رغبتهُ ومشيئتهُ فاللوم علينا كما سيتضح مما يأتي وهذا التأثير يستحيل الحصول عليهِ فيما لو كنا لسنا اهلاً للخلاص ولو لم يمت المسيح عنا جميعاً فنوال الخلاص حينئذٍ غير مستطاع وهذا يخالف الحقيقة لانهُ مـــاذا يقصد بالدعوات المتعددة الحارة والتوبيخ والتبكيت على الشرور والحض على تركها والمناداة بالتوبة والرجوع اليهِ تعالى وقد تكرر ورودها في الكتاب وهاك بعضها "فلماذا تموتون يا بيت اسرائيل لماذا لا تقبلون اليَّ فيكون لكم حياة" طلبتكم لاجمعكم قرعت على باب قلوبكم ألم تجلبوا الهلاك على انفسكم دعوتكم كل النهار فلو كان الذين وجهت اليهم هذه الدعوة غير اهل للخلاص اي تستحيل نجاتهم فهل من الممكن ان يدعوهم الله هكذا وحاشا ان نقع بهذا الضلال ونظن الله تعالى عزّ وجلّ كمؤلفي الروايات ومشخصيها الذين يسلبون المتفرجين ويحركون عواطفهم بحوادث وهمية خيالية وغريبة مدهشة ثم يسكنونها وبتمثيلهم يحملونهم تارة الى درجة قصوى من السرور والرجاء وطوراً الى اعماق اليأس والقنوط وما ذلك سوى خداع وتمويه للوصول الى الغاية المطلوبة

البرهان الثالث ان تعليمنا هذا ينطبق على ما صرح بهِ يوحنا الرسول ١ يو ٢: ١ و٢ "وان اخطأ احد فلنا شفيع يسوع المسيح البار هو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم ايضاً" فالطريقة

التي يتخذها مناظرونا للتملّص من هذه الشهادةْ السخيفة المضحكة اذ يقولون ان المقصود بالعالم هنا عالم المؤمنين . اما هذا التفسير فهو مبني على قولهم فقط وهو لا يوافق الحقيقة ولا يلائي قوة العدد والا فليروني ان امكنهم موضعاً في كل الكتاب يقصد بكلمة "العالم" عالم المؤمنين فقط . اما انا فساريهم انه في مواضع متعددة يقصد بها عكس ما يزعمون كما ورد في الآيات التالية "العالم لا يعرفني" "العالم لا يقبلني" "انا لست من العالم" وما جاء ايضاً في الآيات التالية مز ١٧: ١٤ اس ٨: ١١ مت ١٨: ٧ يو ٧: ٧ و ٨: ٢٦ و ١٢: ١٩ و ١٤: ١٧ و ١٥: ١٨ و ١٩ و ١٧: ١٤ ويع ١: ٢٧ و ٢ بط ٢: ٢٠ و ١ يو ٢: ١٥ و ٣: ١ و ٤: ٤ و ٥ وغير ذلك

(٢) ان الرسول في هذه الآية نفسها يميّز بين العالم والقديسين بقوله وليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم ايضاً فما هو قصد الرسول بقوله خطايانا ألا يقصد بها خطايا المؤمنين ؟ ألم يكن هو من المؤمنين ؟ او لم تكن تلك الرسالة عمومية مكتوبة لكل المؤمنين في ذلك الزمان . فبحسب تفسير مناظرينا يجب ان يكون كلام الرسول مشوّشاً ومكرراً بجهالة فكانه يقول وهو كفارة ليس لخطايا جميع المؤمنين فقط بل لخطايا جميع المؤمنين ايضا ألا يجعل هذا التفسير كلام الرسول لغواً وخالياً من المعنى . ثم فليرنا المناظرون آية في الكتاب المقدس يذكر فيها الكاتب اولاً المؤمنين وهو من جملتهم ويميزهم عن غيرهم من المؤمنين في كل العالم . اما لفظة كل المؤمنين اذا قُصد بها عالم المؤمنين فالعالم هو غير العالم الذي نحن فيه والرسول نفسهُ يفسّر كلامهُ في موضع آخر وهو بلا شك خير مفسّر لكلام نفسه لانهُ يستعمل ذات الجملة في موضع آخر من الرسالة نفسها على اسلوب يفسّر الاول ص ٥: ١٩ نعلم اننا نحن من الله والعالم كلهُ قد وضع في الشرير وقلما يرد في الكتاب آيتان اكثر تماثلاً في المعنى نظير هاتين الآيتين ففي كليهما وبذات

الرسالة ولذات الاشخاص بميّز تعسة القديسين الذين يكتب اليهم عن العالم الذي حسب تفسير اولئك يجب ان يفهم منهُ انهم "عالم المؤمنين" فكأنَّ يوحنا الرسول قال نحن نعلم ان بعض المؤمنين الخصوصيين من الله ولكن كل عالم المؤمنين قد وضع في الشرير أفلا يحسب هذا تحريفاً باطلاً لآيات الكتاب ولكون هذه الآية الاخيرة تساوي الاولى معنى ولا تختلف عنها وجب ان يكون لها اعتبار واحد . فقد قصد يوحنا ان يصرح قائلاً ان المسيح لم يمت لاجلهِ ولاجل القديسين واعضاء كنيسة الله الذين كتب اليهم فقط بل لاجل كل العالم ايضاً وقولهُ هذا يجب ان يتخذ حقيقة ثابتة لا ريب فيها ولا يليق ان نعير اقل التفات الى مماحكات المضادين

دعوة الوثنيين للخلاص وعدم الحكم بالهلاك على انسان بتعيين سابق

ويمكنني ان آتي ببراهين اخرى عديدة من الكتاب المقدس الا ان المقام لا يفتقر الى زيادة برهانٍ وجميع الآباء ومعلمو الكنيسة في الاربعة القرون الاولى علّموا بهذا التعليم وكانوا ينادون بهِ بشجاعة مبشرين الجميع بانجيل المسيح وموتهِ مخاطبين اولئك الوثنيين ومتضرعين اليهم لكي يأتوا ويصيروا شركاء فوائد هذا الموت مصرحين لهم ان الباب مفتوح لجميعهم لكي يخلصوا بالرب يسوع المسيح ولم يذكر لهم قط ان الله قد سبق فقضى على البعض منهم ان يكونوا معينين للهلاك وانهم لا يمكنهم الحصول على الخلاص لان قوة نعمة الايمان اللازمة لهُ قد امسكت عنهم واقوال علماء الكنيسة بهذا الصدد كثيرة فسأقتصر على ذكر قليل منها

قال اغسطينوس في شرحهِ المزمور ٩٥ ان دم المسيح ثمين جداً حتى انهُ لا يقل قيمة عن كل العالم

وقال بروسبر "ان فادي الانام بذل نفسهُ عن كل العالم ولكن ليس كل العالم يقبل الفداء لان الظلمة لا تقبل النور وكل من يقول ان المخلص لم يُصلَب لاجل فداء جميع العالم لا ينظر الى قوة ذبيحة الرب بل الى نصيب الملحدين لان دم الرب يسوع المسيح هو ثمن جميع العالم انما الذين يؤْثرون البقاء في العبودية التي هم فيها والذين بعد ان نالوا الحرية عادوا القهقرى راجعين الى عبوديتهم السابقة هم لا يزالون بسبب تصرفهم وباختيارهم غرباء عن الفداء"

وبروسبر نفسهُ في ردّهِ على اعتراض قنسنت الاول يقول "انهُ نظرًا لوجود طبيعة واحدة مشتركة وغاية واحدة في حقيقة الفداء الذي تممهُ ربنا يسوع المسيح فحقًا يمكننا ان نقول ان الفداء قد تم من اجل الجميع. اما الخلاص من العبودية الذي هو سر الفداء فيناله فقط اولئك الذين اغلقوا قلوبهم عن قبول رئيس هذا العالم. فهم ليسوا فيما بعد آنية للشيطان بل اعضاء المسيح الذي قد مات هبة عن كل الجنس البشري وفداء لكل من لم يتجدد بعد. فمن ثمَّ ما قد تم بواسطة واحد عن الجميع يتسنّى للجميع ولكل واحد الاستفادة بهِ بطريقة عجيبة لان كأْس الخلود الممزوج من ضعفنا والقوة الالهية فيهِ فائدة مباحة للجميع انما لا يحصل على الفائدة الا من يشرب منهُ"

وقد قال المؤلف دي فوكات "لا شك ان الرب يسوع المسيح قد ذاق الموت لاجل الاشرار والخطاة فان امكن وجود احد بدون خطية فلا يكون المسيح قد مات من اجل الجميع فهو اذًا قد جعل نفسهُ فاديًا لجميع العالم"

سبب بقائهم في الظلمة

وقال الذهبي الفم في شرحهِ للاصحاح الاول من يوحنا "فاذا كان ينير كل انسان آتيًا الى العالم فما هو سبب بقاء كثيرين بدون النور؟ لان ليس الجميع يؤْمنون بالمسيح. فكيف ينير اذًا كل انسان؟ نعم انهُ ينير حقًا وذلك

بما فيهِ من قوة الانارة. لكن اذا اختار اناس ان يغمضوا اعين عقولهم او يحوّلوها عن اشعة النور فبقاؤُهم في الظلمة ليس ناتجًا عن طبيعة النور بل عن خبثهم لانهم قد جعلوا انفسهم غير مستحقين هذه الهبة العظيمة فسبب عدم ايمان الذين لا يؤْمنون هو لانهم لم يشاءوا ان يؤْمنوا اما المسيح فقد تمم عملهُ"

والمجمع الاريلانسي الملتئم سنة ٤٩٠ حكم باللعنة على كل من يقول ان المسيح لم يمت لاجل الجميع او انهُ لا يريد ان الجميع يخلصون

اذا لم تدخل اشعة الشمس فلا حرارة

وقال أمبروز في موعظتهِ الثامنة عن مز ١١٨ ان شمس البر السرية تشرق على الجميع وقد تألم ايضًا وقام من اجل الجميع فهو اذًا قد تألم ليرفع خطية كل العالم فان كان احد لا يؤْمن بالمسيح يكون قد حرم نفسهُ من هذه الفائدة العمومية ومثلهُ مثل من يقفل شبابيك غرفتهِ لكي يمنع دخول اشعة الشمس اليها. فبعملهِ هذا لا يمكننا من القول ان الشمس لا تشرق على الجميع لكون هذا الانسان حرم نفسهُ من التمتع بحرارتها لان الشمس تصدر على الدوام ما هو من طبيعتها ولا يحرم من فائدة نورها سوى من كان عديم الحكمة والفهم"

وقد قال هو نفسهُ ايضًا في كتابهِ الحادي عشر الفصل ١٢ في الكلام عن قايين وهابيل "لذلك هو اعطى الجميع وسائل الصحة فكل من يهلك يكون قد سبب الموت لذاتهِ لانهُ اختار ان يمتنع عن اخذ العلاج الشافي الذي باخذهِ يحيي حياتهُ"

(تاسعًا) فاذ قد اتضح لنا ان التعليم بموت المسيح العام عن الجميع هو حقيقة لا ريب فيها وينطبق كل الانطباق على شهادة الكتاب ومبادئ العصور القديمة النقية القويمة ألا يعد من الغرابة العظيمة جهورُ كثيرين ممن يعتبرون

من العلماء الانقياء في مهاوي الضلال العظيمة هذه . وعند النظر الى الطرق التي بشر بها بالفداء وبعمل موتهِ يتضح لنا سبب ذلك التهوُّر فلما لم تكن قوة وفاعلية موت المسيح لجميع الناس مفهومة كل الفهم صار التعليم بها على نسق غير صحيح ومضلّ

اضاليل البلاجسيين فترى ان البلاجسيين الذين ينسبون كل شيء الى ارادة الانسان وطبيعتهِ فقط انكروا انهُ قد اتصل اليهِ زرع الخطية الاصلية من آدم. والنصف البلاجسيين الذين يعتبرون ان النعمة هي عطية بالنسبة الى استحقاق الانسان وارتقائهِ ارتقاء صحيحًا بحسب الطبيعة وما يتوصل اليهِ من معرفة المبادىء طبقًا للمثل المشهور Faciento Quaod in se est, Deux non denegat gratiam اي افعل ما تراهُ بامكانك فالله لا يحرمك من نعمتهِ

تطرُّف بعض الشارحين حاسبين الله مصدر الخطية وهذه الاقوال وما اشبهها جعلت اغسطينوس وبروسبر وغيرهما من مقاومي هذه المبادىء يبالغون في تعظيم عمل نعمة الله وتقبيح شدة فساد طبيعة الانسان حتى حملهم الامر الى التطرف الى الجهة المعاكسة فكانوا بهذا كمن يريد تقويم عصًا معوجة وهكذا كان الحال ايضًا مع لوثيروس وغيرهِ الذين رأوا الاقاويل الغريبة التي علم بها بعض المعلمين الباباويين من جهة حرية الارادة. اذ كانوا في كلها يعظمون طبيعة الانسان ويهملون النظر الى نعمة الله فتطرفوا هم ايضًا الى الجهة الثانية واقعين في نفس الخطإ الا ان اللوثريين بعد ذلك تنبهوا لغلطهم لما رأوا تطرف كلفن واتباعه (فهو اذ كان عظيم التفنن والدهاء وسبق النظر عزم على ان يبرهن ان قد سبق فعين كل الواسطة والغاية ايضًا فعلى زعمهِ ان الله قد رتبه ان الانسان يجب ان يخطئ وهو تعالى يحركهُ على ارتكاب الخطية وقد افرغ جهدهُ وبالغ بالمدافعة عن هذا المبدا السخيف الذي بموجبهِ يتعين

كون الله مصدر الخطية) وفي جهاده ومحاماته بجدة عن هذا الموضوع نبه اللوثريين فادركوا فساد هذا التعليم ورفضوهُ كما يتبين جليًا من كتابات ملانكثن الاخيرة . وقد جاهر لوقا اوسياندر في احد المجامع قائلاً ان هذا التعليم باطل وتجديف فظيع لانهُ يجعل الله مصدر الخطية

وبما انهُ بعد الاصلاح ما من احد من الذين يعلّمون بالفداء العام قدم شهادة واضحة وشرح بجلاء مقدمًا البراهين الصريحة الكافية مبينًا كونهُ شاملاً للجميع فتقصيرهم عن بيان كمال ناموس الانجيل بيانًا تامًا زاد الآخرين تثبيتًا في اضاليلهم التي سابينها في المثال الآتي

ان الارمينيوسيين وغيرهم ممن يعلّمون بشمول النعمة يتخذون لهم برهانًا رئيسيًا القياس الآتي

ان ما يضطر كل انسان لان يؤمن بهِ هو صحيح
ولكن كل انسان يضطر لان يؤمن بان المسيح مات لاجلهِ
ولذلك فالايمان بكون المسيح مات لاجل كل انسان هو صحيح

ان مذهب فئة من الارمينيوسيين يثبت قضاء الرفض المطلق

اما الفريق الآخر فينكر صحة هذا القياس قائلاً ان الذين لم يسمعوا عن المسيح ليسوا مطالبين بالايمان بهِ وبما ان الارمينيوسيين انفسهم يعترفون انهُ بدون معرفة المسيح الخارجية لا يوجد خلاص فاعترافهم هذا يؤيد القياس الذي يقدمهُ الفريق الآخر مثبتًا قضاء الرفض المطلق لانهم يقولون اننا نرى حقيقة وفعلاً ان الله قد امسك عن اجيال كثيرة وشعوب متعددة تلك المعرفة التي هي ضرورية جدًا للخلاص وذلك بجعلهِ التوصل الى تلك المعرفة امرًا مستحيلاً عليهم. فلماذا يا ترى لا يمكن ان يمسك عنهم ايضًا النعمة التي هي ضرورية للناس تلك المعرفة المخلصة حينما يكرز بها؟ اذ اننا بهذا القول

تنسب الى الله ظلماً او تعرضاً اكثر مما في القول انه ترك اولئك في جهالة كلية لانه بامساكه النعمة يكون قد منع عنهم وسيلة ادراك غاية الايمان. اما بامساكه المعرفة فيكون قد امسك غاية الايمان نفسها وحينئذٍ رداً على هذا يضطر الارمنيوسيون الى بسط نتيجة فرحهم السابق على هذه الصورة اي بما ان المسيح مات عن الجميع وبما ان الله عادل ورحوم فهو اذا رأى ان الوثنيين الذين يعيشون في الاماكن البعيدة التي لا توجد فيها معرفة المسيح الخارجية قد استفادوا من المعرفة العامة التي عندهم والتي هي غاية ايمانهم لانهم يستدلون منها على وجود اله فالرب بعنايته اما ان يرسل لهم ملاكاً يبشرهم بالمسيح او يوصل اليهم الكتاب المقدس او يوجدهم في حالة يتمكنون بها من الاجتماع بمن يبين لهم ذلك. وهذا كله يعطي اهمية كبرى لقوة ارادة الانسان الطبيعية بل يشتم منه ولو قليلاً رائحة مذهب السنوسيين والبلاجسيين او بالحري النصف بلاجسيين ولكن بما انه مبني على افتراضات يرجحون صحتها فهو ليس برهاناً كافياً لاقناع من قد غرس وتعمق في عقله التعليم الآخر. كما انه لا يبين جلياً للعقل والادراك نظام عدل الله ورحمته نحو الجميع وانه ليظهر لي غالباً ان الذين يؤيدون مذهب ثبوت النعمة الشاملة قد افرغوا الجهد في تخطئة ودحض تعليم مضاديهم الباطلة اكثر مما اهتموا في بيان صحة تعليمهم نفسه وحقيقة بسطه مع انهم لديهم براهين كافية من الكتاب المقدس تثبت بان موت المسيح عام شامل للجميع فلا يستثني او يحرم احد بقضاء او بتعيين سابق من نوال الخلاص

لا احد مستثنى من الخلاص بقضاء لا ينقض ونرى انهم لما يطلب منهم ايضاح ما تقدم ذكره من ان الله منح الجميع على السواء الاهلية وامكان الاشتراك بفائدة موت المسيح لاجل الجميع مسهلاً للجميع السبيل الى ذلك يظهر كانهم يقفون مدهوشين ومتحيرين حيرة عظيمة او يلتجئون الى تخميناتهم

المبنية على حجة قد افترضوا ترجيح صحتها اي انه بما ان المسيح قد مات عن الجميع فالله لم يمنع الخلاص عن احد فيجب اذًا ان يوجد واسطة ما يمكنهم بها الخلاص وذلك اما بالانتباه الى النعمة العامة او بالاستدلال من مصنوعات الخليقة والعناية الالهية ولا يعدون الى تقديم براهين دامغة واقيسة روحية مقنعة تبين ما هي حقيقة تلك الواسطة

(عاشرًا) يستنتج مما تقدم ان الظلمة والضلال عن الحق لم يغشيا العالم العالم المسيحي دفعةً واحدة بل دخلا اليه تدريجًا الى ان انتشر ذلك البرقع الكثيف الذي اعمى عيون الشعوب من القرن السابع والثامن الى القرن السادس عشر كما ينسدل ظلام الليل على الخليقة الخارجية فهو لا يغشى كل الكرة الارضية دفعة واحدة بل بالتدريج كلما توارت الشمس تحت خطٍ على كل افق وعلى ذات النمط شروق ذلك النور البهي ومعرفة ناموس انجيل المسيح المجيد لم يظهرا دفعة واحدة لان عمل الشهود الاولين اتجه نحو ملاشاة الزيغان المتلبدة ودحضها اكثر مما الى اثبات الحق وطهارته لان من يريد ان يجدد بناء المدينة عليه ان يزيل الردم القديم المتراكم قبلما يضع الاساس الجديد ومن ينقل الى بيت قذر ملآن من الاوساخ عليه ان يكنس البيت ويطهرهُ من الاقذار قبل ان يضع فيه امتعتهُ واثاثهُ الجديد وهكذا بنور الفجر ينقشع ديجور الظلام وتظهر لنا الاشياء الكبيرة الواضحة فقط ثم عندما تشرق اشعة الشمس الساطعة تنجلي لنا امور عديدة دقيقة وكلما ارتفعت وانارتنا بملء لمعانها كلما امكننا ان نتصفحها بدقة واتقان وهكذا يمكننا ان نقول عن اختبار صحيح ثابت وبكل جراءة ان البروتستانت الاولين والباباوية القديمة لم ينتظروا بزوغ تلك الشمس الساطعة لكي يتمكنوا من فحص الامور بدقة واتقان بل اسسوا وبنوا من غير ان يجروا التطهيرات اللازمة وهذا كان السبب العظيم لكثير من الاغلاط والاضاليل التي نجم عنها اضرارٌ جسيمة لذلك

السيد الرب الذي يشاء ان يعلم الانسان ويعلن له معرفة الحق الازلي التامة بحسب ما يراهُ موافقاً. حسن لديهِ أن يبقي كشف غوامض ناموس انجليهِ المجيد كشفاً تاماً الى عصرنا هذا

ابقاء اعلان ناموس الانجيل الى عصرنا على انهُ قد قام كثيرون من المعلمين الشهيرين في عصور مختلفة وقدموا شهادات عديدة جلية صحيحة كما سيتضح مما سوف اذكرهُ . ولاجل مجد نعمتهِ ولكي لايفتخر احد قد قام البعض من ذوي المقامات الوضيعة والمحتقرين البسطاء الغير المتعلمين ليكونوا ادوات مختارة لنشر بشرى الانجيل وفك رموزهِ بطريقة واضحة ثابتة يمكننا بواسطتها ازالة كل الترددات والشكوك والاعتراضات المبينة آنفاً وتأييد واثبات عدل الله ورحمتهِ وطبيعتها الالهية المقدسة السموية وبهذا يشهد لارواحنا ايضاً نور الانجيل بحسب المعرفة المعلنة بيسوع المسيح ربنا واختبارنا الحسي المختوم بشهادة الروح في قلوبنا وهكذا يمكننا ان نثبت بثقة تامة الامور الآتية اثباتاً واضحاً بحسب منطوق شهادة الكتاب المقدس

القضية الاولى

(حادي عشر) (١) ان الله الذي بمحبتهِ الفائقة ارسل ابنهُ يسوع المسيح الى العالم لكي يذوق الموت لاجل كل انسان " قد عيّن لكل واحد يهودياً كان ام امميّاً ام هندياً ام بربرياً من اي امة او قبيلة يوماً او زمان افتقاد فيهِ يمكنهُ ان يخلص ويكون مشاركاً للمسيح في ثمرة موتهِ

القضية الثانية قياس نور في الجميع

(٢) ان الله قد منح لهذه الغاية كل انسان مقداراً من نور ابنهِ ونعمتهِ وروحهِ ويعبر عن هذا في الكتاب بتعاليم متنوّعة نحو " زرع الملكوت "

مت ١٢: ١٨ و١٩ "والنور الذي يظهر كل شيء" اف ٥: ١٣ "وكلمة الله" رو ١٠: ١٧ "اظهار الروح المعطى للمنفعة" ١ كو ١٢: ٧ "ووزنة" مت ٢٥: ١٥ "وخميرة" مت ١٣: ٣٣ "والانجيل المكروز بهِ في كل الخليقة" كو ١: ٢٣

القضية الثالثة خلاص الله تمّ بواسطة النور المعطى للجميع

(٣) ان الله يدعو كل انسان بواسطة هذا النور او الزرع منبهاً ومحرضاً اياهُ بالحاح لكي يخلص وكل من يقبل هذا النور ولا يقاومهُ يعمل فيهِ للخلاص حتى ولو كان يجهل موت المسيح وآلامهُ وسقوط آدم لانهُ ينبه كل البشر للشعور بتعاستهم فيشتركون داخلياً بآلام المسيح ومن ثم يصيرون شركاء قيامتهِ عندما يسيرون في طريق القداسة والطهارة فيعتقون من خطاياهم. وبهِ يخلص ايضاً الذين عندهم معرفة المسيح الخارجية لانهُ يفتح اذهانهم لكي يفهموا حقيقة ما هو مدوَّن في الكتاب المقدس ويسلكوا بحسبهِ سائرين في طريق الخلاص ولكن يمكن ان البعض من هذين الفريقين يقاومون عمل هذا النور ويرفضونهُ فحينئذٍ يكونون قد قاوموا الله ورفضوهُ وهم يصلبون الرب يسوع ويشهرونهُ علانية فيصير هذا النور لهم دينونة اعظم

النتيجة الاولى فلنا من هذا التعليم اولاً ان رحمة الله معلنة للجميع بطريقة جلية واضحة بحيث لا يستثنى احد من خلاصهِ وبهذا يتضح عدلهُ اذ انهُ تعالى لا يأتي باحد الى الدينونة ما لم يكن اولاً يبين لهُ طريقة الخلاص بمحيط الوسائل الكافية التي ترشدهُ اليهِ

النتيجة الثانية ان هذا التعليم يظهر عند اقل تأمل انهُ اساس الديانة المسيحية والثقة والخلاص

النتيجة الثالثة انهُ ينطبق على مواعيد الانجيل وتهديداتهِ وعلى فائدة وظيفة المسيح الذي يبشر بالانجيل والخلاص والتوبة للخليقة كلها دون

التفات الى الاجناس او الانساب او اللغات

النتيجة الرابعة انهُ يعظّم ويغبط استحقاقات المسيح وموتهُ ليس فقط لانهما كافيان لخلاص الجميع بل لكونهما قريبان من كل واحد اقترابًا يمهد للجميع طريق الخلاص

النتيجة الخامسة انهُ يقدم نعمة الله على كل شيء لانها مصدر كل صلاح فاقلّ عمل او حركة نحو الصلاح هو منها وكل اقتناع او استنارة في النفس نحو الخلاص ناجم عنها

النتيجة السادسة انهُ يناقض ويدحض التعليم الباطل الكاذب الذي ابتدعهُ البلاجسيون والسوسينيون وغيرهم الذين يقدمون نور الطبيعة وحرية ارادة الانسان. لانهُ ينفي كون الانسان الطبيعي لهُ اقل مقدرة من جهة خلاصهِ فهو لا يقدر ان يأتي بعمل او حركة ما من ذاتهِ ما لم يوقظهُ روح الله ويدفعهُ الى ذلك

النتيجة السابعة انهُ يظهر بان خلاص الانسان منوط بالله تعالى فقط كما ان دينونتهُ هي متوقفة على الانسان نفسهِ عندما يرفض او يقاوم عمل الله الذي ينبههُ ويحثهُ نعم بل ويرغمهُ على التسليم بانهُ قد استحق حكم الله العادل القاضي باهمالهِ ورفضهِ

النتيجة الثامنة انهُ يزيل كل اسباب اليأس والقنوط لانهُ يضع في الانسان رجاء وثقة امكانية الحصول على الخلاص وبما انهُ لا يمكن احد ان يتحقق ميعاد اجلهِ فهو على الدوام يحث ويحرض ويشجع كل انسان لكي يترك الشر ويلتصق بالخير

النتيجة التاسعة انهُ يشهد بصدق الديانة المسيحية للجميع ويثبت صحتها بطريقة عجيبة مؤيدًا ذلك من اختبار كل انسان لانهُ لا يوجد احد على وجه البسيطة مهما كان بربريًا متوحشًا الا يقرانهُ شعر بشيء في قلبهِ يؤنبهُ ويبكتهُ

على شرور ارتكبها ويهدده بالويل وسوء العاقبة اذا أصرّ على مداومته السلوك في تلك الخطة . اما اذا لم يقاوم تبكيت هذا الصوت الخفي بل اذعن لما يوحيه اليه فيشعر بسلام وفرح داخلي يعده بحياة السعادة والهناء

النتيجة العاشرة انه يظهر بطريقة عجيبة حكمة الله الفائقة التي بها قد جعل وسائل الخلاص عمومية شاملة يستغنى بها عن المعجزات والعجائب اذ انه بحسب هذا التعليم الصحيح تصل بشرى الانجيل الى الجميع على اختلاف احوالهم ومذاهبهم وجنسيتهم

النتيجة الحادية عشرة ان جميع مبشري الديانة المسيحية ومعلميها والذين ينادون بها في كل الاجيال وان كانوا لا يكثرون الكلام في هذا الموضوع فهم باعمالهم يؤيدونه ويثبتونه حتى الذين يحكمون بتخطئته بالقول ايضاً لان الجميع دون استثناء في كل بلد او شعب اوامة حيثما وُجدوا كانوا ولا يزالون ينادون بالبشرى لكل فرد مصرحين ان الخلاص ممكن للجميع طالبين منهم ومتوسلين اليهم ان يؤمنوا بالمسيح الذي مات من اجلهم. وعلى هذه الكيفية ترى ان ما ينكرهُ البعض في المباحثات المخصوصة يعترفون به هم انفسهم لكل فرد من افراد البشر بطريقة عمومية اذ يحثون كل واحد بقولهم ان المسيح يدعوهُ ويطلب منهُ برغبة والحاح ان يؤمن لكي يخلص وانهُ ان رفض الدعوة يدان ويكون هو الجاني على نفسهِ والقاضي عليها بالدينونة فمما تقدم يظهر عظم ثبوت هذا التعليم فهو حق واضح بزعم مقاوميهِ ان يؤيدوهُ ويدافعوا عنهُ عن غير قصد

النتيجة الثانية عشرة ان هذا التعليم يجعل القياس السابق الذي استعملهُ الارمينيون واهلهُ الكلفنيون (وهو ان كل احد مضطر بان يؤمن ان المسيح مات من اجلهِ) سديداً ثابتاً لا يمكن ردهُ وذلك عند تغيير مفروضهِ فيصير هكذا

ان ما يضطر كل انسان ان يؤمن بهِ صحيح
ولكن كل انسان يضطر بان يؤمن بان الله رحمة
لذلك الايمان بكون الله يرحم كل انسان صحيح

ولايقدر احد ان ينكر هذا الفرض لان الكتاب يقول ان مراحمهُ على كل اعمالهِ وشهادة الكتاب بان الله برحمتهِ يدعو الخطاة الى التوبة هادياً اياهم الى طريق الخلاص صريحة واضحة فمع ان الذين لم يسمعوا بتاريخ موت المسيح وآلامهِ ليسوا مضطرين لان يعرفوا ذلك التاريخ ويؤمنوا بهِ الا انهم مضطرون ضرورة لان يؤمنوا ان الله رحيم نحوهم لكونهِ يؤنبهم ويبكتهم على عمل الشر ويحثهم وينشطهم على عمل الصلاح

رأي من يقول ان الله عديم الرحمة

فيجب ان لايعتقد احد البشر ان الله عديم الرحمة عليهِ او ان الله من البدء قد عينهُ لكي يأتي الى هذا العالم تاركاً اياهُ لكي يتبع اهواءهُ واميالهُ الشريرة ويتمرغ في المعاصي وذلك لكي يأتي الى الدينونة الابدية التي قد عينهُ لها ولو فرض صحة ما يزعمهُ مخاصمونا عن الوف من الناس فانا لا نرى سبباً يمنع الانسان من الايمان لان الانسان يقدر ان يؤمن بالحق

وبما ان الامر جلي ان هذه النتائج الحسنة هي ثمرة الايمان بهذا التعليم الصحيح كان الاتيان على ذكرها وايراد براهينها مما يزيد هذا التعليم ايضاحاً وبياناً. انما قبل ان اتقدم الى ذلك ارى انهُ من المناسب ان ابسط مواد هذه المباحثة لكي تنجلي هذه المسألة تماماً لان عدم فهم اركان المحاورة كثيراً ما يسبب التباساً يجعل الاقيسة والاعتراضات تخطيء الغرض المقصود اما متى أُبينت بجلاء فيصير ادراكها قريب المنال والحكم بها صريحاً يسهل فهمهُ

المسألة الاولى

(١٢) اولاً اننا لا نعني باليوم او زمان الافتقاد الذي يهبهُ الله للجميع وفيهِ يتسنى لكل واحد الخلاص كامل حياة كل انسان وان يكن قد يتأخر زمان افتقاد البعض الى ساعة الموت كما كانت الحال في مثال اللص الذي مات على الصليب ونال الخلاص انما يهم كل انسان ان يعرف زمان افتقادهِ وانهُ كافٍ لهُ لكي يتوب اذا شاء فان لم يتب يدينهُ الله دينونة عادلة يجرها على نفسهِ فلا لوم عليهِ عزَّ وجلَّ

كثيرون يعيشون بعد فوات يوم افتقادهم اما كون يوم الافتقاد متقدماً او متأخراً فذلك بحسب حكمتهِ تعالى الفائقة الادراك وكثيرون لا يغتنمون هذه الفرصة فلا يعود يتسنى لهم الخلاص فيما بعد بل يتركهم الله يزدادون قساوة وتصلباً قصاصاً لعدم ايمانهم ويقيهم آلات غضب وضربة على بعضهم البعض وينطبق عليهم تمام الانطباق معنى الآيات التي يسيء البعض فهمها واستعمالها. فيعلمون قائلين ان الله يغري الناس على ارتكاب الشرور كما يكتب الرسول صريحاً في رو ١ من عدد ١٧ الى نهاية الاصحاح وخصوصاً في العدد ٢٨ حيث يقول "وكما لم يستحسنوا ان يبقوا الله في معرفتهم اسلمهم الله الى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق". ولنا مثال ايضاً على ان الكثيرين يعيشون بعد انتهاء يوم افتقادهم عيسو كما يقول عب ١٢: ١٦ و١٧ فهو اذ باع البكورية التي كانت تخصهُ ولهُ حق بان يحفظها لنفسهِ عندما طلب البركة بعدئذٍ رفض مع انها كانت لهُ بحسب الارث. ومما يثبت هذا ايضاً بكاء المسيح على اورشليم "لو ١٩: ٤٢ اذ يقول" انكِ لو علمتِ انتِ ايضاً حتى في يومكِ هذا ما هو لسلامكِ ولكن الآن قد اخفي عن عينيكِ" ومن هذا يتبين انهُ كان لهم فرصة وقتاً ما ان يعرفوا ما هو لسلامهم وقد فاتتهم تلك الفرصة مع انهم لم

يزالوا في قيد الحياة وسيأتي الكلام عن كل ذلك بالتفصيل

المسألة الثانية

(١٣) اننا بقولنا زرع الله ونعمتهِ وكلمتهِ ونورهِ الذي بهِ يستنير كل انسان وينال منهُ ايضاً مقياساً يحثهُ لكي يسلك في طريق الخلاص (انما عناد الانسان وشرهُ قد يطفئهُ ويسحق ويجرح بل يصلب ويجرح ويقتل هذا المقياس) لا يقصد انهُ يؤخذ جزء من جوهر روح الله الحقيقي نفسهِ لان روح الله لا يتجزأ ولا ينقسم بل هو كائن طاهر وبسيط للغاية خالٍ من كل تركيب وتقسيم وعليهِ لا يمكن ان يقاوم او يسحق او يجرح او يصلب او يقتل ولا تؤثر فيهِ كلّ قوى الانسان ومساعيهِ بل نعني بذلك مقياس من روح سماوي غير منظور يسكن فيهِ الله كآب وابن وروح يوجد في كل انسان كحياة مجيدة مقدسة وكزرع يميل بطبعهِ ويدعوهُ الى الله والاقتراب منهُ وهذا ما نسميهِ Vehiculum Dei او جسد المسيح الروحي الذي نزل من السماء والذي يغتذي بهِ القديسين وفيهِ ينمون الى حياة ابدية . وبما ان هذا النور والزرع يشهد ضد كل خطية ويبكت عليها فاعمال الشر والاثم تؤذيهِ وتجرحهُ وتقتلهُ فيبتعد عنها كما يبتعد جسد الانسان عما يخالف طبيعتهُ ولكونهِ لا ينفصل قط عن الله والرب يسوع بل حيثما وجد يكون الله والمسيح معهُ وبهذا المعنى يقال انهُ عندما يقاوَم هذا الزرع ويذَل ان الله نفسهُ يقاوَم ويهان والرب يسوع المسيح يصلَب ويذبَح اما اذا قبل في الصلب وسمح لهُ ان يأتي بنتائجهِ الطبيعية فهناك يكون الرب يسوع المسيح وهناك ينمو. والكتاب المقدس يأتي على ذكرهِ مراراً عديدة بقولهِ "الانسان الجديد" "والمسيح الحال في الداخل" "ورجاء المجد" فهذا هو المسيح الحالّ في الداخل الذي نتكلم عنهُ كثيراً ونعظ ونكرز بهِ في كل مكان وندعو كل بشر ليؤمنوا بالنور

وينقادوا اليهِ لكي يختبروا معرفة المسيح الداخلية ويحصلوا على النجاة من كل شر وخطية انما نحن لا نقصد بهذا ان نساوي انفسنا بذلك الانسان القدوس الرب يسوع المسيح الذي وُلد من مريم العذراء والذي فيهِ كل ملء اللاهوت جسديًا . او اننا ننكر حقيقة وجودهِ في الوقت الحاضر كما يتهمنا البعض باطلاً لاننا مع كوننا نعتقد بان الرب يسوع يسكن فينا فنحن نعتقد انهُ ليس حالاً بذات جوهرهِ الحقيقي بل بواسطة نورهِ وزرعهِ الساكن فينا

ونحن نرفض علانية هرطقة آريوس الذي انكر وجود نفس المسيح قائلاً ان اللاهوت فقط كان يحرك جسدهُ كما اننا نرفض ايضًا ضلال يوتيخس الذي قال ان الناسوت كان مبتلعًا باللاهوت ونعتقد صريحًا انهُ كان انسانًا حقيقيًا كاملاً وسيبقى هكذا ممجدًا في السموات بالنفس والجسد وبهِ ايضًا سيدين الله العالم في يوم الدينونة الرهيب العظيم

المسألة الثالثة

(١٤) **ان النور جوهر روحي تشعر بهِ النفس وتدركهُ** ثالثًا اننا لا ننظر الى هذا الزرع او النور او النعمة كامر عرضي كما يدعي البعض بجهالة بل نعتقد انهُ جوهر روحي حقيقي تستطيع نفس الانسان ان تشعر بهِ وتدركهُ ومنهُ تنشأ الولادة الروحية الداخلية الحقيقية في المؤمنين التي تدعى الخليقة الجديدة او الانسان الجديد في القلب

اما الجسديون فيستغربون ذلك لانهم لا يعرفونهُ اما نحن فنعرفهُ ونشعر بهِ باختبار ثابت حقيقي اذ يتعذر على الانسان ادراك هذه الحقيقة بواسطة الحكمة البشرية لانها انما يشعر بها داخليًا فلا يستفيد كثيرًا من يقبلها في مخيلتهِ التصورية فقط اما نحن فاننا قادرون ان نظهر انهُ امر حقيقي وان ايماننا مبني على اساس وطيد متين لان هذا الزرع الداخلي الجوهري الذي يتأصل في

قلوبنا و يغتذي وينمو يولد فينا تلك الحواس الروحية التي بها يمكن ان نرى امور الله ونشها ونذوقها ونمارسها لان الانسان لا يقدر ان يتوصل الى هذه الامور بروحهِ الطبيعية وحواسهِ كما قد تبين سابقاً

ثم اننا نعلم ان هذا الزرع هو جوهر او مادة لانهُ يمكن ان يوجد في قلوب الاشرار حتى وهم بعد في شرورهم ومعاصيهم كما سيتبين مما سنذكرهُ بالتفصيل . اما العرض فلا يمكن ان يكون في شيء الا ويكسب ذلك الشيء خواصهُ فالبياض مثلاً عرض فاذا وجد في شيء سمي ابيض . والقداسة هي عرض ايضاً تكسب الانسان خواصها ويمكننا ان نميز بينها وبين زرع الله القدوس الذي هو مادة فلا يمكن ان يوصف الانسان بالقداسة ما لم يقبل زرع الله القدوس وينمو فيهِ وحينئذٍ نسميهِ قديساً

عمل زرع الله التدريجي في قلب الانسان

اما زرع الله القدوس فلكونهِ مادة يمكن ان يوجد في قلب الانسان ويبقى هناك حبة مجردة في ارض صخرية الا انهُ يميز كما يمكن ان يميز بين الصحة والعلاج فالصحة امر عرضي او صفة لا يمكن ان توجد في انسان الا ويكون صحيحاً . اما العلاج فلكونهِ مادة يمكن ان يكون احياناً في جسم عليل سقيم . اما متى ابتدأ ذلك الجسم ان يحس بفعل الدواء فحينئذٍ يمكننا ان نسميهُ من وجه صحيحاً ومن آخر عليلاً فعلى ذات النسق العلاج الروحي متى وجد محلاً لقبولهِ في قلب الانسان فهو يعمل فيهِ للقداسة والصلاح من بعض الجهات الا انهُ يبقى فيهِ اقسام مفسودة او بعض اميال شريرة وغير طاهرة . ولما يوجد في قسم ما عرضان متناقضان كالصحة والمرض يغلب وصفهُ بالاقوى منهما وعلى هذا يمكن ان يدعى كثيرون قديسين بالحق ورجال الله الاتقياء عندما يعمل فيهم هذا الزرع المقدس ويتأصل في قلوبهم وعلى نوع ما يجعلهم يميلون الى طبيعتهِ ولو

كانوا لا يزالون عرضة لضعفات عديدة حتى الى السقوط في بعض الخطايا وكما اننا لا نطلق اسم اشرار على الاتقياء الذين احيانًا بسبب الضعف تتغلب عليهم التجربة ويقعون في الخطية هكذا لا يمكننا ان نطلق اسم قديسين على الاشرار الذين يتمرغون في الشرور بسبب عمل عملوهُ لان الصلاح غير متصل فيهم

المسألة الرابعة

(١٥) **غفران الخطايا محصور بالمسيح وحدهُ** رابعًا اننا لا نقصد بهذا ان ننقص قيمة او اعتبار كفارة ذبيحة المسيح او نخفض مقامها بل بالعكس نرفعها ونعظها وكما اننا نصدق كل ما كتب في الكتاب المقدس عن ميلاد المسيح وحياتهِ وعجائبهِ وآلامهِ وقيامتهِ وصعودهِ هكذا نؤمن انهُ يجب على كل الذين يُسَرّ الله ان يعلن لهم هذه الامور ويكشف لهم معرفتها ان يصدّقوا حقيقتها لان عدم تصديقها والايمان بها بعد هذا التصريح الواضح هو الحاد مهلك بل هو رفض صريح لعمل زرع الله القدوس الذي ياتي بكل من يصغي الى تنبيهاتهِ الى الايمان بها بحسب الطريقة المعلنة لهُ ومع انهُ لا يعلن لكل انسان المعرفة الخارجية الصريحة الواضحة فهو بكل الاحوال يرشد نحو تلك المعرفة كما يشاء ان يعلنها لهُ

وكما اننا نؤمن ايمانًا ثابتًا بان مجيء المسيح قد كان ضروريًا للغاية لكي يقدم نفسهُ بموتهِ وآلامهِ ذبيحة لله عن خطايانا "الذي حمل خطايانا هو نفسهُ على الخشبة" ١ بط ٢: ٢٤ فمغفرة الخطايا التي يقدر كل انسان ان يتمتع بها لا يمكن نوالها الا بواسطة تلك الذبيحة المرضية فقط لانهُ باطاعة الواحد سيجعل الكثيرين ابرارًا وكما ان الجميع يشتركون بسقوط آدم بسبب ذلك الزرع الشرير الذي امتدَّ بواسطتهِ الى جميعهم لجعلهِ اياهم يميلون الى الشر طبعًا وان يكن الوف والوف منهم لا يعلمون شيئًا البتة عن ذلك السقوط ولا اتصل بهم

خبر اكل: تلك الثمرة المنهيّ عنها هكذا ايضاً يمكن الكثيرون ان يشعروا بقوة وتأثير ذلك الزرع القدوس والنور الالهي ويرتدُّوا بواسطتهِ من عمل الشر الى فعل الخير وان كانوا لا يعلمون شيئاً عن مجيء المسيح بالجسد ذاك الذي بواسطة طاعتهِ وآلامهِ اجتازت اليهم تلك القوة . وكما اننا نعتقد ان كل من شاءت العناية الالهية ان تمنحهم نعمة التوصل الى معرفة تاريخ مجيء المسيح يجب ان يؤمنوا بهِ هكذا نؤمن ونعترف ان التوصل الى تلك المعرفة يمنح الذين ينقادون بواسطة ذلك النور الالهي والزرع القدوس تعزية عظيمة لاجل تقوية ايمانهم وتشجيعهم لكي يقتفوا المثال الذي تركهُ لنا ذاك الذي تألم من اجلنا ١ بط ٢: ٢١ "تاركاً لنا مثالاً لكي تتبع خطواتهِ" لاننا كثيراً ما نتقوى ونتشجع باقوالهِ الخارجة من فيهِ فاذاً معرفة تاريخ حياة المسيح وموتهِ هي مفيدة ومعزية لنا اذا كانت مقرونة بالسر الالهي اما ذلك السر فهو نافع ومفيد دون معرفة التاريخ الخارجي معرفة صريحة

(خامساً) ان ما تقدم يقودنا للبحث فيما اذا كان المسيح موجوداً في كل انسان وكثيراً ما وجه الينا هذا السؤال واجتهد البعض ان يبرهنوا باقيسة مختلفة عكس ما قد صرحنا بهِ في كتاباتنا العديدة وخطبنا العلنية من ان المسيح موجود في كل بشر وقد كنا نطلب بالحاح من الجماهير ان يعرفوا الرب يسوع المسيح الساكن فيهم قائلين لهم ان المسيح بالحقيقة فيهم وفي هذه المناسبة سانقدم في الكلام لاجل ازالة كل ابهام او سوء مفهومية في هذا الامر الجوهري

لقد سبق القول انهُ يوجد في كل انسان نور روحي الهي فائق الطبيعة وان هذا النور او الزرع الالهي الفائق الطبيعة هو Vehiculum Dei اي جسد المسيح وان الله والمسيح يسكنان فيهِ ولا ينفصلان عنهُ البتة وقلنا ايضاً انهُ اذا قبلهُ القلب وتأصل فيهِ يتكوَّن المسيح ويولد في ذلك القلب الا انني لم اقل البتة ان المسيح يتكوَّن ويولد في كل انسان او في احد الاشرار لان نوال ذلك امر

عظيم وبولس الرسول قد افرغ جهدهُ لكي يقنع الغلاطيين لكي يحصلوا عليهِ فالمسيح ليس في كل بشر بطريق الاتحاد او بطريق السكن (اذا فهم بالسكن الاتحاد) وكما يكون في القديسين كما يذكر الرسول في ٢ كو ٦: ١٦ "وساسكن فيهم واسير بينهم" ولكن بالنظر لكون المسيح كزرع في كل انسان وانهُ لا ينفصل ولا يمكن انفصالهُ عن الزرع الطاهر المقدس. والنور الالهي الكائن في كل انسان فيمكننا القول على وجه اعم انهُ موجود في كل بشر كما بينا سابقاً والكتاب يقول عا ٢: ١٣ بان الله يضغط كما تضغط العجلة الملآنة حزماً والقول ان المسيح يُصلب من الاشرار وهذا كلهُ على سبيل المجاز وليس على سبيل الحقيقة الحرفية لان الله نفسهُ لا يمكن ان يضغط حقيقة والمسيح نفسهُ كالهٍ لا يمكن ان يُصلَب ايضاً انما يقال ذلك من قبيل وجودهِ كزرع في كل بشر. وبهذا الاعتبار فقط يمكن ان يقال ان المسيح موجود في الجميع وعلى هذا نعلم وننبه الجميع ان ينظروا الى المسيح الكائن فيهم والموجود في قلوبهم مصلوباً بواسطة ذنوبهم وخطاياهم لكي ينظروا الى الذين طعنوهُ ويتوبوا. وكما يمكن ان يقال انهُ مقتول ومدفون فيهم يمكن ان يقال انهُ يملك في قلوب الجميع. وبولس الرسول قد علَّم بذلك اهل كورنثوس وغلاطية ١ كو ٢: ٢ قائلاً لهم ان المسيح مصلوب فيهم وهذا هو المسيح الذي كان يرغب الرسول في ان يعرفهُ في داخل قلوبهم معلناً لهم فيها ايضاً لكي يشعروا بانهم قد صلبوا رب المجد ويتوبوا عن خطاياهم فيخلصوا لانهُ كما ان المسيح يُدعى على سبيل المجاز ذلك النور الذي ينير كل انسان ونور العالم يمكن ان يدعى ذلك النور على سبيل المجاز ايضاً المسيح الذي هو ينبوع كل نور ويسكن في النور الى الابد وهكذا احياناً يقصد بنور المسيح المسيح نفسهُ لكونهِ فيهِ ولا ينفصل عنهُ البتة

قوى الانسان العاقلة

(١٦) فيظهر جلياً مما تقدم اننا لا نعتبر هذا الجوهر الالهي جزءاً من طبيعة

الانسان او بقية من الصلاح الذي خسره آدم بسقوطهِ بل نعتبره جوهراً قائماً بنفسهِ وليس نفس الانسان او مجموع قواها . وقد اخطأ اخصامنا جداً بايهامهم ايانا اننا نعلّم بالنور الطبيعي او نور ضمير الانسان الطبيعي الامر الذي نحن براءٌ منهُ وكذا الذين يتمسكون بمذهبي سوسينيوس وبلاجوس الذين يزعمون خطأً وعن غير تعمد الضرر اننا نعظ بقوة طبيعتهِ من قوى النفس . على اننا نتفق معهم بحقيقة تلك القوة وان خالفناهم بتسميتها اختلافاً عظيماً جداً جوهريا لاننا نعتقد ليس فقط ان هذا النور هو جوهر ممتاز عن نفس الانسان ومجموع قواها بل هو ذو طبيعة تختلف عنها كل الاختلاف . نعم اننا نعترف ان الانسان مخلوق ذو مفكرة عاقلة وان البداهة هي من قوى نفسهِ الطبيعية وبها يميز الامور المعقولة ويملك بحسب فطرتهِ قوى عاقلة جوهرية تمكنهُ دون سائر الحيوان من اقتباس الفنون والعلوم الكثيرة ولا ننكر ايضاً انهُ بواسطة هذه القوى العاقلة يمكنهُ ان يدرك بقوة دماغهِ وتصورهِ معرفة الله والامور الروحية الا انهُ كما قد بينا باسهاب في القضية الثانية لا يقدر ان يستفيد شيئاً عن الخلاص بهذه الموهبة بل بالحري هي التي تعيقهُ لانها ليست القوى المعينة لادراكهِ وهي سبب الالحاد العظيم لان الانسان سعى بان يدرك الامور الالهية بقواهُ العاقلة الطبيعية واجتهد ان يرتب ديانة بحسب ذوقهِ ولم ينتبه الى ارشاد ذلك الجوهر الحقيقي او زرع الله في القلب واضعاً اياهُ في زوايا النسيان وبهذا المعنى وعلى هذه الطريقة العامة يكون المسيح الكاذب قد جعل نفسهُ قائماً في هيكل الله كالهِ بل مترفعاً على الله

وجود المسيح الكاذب في هيكل الله قال الرسول ان الانسان هو هيكل للروح القدس ١ كو ٦: ١٩ فعندما يسمح الانسان للقوى العاقلة ان تحلّ في مقام تترفع بهِ على الزرع الالهي وتستقل بالحكم والتصرف بالامور الروحية فهي اذ ذاك تجرح روح الله القدوس في القلب وتسحقهُ وتكون كمسيح

دجال في الانسان تعظم على مسيح الله نفسه وتقاوم عمله. مع ذلك نحن لا نقصد بكلامنا هذا ان العقل قد منح للانسان صدفة او انه عديم النفع والفائدة كلاَّ بل نعتبر انه هو القوة التي تستحق ان تتسلط على تدبير شؤونه الطبيعية لانه كما ان الله قد وضع النيرين العظيمين الشمس والقمر لينيرا عالمنا الخارجي جاعلاً النيّر الاكبر لحكم النهار والنير الاصغر لحكم الليل هكذا قد منح الانسان نور ابنه النور الالهي الروحي ليتسلط عليه ويرشدهُ في الامور الروحية ونور العقل لكي يدبرهُ في الامور الجسدية

الفرق بين النور الالهي وعقل الانسان الطبيعي فكما ان القمر يستمد نورهُ من الشمس هكذا يجب على الانسان ان يستنير عقله بالنور الالهي الطاهر النقي اذا شاء ان يسير في الصراط المستقيم ويسلك في سبيل العدل والاستقامة في هذا العالم لان الذين يسيرون ويسلكون في النور الالهي يستفيدون ويتدرَّبون روحيًّا كما يستفيد جسديًّا الذين يتدرَّبون في امورهم العالمية متبعين ما ترشدهم اليهِ قواهم العاقلة

الفرق بين النور الالهي وضمير الانسان الطبيعي وهذا النور هو غير ضمير الانسان الطبيعي لان ضمير الانسان الطبيعي هو نتيجة ادراك قوى نفسهِ الطبيعية فيحتمل سقوطه في الخطإ والفساد كما يذكر صريحًا في تي ١: ١٥ "بل قد تنجس ذهنهم ايضًا وضميرهم" اما النور الالهي فلا يمكن ان يسقط في الخطإ والفساد لان الكتاب يقول اف ٥: ١٣ ولكن الكل اذا توبخ يظهر بالنور فهو اذًا شاهد امين على شر الانسان اما التحديد الحقيقي للفظة ضمير وفي اللاتينية Conecre اي عرف فهو تلك المعرفة الكائنة في عقل الانسان عما يوافق او يخالف معتقدهُ والتي بها يدرك انه تعدى عندما يفعل امرًا قد اقتنع بوجوب الامتناع عنه

الضمير الفاسد فاذا زاغ العقل او فسد باقتناعهِ خطأً بمعتقد

باطل فايمانه بذلك المعتقد يولّد فيهِ ضميرًا يبكتهُ اذا خالف معتقدهُ الفاسد كالبعض الذين دينهم يمنعهم عن بعض الاطعمة او الاشربة التي لا يؤثّر اكلها او شربها في النفس فضميرهم يبكتهم اذا اكلوا او شربوا ما هو ممنوع عندهم ولكنهم في الوقت ذاتهِ يقدمون على ارتكاب افظع الشرور اتباعًا لوحي ضميرهم لان ديانتهم تجيز لهم ارتكابها وعليهِ فيكون حكم ضمير الانسان فاسدًا بسبب معرفتهِ واعتقادهِ الكاذبين اللذين جعلاهُ يمتنع عما يحلّ لهُ ويرتكب الفظائع المنكرة بضمير مرتاح مطمئن اما متى اشرق على قلوب هولاء نور المسيح فلا تظهر لهم فظاعة اعمالهم فقط بل بطلان ديانتهم التي تجيز لهم ذلك وقد انار ذلك النور الالهي سقراط الفيلسوف قديمًا فعرف بهِ ان آلهة الوثنيين باطلة كاذبة

مثال البابويين وعلى ذات النمط اذا اكل احد البابويين لحمًا في ايام الصوم او تهامل في اكرام الايقونات وصور القديسين فضميرهُ يبكتهُ على ذلك بشدة لان حكم عقلهِ قد تشوّش بسبب ايمانهِ الغير الصحيح من جهة هذه الامور الغير الجوهرية . وهذا وغيرهُ يجعلنا ان نميّز بين ضمير الانسان الطبيعي والضمير المستنير بالنور الالهي فالضمير تابع لمعرفة الانسان وحكمهِ وليس مكتونًا لها اما هذا النور اذا اشرق على القلب فهو يزيل كل جهل او ابهام ويتير المدارك ويعطي الحكم السديد والضمير المستنير ولا ننكر ان هذا الضمير المستنير المبني على المعرفة الحقة هو عطية ثمينة

تشبيه النور الالهي بالمصباح وقد اصاب البعض الذين شبهوهُ بزجاجة المصباح الخارجية ونور المسيح بالضوء الذي ينيرهُ فالمصباح بضوئهِ فان كان الضوء قويًا ساطعًا كان جيدًا نافعًا والاّ فلا فائدة منهُ اذا نحن لا ندعو الناس الى طاعة ضمائرهم الطبيعية بل نحثهم ونعظهم لكي يقبلوا نور

المسيح الذي ينير ضمائرهم ويفتح اذهانهم ويرشدهم لانهُ الدليل الامين للحياة الابدية

مراقبة التحرُّك بالنور والنعمة

(اخيرًا) انهُ لقد ظهر جليًّا ان هذا الزرع او النور الالهي ليس قوة من قوى عقل الانسان الطبيعية لان الانسان الصحيح الجسم يقدر ان يحرّك قواهُ كما يشاء ولكنهُ لا يستطيع ذلك من جهة هذا النور الالهي الذي يبكت الانسان ويجاهد ويحرّك حسب مشيئة الله لانهُ مع ان الخلاص تسنى لكل بشر اذا اغتنم فرصة يوم افتقادهِ الّا ان الانسان لا يقدر في اي وقت شاء او شعر بشقاوتهِ ان يحرّك هذا النور ويحصل على النعمة التي تليّن قلبهُ. لكنهُ يجب عليهِ ان يترقب الوقت الخصوصيّ الذي فيهِ يعمل هذا النور بقوة عظيمة في نفسهِ فيلينها ويمهد لهُ سبيل الخلاص الذي يستطيع الحصول عليهِ اذا اغتنم الفرصة المناسبة ولم يقاوم عمل نور الله وكما ان مياه بيت حسدا لم تشفِ كل من اغتسل فيها بل من نزل اولاً بعد ان يحرّك ملاك الله الماء هكذا الله يعلن محبتهُ لكل فرد من افراد الجنس البشري في وقت خصوصي بواسطة هذا الزرع الالهي فتظهر لهُ خطاياهُ بطريقة واضحة جلية ويدعوهُ بالحاح للتوبة لكي يحصل على المغفرة والخلاص المعين لهُ ان لم يرفض النعمة. واني موقن ان كل من يطّلع على مقالتي هذه سواء كان في القرن الحاضر ام في القرون الآتية اذا فحص قلبهُ باخلاص وامانة لابدّ ان يقرّ انهُ وقتًا ما حصل على هذا الشعور الذي لا يمكنهُ الحصول عليهِ بجدهِ واجتهادهِ فيا ايها القارئ العزيز هذا هو يوم افتقاد نعمة الله لنفسك فاغتنم الفرصة لكي تحصل على السعادة الدائمة الابدية هذا هو يوم الرب الذي قال عنهُ السيد المسيح انهُ كالبرق الذي يخرج من المشارق ويظهر في المغارب مت ٢٤: ٢٧ والريح

او الروح التي تهب في القلب ولا يعلم احد من اين تأتي ولا الى اين تذهب يو ٣:٨

(١٧) وقبل الختام سانقدم الى الكلام عن كيفية عمل هذا الزرع او النور الالهي في قلوب جميع بني البشر وعندئذٍ يتضح الفرق العظيم بيننا وبين الذين يعظمون عمل قوة الانسان ونورهُ الطبيعي الا انا نعتقد انا يمكننا ان ننال الخلاص بقوة الله وروحهِ ونعمتهِ فقط

وكثيرًا ما يعترض البعض علينا موجهين السؤالات الآتية (١) ما هو الفرق بيننا وبين البلاجسيين والارمينوسيين (٢) اذا كان لاثنين ما يكفي من النور والنعمة على السواء وخلص بها الواحد وهلك الآخر ألا يكون ذلك مسبب عن انتباهِ الواحد واهمال الآخر (٣) وان كان ذلك كذلك ألا يكون سبب خلاص الواحد وهلاك الآخر قوة الارادة . فردًا على هذه الاسئلة اجيب

عمل النور للخلاص انهُ بما ان النعمة والنور الموجودين في كل فرد كافيان لخلاصهِ وهما يرشدان الجميع نحو الخلاص ممهدين لذلك السبيل فكل من يقاوم عملها يدان ومن يذعن لها ينال الخلاص . فالخلاص اذًا هو نتيجة عمل النعمة وليس عمل الانسان وهو تأثر وانفعال اكثر مما هو عمل الا ان الانسان بعد الحصول على هذا التأثر والانفعال ينشأ في داخلهِ ارادة او ميل يصير بهِ شريكًا للنعمة في العمل وقد قال اوغسطينوس ان الله الذي خلقنا ولم يستشرنا لا يتم خلاصنا دون ان يكون لنا في خلاصنا يد. اما الخطوة الاولى فلا تتمّ بعمل الانسان بل بعدم مقاومتهِ عمل النعمة فيهِ لان الانسان لا يستطيع ان يشارك النعمة في العمل يوم افتقادهِ ولا يقدر ان يتجاوز حالتهُ الطبيعية خطوة واحدة الا بفعل النعمة فيهِ ولكونهِ في حالة قابلة التأثر والانفعال فكما انهُ قادر ان يقبل عمل النعمة هكذا هو قادر ان يرفضهُ

ايضاً . فاذاً انما نعمة الله تعمل في طبيعة الانسان التي وان تكن مدنسة فاسدة مائلة الى الشرور فهي مع ذلك قابلة التأثر بفعل نعمة الله كما تؤثر النار في الحديد فتحميهِ وتلينهُ وان يكن وهو بارد قاسياً وحرارة الشمس تؤثر في الشمع فتذيبهُ مع كونهِ قبل التعرض لها جامداً

وكما ان الحديد والشمع عندما يبعدان عن فعل النار والشمس يرجعان الى حالتهما الباردة القاسية هكذا قلب الانسان عند ما يرفض عمل النعمة ويبتعد عنهُ يرجع الى حالتهِ السابقة ايضاً

ولايضاح ما تقدم ورفع كل التباس ساورد المثالين التاليين اللذين كثيراً ما كنت اتأمل فيهما لاجل فهم كيفية شمول خلاص الله للجميع

المثال الاول هو ان الانسان في حالتهِ الطبيعية اشبه برجل مصاب بمرض عضال شديد الخطر فالله طبيب النفوس الماهر العظيم لا يجعل وصف العلاج لهُ متوقفاً على كونهِ قد افرغ جهدهُ لكي يحسّن صحتهُ بكل وسيلة يعلمها كما يقول البعض ان الانسان اذا حسّن عقلهُ وقواهُ الطبيعية فالله يهب لهُ النعمة كما يقول آخرون انهُ يصف علاجاً خارجياً تاركاً للانسان الحرية في قبولهِ او عدمهِ ولكنهُ تعالى يسكب العلاج في فم العليل فاذا كان مذعناً مطيعاً فلا بد للعلاج من تأثيرهِ الحسن والاَّ فان كان عنيداً عديم الانقياد يصيبهُ ما يصيب عليلاً خالف طبيبهُ وترك الفراش متجولاً في البرد خلاف ما اشار بهِ عليهِ او تناول الاطعمة التي تعاكس عمل الدواء فسبَّب حتفهُ بظلمهِ وكان الجاني على نفسهِ اما اذا اطاع وشفي فهو مديون بشفائهِ للطبيب وليس لعمل منهُ هكذا الانسان مديون بشفائهِ لتأثير عمل علاج النعمة الالهية فيهِ

الساقطون بحفرة مظلمة ومخلصهم اما المثال الثاني فهو ان الانسان في حالتهِ الطبيعية المنحطة الفاسدة يشبه حالة جماعة من الناس ساقهم القدر

الى حفرة مظلمة فاستولى عليهم لخمول الى درجة اصبحوا معهـا بالجهد يشعرون بحالتهم التعيسة . فهل سعي بعضهم في تخليص نفسو من حالتو يؤثر في استنهاض همة من هو قادر على اغاثتهم لكي يجتهد في نجاة ذلك الشخص وحدهُ قائلاً في نفسو انني ارى احد هولاء الجماعة يرغب في النجاة ويبذل جهدهُ للحصول عليهـا لذلك هو اولى بالمساعدة . فهذا ما يقولهُ السوسنيون والبلاجيون

ولا اظنّ ايضاً ان هذا المنقذ يأتي بسلّمٍ ويدليهِ من فم الحفرة قائلاً من يُرد النجاة فليصعد على هذا السلّم تاركاً اياهم وشأنهم في الصعود كما يعلّم اليسوعيون والارمنيسيون مع ذلك حتى على زعم هولاء لا يمكن النجاة بدون النعمة التي كنى عنها بالسلّم في المثل — اما انا فاعتقد ان ذلك المنقذ يتنقد اولئك التعساء مرارًا وينبئهم بما هم عليهِ من الشقاء والتعاسة ما زالوا قاطنين ذلك المكان الرديء الفاسد الهواء . وهكذا يجتهد في بيان حقيقة حالتهم لهم حتى يقنعهم لكي يشعروا بتعاستهم فيستفيقون من غفلتهم (لان اشقى الخطاة احيانًا يشعرون بتعاستهم بسبب افتقاد الله لهم) وليس ذلك فقط لكنهُ يأخذ بايديهم وينتشلهم من شقائهم فان لم يقاوموا عملهُ يخلصون والعكس بالعكس فمن هذين المثالين يتضح لنا ان نعمة الله لا تبطل وتأثيراتها وغايتها هي ابدًا خدمة الرحمة والمحبة في الذين يقبلونها يو ١٢:١ وخدمة الغضب والدينونة في الذين يرفضونها يو ١٩:٣

تشبيه مقدرة النعمة بقوة نور الشمس على الاذابة والتقسية وكما ان الشمس بفعلها الواحد تلين الشمع وتذيبهُ وفي الوقت نفسو تنشف الطين وتصلبهُ وهي بحسب طبيعتها واشراقها ايضاً تحيي الخليقة وتنعش الاحياء فتنفث الروائح العطرية من الازهار وتنضج الاثمار الّا انها اذا اشرقت على رمّة حيوان ولّدت تلك نفسها في الجثة العديمة الحياة فسادًا او روائح كريهة مع

ذلك لا يقال اذ ذاك ان طبيعة الشمس قد تغيرت او بطل فعلهـا وعظم فائدتها

هكذا شمس البرّ تشرق على كل واحد يوم افتقادهِ وبتأثيرها يمكنه الاتيان باثمار جيدة فبواسطتها يلين قلبهُ وتفوح منهُ روائح عطرية ذكية اما اذا صرف الانسان يوم افتقادهِ هذا بالخطية وعمل الشرّ فاشعة شمس البرّ نفسها التي هي عمل النعمة تقسيهِ كما تصلب اشعة الشمس الطين وتبيّن شرّهُ بوضوح فتنبعث عنهُ رائحة الشرّ المخيفة

عطية الله كل انسان نعمة كافية لخلاصهِ

(١٨) اخيراً كما اننا نؤمن حقيقة ان الله لا يشاء ان يهلك احداً لكنهُ قد اعطى الجميع نعمة كافية للخلاص هكذا نؤمن ايضاً انهُ يعمل في بعض الذين تسود عليهم النعمة بطريقة خصوصية فلا يسمح لهم ان يناوموها فهم اذ ذاك ينالون الخلاص اضطراراً فلا يمكنا ان نقول ان الله لم يظهر نفسهُ لمريم العذراء وبولس الرسول بطريقة اجلى واوضح مما اظهر ذاتهُ لكثيرين غيرهما او ان نقول ايضاً انهُ احب يوحنا التلميذ الحبيب ويهوذا الخائن على السواء ولكن بما انهُ منح قياساً كافياً من النعمة لكل واحد للخلاص فالجميع اذاً بلا عذر ثم انهُ وهو يعمل ايضاً في اولئك الذين كثرت لهم النعمة قد يحجب نفسهُ عنهم لينتزع منهم كل غرور وادعاء بانفسهم في الحصول على الخلاص لكي يتصفوا هم وتتمجد نعمة الله فيهم ويعترفوا على الدوام ان كلما منح لهم هو عطية مجانية وليس لفضل او قوة منهم وكذا اولئك الذين يهلكون عند ما يتذكرون تلك الازمنة التي افتقدهم الله بهـا وجاهد معهم بنورهِ وروحهِ يضطرون لان يعترفوا بان الله قد اعطى لهم وقتاً كان فيهِ باب الفرصة مفتوحاً لهم ولكونهم قد رفضوا خلاصهم فهم بحق يدانون

فما ذكر يظهر جليًا ثبوت رحمة الله وعدلهِ وان ارادة الانسان وقوتهُ ساقطتان مرفوضتان وكون الانسان هو المسبب الدينونة لنفسهِ اما خلاصهُ فهو منحة من الله فقط وبهذا ينحلّ اشكال الاعتراضين العظيمين الآتي ذكرهما اللذين كثيرًا ما يحتج البعض بهما

الاعتراض الاول متخذ من بعض مواضع في الكتاب المقدس يظهر منها ان الله قد سبق فعيّن البعض للخلاص اذ اعدّ لهم وسائط خصوصية حرّم غيرهم منها كما في دعوة ابرهيم وداود وغيرهما وطريقة اهتداء بولس

الجواب فالردّ عليهِ وحلّ اشكالهِ يتبين بسهولة مما سبق ذكرهُ من ان هولاء هم من عداد الذين قد منحت لهم النعمة بطريقة خصوصية بسخاء

الاعتراض الثاني مأخوذ من مواضع في الكتاب المقدس بزعم البعض انهُ يظهر منها ان الله قد سبق فعيّن البعض للشرّ والهلاك لانهُ قسى قلوبهم ودفعهم الى ارتكاب الشرور الفظيعة واقامهم لكي يسلكوا هذا المسلك لتظهر فيهم قوّتهُ فلدى اقلّ تأمل تتجلي الحقيقة لمن يرغب البحث الدقيق الصحيح فما هولاء المصلبون سوى الذين قد مضى زمن افتقادهم وها انني اكتفي بما ذُكر ردًّا لهذين الاعتراضين واضرب صفحًا عن الدخول مطوّلاً في هذا الموضوع حبًّا للاختصار

اثبات القضية الاولى

(١٩) والآن اذ قد بسطنا هذه المسئلة بجلاء يرفع كل ابهام وينفي الاعتراضات المختلفة سهل علينا ايراد البراهين بالاختصار

ان اول ما يجب اثباتهُ ان الله قد منح كل انسان يومًا او زمان افتقاد فيهِ يمكنهُ ان يخلص فاذا امكننا ان نبرهن ان الله قد منح الهالكين زمان افتقاد

كان يمكنهم ان يخلصوا فيهِ لتمّ لنا ما نرغب في اثباتهِ لانهُ ما من احد ينكر ان المخلصين لهم زمان افتقاد

ان الله قد وهب للهالكين يوماً للرحمة

البرهان الاول اما كون الله قد منح الهالكين زمان افتقاد فيثبتهُ ما ورد في اقسام عديدة من الكتاب حيث يظهر روح الله اسفهُ وغمهُ من اولئك الهالكين موبخاً اياهم بشدة لانهم لم يقبلوا دعوتهُ لهم ولا انتبهوا اليها في زمان افتقادهم

مثل قايين فمنذ البدء وجه الله كلامهُ الى قايين تك ٤: ٥و٧ "فقال الرب لقايين لماذا اغتظت ولماذا سقط وجهك ان احسنت أفلا رفع وان لم تحسن فعند الباب خطية رابضة" فقد كلم الرب قايين بهذا الكلام قبل قتلهِ هابيل اخاهُ عند ما ابتدأ الزرع الشرير ان يجرّبهُ ويعمل فيهِ فيتبيّن من هذا ان الله انذر قايين في وقتهِ ووعدهُ انهُ اذا احسن يوم افتقادهِ وانتبه يهب لهُ لمسامحة . لان قولهُ "أفلا رفع" استفهام انكاري بمعنى الاثبات اي ان احسنت فلك رفع فان كنا نؤمن ان الله على كل شيء قدير وانهُ ينبوع الرحمة والعدل فقد كان ممكناً لهُ ان يقبل قايين في يوم واحد ولو انهُ لم يعطِ قايين قوة كافية تمكنهُ من التحسن لما كان اشترط عليهِ قائلاً ان احسنت

العالم القديم ويتبين ايضاً ان الله قد اعطى العالم القديم يوم افتقاد مما جاء في تك ٦: ٣ "لا يدين روحي في الانسان الى الابد" (لان هذه هي الترجمة الصحيحة) ومن هذا يفهم ان روحهُ قد لبث في الانسان وانهُ يلبث فيهِ لمدة معينة وعند ما تنتهي تلك المدة يكفُّ الله عن ان يلبث في الانسان لكي يخلصهُ لان روح الله لا يمكن ان يلبث في الانسان بعد انقضاء زمان افتقادهِ لان عملهُ الطبيعي حينئذٍ قد اصبح النضاء عليهِ ودينونتهُ دون ان يقاومهُ

وقد قيل عنهُ تعالى بالنظر الى يوم الافتقـاد انهُ ينظر ليترأف اش ٣٠:١٨ وفي سفر الخروج ٣٤:٦ انهُ رحيم ورؤُوف بطيء الغضب وهاك ما جاء في سفر العدد ١٤:١٨ وخر ٢٦:١٥ وار ١٥:١٥ فنرى ان النبي ارميا في صلاتهِ يتمسك بطول اناة الله اما في عتابهِ مع الله فهو يدحض اعتراض مخاصمينا في عدد ١٨ بقولهِ "لماذا كان وجعي دائمًا وجرحي عديم الشفاء يأبى ان يشفى أيكون لي مثل كاذب مثل مياه غير دائمة" اما حسب رأْي مخاصمينا فوجع اكثر الناس غير دائم وجرحهم عديم الشفاء نعم حتى ان ا عطاءهم بشارة الانجيل والخلاص هي ككذب ومياه غير دائمة لانها لا يقصد بها ان تؤَثر فيهم البتة وقد قال بطرس الرسول صريحًا ١ بط ٣:٢٠ ان اناة الله كانت تنتظر مرة في العالم القديم وبمقابلة هذه الآية مع ما ذكر سابقًا في تك ٦:٣ يظهر جليًا صحة قضيتنا هذه

ولا يمكن احد ان يعترض قائلاً ان اناة الله لم تكن لاجل خلاصهِ لان بطرس الرسول نفسهُ يقول بط ٣:١٥ "ينبغي ان نحسب اناة الله خلاصًا" بعد ان قال قبل هذا بقليل "لكنهُ يتأَنى علينا ولا يشاء ان يهلك اناس" فاذا اتخذنا الرسول مفسرًا لكلامهِ (وهو الاجدر بذلك) نرى ان الرب كان طويل الاناة على الاشرار في الزمان القديم وعلى الجميع في الوقت الحاضر اذ لا يشاء ان يهلك احدًا فيجب على الكل ان يحسبوا طول اناة الله خلاصًا لهم . فكيف يمكنهم ان يحسبوا اناة الله خلاصًا لهم لو لم يكن الخلاص بها ممكنًا لهم ? فالاناة لا تكون خلاصًا لهم ما لم يستطيعوا بها الخلاص وتستدل من اشارة بطرس الرسول الى كتابات بولس من هذه الجهة ان هذا التعليم كان شائعًا عموميًا في ذلك العصر

امور صعبة الفهم في رسائل بولس اذ يتضح ما قالهُ بعدئذٍ انهُ يوجد في رسائل بولس اشياء عسرة الفهم يحرّفها غير العلماء وغير المحققين

لهلاك نفوسهم فهو يقصد بذلك صريحًا تلك العبارات التي قالها بولس نحو ما جاء في رو ٩ الخ التي فسّرها بعض الجهلاء الغير العالمين في الامور الروحية انها تناقض قوله ان الله يتأنى على الجميع لانهُ لا يشاء ان يهلك منهم احدًا بل يريد الجميع ان يخلصوا . فيا ليت ان اولئك انتبهوا الى قول الله اكثر ما انتبهوا الى هذا الكلام المبهم

اما المكان الذي لمح اليهِ بطرس بطريقة خصوصية من قول بولس فيزيد المسألة وضوحًا وجلاء وقد قيل في رو ٢: ٤ "ام تستهين بغنى لطفهِ وامهالهِ وطول اناتهِ غير عالم ان لطف الله يقتادك الى التوبة" فبولس الرسول يخاطب هنا الغير مجددين والاشرار الذين (يصفهم في العدد التالي) "يذخر لنفسهِ غضبًا في يوم الغضب" وهو ايضًا ينصح لمثل هولاء ان يقدروا غنى امهال الله وطول اناتهِ ولطفهِ حق قدرهِ مظهرًا لهم ان لطف الله من طبعهِ يقتادهم الى التوبة فكيف يمكن ان يوجّه افكارهم الى غنى الله ولطفهِ نحوهم لو لم يوجد وقت فيهِ يمكنهم ان يتوبوا و يصيروا شركاء الغنى المعلن لهم بهِ وسأبني ما تقدم القياس التالي

روح الله في الشرير يتقاوم شرّهُ ان كان الله يخاطب الاشرار قائلاً ان قبولهم ممكن وان كان روحهُ يحثّ على الخلاص لمثل ما اولئك الذين صار نصيبهم الهلاك وان كان ينتظر لكي يترأف عليهم وان كان يتأنى عليهم وان كان طول اناتهِ خلاصًا لهم لان الله في ذلك الوقت لم يشأ ان يهلك منهم احدًا بل اعلن لهم جودتهُ وامهالهُ ليقتادهم الى التوبة . فكل هذا اذًا يدل انهُ يوجد يوم افتقاد فيهِ كان ممكنًا لاولئك الهالكين ان يخلصوا كما يمكن للبعض الذين هم حتى الآن في طريق الهلاك الاَّ انهم هلكوا او يهلكون بسبب عدم التوبة

اما الفرض فصحيح لذلك فالنتيجة هي صحيحة ايضًا

البرهان الثاني

الكرم المزروع اثمر عنبًا رديًا

(٢) ويتضح هذا من كلام اشعيا ٥:٤ "ماذا يُصنع ايضًا لكرمي وانا لم اصنعهُ لهُ" لانهُ كان قد قال في العدد الثاني انهُ نقبهُ ونقى حجارتهُ وغرسهُ كرم سورق وبنى برجًا في وسطهِ . . . فانتظر ان يصنع عنبًا فصنع عنبًا رديًا لذلك هو يدعو سكان اورشليم ورجال يهوذا ليحكموا بينهُ وبين كرمهِ قائلاً ماذا يُصنع ايضًا لكرمي وانا لم اصنعهُ لهُ ؟ فانهُ صنع عنبًا رديًا . وهذا كان ينطبق على كثيرين في اسرائيل الذين رفضوا ان يقبلوا رحمة الله . والمسيح ذاتهُ استعمل ايضًا مثل الكرم مت ٢١: ٣٣ ومر ١٢ ولو ٢٠: ٩ قائلاً انسان غرس كرمًا وسلَّمهُ الى كرامين بعد ان اعدَّ لهم كل ما يلزم لاجل استثمارهِ وتقديم ما وجب عليهم من اثمارهِ لصاحب الكرم آن جمعها وانهُ (اي صاحب الكرم) قبلما عزم على رفضهم واهلاكهم ارسل عبيدهُ المرة بعد الاخرى يطلب ما وجب لهُ بروح الصبر والرحمة متغاضيًا عن اساءتهم الكثيرة فلا يمكن ان يعنى بهذا عن القديسين او الذين يتوبون فيخلصون . لانهُ يقول صريحًا "يأتي ويهلكهم" فلو كان اولئك غير قادرين على عمل الصلاح لما كان المثل يفي بالمقصود منهُ . ولذلك فلو قصدوا لكانت الظروف تمكنهم من ذلك حتى ان النبي قال "ماذا يُصنع بعد وانا لم اصنعهُ" فالامر اذًا جليّ للغاية ان المسيح قصد من هذا المثل الذي اتى ذكرهُ في ثلاثة اناجيل ان يبين طول اناتهِ على الذين توفرت لهم وسائل الخلاص الاَّ انهم قاوموها وبقوا في خطاياهم لاجل هلاكهم وهذا ينطبق ايضًا على منطوق الكتاب في مواضع كثيرة انظر ام ١: ٢٤ و٢٥ و٢٦ وار ١٨: ٩ وحز ١٨: ٢٣ و٣٢ و٢٤ واع ١٢: ٤٦

البرهان الثالث

اخيرًا ان نوح الرب يسوع على اورشليم الذي ورد ذكرهُ مرارًا في الانجيل يثبت بجلاء وجود زمان افتقاد للاشرار يتسنى لهم فيهِ الخلاص ثم بانقضائهِ يغلق في وجوههم باب الخلاص مت ٢٣: ٢٧ ولو ١٣: ٣٤ و ١٩: ٤١ و ٤٢ وفيما هو يقترب نظر الى المدينة وبكى عليها قائلاً "انكِ لو علمتِ انتِ ايضاً حتى في يومكِ هذا ما هو لسلامكِ ولكن الآن قد أُخفي عن عينيكِ"

فهل من لزوم لكلام اوضح من هذا لاثبات هذا التعليم . فالسيد المسيح يشير اولاً الى وجود يوم كان ممكنًا لسكان اورشليم ان يعلموا ما هو لسلامهم وثانيًا الى انهُ في ذلك اليوم كان يرغب في ان يجمعهم كما تجمع الدجاجة فراخها وهذا الكلام وان يكن بسيطًا عاميًا الاَّ انهُ صريح الدلالة الى الغرض المقصود فهو يظهر ان عطية الخلاص ليست عبثًا من جهتهِ تعالى ولكنها مقدمة برغبة وفرح عظيمين كرغبة وفرح الدجاجة في جمع فراخها اي ان المسيح لهُ رغبة عظيمة في ان يجمع الجميع اليهِ لكي ينقذهم من حالتهم الدنيئة الفاسدة

وثالثًا انهم لكونهم رفضوا قبول ما هو لسلامهم اخفي الآن ذلك عن عيونهم . فلو سئل المسيح لماذا اخفيت هذه الامور لاجاب لانكم لم تدعوني ان اجمعكم ولاردتم ان تنظروا الاشياء التي هي لسلامكم عند ما كان حب الله متجهًا نحوكم والآن بما ان ذلك الزمان قد انقضى فلا تستطيعون فيما بعد ان تميّزوا ما هو لسلامكم ولكي يكون لكم دينونة اعظم يسمح الله لكم ان تتصلبوا في عدم الايمان

زمان تصلّب القلوب فيتضح من هذا ان القلوب تتصلّب بعد ان ترفض عطية الرحمة والخلاص لا قبل ومنهُ يفهم قصد المخلص بقولهِ " من لهُ يعطى ويزاد ومن ليس لهُ فالذي عندهُ يؤْخذ منهُ " وهذه الاية التي تظهر

كانها لغز يسهل حلها جدًا لانهُ بموجب تعليمنا هذا قصد السيد بقولهِ "ليس لهُ" ان زمان الاستعمال قد انقضى فهي اي الوزنة الآن كلا شيء لهُ والسيد استعمل هذه العبارة في مثل الوزنات مت ٢٥: ٢٩ عندما امر باسترجاع الوزنة الواحدة من العبد البطال واعطائها للعبد المجتهد . وبما ان تلك الوزنة نفسها لم تكن غير كافية او مغايرة للوزنات الاخريات حق للسيد ان يطلب ربحها النسبي كما طلب من العبيد الآخرين وهكذا اقول انهُ بعد رفض زمان الافتقاد يقضى على المالكين رجالاً ونساء بالحقي كما قال المسيح مخاطبًا اليهود بكلام اشعياء النبي ٦: ٩ على ما هو مدوَّن في الاناجيل الاربعة مت ١٣: ١٤ مر ٤: ١٢ لو ٨: ١٠ يو ١٢: ٤٠ وبولس الرسول بعد ان كرز لليهود في رومية ببشارة الخلاص ورفضها بعضهم وجَّه اليهم نفس الكلام اع ٢٨: ٢٦ انهُ "حسنًا كلم الروح القدس آباءنا باشعياء النبي قائلاً اذهب الى هذا الشعب وقل ستسمعون سمعًا ولا تفهمون وتنظرون نظرًا ولا تبصرون لان قلب هذا الشعب قد غلظ وباذانهم قد سمعوا ثقيلاً وعيونهم اغمضوها لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا باذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فاشفيهم". وهذا يدلّ بان الله يرغب في ان ينظروا ولكنهم اغمضوا عيونهم فلذلك قد نقسَّوا بعدل . ولقد اصاب كيرلس الاسكندري فيما كتبهُ في شرح انجيل يوحنا الكتاب الرابع الفصل ٢١ ردًا على هذا الاعتراض بقولهِ ربما يقول البعض انهُ اذا كان المسيح قد اتى الى العالم لكي يعمي الذين يبصرون . فعماهم ليس منهم بل بالاحرى من المسيح لانهُ هو المسبب وقد قال انهُ اتى الى العالم لكي يعمي الذين يبصرون

واذا قيل ان سبب بقاء الانسان في الظلمة هو اغماض عينيهِ عن النور
فاجيب ان مثل هؤلاء يتكلمون بجهل لانهم ينسبون هذه الامور الى الله غير مبالين بجعلهِ اصل الشرور . لانهُ كما ان الشمس المنظورة تدور في افقنا لكي

تشرق بنورها وصفائها للجميع الا انهُ اذا اغمض احد عينيهِ قصداً ولم يستفد بنورها بل حرم الانتفاع منهُ فهو يبقى في الظلمة وبقاؤهُ فيها واحتياجهُ الى النور مسببان عن نقص منهُ وليس من الشمس فالذنب ذنبهُ

وهكذا الحال مع ذلك الذي هو شمس البر الحقيقي الذي جاء لينير الجالسين في الظلمة وظلال الموت فهو قد نزل الى ارضنا لكي يمنح الجميع المعرفة والنعمة وينير اعينهم الداخلية ببهاء نورهِ الروحي. الا ان كثيرين رفضوا هذه العطية المعطاة لهم مجاناً واغمضوا اعين عقولهم لئلا تشرق عليهم اشعة هذا النور الابدي البهية. فعماهم وعدم انتفاعهم ليس عن تقصير اشعة شمس البر الحقيقية بل بسبب قساوتهم وشر قلوبهم وقد قال ابن سيراخ الحكيم ص ٢ انما شرهم قد اعمى بصائرهم فما تقدم ابني القياس التالي

قد اعطي لليهود المتمردين يوماً انهُ ان كان قد وُجد يوم لليهود المتمردين كان امكنهم فيهِ ان يعملوا ما هو لسلامهم وبسبب رفضهم اياهُ اخفي عن اعينهم وان كان وُجد وقت فيهِ اراد المسيح ان يجمعهم وبسبب عدم قبولهم لم يجمعوا اذاً بعض الذين كان خلاصهم ممكناً يهلكون لانهم استهانوا بزمان افتقاد الله لهم عندما كان يمكنهم ان يرتدوا ويخلصوا

اما المقدمة فصحيحة ولذلك فالنتيجة هي صحيحة ايضاً

(٢١) **البرهان الاول** وها انني اتقدم الآن للبحث عن الطريقة التي بها يتمم الله عمل الخلاص في يوم افتقاد كل انسان باعطائهِ كل بشر مقياس نور ونعمة يفوق الطبيعة ويكفي للخلاص بمساعدتهِ الالهية وسأثبت هذا بشواهد صريحة من الكتاب المقدس

اولاً ان يوحنا شهد ص ١:٩ "كان النور الحقيقي الذي ينير كل انسان آتياً الى العالم" فهذه الآية هي شهادة صريحة واضحة تثبت تعليمنا وقد سماها البعض آية "الفرندز" لانها تطابق مبدأنا تماماً فلا نحتاج الى استنتاج او

استدلال لكونها هي نفسها نتيجة قضيتين صريحتين موجودتين في الاعداد السابقة وقد اتت هذه الشهادة على وفاق تام مع عقائد ايماننا

فالقضية الاولى هي ان الحياة التي فيهِ هي نور الناس والثانية ان النور يضيء في الظلمة فالنتيجة اذاً هي ان النور الحقيقي ينير كل انسان آتياً الى العالم

وسأتخذ مما تقدم الملاحظات الآتية بوجه الاختصار

(١) ان النور الذي يبدد الظلام يولّد الايمان ان الرسول الالهي يدعو المسيح نور العالم ويصرح ذلك على نسق تنبيه افكارنا بطريقة خصوصية ان هذه الصفة هي من صفاتهِ الرئيسية فلكونهِ النور ان سلكنا فيهِ اي في النور الذي يمنحنا اياهُ يصير لنا شركة واتحاد معهُ كما يصرح الرسول نفسهُ في ١يو ١: ٧ (٢) ان هذا النور يضيء في الظلمة مع ان الظلمة لم تدركهُ (٣) ان هذا النور ينير كل انسان آتياً الى العالم. فروح الله قد الهم هذا الرسول ان يثبت الآيات المذكورة بطريقة صريحة تدحض انتقاد الذين يريدون ان يحصروا وجود النور في عدد معلوم لانهُ بقولهِ ينير كل انسان لم يستثنِ احداً . اما اذا بقي هؤلاء متشبثين برأيهم ومدعين ان كلمة (كل انسان) يقصد بها المختارين فقط فالكلمات التي بعدها تبكمهم وتنقض اعتراضهم وذلك قولهُ (آتياً الى العالم) لانهُ يفهم منها صريحاً انهُ لا يجيء انسان الى العالم الا وينيرهُ المسيح ببعض الانارة فيشرق فيهِ هذا النور منيراً ظلام قلبهِ. ومع ان الظلمة لا تدركهُ فهو مشرق وطبيعتهُ تبدد الظلام من الذين لا يغمضون اعينهم لكي لا يبصروا . اما الغاية التي لاجلها اعطي هذا النور فيستفاد من العدد ٧ اذ يقول ان يوحنا جاء للشهاده ليشهد للنور لكي يؤمن الكل بواسطتهِ اي بواسطة النور فالضمير في واسطة يعود الى النور وليس الى يوحنا كما ادعى اكثر المترجمين لكي يوافق تعليمهم ولكن حسب زعمهم هذا يجب ان يؤمن الجميع بواسطة يوحنا ولا يوجد في الآية ما يشير اليهِ اقل اشارة بل هو مغاير لدلالة فحوى الكلام لانهُ ان

كان المسيح ينير كل انسان بهذا النور ألا يكون الذين اتوا الى المسيح قد آمنوا بواسطتهِ؟ اما شهادة يوحنا فلا يمكن الجميع ان يؤمنوا بواسطتها اذ لا يتسنى للجميع التوصل الى معرفتها حال كون كل انسان يمكنهُ ان يحصل على هذا النور ويؤمن بواسطتهِ ويوحنا ايضاً لم يضيءْ في الظلمة ولكن باشراق هذا النور يتبدد الظلام من الانسان ويأتي بهِ الى الايمان

ان هذا النور فائق الطبيعة وكافٍ للخلاص اخيرًا يجب علينا ان نصدق هذا النور مؤمنين بواسطتهِ وعندئذٍ ان سلكنا في الايمان نعلم ما هي شركتنا مع الله ونتمتع بها. قد سبقت فقلت اننا ان سلكنا في النور نتحد مع الله وهذه هي شركتنا معهُ فهل يمكن القول ان سلكنا في يوحنا ولا يكون كلامنا مستهجنًا وخاليًا من المعنى. فيتاكد اذًا ان الضمير يعود الى النور الذي يشهد يوحنا انهُ المسيح ينير بهِ كل انسان آتيًا بالجميع الى الايمان . وبما ان هذا النور هو نور يسوع المسيح الذي بواسطتهِ يقدر الجميع ان يأتوا الى الايمان فهو بلا شك فائق الطبيعة كافٍ للخلاص. ولو لم يكن فائق الطبيعة لما امكن ان يدعى نور المسيح لانهُ وان تكن كل الاشياء منهُ وبهِ ولهُ الا ان الامور المختصة بطبيعتنا كجزء منها لا يمكن ان يقال انهُ منهُ او اننا نناها من لدنهُ وبالاختصار ان شهادة يوحنا الانجيلي هنا تظهر لنا عمل المسيح كوسيط والفوائد التي نستمدها بواسطتهِ

ثانيًا **الظلمة من خصائص الانسان بالفطرة** ان هذا النور الذي نستنير بهِ لا يمكن ان يُعدَّ من مواهب النفس او قواها الطبيعية لانهُ قد قيل عنهُ "انهُ يضيءُ في الظلمة والظلمة لم تدركهُ" والمقصود هنا بالظلمة حالة الانسان الطبيعية التي يدرك فيها بسهولة الامور المختصة بهِ كانسان طبيعي لان الانسان في حالتهِ الطبيعية يسمَّى ظلمة اف ٥: ٨ "لانكم كنتم قبلاً ظلمة واما الان فنور في الرب" وفي اماكن اخرى كاعمال ٢٦: ٨' وكو ١: ١٢ وانس ٥: ٥ ففي هذه كلها

يدعى الانسان في حالتهِ الطبيعية "ظلمة" ولا يمكننا ان نقول ان هذا النور هو خاصة او قوة من قوى نفس الانسان الطبيعية ولكن عطيتة فائقة الطبيعة ونعمة من المسيح

ثالثًا ان هذا النور كافٍ للخلاص لانهُ قد أُعطي ليؤمن الجميع بواسطتهِ وما يعطى لجميع الناس لكي يؤمنوا بواسطتهِ يجب ان يكون كافيًا للخلاص وكذا ذاك الذي ان سلكنا فيهِ ننال الشركة مع القديسين ودم المسيح الذي يطّهر من كل خطية يجب ان يكون كافيًا ومخلصًا

القياس الاول ولكن النور هو كذلك ا يو ١:٧
اذًا النور هو كافٍ للخلاص

وايضًا ان ذاك الذي قد اخذنا وصية ان نؤمن بهِ لنصير اولاد النور يجب ان يكون فائق الطبيعة وكافيًا للخلاص

القياس الثاني ولكن قد أُوصينا ان نؤمن بهذا النور
لذلك هذا النور هو فائق الطبيعة وكافٍ للخلاص

ولا يمكن انكار هذه القضية لان المفروض هو كلمات المسيح نفسهِ "ما دام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا ابناء النور"

الا ان البعض يعترضون قائلين ان المقصود بكلمة (نور) هنا شخص المسيح الخارجي الذي يطلب منهم ان يؤمنوا بهِ

فاجيب لا احد ينكر انهم كان يجب ان يؤمنوا بالمسيح انهُ مسيًّا المزمع ان يأْتي الا انني لا اقدر ان افهم ان المسيح هو المقصود في هذه الآية لان هذه الكلمات "ما دام لكم النور" والعدد السابق "فسيروا ما دام لكم النور لئلا يدركم الظلام" لانها تدل دلالة صريحة انهُ عندما ينزع ذلك النور الذي كان يجب ان يؤمنوا بهِ ينتهي الوقت الذي يمكنهم بهِ ان يؤمنوا وهذا يبين صريحًا انهُ لا يمكن ان يقصد بهذا شخص المسيح والا فكيف يكون قد آمن فيهِ

الخلاص عدد من اليهود وكثيرون غيرهم ومنهم مسيجبو وقتنا الحاضر حال كون شخصهِ او حضورهِ بالجسد او الانسان الخارجي هو بعيد عنهم

اذاً هذا النور الذي أُمروا ان يؤْمنوا بهِ هو النور الروحي الداخلي الذي يضيء على القلوب لمدة اي في يوم افتقاد كل انسان فما دام هذا النور يدعو الانسان ويحثهُ ويعظهُ يقال انهُ حائز عليهِ ويمكنهُ ان يؤْمن بواسطتهِ ولكن لما يمتنع اناس عن ان يؤْمنوا بواسطتهِ وبرفضهِ فحينئذٍ يتوقف عن ان يكون نوراً يظهر لهم الطريق ويترك لهم حاسة الشعور بعدم ايمانهم لتكون كشوكة في ضمائرهم وذلك هول وظلام لهم وعليهم فلا يقدرون ان يعلموا الى اين يذهبون ولا ان يسلكوا مسلكاً مفيداً لهم للخلاص وينطبق عليهم ما قيل في عاموس ٥:١٨ "ان يوم الرب ظلام للعصاة والمتمردين وليس نوراً"

شرح كيرلس الاسكندري الكتاب الاول الفصل الثاني فيظهر مما تقدم انهُ وان يكن كثيرون لا يقبلون النور وكثيرون ايضاً لا يدركونهُ مع ذلك هذا النور المخلص يضيء على الجميع للخلاص. ولقد اجاد كيرلس الاسكندري ودافع عن تعليمنا بما قالهُ ان الرسول يوحنا اراد بسبق نظرهِ ان يمنع افكار بعض الناس الباطلة وقد بذل الجهد لكي يبين بكل احتراس هذا النظام السامي العجيب ويرد اعتراضات المعترض فهو قد دعا الابن النور الحقيقي ثم اثبت قائلاً انهُ بهِ يستنير كل انسان آتياً الى العالم نعم وانهُ كان في العالم وكوِّن العالم بهِ. اما اذا اعترض احد بقولهِ

ان كان كلمة الله النور وان كان ذلك النور ينير قلوب بني البشر ويعلن لهم طريق التقوى وفهم الامور وان كان دائماً في العالم وهو صانع وخالق العالم فلماذا بقي مجهولاً من العالم زماناً طويلاً ؟ اذ يستنتج من بقائهِ مجهولاً من العالم ولكون لم يستنر بهِ انهُ لم يكن نور العالم. فلردّ اعتراضات كهذه قال يوحنا بالهام الهي "والعالم لم يعرفهُ" فكأنهُ يقول لا يليق بالعالم ان

يشكو من كلمة الله او نوره الازلي بل من ضعفهم لان الشمس تنير بنورها واما الخليقة فترفض النعمة المعطاة لها وتسيء استعمال بداهة العقل الموهوب لها الذي يمكنها به ان تعرف الله فهي قد حوّلت ابصارها بروح الضلال الى المخلوقات واهملت ان تتقدم ناظرة الى الامام فاحتقرت النعمة وفاتتها هذه الاستنارة بسبب روح الكسل والاهمال

ثم ان بولس الرسول خوفاً من ان يسقط تلميذهُ في حالة كهذه اوصاهُ لكي يسهر ولذلك فالتقصير يجب ان ينسب الى شر الذين يضيء عليهم النور وليس الى النور نفسهِ لانهُ كما ان الشمس تشرق على الجميع وعندما لا يستفيد الاعمى من نورها لا ينسب ذلك الى ضعف اشعتها لان سبب عدم البصر هو عماهُ وعلى ذات النسق ابن الله الوحيد مع كونه النور الحقيقي الذي يضيء بلمعانهِ على الجميع ولا يراهُ الجميع كما قال بولس ٢ كو ٤:٤ "اله هذا الدهر قد اعمى اذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم انارة مجد المسيح" فاذاً نقول ان الظلمة ادركت العالم ليس لانهم محرومون تماماً من النور لان الطبيعة لاتزال مجهزة بقوة الادراك المعطاة لهم من العناية الالهية بل لان الانسان يسمح بعادات شريرة تنمو فيهِ وتصيرهُ ارداً فارداً حتى تلاشي على نوع ما قياس النعمة الذي فيهِ وما اجمل صلاة المرنم لشخص وقع في حالة كهذه اذ يقول "اكشف عن عينيّ فأرى عجائب من شريعتك". فالشريعة أُعطيت لكي يتقد هذا النور فينا فتنجلي بواسطتهِ الغشاوة وتشفى من العمى الذي يبقينا في حالة الجهل فهذه الكلمات تؤنّب العالم وتصفهُ بالغباوة ونكران الجميل لانهُ لا يأتي باثمار النور الجيدة حتى انهُ يصح ان يقال الآن عن الكثيرين ما قال النبي عن اليهود في الزمان القديم انتظرت ليصنع عنباً فصنع عنباً ردياً لان ثمر الانارة الجيد يشبه عنقود على غصن مثمر هو معرفة الابن الوحيد الخ"

النعمة ليست عطية طبيعية فيظهر مما تقدم ان كيرلس كان يعتقد

انهُ قد أُعطي للجميع انارة مخلصة لان ما يتكلم بهِ عن الطبيعة لا يفهم من طبيعة الانسان فقط بل تلك الطبيعة التي لها قوة الادراك كمحبة المية وهو يعتقد ايضاً ان الانارة العامة هي ذات النعمة التي يذكر بولس الرسول تيموثاوس بها قائلاً لا تهمل النعمة التي فيك ولا يمكن ان يظن ان كيرلس كان بهذا المقدار احمق لكي يعدّ النعمة قوة طبيعية

البرهان الثاني

زرع الملكوت يزرع في اتربة متنوعة بدون فرق

(٢٣) وقد بيّن الرب صريحاً في مثل الزارع ان هذا الزرع والنور المخلص او قياس منهُ قد أُعطي للجميع مت ١٣ من عدد ١٨ ومر ٤ ولو ٨: ١١ اذ يقول ان الزرع الذي سقط على انواع اتربة مختلفة هو كلمة الملكوت والرسول يدعوهُ كلمة الايمان رو ١٠: ٨ ويعقوب ١: ٢١ "الكلمة المعروفة القادرة ان تخلص نفوسكم" فهذه الكلمات تصرح بان هذا الزرع هو مخلص من ذات طبعهِ لانهُ اثمر بكثرة في الارض الجيدة على اننا نرى زرع الملكوت اي هذه الكلمة الفائقة الطبيعة المخلصة الكافية قد زُرع على السواء في الارض المحجرة والتي علاها الشوك وعلى الطريق فلم يأتِ بالفائدة المطلوبة وذلك بسبب حالة هذه الاراضي التي زُرع فيها لان الزرع الذي زرع في الارض الجيدة من جنس واحد الا ان الضيق وغرور الغنى وغيرها كما بيّن المسيح نفسهُ في تفسير المثل يعيق نمو الزرع في قلوب الكثيرين وليس بسبب نقص فيهِ لانهُ هو ذات الذي ينمو ويثمر في قلوب الذين يقبلونهُ . فهو اذاً وان يكن لا يخلص الجميع الا ان الله يزرعهُ في قلوب الجميع لكي ينمو وتغتذي بهِ النفس ان لم يقاوَم ويختنق وقد قال بهذا فلتر انتيوخينوس في شرح مرقس ص ٤ في تاريخهِ البلاجمي الكتاب السابع ان ربنا يسوع المسيح قد زرع بذار الكلمة الالهي بسخاء وقدمهُ بدون محاباة للجميع على السواء لانهُ كما ان

الزارع لايميّز بين ارض وارض بل يطرح البذار على التساوي هكذا مخلصنا قد قدم طعام الكلمة الالهية مكمّلاً من جهتهِ حال كونهِ لايجهل مصير الكثيرين وهو قد تمم كل شيء حتى كان ممكنًا لهُ ان يقول " ماذا يمكن ان يُفعل وانا لم افعلهُ؟ وجواب هذا السؤَال ظاهر من مثل الوزنات مت ٢٥ فالذي سلَّم وزنتين قُبل بذات الترحاب الذي قُبل فيهِ الذي سلَّم الخمسة وذلك لانهُ استعملها لفائدة سيدهِ. وكان يمكن الذي سلَّم الوزنة الواحدة ان يفعل نظيرهُ لان وزنتهُ كانت من جنس الوزنات الاخر ولو استعملت لاتت بالفائدة بالنسبة الى البقية. وهذا يبين انهُ وان يكن مقدار النعمة المعطاة يختلف وقد يعطى للبعض خمس وزنات وللبعض وزنتان وللبعض وزنة واحدة فقط الا انهُ يعطى للكل ما يكفي ولا يطلب منهُ سوى بالنسبة الى ما قد أُعطي لان من يعطى كثيرًا يُطلَب منهُ كثيرًا لوقا ١٢ : ٤٨ فالذي أُعطي وزنتين قُبل لانهُ قدم اربعة كما قُبل الذي قدَّم العشرة وكان قد سلَّم خمسة فلو قدم ذاك الذي سلَّم الوزنة الواحدة وزنتين لكان قُبل نظيرهما ولا ريب بان ذلك كان في امكانهِ لو استعملها كما امكن الذي اخذ الخمسة ان يربح خمسة والذي اخذ الوزنتين ان يربح وزنتين

البرهان الثالث

(٢٢) ثالثًا ان هذا النور المخلص الروحي هو الانجيل الذي قال عنهُ الرسول صريحًا انهُ يكرز في كل الخليقة التي تحت السماء الذي صار بولس كارزًا لهُ كو ١ : ٢٣ لان الانجيل ليس مجرد اعلان امور صالحة فقط بل هو قوة الله للخلاص لكل من يؤْمن رو ١ : ١٦ وان يكن قد يراد بهِ اعلان بشرى الانجيل الخارجية احيانًا على سبيل الاستعارة لان الانجيل حقيقة هو تلك القوة والحياة الداخلية التي تعلن البشرى المفرحة في القلب لجميع الناس مقدمًا لهم الخلاص

وساعيًا لكي يحصلوا على الفداء من خطاياهم . ولهذا السبب قد قيل انهُ يُكرَز به في كل الخليقة التي تحت السماء مع انهُ يوجد الوف من الرجال والنساء الذين لم تصل اليهم البشرى الخارجية وقد قال بولس الرسول روص ١ "ان الانجيل هو قوة الله للخلاص لكل من يؤمن" ثم اردف كلامهُ بما يأتي "لان فيهِ معلن بر الله بايمان لايمان" ثم بقولهِ "لان غضب الله معلن من السماء على الذين يحجزون الحق بالاثم ولذلك يقول اذ معرفة الله ظاهرة فيهم لان الله اظهرها لهم اذًا ما يعرفونهُ عن الله انما يعرفونهُ بواسطة الانجيل المعلن في داخلهم لان كلام الرسول يشمل الذين لم تصل اليهم بشرى الانجيل الخارجية بل اعلنت لهم معرفة الله في داخلهم وهذا هو الانجيل المبشر بهِ في الانسان باعلان بر الله بايمان لايمان اعني انهُ يعلن للنفس كل ما هو عادل وصالح وطاهر . وكلما تقدم الانسان في قبول هذا الايمان يزداد بهِ اعلان بر الله لهُ شيئًا فشيئًا اي بايمان لايمان لانهُ وان يكن العدد التالي يقول ان الخليقة الخارجية تظهر قوة الله الا ان قوة الله ظاهرة فيهم اي في داخلهم وبواسطة هذا الاعلان الداخلي يمكنا ان نرى وندرك القوة الازلية واللاهوت في الخليقة الخارجية . ولولا هذه القوة الداخلية لما امكنا ان ندرك فهم امور الله الغير المنظورة بواسطة الخليقة الظاهرة المنظورة اكثر مما يقدر الاعمى ان يرى ويميز اختلاف الاشكال والالوان او يحكم بجمال مناظر العالم الخارجي لذلك قال اولاً ان معرفة الله ظاهرة فيهم وانهُ بتلك المعرفة يمكنهم ان يقرأوا ويفهموا قوة اللاهوت في الامور الخارجية المنظورة وعلى افتراض انهُ يمكن للخليقة الخارجية من تلقاء نفسها ودون قوة فائقة الطبيعة في القلب ان تظهر وجود الله للانسان الطبيعي فما هي الفائدة من تلك المعرفة ان لم تعلن للانسان مشيئة الله والطريق الذي يسلكهُ لكي يكون مقبولاً لديهِ تعالى لانهُ وان كان ممكنًا للخليقة الخارجية ان تقتنع بوجود قوة ازلية بها قد كون العالم منذ البداءة الا انها لا تعلن لنا كل ما

هو عادل ومقدس وبارّ ولانبيّن طريق النجاة من التجارب والاميال الشريرة والاتيان الى البر لان ذلك لا يتيسر لنا سوى باعلان داخلي في القلب. واعلان معرفة الله فيهم لكي يميزوا بين الخير والشر كما سيتبين في الاصحاح التالي الذي سياتي الكلام عنهُ والنبي ميخا عندما تكلم عن الانسان بوجه العموم صرّح بهذا مي ٦: ١ "قد اخبرتك ايها الانسان ما هو صالح وماذا يطلبهُ الله منك الا ان تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع الهك" فالنبي يظهر اولاً ان الله اخبرهم بما هو صالح الخ ثم بيّن لهم ما يطلبهُ منهم لان ذلك قد اعلن صريحاً لجميع الناس

الكارز الالهي اسمع صوتهُ والكلمة قريبة من آذان كل بني البشر وقد قال الرسول ان غضب الله معلن عليهم لانهم يحجزون الحق بالاثم اي قياس الحق والنور والزرع والنعمة فيهم فكأنهم يخنقون الوزنة في الارض اعني في مخبئات قلوبهم العالمية الاثيمة فلا يسمحون بها ان تأتي بثمر بل يخنقونها بواسطة هموم الحياة الشهوانية والخوف من الضيق وغرور الغنى كما قد اتضح من المثل المذكور آنفاً وبولس الرسول يتكلم في هذا ويبيّنهُ جليًا في رو ١٠ حيث يصف الكلمة التي كان يكرز بها الآن الكلمة التي كرز بها والانجيل الذي بشر بهِ والذي صار لهُ خادماً هما واحد انها ليست بعيدة بل قريبة في الفم وفي القلب وبعد ان ذكر هذا عاد فقال في العدد ١٤ و١٥ "وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا بهِ وكيف يسمعون بلا كارز" فكأنهُ وضع نفس اعتراض مخاصمينا ثم اجاب عن هذا في العدد الثامن عشر بقولهِ "لكنني اقول ألعلهم لم يسمعوا بلى الى جميع الارض خرج منطقهم والى اقاصي المسكونة اقوالهم" مصرحاً بان هذا المعلم الالهي اسمع صوتهُ في آذان وقلوب جميع بني البشر والا فهذا الكلام لا ينطبق على كرازة الرسل الخارجية في ذلك العصر او بعدهُ بمئات من السنين نعم وكما نعرف انهُ حتى الآن يوجد ممالك واسعة وشعوب

عظيمة لم تصل اليهم كرازة المسيح ورسله الخارجية ولنا وصف جلي وتام لكلمة الله الفعالة الداخلية عب ص ٤: ١٢ و١٣ "لان كلمة الله حية وفعالة وامضى من كل سيف ذي حدين وخارقة الى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة افكار القلب ونياتهِ" وهنا يعدد الرسول فضائل الكلمة الروحية واوصافها اما كونها حية فلانها تخص قلوب الجميع بدون استثناء. وقد بيّن في العدد التالي السبب لذلك بقوله "لان كل شيء عريان لعيني ذلك الذي معهُ امرنا وليست خليقة غير ظاهرة قدامهُ" ومع ان هذه الكلمات تشير نهائيًا الى الله فهي تشير ايضًا رأسًا بطريقة صريحة الى الكلمة او النور الذي كما برهنت آنفًا يوجد في قلوب الجميع والا لما كان ما ذكرهُ هنا في محلهِ

كل شيء مكشوف وظاهر قدامهُ فمن هنا يظهر ان كلمة الله تميز كل افكار القلب ونياتهِ لان كل شيء عريان قدامهُ وانما يراد بذلك ان الله يرى ويميز افكار الانسان بواسطة هذه الكلمة وبناء عليهِ وجب ان تكون موجودة في جميع الناس حيث يقول "وليست خليقة غير ظاهرة قدامهُ" فهذه الكلمة اذًا في الشاهد والرسول الامين الذي يشهد لله ولبرّهِ في قلوب جميع بني البشر لانهُ لم يترك نفسهُ بلا شاهد اع ١٤: ١٧ وقد جعل شارعًا للشعوب اش ٥٥: ٤ وبما ان هذه الكلمة تشهد لله فهي ليست موجودة في قلوب البشر لاجل دينونتهم فقط لانهُ كما جُعل شارعًا (كما قال النبي) جُعل رئيسًا وموصيًا عليهم فقد اعطى النور لكي يؤمن الكل بواسطتهِ. لان الايمان بالخبر والخبر بكلمة الله الموضوعة في قلب الانسان لتشهد لله ولتكون وسيلة للانسان يؤ اليهِ تعالى بالايمان والتوبة. فهي فعالة لكونها تفصل بين النفس والروح وهي كسيف ذي حدين لكي تنزع شر الانسان وتبين الفرق بين الخير والشر فبما ان قلب الانسان بارد وقاسٍ بحسب طبعهِ كالحديد فلذلك وضع الله فيهِ كلمتهُ هذه التي قيل عنها في ارميا ٢٣: ٢٩ انها كنار وكمطرقة فكما ان الحديد وهو

بارد و بحسب طبعهِ تحميهِ وتلينهُ حرارة النار وبكم بالمطرقة بحسب ارادة صانعهِ هكذا قلب الانسان القاسي بفضل كلمة الله الفعالة القريبة منهُ وفي داخلهِ تجعل فيهِ حرارة قلبية وتلينهُ وتطبع فيهِ صورة سماوية ان لم يقاوم فعلها وقد تكلم اكثر الآباء باسهاب عن هذه الكلمة والزرع والنور والصوت المخلص الذي يدعو الجميع للخلاص والقادر ان يخلصهم

قال اكليمنضس الاسكندري "ان الكلمة الالهية تنادي داعية الجميع مع انها تعلم جيداً من هم الذين يتمردون . ولما كان امر الطاعة او العصاوة منوط بنا ولكي لا يدَّعي احد بالجهل صار التصريح بهذه الدعوة العادلة غير مطالب احد بما فوق طاقتهِ" وهو نفسهُ قد صرَّح في موضع آخر منبهاً الامم قائلاً "ان سفير الرب السموي اي نعمة الله التي بالخلاص قد ظهرت للجميع الخ هذه هي الترنيمة الجديدة وهذا هو اتيان واعلان الكلمة التي تظهر الان نفسها فينا وقد كانت منذ البدء واول الكل" وقد قال ايضاً اسمعوا انتم البعيدون واسمعوا ايها القريبون ان الكلمة ليست مستترة عن احد النور عمومي للجميع وهو يضيء على الجميع فلا ظلام في الكلمة فلنسرع الى الخلاص والميلاد الجديد حتى اننا نحن الكثيرين نتحد معاً بالمحبة الوحيدة الواحدة" ثم قال انني اعتقد انهُ يوجد في الجميع وخصوصاً في دارسي التعليم قوة الهية وقد تكلم ايضاً عن الشاهد الداخلي قائلاً انهُ يستحق التصديق لانهُ من طبيعتهِ يختار ما هو صحيح وعادل وقد قال ايضاً ان الاتيان الى الحق والتمسك بهِ ممكن لنا لانهُ (كما قال موسى الفائق الحكمة) قريب منا جداً وفي بيوتنا فهو حي ويسكن في ايدينا وفي افواهنا وفي قلوبنا وهذا اصح واوضح علامة للحق الذي قد تم في ثلاثة امور في المشورة وفي الكلام"

الكلمة المنيرة وقد قال موجهاً خطابهُ الى الامم الغير المؤمنين "اقبلوا المسيح اقبلوا النور اقبلوا البصر فبهذا يمكنكم ان تعرفوا الله والانسان المعرفة الصحيحة ان

الكلمة التي انارتنا في اشهى من الذهب والحجارة الثمينة " وقد قال ايضاً "فلنقبل النور لكي نصير تلاميذ الرب" وقد قال ايضاً مكلماً الملحدين "ان الروح السماوي يساعدكم فقاوموا الملاهي واجتنبوها" وفي الكتاب الخامس من منشوراتهِ يقول "حاشا ان لايكون الانسان شريكاً في معرفتهِ تعالى وقد قيل عنهُ في سفر التكوين انهُ شريك في الوحي" وقال في كتاب آخر انهُ يوجد في الانسان امر شهي ومحبوب يدعى نسمة الله وفي منشوراتهِ في الكتاب العاشر يوجه افكار الناس الى النور والماء الكائنين فيهم بقولهِ للذين قد اظلمت عيون انفسهم وخدعتهم التعاليم الشريرة ان يدخلوا الى نورهم الاصلي او الى النور الذي هو داخل بيوتهم الحق الذي يعلن و يبين الاشياء التي قد كتبت بياناً جلياً تاماً

وقال جوستين مارتيوس في محاماتهِ الاولى ان الكلمة التي كانت والكائنة الآن في الكل هي هي نفس الكلمة التي تكلمت عن امور آتية بواسطة الانبياء قديماً وقال مؤلف دعوة الامم المجلد الاول الفصل الثاني "اننا نؤمن حسب منطوق الكتاب ونعترف بكل تديُّن وخشوع ان الله لم يهمل الاعتناء بكل البشر وان كان قد اقتنى شعباً خاصاً وارشدهم الى التقوى بتعاليم خصوصية لكنهُ لم يمنع عطايا جودتهِ عن شعب من الشعوب لكي يقتنعوا بها انهم قبلوا كلمات الانبياء والوصايا الشرعية كبراهين وشهادات للمبادىء الاولية ثم قال في الفصل السابع "انني اعتقد انهُ لا يوجد احد البتة محروماً من مساعدة النعمة" وفي الكتاب الثاني الفصل الاول قال "انهُ وان يكن الخلاص بعيداً عن الاشرار الا انهُ لا يوجد احد محروماً من فضائل هذا الخلاص وتأثيرهِ فيهِ وفي الفصل الثاني قال "بما اننا نرى انهُ ما من احد من الشعب الذي اعطيت لهُ هذه التعاليم لايتبرر الا بواسطة النعمة وبروح الايمان فلا يستطيع احد ان يشك بان كل الذين يستطيعون ان يرضوا الله من اي امة كانوا

وفي اي وقت كان قد ارشدوا بروح نعمة الله التي مع انها كانت في الزمان السابق نادرة وخفية الا انها لم تتوارَ في جيل من الاجيال فهي في الفضيلة واحدة وفي الكمية مختلفة وفي المشورة غير متغيرة وفي العمل متنوعة"

القضية الثالثة

(٢٤) ان القضية الثالثة التي يجب اثباتها هي ان الله يتم خلاص الجميع بهذا النور او الزرع او النعمة في القلب وهكذا يصير كثيرون شركاء الانتفاع بالخلاص المشترى بموت المسيح وكما ان كثيرين من الوثنيين بفعل هذا النور او الزرع او النعمة صاروا شركاء المواعيد مع انهم ليسوا من ذرية ابرهيم حسب الجسد هكذا الآن بعض الذين لم يمكنهم معرفة تاريخ المسيح الخارجي يقدرون ان يأتوا او يخلصوا بالمسيح . وقد اثبتنا آنفاً ان المسيح مات لاجل الجميع وانهُ اعطى لكل انسان زمان افتقاد يمكنهُ ان يحصل فيهِ على الخلاص وانهُ تعالى قد منح الجميع بالحقيقة قياس النور او النعمة للخلاص وانهُ قد كرز بالانجيل لهم وفيهم ووضع كلمة الايمان في قلوبهم وهذا كلهُ يبيّن جلياً ان مواد هذه القضية اضحت حقيقة ثابتة . الا انني لاجل تتمة الفائدة لكلّ من لهُ رغبة في معرفة الحق والتمسك بهِ كما هو بيسوع سازيد على ما تقدم معتمداً على شهادتين او ثلاث من الكتاب المقدس داحضاً اقوى الاعتراضات التي تقام ضدنا

ان هذه القضية تُقسَم الى قسمين اولاً ان الذين يُكرَز لهم بالانجيل وبيسوع المسيح لا يخلصون سوى بعمل النعمة والنور في قلوبهم ثانياً انهُ بعمل هذا النور قد امكن ويمكن الكثيرون ان يخلصوا مع انهُ لم تصل اليهم كرازة المسيح الخارجية او هم يجهلون تاريخ المسيح الخارجي تمام الجهل

اما القسم الاول فاكثر الجمهور يسلّم بهِ الا ان هذا التسليم هو غالباً

بالقول وليس بالفعل فاثبتهُ الآن بالبرهان بوجه الاختصار تاركاً التعمق والاسهاب فيهِ الى القضية الثانية التي موضوعها "التبرير" وسأبتدئ بكلام المسيح الى نيقوديموس يو ٣:٣ "الحق الحق اقول لك ان كان احد لا يولد من فوق لا يقدر ان يرى ملكوت الله" اما هذه الولادة فلا يمكن الحصول عليها ببشارة الانجيل الخارجية او بالمعرفة عن المسيح والايمان بتاريخهِ لان كثيرين لهم هذه المعرفة ويؤمنون بها كل الايمان ولكنهم لم يختبروا الولادة الجديدة على الاطلاق

الولادة الثانية لا تأتي بمعرفة المسيح الخارجية فبولس الرسول عند ما بيَّن شدة لزوم هذه الولادة الجديدة وعظم سموها لم يعطِ اقلَّ اهمية لمعرفة المسيح الخارجية او معرفتهِ حسب الجسد بقولهِ ٢ كو ٥: ١٦ و ١٧ "اذا نحن من الآن لا نعرف احداً حسب الجسد وان كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد لكن الآن لا نعرفهُ بعد . اذاً ان كان احد في المسيح فهو خليقة جديدة الاشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً" فهذا يبيّن جليّاً ان الرسول ينظر الى معرفة المسيح حسب الجسد كالمبادئ الاولى البسيطة التي يتعلمها الاولاد الصغار الذين عند ما يتقدمون في العلم لا تعود تفيدهم كما في البداءة وذلك لان جوهر تلك المبادئ ومضمونها اصبح ملكة في اذهانهم . هذا وبما ان كل تشبيهٍ يقصر عن المشبَّه بهِ من بعض الوجوهِ فلا اتثبَّت بالقول ان هذا التشبيه ينطبق من كل جهاتهِ على الموضوع الذي نحن بصددهِ الاَّ انهُ يبيّن قصدنا من جهات عديدة مثلاً ان كل من لا يتخطى هذه المبادئ الاولى لا يصحّ ان يسمى عالماً ثم كلما تخطاها وتعمق في العلم والمعرفة تقلّ فائدتها لهُ وهكذا كل الذين يقفون عند معرفة المسيح المعرفة الخارجية العقلية فهولاء لا يرثون ملكوت السموات

الولادة الثانية تتم بعمل النور والنعمة في القلب اما الذين

يتقدمون في المعرفة ويختبرون الولادة الثانية الجديدة ويثبتون في المسيح فيكونون فيهِ خليقة جديدة. الذين رأوا "ان الاشياء العتيقة قد مضت والكل صار جديداً" فهؤلاء يمكنهم ان يحدّوا بامانة مع الرسول قائلين "وان كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد لكن الآن لانعرفهُ بعد" فهذه الخليقة الجديدة تنشأُ اذاً عن عمل النور والنعمة في القلب وفي تلك الكلمة التي نقول عنها انها حادّة فعّالة تلك الكلمة المغروسة القادرة ان تخلص النفس وبها نولد الولادة الثانية فالمسيح قد اشترى لنا هذا الزرع الروحي لكي ينشئ فينا هذه الولادة التي دُعيت ايضاً "اظهار الروح المعطى لكل واحد للمنفعة" لانهُ مكتوب "اننا جميعنا بروح واحد اعتمدنا الى جسد واحد" وبطرس الرسول ايضاً ينسب هذه الولادة الى زرع الله وكلمتهِ والكلام عنها باسهاب اذ يقول ١ بط ١: ٢٣ "مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحيَّة الباقية الى الابد" الاَّ انهُ مع ان هذا الزرع قد يكون صغيراً جدّاً حتى ان السيد المسيح شبَّههُ "بحبة خردل التي هي اصغر جميع البزور" مت ١٣: ٣١ و٣٢ ومع انهُ مخبأ في قلب الانسان العالمي ومستكنٌ فيهِ فهو يحتوي على حياة وخلاص يصير اعلانهما لكل من لا يقاوم فعلهُ من بني البشر

ان ملكوت الله هو في الزرع الذي في قلوب جميع الناس وملكوت الله موجود في هذا الزرع الكائن في قلب كل انسان وظهورهُ للوجود ونموّهُ يتوقفان على عمقهِ وكمية تغذيتهِ وكونهُ لا يقاوَم فيختنق لذلك قال المسيح "ان ملكوت الله هو داخل الفريسيين انفسهم" لو ١٧: ٢٠ و٢١ مع انهم جاهروا ضدهُ وقاوموا عملهُ وحقّ لهُ ان يلقبهم بعدل "بالحيات اولاد الافاعي" فوجود ملكوت الله فيهم لا يمكن ان يكون سوى ضمن بزرة (وهكذا كان بادئ بدءٍ في الارض الجيدة التي اعطت ثلاثين او مئة ضعف) اما في

الفريسيين فسقط في تربة عقيمة فلم ينبت لعدم وجود الغذاء اللازم لانه كما ان كيان كل جسم الشجرة الكبيرة او جرثومتها كان كامناً في البزرة لكي ينمو في الوقت المناسب متى تيسّرت وسائل النمو وكما ان اصل كيان الرجل والمرأة وقوة الميل الى نشأتهما ليسا موجودين في الولد فقط بل وفي الجنين نفسو هكذا ملكوت الرب يسوع المسيح بل يسوع المسيح نفسهُ المسيح في الداخل الذي هو رجاء المجد والذي يصير حكمة وبرًّا وقداسة وفداء هو في قلب كل رجل مستنير وامرأة مستنيرة ضمن ذلك الزرع الذي لا يفنى بل هو معدّ للنموّ حالما يصير قبوله برغبة ومحبة . لانه لا يمكن ان يوجد اناس اردأ من اولئك الفريسيين العصاة الغير المؤمنين الذين كان ملكوت الله داخلهم وأُمروا ان ينظروا اليهِ فيجدوهُ هناك فلا يفيد القول بان ملكوت الله هو هنا او هناك او ان نبدي هذه الملاحظة او تلك لكي نتوصل الى معرفتهِ انما المفيد هو الانتباهُ الى زرع الله في القلب والاذعان له لان السبب الحقيقي لكون الذين يعرفون المسيح في داخلهم هم نفر قليل هو لان كثيرين قلما ينتبهون الى هذا النور او الزرع او النعمة في القلب بل يغضّون النظر عنهُ بالكلية

خطأُ الكلفنيين والبابويين والارمنوسيين والسوسنيين الذين ينكرون هذا النور

فالكلفنيون مثلاً ينظرون من جهة الى النعمة كقوة لا تقاوَم مع ذلك هم يهملون زرع الملكوت الازلي في قلوبهم ويحتقرونهُ كانهُ امر لا يبالى بهِ وغير مفيد او كافٍ لخلاصهم . اما البابويون والارمنوسيون والسوسنيون فيجاهرون من الجهة الاخرى في تعظيم القوى الطبيعية وينكرون بالاتفاق كون هذا الزرع الصغير او ظهور هذا النور الضعيف هو نعمة الله الفائقة المخلصة المعطاة لكل انسان لكي يخلص . فقد صحّ فيهم قول السيد المسيح " وهذه هي الدينونة

ان النور قد جاء الى العالم واحبَّ الناس الظلمة" واما سبب محبتهم الظلمة فقد ذكرهُ ايضاً بقولهِ "لان اعمالهم شريرة" فالكل يعترفون بانهم يشعرون بالنور لكنهم لا يريدون ان يعترفوا ان لهُ هذا التأثير بل ينسبهُ بعض الى الوجدان وبعض الى الضمير الطبيعي وبعض الى آثار بقايا صورة الله في آدم وهكذا كما صادف المسيح معاكسات ومقاومات من كل علماء عصرهِ لما كان ظاهراً في الجسد هو يصادف ذات المقاومة ايضاً في ظهورهِ داخليًا . وقد قيل انهُ كان محتقرًا من كثيرين لان منظرهُ الخارجي كان غاية في البساطة فقالوا "أليس هذا ابن النجار أليست اخواتهُ جميعهنَّ عندنا ألم يأتِ من الجليل وهل قام نبي قط من الجليل" واقاويل سخيفة كهذه قالوها لانهم كانوا ينتظرون مخلصاً خارجيًا يأتي كنبي ويخلصهم بسهولة من اعدائهم الخارجيين وليس كمسيًا الذي يجب ان يُصلَب محتملاً العار ويسبب لهم احزانًا ومصائب وضيقات كثيرة

طبيعة النور

وبساطة منظرهِ اليوم على ذات النسق تجعل اليسوعيين والسوسنيين الذين يدَّعون بقوة العقل والارمنوسيين الذين يدَّعون بالعلم ان يتغاضوا عن هذا النور طالبين امورًا يقدرون ان يستعملوا معها دهاءهم وعقلهم وحريَّة ارادتهم . اما الكثلكيون المطمئنون فهم يطلبون مسيحًا يخلصهم دون اقلّ تعب ويهلك جميع اعدائهم الخارجيين عنهم. ولا يفعل اقلّ تغيير في داخلهم بل يتركهم يعيشون في خطاياهم مطمئنين وعند البحث المدقق يتجلي لنا سبب هذا كلهِ من كلمات السيد نفسها لان اعمالهم كانت شريرة وانهم يرفضون هذا النور بالاتفاق لانهُ يوبخ حكمتهم جميعًا مهما كانوا متضلعين في العلم ويبكتهم في داخلهم كما انهُ يفحم براهينهم واقيستهم المنطقية . فلا يقدرون ان يسكتوا

صونة عن تأنيبهم مهما كانوا مطمئنين في افكارهم وواضعين اتكالهم على معرفة المسيح الخارجية وعلمهم بما احتمله بالجسد من اجلهم . لانه قد قيل في يوم يخاصم الكل ويتصارع معهم فالطبيعة الغير المائتة طبيعة آدم العتيق التي لم تزل حية في اعظم الحكماء وامهر العلماء واشدّ الناس غيرة على معرفة المسيح الخارجية هي التي تنكر هذا النور وتحقره ُ وترفضهُ لاجل دينونة الذين يسمحون لهذه الطبيعة ان تعمل فيهم وتنطق عليهم قول يوحنا الانجيلي يو ٣: ٢٠ "كل من يعمل السيئات يبغض النور ولا يأتي الى النور لئلا توبخ اعمالهُ" حتى انهُ يمكننا ان نقول الآن عن اختبار اكيد ثابت كما قيل قديمًا في مز ١١٨: ٢٢ ومت ٢١: ٤٢ ومر ١٢: ١٠ ولو ٢٠: ١٧ واع ٤: ١١ "ان الحجر الذي رفضهُ البناؤون صار رأس الزاوية" اما نحن فاننا نمجد الله دائمًا لانهُ اختارنا باكورة اثمارهِ في هذا اليوم الذي فيهِ قام لاجل محاكمة الشعوب وارسلنا لنكرز للجميع بانجيلهِ الازلي ان المسيح قريب من الجميع والنور موجود في الجميع والزرع مزروع في قلوب الجميع لكي يقبل جميع الناس اليهِ ويمتثلوا بهِ . وبهذا نحن نفرح ونبتهج لاننا قد وضعنا حكمتنا وعلمنا وكل احتياجاتنا الجسدية جانبًا لكي نتعلم من يسوع ونجلس من اعماق قلوبنا عند قدميهِ ونسمع منهُ لانهُ يعلن لنا هناك كل شيء ويوبخ كل شيء بنورهِ العجيب افس ٥: ١٣

بعض العلماء والحكماء العالميين يصلبون المسيح لان كثيرين من الحكماء والعلماء في معرفة اقوال الكتاب وحسب هذا الدهر (كما كان الفريسيون قديمًا) ومن القادرين ان يتكلموا كثيرًا عن المسيح ويحاجّون الكفرة واليهود وبعض البدَع هم في الوقت نفسهِ يصلبون المسيح الذي يظهر لهم بواسطة هذا الزرع الصغير في قلوبهم . ولكن الافضل ان يخلو الانسان ويجرّد من كل هذه المعارف ويحسبها نفاية وان يُعدّ احمق لاجل المسيح لكي يمتن ان الله يعلمنا في قلوبنا ونعاين قيامتهُ فيها ونشعر بقوة صليبهِ ونقول

مع الرسول " حاشا لي ان افتخر الاَّ بصليب ربنا يسوع المسيح الذي بهِ قد صُلب العالم لي وانا للعالم " غل ٦: ١٤ وهذا خير لنا من ان نكتب الوفا من الشروح ونكرز بمواعظ كثيرة . فلهذا اقامنا الله لنعلّم بالمسيح ونوجّهَ افكار الناس الى نورهِ الطاهر في القلب غير مكترثين اذا اعدَّنا حكماء هذا الدهر جهلاء من اجل ذلك . لاننا بفعل صليب المسيح في قلوبنا ننكر حكمة انفسنا ومشيئتنا في امور كثيرة ونترك محبة هذا العالم وازياءهُ وعاداتهِ الباطلة لان العالم قد كان في كل هذه الاجيال المتعددة مملوءًا من معرفة المسيح العقيمة العديمة الثمر فالتهوا بالقشور عن اللب متمسكين بالعرض دون الجوهر . والشيطان لا يبالي بكثرة انتشار هذه المعرفة ما زال هو المالك في القلب والمتسلط على الارادة صالبًا صورة المسيح . لانهُ بهذا يمنع الزرع عن ان يتأصل في القلب فقد طاف بكثيرين من المسيحيين هنا وهنالك واغواهم بسبب الغيرة الباطلة واقامهم على بعضهم لكي يتشاحنوا ويتخاصموا على هذا المعنى الخارجي او ذاك. طالبين ان يجدوا المسيح في فروض خارجية كالخبز والخمر مثلاً ثم اختلفوا فيما بينهم عن كيفية وجودهِ فيهما فالبعض يقولون انهُ يوجد على هذه الصورة وغيرهم بصورة غيرها . وعلّم البعض انهُ يوجد في الكتاب المقدس او غيرهِ كتب او بالجمعيات او زيارة الاماكن المقدسة او الاستحقاقات حتى انهُ يوجد اناس يقتنعون بايمان خارجي عقيم. زاعمين انهُ يكفيهم ان آمنوا بان المسيح قد مات عن خطاياهم السابقة والحاضرة والمستقبلة حال كونهِ في الوقت نفسهِ يوجد مصلوبًا في داخلهم وهم كل يوم يشهرونهُ ويقاومونهُ ويتكلمون ضدهُ في قلوبهم وعند ما نرى هذه الغباوة والجهالة منتشرة في العالم المسيحي نشعر بان الرب يحركنا على الدوام ان ندعو الجميع ونحثهم ونطلب اليهم ان يوجّهوا ابصارهم الى النور الموجود في داخلهم وينتبهوا اليهِ ويؤمنوا بالمسيح كما هو فيهم

دعوة الرب للعالم البسيط الغير مستنير بالعلم فبساطة اسم الرب التي لاجلها يدعونا حكماء هذا العالم جهلة وبنوّته وسلطانه لا بالاقيسة والبراهين العلمية تأمرهم ونطلب اليهم ان لا ينظروا الى حكمتهم وان يتركوا كبرياءهم ومعرفتهم العالمية الوهمية وان يمنعوا افواههم عن التكلم مهما كانت اقوالهم فصيحة بروق سماعها للاذن العالمية ويسكتوا متضعين وجالسين في التراب وينتبهوا الى ما يوحيه نور المسيح في ضمائرهم الذي اذا اصغوا اليه يجدونه كسيف ذي حدّين في اعماق قلوبهم وكنار ومطرقة تحرق وتزيل كل الاوهام والاقاويل الجسدية الباطلة المجتمعة هناك وامامها يرتجف اشدهم جسارة وقلبًا فيصيرون (كوبكرس) بالحق

اما الذين لا ينتبهون لهذا النور ولا يشعرون بالابن ولا يقبلونه ما دام النهار يدعى نهارًا بل يقسّون قلوبهم فسيعلمون يومًا ما حقيقة ما قد علمناهُ به ويندمون ولات ساعة مندم وفي الختام اقول للجميع كما قال الرسول ٢كو١٣: ٥ "جرّبوا انفسكم هل انتم في الايمان امتحنوا انفسكم ام لستم تعرفون انفسكم ان يسوع المسيح هو فيكم ان لم تكونوا مرفوضين"

(٢٥) **ثانيًا كثيرون يمكنهم ان يخلصوا بالنور حال كونه ليس لهم معرفة المسيح الخارجية** ان ما علينا ان نثبتهُ هو ان البعض قد خلصوا او يمكنهم ان يخلصوا بعمل هذا النور او الزرع مع انهُ لم تصل اليهم كرازة المسيح الخارجية ولا عرفوا تاريخ المسيح كما هو في الجسد وتسهيلاً لفهم هذه الحقيقة قد بيّنا فيما سبق انهُ بما ان المسيح قد مات لاجل جميع الناس فالكل يستنيرون به وينالون قياس نور ونعمة للخلاص لا بل والانجيل ايضًا يكرز لهم وفيهم وانهُ وان تكن هذه البشائر ليست على طريقة خارجية فيتسنى لهم الخلاص بها ايضًا وعلى ما تقدم سابني القياس الآتي :-

ان الخلاص ممكن لكل من أُعلن لهم قوة الله للخلاص مهما كانت معرفتهم

الخارجية ولكن الانجيل يكرز به للخليقة كلها حال كون الكثيرين لا تصل اليهم المعرفة الخارجية

اذاً كثيرون من الذين لا تصل اليهم المعرفة الخارجية يخلصون

ان نعمة الله المخلصة تعلّم الانسان كل الواجبات المطلوبة منهُ

وساضيف على ما تقدم من الاقيسة التي قد اثبت بها ان كل انسان عندهُ قياس نعمة مخلصة قياساً آخر يتضح من قول بولس الرسول الى تيطس ٢: ١١ لانهُ قد ظهرت نعمة الله المخلصة لجميع الناس معلمة ايانا ان ننكر الفجور والشهوات العالمية ونعيش بالتعقل والبرّ والتقوى في العالم الحاضر" فلا يوجد قول اشدّ وضوحاً او اكثر صراحة من هذا فهو يتضمن جانبي المحاورة لانهُ يشهد اولاً ان هذه النعمة اي النور ليست مادة طبيعية بل يقول صريحاً انها مخلصة

ثانياً لا يقول ان اعلانها كان للبعض بل لجميع الناس فاثمارها تبيّن لنا قوّتها لانها تشتمل على كل ما يجب على الانسان معرفتهُ اذ تعلمنا اولاً ان نترك الشرّ وننكر الفجور والشهوات العالمية ثم ترشدنا الى واجباتنا وهي ان نعيش بالتعقل اي بالعفة والطهارة والتواضع وبكل ما يتعلق بشخص الانسان ثانياً ان نعيش بالبرّ اي بالانصــاف والعدل والامانة وهذه الامور تتعلق بالقريب واخيراً ان نعيش بالتقوى اي بالصلاح والامانة والاخلاص وهذه واجباتنا نحو الله . وهكذا لا يوجد شيء يُطلَب من الانسان او ضروريٌّ لهُ الاَّ وتعلمهُ هذه النعمة . الاَّ انني سمعت مبشراً من الغموريين يحاول سلب قوة هذه الآية بانكارهِ انها مخلّصة قائلاً جهاراً انهُ لا يقصد منها سوى الانعامات والمنح الاعتيادية كحرارة النار ونور الشمس. فالى هذا الحدّ وصل ظلام وجهل

بعض مقاومي الحق

سخافة تفسير كلمة جميع وانكار كون النعمة مخلصة في ٢: ١١

ويوجد ايضاً اناس مع انه يقال انها "مخلصة لجميع الناس" يقولون اننا لا ننكر كون هذه النعمة مخلصة الاّ ان لفظة جميع لا تشمل كل فرد من افراد البشر بل يقصد بها جميع اصناف البشر . انما هذه حجة واهية ليست كافية ادحض ما هو ثابت قطعياً . فلو صار تسامح بتأويل وتحريف الكتاب على هذا النمط فاي محال لا يمكن اثباته واي حق ظاهر لا يمكن انكاره؟ ولكن لا سبيل لان يتقلقل ايماننا بسبب افكارهم وهو مؤسس على كلام الكتاب الصريح فهم انما يقصدون ان يقنعونا ان نعلن خلاف ما نعتقد اذ يريدون ان يبرهنوا لنا انه وان كان ظاهر كلام الرسول يعني ما اثبتناه ونعتقد به الاّ انه يُقصَد به ما يعتقدونه هم وان يكن معاكساً للظاهر تماماً

فيا لها من سخافة باطلة ظاهرة ان يقال ان لفظة (جميع) الصريحة يقصد بها البعض القليل ولو اكتفوا بالقول انه يقصد بها العدد الاعظم لكان بذلك ما يستترون به الاّ انهم يريدون ان يثبتوا انها تدلّ على القليل فلا نعلم على ايّ قياس يجرون . لان بعض الكتبة قد يطلقون لفظة (جميع) على الاكثرية غير معتدّين بالمعدود اليسير المخالف ام هل يقدر هولاء ان يبيّنوا لنا من الكتاب او من غيره انه عند الكلام عن عددين يقصد بكلمة (جميع) العدد الاقل ومع هذا كله فهم يصرّون على التمسك برأيهم قائلين ان عدداً يسيراً جداً من الناس يحصل على هذه النعمة المخلصة وان الرسول قصد بكلمة جميع هذا العدد اليسير

ومع ان ما تقدم كافٍ لاثبات مبدإنا فرفعاً لكل شبهة ساذكر قول الرسول نفسهُ في موضع آخر تفسيراً لهذه الاية رو ٥: ١٨ "فاذا كان بخطية

واحدة صار الحكم الى جميع الناس للدينونة هكذا ببرّ واحد صارت الهبة الى جميع الناس لتبرير الحياة" فكل ذي عقل سليم ان لم يتعمد التشبث بعناده يقرّ بان كاف التشبيه تجعل لكلمة جميع التي في اول الآية والجميع التي في آخرها معنى واحداً من جهة شمولها فان كانوا لا يقرّون بهذا فليأتوا بمثل واحد من الكتاب المقدس او من غير كتابات موضوعة بلغة صحيحة يستفاد منه خلاف هذا فيتحتم علينا اذاً اما ان نحكم بان هذه الخسارة التي تقضي بالدينونة لا تتناول الجميع ان الهبة التي صارت بيسوع المسيح تشمل الجميع

وعلى ما تقدم ابني القياس التالي

ان كان الجميع سقطوا بسقوط آدم وصاروا تحت الدينونة اذاً الجميع نالوا الهبة من المسيح للتبرير

اما السابق فحقيقي ثابت فاللاحق هو ايضاً كذلك

يمكن خلاص الوثني بالنور وبالطبع يمكننا ان نستنتج مما تقدم انه يمكن لجميع الناس حتى الوثنيين ان ينالوا الخلاص لان المسيح "قد جُعل نوراً للامم" اش ٤٩: ٦ وان قلنا انه وان كان الخلاص ممكناً لجميع الّا انه لا يخلص احد نكون قد حكمنا حكماً ظالماً عديم الرأفة وانا نفسي لا ارى سبباً لهذا . ولو فُرض المحال وقلنا انه حتى الآن لم يخلص احد من الوثنيين فليس هذا برهان يثبت عدم امكان خلاصهم لان الحتم بعدم امكان وجود امر لانه لم يوجد الى الآن فاسد وباطل

اعتراض ولكن اذا قدم احد هذا الاعتراض وهو اكبر اعتراض أُقيم ضدنا انه ليس اسم تحت السماء به يمكن الخلاص سوى اسم يسوع وبما ان الامم لا يعرفون هذا الاسم فلا يمكن خلاصهم

جواب فأُجيب ان معرفة المسيح الحقيقية هي المخلصة وليس المعرفة اللفظية فانه وان يكن ليس عندهم معرفة اسم المسيح اللفظية الّا انهم اذا شعروا

بقوتهِ وفعلهِ الحقيقيين داخليًا فاسم المسيح الحقيقي الذي معناهُ مخلّص يحرّرهم من كل خطية وشرّ في قلوبهم ويمكنهم ان يخلصوا بهِ انني اسلّم انهُ ما من اسم بهِ ينبغي ان نخلص سوى اسم يسوع المسيح. الّا ان معرفة هذا الاسم ليست لفظية بل هي معرفة حقيقية اختبارية حتى ان الذين يعرفون هذا الاسم المعرفة اللفظية لا يخلصون بها ما لم يقرنوها بالمعرفة الاختبارية. واما المعرفة الاختبارية فالخلاص ممكن بها دون المعرفة الحرفية الخارجية وسيأتي بيان ذلك في الاقيسة الآتية. لانهُ اذا كان من الواجب ان اعرف ذاك الذي انال بواسطتهِ المنفعة او المعرفة الخارجية اللفظية قبل ان استطيع ان اجتني اثمار تلك المنفعة. اذًا يستنتج بموجب قانون المعاكسة انهُ لا ينالني ضرر ما لم اعرف من هو المسبب لذلك الضرر معرفة خارجية واضحة اما الاختبار فيثبت لنا عكس هذا. فكم وكم من الذين اجتاز اليهم الضرر من سقوط آدم مع انهم لم يعرفوا قط انهُ وُجد شخص بهذا الاسم او انهُ اكل من الثمرة المنهي عنها فان كان ينالهم الضرر مع عدم المعرفة للتاريخ الخارجي فلماذا لا يمكنهم ان يخلصوا بالنعمة المعطاة لهم من المسيح يجعلهم ابرارًا وقديسين لانهم لا يعرفون معرفة خارجية ان المسيح قد اشترى ذلك لهم بموتهِ وآلامهِ لما صُلب في اورشليم وخصوصًا لان الله قد جعل تلك المعرفة غير ممكنة

اما الصحيح فهو كما ان كثيرين ماتوا بفعل سمّ وُضع في طعامهم مع انهم لا يعلمون ما هو السمّ ومن دسّهُ لهم وكما ان كثيرين حصلوا على الشفاء من امراضهم بسبب ادوية جيدة وهم لا يعلمون كيفية استحضارها او الاجزاء التي تتركب منها هكذا الحال في الامور الروحية كما سيأتي برهان ذلك

المعرفة الخارجية ليست ضرورية للخلاص مثل الاطفال والصمّ

(٣٦) **اعتراض اول** لو كانت هذه المعرفة الخارجية لازمة بهذا المقدار او كانت ضرورية للخلاص لما امكن احد ان يخلص دونها البتة ولكن مناظرينا انفسهم يعترفون ولا ينكرون ان عددًا عظيمًا من الاطفال والصمّ يخلصون دونها . فبهذا هم يخالفون قاعدتهم العمومية ويجعلون الخلاص ممكنًا دونها ولا يمكنهم القول بان سبب ذلك هو لان الاطفال دون خطية لكونهم يعتقدون بان كل الاطفال يستحقون الهلاك الابدي بسبب خطية آدم ويعتبرونهم مجرمين حقيقة امام الله . اما من جهة الصمّ فالاختبار يرينا انهم عرضة لكثير من الآثام الاعتيادية كغيرهم من البشر. اما اذا اعترض بان هولاء الاولاد مولودون من آباء موءمنين فهل يفيدهم ذلك ؟ كلاَّ. لانهم لا يعلمون بان الآباء المؤمنين يورثون النعمة لاولادهم بل يثبتون ان هولاء الاولاد تتصل اليهم الخطية الاصلية ويستحقون بها الموت كغيرهم فما هو برهانهم على ان اولادهم من آباء موءمنين تعوّض عن عدم وجود المعرفة الخارجية

اعتراض ثانٍ اما اذا قالوا ان الصمّ يمكن ان يفهموا عن الانجيل بالارشادات والعلامات

أُجيب ان كل الارشادات قاصرة عن ان تعلمهم تاريخ موت المسيح وآلامهِ وقيامتهِ لانهُ باي علامة يمكن ان تفهم رجلاً اصمّ ان ابن الله اتخذ طبيعة الانسان ووُلد من عذراء وتألّم تحت حكم بيلاطس البنطي

اعتراض ثالث ثم ربما يعترضون قائلين ان هولاء هم في حضن الكنيسة المنظورة وشركاء في العشاء الرباني

فأُجيب ان كل ذلك بحسب مذهبهم لا يجعل امر خلاصهم

مؤكدًا والبروتستانت انفسهم يعترفون ان نيل النعمة لايكون بمجرد رسمها الخارجي ex opere operato ويعترضون ايضًا ان كثيرين من الذين هم في حضن الكنيسة يظهر للعيان انهم ليسوا اعضاء حقيقيين فيها فاذا كانت هذه الرحمة تشمل هولاء الموجودين في اماكن يكرز فيها الانجيل فينالون الخلاص حال كونه يتعذر عليهم التوصل الى معرفة وسائل الفداء الخارجية فلأي سبب تمنع هذه الرحمة عن اولئك الذين وان يكن عندهم قوة السمع انما يتعذر عليهم استماعها لعدم وجود من يخبرهم بها وعدم اطلاعهم على شيء منها

ان الصيني او الهندي معذور لعدم معرفته تاريخ موت المسيح ولماذا لا يُعذَر الصيني او الهندي لعدم معرفة شيء لم يسمعهُ قط كما يُعذَر الاصمّ الذي لا يقدر ان يسمعهُ . فكما ان الاصمّ لا يلام لان الله شاء ان يوجدهُ تحت هذا الضعف هكذا لا يلام الصيني او الهندي لان الله لم يعطهِ فرصة للاستماع فالذي لا يقدر ان يسمع شيئًا لانهُ بعيد عنهُ اضطرارًا والذي لا يقدر ان يسمعهُ لانهُ اصمّ هما في صفّ واحد ودرجة واحدة

ثانيًا ان بطرس الرسول قد اثبت هذا جليًا بقولهِ اع ١٠: ٣٤ " بالحق ان الله لا يقبل الوجوهَ بل في كل امة الذي يتقيهِ ويصنع البر مقبول عندهُ " ان بطرس كان معرَّضًا لنفس الخطإ الذي كان عند اليهود فهم كانوا يعدّون كل من كان خارجًا عنهم نجسًا ولا يمكنهُ ان يخلص ما لم يتهوّد او يختتن . اما الله فاظهر لبطرس في الرؤيا فساد هذا الزعم وعلّمهُ ان لا يدعو شيئًا نجسًا او دنسًا . فلذلك ربما استمع الله صلاة كرنيليوس وهو غريب عن الناموس وعن يسوع المسيح بحسب المعرفة الخارجية واتضح لبطرس جليًا ان الله قد قبلهُ وقبل عنهُ انهُ خائف الرب قبلما حصل على المعرفة فهكذا استنادًا على ما تقدم صرّح الرسول قائلاً ان كل انسان من اي امة كانت

الذي يتقي الله ويصنع البرّ هو مقبول لديهِ . فهو يجعل خوف الله وعمل البرّ الصفات المؤهلة للنول وليس المعرفة التاريخية الخارجية فكل من اتصف بهذه الصفات ينال الخلاص بقطع النظر عن مكان وجودهِ وهذا يثبت ان النعمة معطاة لكل انسان وانهُ يمكنهُ بواسطتها ان يعيش بالتقوى والبرّ كما سلك كرنيليوس فقُبلت صلواتهُ وصعدت تذكاراً امام الله قبلما حصل على المعرفة الخارجية .

من اي كتاب تعلَّم ايوب معرفتهُ السنية   او لم يكن ايوب ايضاً "رجلاً كاملاً ومستقيماً يتقي الله ويحيد عن الشرّ" ؟ فمن علَّم ايوب هذا ؟ وكيف عرف ايوب عن سقوط آدم ؟ ومن اي كتاب تلك المعرفة السامية والايمان الذي بهِ عرف ان وليَّهُ حي (لان كثيرين يقولون انهُ كان معاصراً لموسى) ألم يكن ذلك بواسطة النعمة الداخلية في القلب ألم تعلمهُ تلك النعمة ان يحيد عن الشرّ ويخاف الله فعدَّ رجلاً عادلاً ومستقيماً ؟ وقد وبخ شرّ الناس ص ٢٤ وبعد ان عدَّد آثامهم دانهم ايضاً عدد ١٣ لانهم تمرَّدوا على النور ولم يعرفوا سبلهُ ولا سلكوا في طرقهِ . فمن هذا يتضح اذاً ان ايوب آمن بوجود نور عند بني البشر ولكونهم قاوموهُ ولم يعرفوا سبلهُ ولا سلكوا في طرقهِ كما فعل الفريسيون الذين عندهم الكتب ولكنهم ضلوا لعدم معرفتهم اياها

اصدقاء ايوب واقوالهم النفيسة   ثم ان اصحاب ايوب وان يكونوا خطأوا في بعض اقوالهم فمن علَّمهم تلك المعرفة النفيسة والاقوال السامية ؟ ألم يعطهم الله تلك المعرفة لكي يخلصهم ؟ ام كانت لاجل دينونتهم فقط ومن علَّم اليهو ان نسمة القدير تعقّلهم وان روح الله صنعتهُ ونسمة القدير احيتهُ ؟ ألم يقبل الله ذبيحتهم فمن يتجاسر ويقول انهم هالكون . وقول الرسول فيما بعد يرفع كل التباس او ريب او جدال في هذا الموضوع ان كنا نؤمن ايماناً

ثابتاً بكل ما يقوله فقد جاء في رو ٢ "ان الامم فعلوا ما هو بالناموس" وسابني مما تقدم القياس الآتي

ان كل من يخاف الله و يصنع البرّ من اي امة كانت هو مقبول عنده
انما كثيرون من الامم كانوا خائفي الله وصنعوا البرّ
فاذاً هولاء الامم هم مقبولون عنده

اما المقدمة فهي ثابتة من قول بطرس وسابنيها ايضاً من القياس الآتي

ان كل من يفعل ما هو في الناموس فهو يخاف الله ويصنع البرّ
اما الامم ففعلوا ما هو في الناموس
اذاً هم خائفو الله وصنعوا البرّ

فهل يمكن ان يوجد قول اوضح من هذا ؟ لانه ان كان عمل ما هو في الناموس ولا يُحسَب تقوى الله وعمل البرّ فاي عمل يُحسَب كذلك . ألا ترى ان الرسول يدعو الناموس روحياً مقدساً عادلاً صالحاً ؟ ويثبت هذا بجلاء وصراحة لا مزيد عليها ما جاء في الاصحاح نفسو العدد الثالث عشر حيث يقول ان الذين يعملون بالناموس هم يبررون وسابني منه القياس التالي دون ان اضيف عليه شيئاً البتة

ان الذين يعملون بالناموس هم يبرّرون
اما الامم فيعملون ما هو في الناموس
الامم يبرّرون بعمل الناموس فكل من يريد ان يرى النتيجة كما هي يستطيع ادراكها بكل سهولة من كلمات الرسول الجلية الواضحة فكانه بالحقيقة في كل الاصحاح يجهد نفسه بمحاورة مناظرينا قاصداً اثبات هذا التعليم فيقول في الاعداد ٩ و ١٠ و ١١ "شدة وضيق على كل انسان يفعل الشرّ اليهودي اولاً ثم اليوناني لان ليس عند الله محاباة" فبولس الرسول هنا يصدّق قول بطرس الرسول المذكور سابقاً ويستحسنه ويظهر انه

لا فرق بين اليهودي واليوناني او كما يفسّر هو نفسهُ بين الذين لهم ناموس خارجي والذين ليس لهم لان كل من يفعل الصلاح يتبرّر ولاجل ازالة كل شك يصرّح في الاعداد التالية "ان الذين يفعلون ما هو في الناموس يبرّرون" وان الامم يعملون بالناموس فان كنا لا نظنّ بان الرسول كتب خلاف ما كان يقصد لابدّ ان نستنتج من كلامهِ ان الامم قد تبرروا وصاروا شركاء لذلك المجد والكرامة والسلام الذي يناله كل من يفعل الصلاح حتى من هولاء الامم الذين ليس لهم الناموس لانهُ ليس عند الله محاباة . فاذاً كما انهُ قد اتضح ان المعرفة الخارجية لا تخلص دون التأثير الداخلي هكذا اتضح ايضاً ان عدم وجود هذه المعرفة لمن يستحيل عليهم التوصل اليهـا لا يسبّب الهلاك لمن قد حصلوا على الشعور الداخلي

كثيرون مع عدم المعرفة التاريخية كانوا يشعرون بالخسارة التي بواسطة آدم ويشعرون ايضاً بالخلاص الذي تمّ بالمسيح على انهُ يوجد كثيرون من الذين ليس لهم تلك المعرفة الخارجية ادركوا حالتهم بفضل النعمة في قلوبهم داخلياً وعمل ذلك النور المعطى لكل انسان فابتعدوا عن الشرّ وصاروا ابراراً مقدسين كما قد ظهر بالبرهان انهم مع كونهم لم يعرفوا شيئاً عن سقوط آدم قد ادركوا في داخلهم الخسارة التي نجمت عنهُ وشعروا انهم ميالون الى الخطية والى جسد الخطية الذي فيهم وهولاء مع عدم علمهم باتيان المسيح قد ادركوا قبل ظهورهِ بالجسد وبعدهُ بتلك القوة الداخلية والخلاص الذي تممهُ بمجيئهِ . وبدون شك لا يقدر القائلون بخلاف هذا ان يثبتوا بالبرهان ان كل البطاركة والآباء الذين عاشوا قبل موسى كان لهم معرفة خارجية واضحة عن سقوط آدم او مجيء المسيح او انهم عرفوا شيئاً عن شجرة معرفة الخير والشرّ او عن اكل آدم من الشجرة المنهيّ عنها او بالحري عن ان المسيح سيولد من عذراء ويُصلب ويعامل المعاملة التي عُومل بها لانهُ

من المؤكد ان ما كتبهُ موسى عن الازمنة الاولى قد كان بالوحي وليس بالتقليد حتى انك ترى انهُ ليس بعد كتابات موسى فقط بل وبعد ما كتبهُ داود وكل الانبياء ايضاً الذين تنبأُوا بنبوات كثيرة عن المسيح

عدم معرفة اليهود للمسيح لسوء فهم النبوات ان اليهود الذين كانوا ينتظرون مجيء المسيح بشوق لم يستطيعوا ان يميزوهُ عند اتيانهِ بل صلبوهُ كمجدِّف وليس كمسيّا لانهم لم يفهموا النبوات التي تكلمت عنهُ وقد قال بطرس صريحاً لليهود اع ٣: ١٧ "انكم بجهالة عملتم كما رؤساؤكم ايضاً" وبولس يقول ١كو ٢: ٨ "انهم لو عرفوا لما صلبوا ربَّ المجد" ومريم ايضاً نفسها التي كلمها الملاك والتي وضعت كل الامور العجيبة التي رافقت ولادتهُ في قلبها لم تفهم انهُ كان فيما لابيهِ عندما كان يجادل المعلمين في الهيكل . والرسل الذين آمنوا بهِ وتكلموا معهُ يومياً ونظروا عجائبهُ لم يستطيعوا ان يفهموا الامور التي كانت تشير الى موتهِ وآلامهِ وقيامتهِ بل كانت على نوع ما نظير عثرة لهم

(٣٧) الوثنيون شعروا بخسارة سقوط آدم اننا قد رأينا ان المعرفة الحقيقية هي صادرة عن العمل الداخلي وليس بواسطة المعرفة والاطلاع على التاريخ الخارجي والكتاب وبواسطة هذا النور الداخلي ادرك كثيرون من الفلاسفة الوثنيين الخسارة الناجمة عن سقوط آدم مع عدم معرفتهم التاريخ الخارجي فقد قال افلاطون "ان نفس الانسان قد سقطت في كهف مظلم حيثما كانت تتحدث مع الاشباح فقط" وقال فيثاغورس ان الانسان يجول تائهاً في هذه الدنيا كغريب منفي من لدنهُ تعالى . وقد شبَّه بلاتينوس نفس الانسان الساقطة من لدن الله بجمرة مطفأة ذهبت النار منها وقد قال بعضهم ان اجنحة النفس قد نزعت فسقطت ولم تعد قادرة على الطيران اليهِ تعالى . فما ذُكر وكثير مما لم يذكر من كتاباتهم يدلّ على انهم كانوا يشعرون

بهذه الخسارة وهم ايضاً قد عرفوا الرب يسوع ووجدوهُ داخلياً كدواء ينجيهم من ذلك الزرع الاثيم ومن اميال قلوبهم الشريرة وان يكونوا لم يعرفوهُ بذات الاسم

تسمية شيشرون التمييز نوراً داخلياً غريزياً وقد سمّاهُ البعض روحاً قدوساً كسنيكا الذي قال في رسالتهِ ال ٤١ يوجد فينا روح قدوس يعاملنا كما نعاملهُ وسماهُ شيشرون في كتابهِ المسمى De Republica الذي استشهد بهِ لكتنتيوس انهُ نور غريزيّ وهو نفسهُ يدعوهُ العقل السليم المعطى للجميع الدائم الازلي الذي يدعو الى الواجبات موصياً بها وبالابتعاد عن الحنث والشرور ناهياً عنها . ثم يقول انهُ لا يمكن الغاؤهُ ولا تحرير احد منهُ سواء كان من الاعيان ام من العامة فهو فرد ازليّ يحكم على كل الشعوب فلا يوجد واحد في رومية وآخر في اثينا . وكل من لا يطيعهُ فعليهِ ان يهرب من نفسهِ وهذا بذاتهِ عذاب اليم حتى ولو نجا من كل القصاصات الاخرى. وبلاتينوس يسميهِ نوراً قائلاً كما اننا لا يمكننا معرفة الشمس الاَّ بنورها كذلك الله لا يُعرَف الاَّ بنورهِ وكما ان العين لا تبصر الشمس الاَّ بانطباع صورتهـــا هكذا الانسان لا يقدر ان يعرف الله الاَّ بقبول نورهِ ولا يمكنهُ ان ينال طهارة القلب قبل ان يعرف الله وقد سمّاهُ ايضاً الحكمة وهذا الاسم كثيراً ما تجدهُ في الكتاب المقدس ام ١: ٢٠ الى الآخر وص ٨ حيث يقول ان الحكمة تنادي وتعطي صوتها وتدعو الجميع ليقبلوا اليها ويتعلموا منها وهذه الحكمة هي المسيح

لماذا سمي الفلاسفة فلاسفة وهكذا الوثنيون ايضاً كانوا يلقبون كل من ترك الشرّ وتمسك بالاستقامة فيلسوفاً اي محبّ الحكمة وكانوا يعتقدون ان الحكمة كانت قريبة منهم وان حكمة الله هي افضل الوسائل لمعرفة الله واسرارهِ الالهية وقد قال فوسيليدس ان كلمة حكمة الله هي افضل الامور

ويمكننا ان نورد شواهد كثيرة من كتاباتهم يستدل منها انهم عرفوا المسيح وانهُ بواسطة عملهِ في قلوبهم رجعوا عن الاثم وتمسكوا بالبرّ والمحبة تلك القوة التي شعروا انهم نالوا الفداء بواسطتها وقد اشار الى هذا الرسول بقولهِ "يظهرون عمل الناموس مكتوباً في قلوبهم ويفعلون ما في الناموس ولذلك هم دون شك قد حصلوا على التبرير كما يبرَّر جميع الذين يعملون بالناموس وهكذا خلصوا بقوة المسيح فيهم

وقد كان حكم المسيحيين الاولين مطابقاً لما تكلم بهِ الرسول فجوستنين مارتر لم يتردَّد في تسمية سقراط مسيحياً قائلاً ان كل الذين عاشوا حسب ارشاد كلمة الله فيهم تلك الكلمة الكائنة في جميع الناس يعدُّون مسيحيين كسقراط وهيركليتس وغيرهما من افاضل اليونان فالذين يعيشون مع الكلمة هم مسيحيون بدون خوف او اهتمام

وقال كليمنضس الاسكندري في احدى كتاباتهِ بان هذه الحكمة او الفلسفة كانت ضرورية للامم بل كانت مرشداً لهم الى المسيح وبها نال اليونان القدماء تبريراً

وقال اوغسطينوس في كتابهِ عن مدينة الله انني لا اظنّ ان اليهود يجسرون بان يثبتوا بانهم وحدهم كانوا شعب الله الخاص. وقد قال لودوفيلس في الموضوع ذاتهِ هكذا الامم اذ لم يكن لهم ناموس كانوا ناموساً لانفسهم. ونور سيرة كهذه هو عطية من الله وصادر عن الابن الذي يكتب عنهُ انهُ ينير كل انسان آتياً الى العالم. وقد صرَّح اوغسطينوس في كتابهِ عن الاعتراف في الكتاب الاول الفصل التاسع انهُ قرأ في كتابات افلاطون ما يستدلّ منهُ وان يكن ليس صريحاً وحرفياً بل بعد تكرار التمعن والافتكار ما يأتي "انهُ في البدء كان الكلمة والكلمة كان مع الله وكان منذ البدء مع الله. كل الاشياء بهِ كانت وبغيرهِ لم يكن شيءٌ مما كان. فيهِ كانت الحياة والحياة كانت نور

الناس والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركهُ ومع كون النفس تشهد للنور فهي بالحقيقة تشهد لكلمة الله وليس للنور لان الله هو النور الحقيقي الذي ينير كل انسان آتيًا الى العالم" وهكذا الى العدد ١٤ من ص ١ من يوحنا ثم يقول انني قرأت هذه الامور هنالك

(٣٨) فاذا رأينا انهُ بواسطة عطية النعمة والنور في الداخل فقط ينال الذين يكرز لهم الانجيل المسيح يسوع في داخلهم ويحصلون على الفوائد المخلصة المقدسة وما الوسائط الخارجية سوى مساعدة . فبواسطة النور يمكن الجميع ان يقبلوا او يخلصوا والله يحثّ ويدعو الجميع ويجاهد معهم في زمان افتقادهم وهكذا يخلص كثيرون ممن شاءت ارادتهُ ان لا تصل اليهم المعرفة الخارجية . لذلك نحن الذين قد اختبرنا عمل هذا النور الداخلي في قلوبنا اي المسيح المعلن فينا لا نقدر الآن ان ننادي بيوم الرب الذي قام فيهِ صارخين مع المرأة السامرية "هلموا انظروا انسانًا قال لي كل ما فعلت ألعلّ هذا هو المسيح"

وهكذا نجاهر منبهين ان يشعروا في نفوسهم ويعلموا ان ذلك الشيء الصغير الذي يبكتهم في قلوبهم مع انهم احتقروهُ وازدروا بهِ انما هو الانجيل الذي يبشّر بهِ بينهم . والمسيح حكمة الله وقوة الله الكائن في ذلك الزرع والذي يسعى ويجتهد في امر خلاصهم

وقد تكلّم اغسطينوس عن النور في كتاباتهِ عن الاعتراف في الكتاب الثاني الفصل التاسع قائلاً "انت يا الله في البدء صنعت السموات والارض بكلمتك وبابنك وبفضلك وحكمتك فانك تقول الاقوال العجيبة وتفعل الافعال المدهشة فمن يدركها ؟ ومن يقدر ان يتكلم عنها ؟ ما هذا الذي يشرق في داخلي وينخس قلبي دون ان يؤذيهِ وعندئذٍ ارى انني ارتجف واستنير معًا . ارتجف من جهة لكوني بعيد الشبه عنهُ واستنير من جهة لكوني مشابهًا لهُ . فالحكمة الحكمة هي التي تضيء فيّ وتبدد غيومي التي عادت بعد

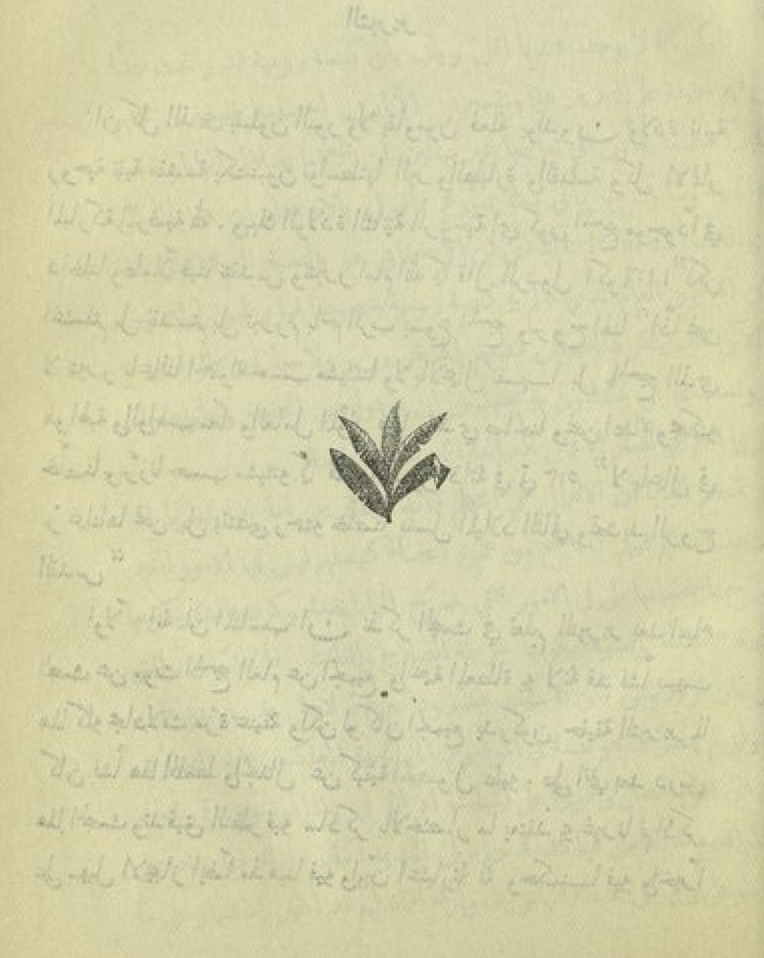
ان كانت قد انتشعت وغطتني بالظلمة وبتراكم ذنوبي " وقد قال ايضاً في الكتاب العاشر والفصل ٢٧ "لقد تأخرت في تقديم حبي لك ايها الجميل انت القديم العهد وجديده لقد تأخرت في حبك وانت داخلي وقد كنت اطلبك في الخارج لكنك كنت ترفع صوتك وتنادي فازال ارتفاع صوتك صممي وانبلج نورك واضاءه فاضمحل بذاك ظلامي"

وتكلم عن ذلك جورج بوشنان في احد كتبه قائلاً " انني بالحقيقة لا افهم شيئاً الآن سوى ذلك النور الذي وُضع بقوة المحبة في انفسنا لانه لما خلق الله الانسان لم يعطهِ الاعين الجسدية فقط ليبصر ما هو موذٍ ويجتنبهُ ويرى ما هو نافع ويتبعهُ ولكنه اقام امام عينيهِ نوراً بهِ يمكنهُ ان يميّز الخير من الشرّ فالبعض يسمّون هذه القوة "الطبيعة" والبعض "ناموس الطبيعة" اما انا فاحكم انها المحبة واني لمقتنع بان الطبيعة والحكمة لا ينطقان بامور مختلفة. مع ذلك فالله اعطانا خلاصة الناموس بالفاظ قليلة شاملة اي اننا يجب ان نحبهُ من كل قلوبنا ونحب قريبنا كانفسنا. فكل الكتب المقدسة التي تتعلق بتهذيب الاخلاق والصفات والفوائد ليست سوى شرحاً وتفصيلاً وتفسيراً لهذا الناموس الوجيز"

اليهودي والبربري والسكيثي والهندي يشاركون المسيح في خلاصهِ

هذا هو التعليم المسيحي العام الذي فيهِ وبهِ يعلَن الخلاص بالمسيح لكل بني البشر سواء كانوا يهوداً ام امماً سكيثيين ام برابرة من كل بلاد او امة تحت السماء وقد اقام الله في عصرنا لنفسهِ شهوداً امناء ومبشرين يكرزون بالانجيل الابدي ويرشدون الجميع سواء كانوا من جهابذة العلماء الذين يفاخرون بمعرفتهم الناموس والكتب المقدسة ومعرفة المسيح الخارجية او من الكفرة والوثنيين الذين لا يعرفونهُ لكي ينتبهوا كلهم الى النور الذي هو في داخلهم ويعرفوا المسيح الساكن فيهم الاله العادل وانهم قد سلكوا دهراً من زمن

طويل وفرحوا بموته اما هو فلم يقاومهم البتة يع ٥: ٦ ثم ليتركوا خطاياهم وآثامهم وايمانهم الباطل ومهنهم الارضية وبرّهم الخارجي وليصلبوا هذه كلها بقوة صليبه فيهم وهكذا لكي يتبينوا ان المسيح الكائن فيهم هو رجاء المجد فيسلكون في نوره ويخلصون بذاك الذي هو النور الحقيقي الذي ينير كل انسان آتياً الى العالم



القضية السابعة

التبرير

ان كل الذين يقبلون النور ولا يقاومون فعلهُ يولدون ولادة ثانية روحية نقية مقدسة يكتسبون بواسطتها البر والطهارة والقداسة وكل الاثمار المباركة المرضية لله . وبهذه الولادة الثانية الروحية اي كون المسيح موجوداً في داخلنا وعاملاً فينا نتقدس ونتبرر امام الله كما قال الرسول ١كو ٦:١١ "لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع المسيح وبروح الهنا" اذاً نحن لا نتبرر باعمالنا المعمولة حسب مشيئتنا ولا بالاعمال نفسهـا بل بالمسيح الذي هو الهبة والواهب معاً والعامل المؤثر فينا والذي صالحنا ونحن اعداء وبحكمته خلّصنا وبرّرنا حسب مشيئته كما قال الرسول ذاته في تي ٣:٥ "لا باعمال في برّ عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلّصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس"

اولاً انهُ لمن المناسب ان نذكر البحث في تعليم التبرير بعد انهاء البحث عن موت المسيح العام عن الجميع والنعمة المعطاة به لانهُ قد نشأ بسبب هذا كله مجادلات مرّة عنيفة ولكن لو كان الجميع يدركون حقيقة التبرير لما كان نشأ هذا اللغط والجدال عن كيفية الحصول عليه . على انني بعد درس هذا البحث وتدقيق النظر فيه ساذكر بالاختصار ما يعتقد به غيرنا ثم اذكر على سبيل الايجاز ايضاً مذهبنا فيه وابيّن اعتبارنا له وحكمنـا فيه واخيراً

بعونهِ تعالى سأُورد البراهين المقنعة المبنية على شهادة الكتاب المقدس واختبارات الكثيرين الذين حصلوا على حقيقة هذا التبرير واختبروهُ بانفسهم

طريقة التبرير التي تتبعها كنيسة رومية

ثانياً انهُ لا يوجد عندنا اقلّ ريب بان كنيسة رومية قد زاغت جدًّا عن فهم حقيقة علم التبرير هذا وتفسيرهِ . الآن اخصامنا تضعف حججهم كثيرًا عندما يلجأُون الى تعاليمها غير مبالين بان يتلطخوا بضلال الباباوية من هذه الجهة وسابيّن فيما يأتي شدة تهوُّرهم فاقول بالاختصار ان هذا القول Meritum ex condigno اي ان الاستحقاق هو بالنسبة الى الاعمال قد كان القانون العام الذي تعلّم بهِ كنيسة رومية خصوصاً قبل ظهور لوثيروس اما الآن فقد ينكر هذا بعض كتبتهم المتأخرين ولاسيما في محاوراتهم مع البروتستانت او يتاطنون بهِ مجتهدين ان يموّهوا عن الحقيقة ومحاولين ان يظهروا انهم هم انصار الاعمال الصالحة التي ينكرها غيرهم

تعليم البابا ان الاعمال هي اعظم فائدة للتبرير اما اذا نظرنا الى تأثير هذا التعليم فيهم كما يتضح من عموم اعضاء كنيستهم ليس في الامور الغير المصرّح باستحسانها بل في الامور التي صرّح البابا نفسهُ وكردينالية بكونها صوابية مستحسنة ونعتوها بكونها جزيلة الصلاح والفائدة . فلا بدّ ان نوافق للحال بان لوثيروس كان لهُ سبب عظيم ودافع مهمّ لاجل مقاومتهِ تعليمهم هذا ولو لم يتطرّف هو نفسهُ في الموضوع الى الجهة المعاكسة غاية التطرُّف لكان اتى بعمل افضل واقوى على الثبات الآن في هذا الموضوع وفي غيرهِ من المواضيع لهُ الفضل فيما هدمهُ من بابل القديمة اكثر مما لهُ فيما بناهُ هو نفسهُ . وعلى رغم كل ادعاء البابويين وآراء افاضلهم قد اظهر الاختبار على ما

يتضح من ممارساتهم العمومية المعوَّل عليها ان التبرير عندهم ليس مبنيًّا حقيقة على الاعمال الادبية الصالحة او تجديد الذهن الحقيقي وتقديسهِ كما هو مبني على امور لا يمكن ان تعدَّ بحدّ ذاتها جيدة او رديئة ولا يوجد اقلّ سبب لحسبانها جيدة الَّا لكون البابا نفسهِ شاء ان يعدّها هكذا

التبرير عند البابويين مبني على سلطة منشورات البابا واذا محصنا الحقائق جيدًا نرى ان التبرير عندهم مؤسس بالاكثر على سلطة منشورات البابا وليس على قوة او فضل نعمة المسيح المعلنة في القلب لاجل تجديدهِ . وهذا يتضح عند النظر الى الامور الآتية التي ساذكرها بالتفصيل

البرهان الاول — القربان

١ القربان انهم يعتبرون ان القربان يهب النعمة ex opere operato ويطرد الشرّ فاذا تناول احدهم القربان يحصل على مغفرة الخطايا ولو بقي كما كان قبلاً لان قوة القربان تعوّض عن نقائص الذي يتناولهُ وهذا يدلّ اذًا ان الخضوع لقوانين الكنيسة والايمان بها هما اللذان يبرّران الانسان وليس حقيقة تجديد القلب الداخلي

ندامة البابويين مثلاً اذا تناول احد قربان التوبة او الندامة فعليهِ فقط ان يعترف بخطاياهُ الى احد الكهنة بقطع النظر عن كونهِ حزينًا على ارتكابها الامر الذي جعلهُ الرب علامة التوبة الحقيقية في الخطاة . انما جريًا على عادة اخترعوها واتبعوها يعتبرون ان تظاهر الانسان بالحزن لكونهِ اخطأ وان يكن ذلك غير صادر عن محبة الله واحترام شريعتهِ التي تعدَّاها بل خوفًا من القصاص فمناولة القربان تخوّلهُ مغفرة الخطايا. وعندما يحلّهُ الكاهن يصير مقبولاً ومبررًا في عيني الرب فبرارة الانسان هذه ليست لكونهِ قد تاب توبة حقيقية وحصل على تجديد القلب الداخلي بعمل نعمة الله

فيو بل بمجرد كونو قد تناول القربان وحصل على الحل من الخطايا بسلطة الكاهن وعليو فالتبرير هو عمل خارجي وليس داخليًا في القلب

البرهان الثاني — غفرانات البابويين

(٢) الغفرانات ان امر الغفرانات يثبت سخافة معتقد البابويين باكثر بيان . فهل يخوّل الحلّ ليس من الخطايا السابقة فقط بل من الخطايا المستقبلة ايضًا ويتوقف على زيارة هذه الكنيسة او تلك او بعض الاماكن او على تلاوة صلوات وفروض مخصوصة . فكل من يتم ما فُرض من هذه الرسوم ينال حالاً مغفرة الخطايا ويصير مقبولاً امام الله . مثلاً ان من يمثل في عيد اليوبيل العظيم امام باب بطرس وبولس ويقبل بركة البابا او من يزور قبر يعقوب في سبانيا ينال مغفرة الخطايا . فلو سألنا ما هو السرّ الذي يخوّل هذه الامور هذه القوة مع كونها ليس لها ادنى تأثير ادبيًّا لحصلنا على جواب واحد وهو ان الكنيسة وسلطة البابا تخوّلان ذلك. فالبابا لكونو الامين العظيم على خزائن هبات الله فهو يمنحها لمن يشاء بشروط مخصوصة

قدّاس البابويين وملحقيته وقد جعل القداس ايضًا المصنّف على الطريقة المتبعة عندهم من اهم وسائل التبرير لانهم يدّعون انهم يقدّمون فيو يوميًّا الرب يسوع المسيح قربان فداء عمن يدفع مبلغًا من الدراهم . وبواسطة هذه التقدمة ينال الدافع مغفرة الخطايا ويقف مبرّرًا لدى الله تعالى

فمن هذه الامور وامور كثيرة غيرها نظيرها يمكننا تعدادها لولا ضيق المقام يتضح جليًا ان البابويين لا ينظرون الى ان التبرير تمّ بفعل النعمة المقدسة في داخلهم او بترك الخطايا والآثام بل باتمام بعض فروض وطقوس وايمان اعمى قد طبعه فيهم معلمو الدين بان للكنيسة والبابا السلطة المطلقة

على هبات المسيح وانعاماتهِ وبهذه السلطة ايضاً يمنح غفران الخطايا والتبرير لكل من يتم فرائضهم . فهذه هي حقيقة عمل التبرير التي تعلّم بها كنيسة رومية ويبشّر بها معلموها وخصوصاً الرهبان في مواعظهم للعامة وقد شاهدتهم بنفسي وسمعت منهم ذلك بأُذني (الّا ان بعض كتبتهم اجتهدوا موَّخراً ان يتخذوا منهجاً معتدلاً في محاوراتهم) وبناءً على ما ذُكر يحق للوثيروس وغيرهِ من البروتستانت ان يرفضوا هذا التعليم . الّا ان كثيرين منهم تطرَّفوا في الموضوع جداً حتى انهم قالوا ان الاعمال الصالحة ليست ضرورية للحصول على التبرير مطلقاً فانكروها وعلَّموا بان الايمان وحدهُ كافٍ ليس فقط للحصول على مغفرة الخطايا بل بهِ يتبرر الانسان ايضاً . وعلى هذا فالانسان لا يحصل على التبرير لكونهِ تجدَّد وتقدَّس داخلياً بل بمجرَّد الايمان بان المسيح مات من اجلهم وبحسب زعمهم هذا يمكن البعض ان يخلصوا ويحصلوا على نعمة التبرير حال كونهم يتمرغون في حمأة الخطية العظيمة كما يظهر من تبريرهم سلوك داود مثلاً فانهم يعدُّون انهُ كان مبرراً حال ارتكابهِ خطية القتل والزنى

لوثيروس وغيرهُ من البروتستانت وهم يقاومون البابا وبين في عمل التبرير تطرَّفوا الى الجهة الاخرى وعليهِ فكان للبروتستانت الحق بان يخاصموا ويوبخوا البابا وبين على اضاليلهم المتعددة من جهة التبرير مبينين لهم بحق انهم نقضوا او خالفوا كلمة الله باستعمال هذه التقاليد المضرَّة العديمة الفائدة . وانهم قد اهملوا شريعة الله الحقة واتبعوا هذه الطقوس الباطلة بجهالة مدَّعين عبثاً انهم باتمامها يصيرون ابراراً . وانهم قد استهانوا باستحقاق المسيح وآلامهِ الذي هو التقدمة الوحيدة المعينة من الله لاجل مغفرة الخطايا واصطنعوا الذبيحة اليومية التي لم يرتبها الله بل بالحري ارشدهم اليها روح الطمع وحبّ المال فجعلوها وسيلة لجمعهِ الخ . هكذا يمكن في الوقت نفسهِ

القول عن البروتستانت ايضًا انهم من الجهة الاخرى لم يبنوا تعليم التبرير على قواعده الصحيحة المنصوص عنها في الكتاب المقدس . وقد فتحوا بهذا بابًا للباباويين لكي يتهموهم بانهم يهملون الاعمال الصالحة ولا يهتمون بالسلوك الادبي والطهارة بل يعتبرون انفسهم ابرارًا حال كونهم يتمرغون في افظع الخطايا . وقد مهدت السبيل الى هذه التهم كتابات بعض البروتستانت المتعصبين فجاءت حجر عثرة في سبيل تقدم الاصلاح واوقعت الكثيرين في حيرة وارتباك . ولدى التأمل والبحث الدقيق يظهر ان هذه المحاورات والمجادلات هي اختلاف في التعبير وليس في الجوهر لان مرجعها واحد ومثلها مثل رجلين يدوران في دائرة واحدة فهما وان سار الواحد في جهة معاكسة لسير الآخر فيلتقيان لا محالة

اعتقادات الباباويين واعتقادات البروتستانت في التبرير تجتمع في نقطة واحدة فالباباويون يقولون انهم يحصلون على مغفرة الخطايا والتبرير باستحقاقات المسيح التي تخولهم اياها اسرار الكنيسة ويكفر عن خطاياهم باتمام طقوس وفرائض وصلوات وزيارات ولو لم يحصلوا على تجديد القلب والذهن الداخلي او اختبروا ولادة المسيح الداخلية وانما هم يحصلون على مغفرة الخطايا ويصيرون ابرارًا ex opere operato بالسلطة والقوة التي لهذه الاسرار وللذين قد وضعت بين ايديهم

اما البروتستانت فيقولون انهم يحصلون على مغفرة الخطايا ويقفون مبرَّرين امام الله بفضل استحقاقات المسيح وآلامه دون ان يعمل فيهم ذلك للبرّ لكن بواسطة مغفرة الخطايا يعتبرون انفسهم قد صاروا مقبولين كابرار لانهم يتكلون على المسيح وبرّه بمجرّد الايمان فقط وليس لان الايمان يعمل فيهم للبرّ

فعمل التبرير على كلا المذهبين غير مبني على تجديد الذهن الداخلي

او الولادة الثانية اي ان المسيح قد تكوّن في القلب ولكن لمجرَّد كون المسيح
قد مات وتألم بالجسد لاجل الخطاة فهولاء يتمسكون بالايمان الحرفي معتقدين
انهم يخلصون بمجرَّد الايمان الذي يكفي ان يصيِّرهم ابرارًا واولئك يقولون
ان الطقوس وفروض الصلوات هي التي تجعل موت المسيح مخلصًا ونافعًا لهم .
وبما انني لا اريد ان ابخس احدًا حقهُ فلا مندوحة لي من ان اذكرهنا
ان بعض الكتبة المعتدلين من الفريقين قد اتخذوا في هذه المسألة طريقًا
متوسطًا ومسلكًا معتدلاً متجنبين التطرُّف والشذوذ. فجاء ما كتبوهُ بخصوص
اهمية ولزوم القداسة الداخلية مقاربًا للحقيقة وسآتي على ذكر بعض اقوالهم
فيما بعد . الاَّ انني ارى ان تعليم التبرير الى الآن لم يوضع بطريقة صريحة
واضحة طبقًا لشهادة الكتاب كما قد سرَّ الله بان يعلنهُ لنا في الوقت الحاضر
مؤيدًا ببراهين وشواهد حقيقية فعلية ومع ان هذا التعليم قد تبيَّن بالاختصار
واُثبت في نفس القضية فسآتي ايضًا على بسط مواد هذه المباحثة جليًا وكيف
هي بحسب اعتبارنا وكما ينظر اليها اضدادنا

ثالثًا التفسير الاول قد اتضح من شرح القضية السابقة اننا لا نتكل
على قدرتنا بل نقرُّ ونعترف ان لا قوة طبيعية تقدر ان تنتشلنا من حالتنا
الساقطة وطبيعتنا الاولى ونعترف ايضًا اننا من انفسنا لا نقدر ان نعمل
عملاً صالحًا . وعليهِ لا يمكننا ان نحصل على مغفرة الخطايا والتبرير بواسطة
فعل نفعلهُ او استحقاق نستحقهُ كأننا نفي بهِ الله حقًا ولكننا نقرُّ بان كل
ما ننالهُ هو من محبة الله تعالى التي هي الواسطة الاساسية الحقيقية التي لنا بها
القبول

التفسير الثاني يسوع قدَّم نفسهُ ذبيحةً عنا "ان الله اعلن لنا محبتهُ
بارسال ابنهِ الحبيب الرب يسوع المسيح الى العالم الذي اسلم نفسهُ لاجلنا
قربانًا وذبيحةً لله رائحة طيبة وهو يصالح بهِ الكل لنفسهِ متمِّمًا المصالحة بدم

صليبهِ وبروحهِ الازلي . قدّم نفسهُ لله بلا عيب وتألم لاجل خطايانا البارّ من اجل الاثمة لكي يقرّبنا الى الله"

التفسير الثالث مغفرة الخطايا بما ان كل انسان يأتي الى العالم يخطئ (ما عدا الانسان يسوع) فالجميع اذاً يحتاجون الى مخلّص لكي ينقذهم من غضبهِ تعالى بسبب خطاياهم وعليهِ فقد قيل بالحق عن المسيح " الذي حمل خطايانا في جسدهِ على الخشبة " فهو اذاً الوسيط الوحيد الذي انقذنا من غضب الله ومن خطايانا السابقة التي قد مُحيت وغُفرت بقوة ذبيحتهِ المرضية المقبولة

فلا ينبغي ان نفتكر اننا يمكننا ان نحصل على مغفرة الخطايا بغير هذه الواسطة ولا يجب ان ننتظر او نطلب طريقة سواها او نتكل على قربان آخر او عمل ما مهما كان (وان نكن قد قلنا سابقاً ان الذين يجهلون التاريخ الخارجي يحصلون على الحلّ من خطاياهم) فالمسيح اذاً بموتهِ وآلامهِ صالحنا ونحن بعد اعداء مع الله واذ قدّم لنا المصالحة فهو قد جعلنا في حالة يمكننا بها ان نصالح . فالله اذاً يريد ان يغفر خطايانا ويقبلنا كما يقول الرسول في ٢كو ٥: ١٩ " ان الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسهِ غير حاسب لهم خطاياهم وواضعاً فينا كلمة المصالحة " وهكذا الرسول في الاعداد التالية يقول " نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله " فكأنهُ يقول ان غضب الله قد ارتفع عن الخطاة بسبب طاعة المسيح وهو يطلب المصالحة معهم فهم اذا تابوا تغفر لهم خطاياهم السابقة

وجها الفداء فعمل الفداء لهُ وجهان او حالتان وكل حالة منها مستقلة بحدّ ذاتها اما بالنظر الينا فلا يمكن ان تكون الواحدة دون الاخرى . فالوجهُ الاول هو ان الرب يسوع المسيح قد تمم واكمل عمل الفداء لاجلنا على الصليب وذلك خارجاً عنا . والوجهُ الثاني هو ان الرب يسوع المسيح يتمم

ويكمّل عمل الفداء في داخلنا وكلٌ منهما يستحق ان يدعى او يعدّ فداءً كالآخر. فبواسطة الاول يصير كلّ حال كونهِ في حالة السقوط في مركز يمكنهُ معهُ الحصول على الخلاص وقد منح ايضاً قياس قوة وفضيلة وحياة ونعمة بالرب يسوع المسيح وهي عطية مجانية من الله يمكنهُ بها ان يقاوم ويغلب ويقتلع الزرع الشرير الذي كان قد اختمر فيهِ بحسب الطبيعة وهو في حالة السقوط . وبواسطة الثاني يمكننا ان ندرك ونعرف هذا الفداء الطاهر الكامل في داخلنا منقياً ومطهراً نفوسنا من قوة الفساد وبهِ نتحد مع الله ونرضيهِ ونصير احباءهُ

اما بواسطة الاول فنحن الذين ضللنا بسقوط آدم وتوغلنا في الزرع الفاسد وكنا غير قادرين من ذواتنا ان نفعل امراً صالحاً وملنا بالطبيعة الى الشرّ وانغمسنا بهِ وانجذبنا نحو الشرور والمعاصي على انواعها وصرنا خداماً وعبيداً لروح الظلام وقوتهِ . فمع كل هذا ونحن بعد اعداء قد نلنا المصالحة مع الله بموت ابنهِ وصار ممكناً لنا الحصول على الخلاص بقبول بشرى انجيل السلام المنادى لنا بهِ . والله الذي صالحنا لنفسهِ بيسوع المسيح يدعونا ويطلب منا ان نأتي اليهِ ليسهل علينا فهم الآيات الآتية اف ٢: ١٥ "مبطلاً العداوة بنفسهِ" ١ يو ٤: ١٠ "انهُ هو احبنا اولاً" حز ١٦: ٦ "ورأيتكِ مدوسة بدمكِ فقلت لكِ بدمكِ عيشي" ٢ بط ٢: ٢٢ و ٢٤ "الذي لم يفعل خطية حمل هو نفسهُ خطايانا في جسدهِ على الخشبة" ٢ بط ٢: ٨ "تألم من اجل خطايانا البارّ من اجل الاثمة"

وبواسطة الثاني نرى انهُ قد صار يمكننا فعلاً ان نقبل ما اشتراهُ لنا بدمهِ غير مقاومين نور المسيح وروحهُ ونعمتهُ المعلنة لنا ونقتني الفداء الحقيقي ونعتق من قوة الخطية وسلطنها ونصير معذبين بالحق فنتقدس ونتبرّر ونثمر بالاتحاد والشركة مع الله الذي بذل نفسهُ لاجلنا لكي يفدينا من

كل اثم ١بطس ٣: ١٤" وهكذا لنعرفهُ وقوة قيامتهِ وشركة آلامهِ متشبهين بموتهِ" وهذا الوجهُ الاخير هو نتيجة الاول وصادر عنهُ كصدور المسبب عن السبب لانهُ هكذا شاءت ارادتهُ تعالى ان لا يتمتع احد بالثاني دون الاول ولا يحصل على الاول الا ويختبر الثاني . وهذان الوجهان هما ركنا التبرير . فالاول وجهُ الامكان والثاني وجهُ الاكمال

التفسير الرابع ولادة المسيح فينا هي مصدر الاعمال الصالحة ان التبرير هو بالمسيح وليس بواسطة الاعمال الجيدة ولو كانت معمولة بروح المسيح لان الاعمال الجيدة حسبما يعتقد البروتستانت هي نتيجة التبرير وليست سببًا لهُ فنحن نعتقد ان ولادة المسيح في داخلنا هي التي تأتي بالاعمال الجيدة من طبيعتها كما يجنى الثمر من شجرة مثمرة وهذه الولادة الداخلية فينا هي التي تخوّلنا البرّ والقداسة وبها نتبرّر وقد اقتلعت بها ايضًا تلك القوة المعاكسة ونزع ذلك الروح الذي كان متسلطًا سلطة مجلبة للهلاك فاصبحت هي السائدة والمالكة في قلوب كل الذين يختبرون ولادة المسيح هذه في داخلهم ويتمتعون بحلول ذاك الكامل الغير المتجزئ فيهم الذي هو "الرب برّنا" ار ٢٣: ٦ ولكون هذا التعليم يختلف جدًا عن تعليم الباباويين حتى ان اكثرهم لا يدركون قوتهُ قاومهُ علماؤهم وجاهروا ضدهُ وخصوصًا بلرمن

ان طاعة المسيح وبرّهُ وموتهُ وآلامهُ هي منا فبناء على ما تقدّم يمكنني القول ان الاعمال الصالحة هي ليست السبب العامل للتبرير ولكنها نتيجة . وانما عمل التبرير يتمّ بالميلاد الثاني الداخلي اي المسيح مولود في القلب ذاك الذي هو الابن المحبوب الذي يقبلهُ الآب ويقبلهُ كل الذين رُشوا بدم المسيح واغتسلوا بهِ ومن ثم صاروا شركاء خيرات المسيح الثمينة ٢ بط ١: ٤ "لكي نصير بها شركاء الطبيعة الالهية ونكون واحدًا معهُ كالاغصان في الكرمة ونستحق ان يكون لنا نصيب بما قد تممهُ واحتملهُ بطاعتهِ وبرّهِ وموتهِ والامهِ

اذ اننا بالاقتراب منهُ نشعر بآلامهِ ونتألم مع زرعهِ الذي لم يزل مضطهدًا ومصلوبًا في قلوب الاشرار وهكذا نجتهد في انقاذهِ اذ ندعو الى التوبة تلك الارواح التي لم تزل كأنها تصلب ربَّ المجد كما قال بولس الرسول اكو ١: ٢٤ "انني افرح في آلامي واكمّل نقائص شدائد المسيح في جسمي لاجل جسدهِ الذي هو الكنيسة" وهذا التعليم هو سرّ مختوم حتى عن الحكماء الذين لم يزالوا يجهلون هذا الزرع فيهم ويقاومونهُ. وقد تكلم البعض من معلمي البروتستانت عن التبرير بواسطة ولادة المسيح الداخلية في القلب فساذكر فيما بعد شيئًا من تلك الاقوال بحسب ما يوافق المقام

اخيرًا اننا وان كنا نعتقد بان السبب المهمّ الاولي لمغفرة الخطايا "هو برّ المسيح وطاعتهُ في الجسد" واننا نتبرَّر ايضًا بتجديد القلب وولادة المسيح الداخلية فينا. مع كل هذا لا يمكننا القول بان الاعمال ليس لها علاقة باتمام عمل التبرير كما يعتقد بعض البروتستانت غير متعمدين المقاومة والمخاصمة لاننا وان كنَّا لا نتبرَّر بالحقيقة بواسطة الاعمال الاَّ اننا نتبرَّر فيها وهي لازمة وضرورية حتى كما يقال causa sina quanone اي شرط لا يتبرَّر احد دونهُ وانكارهُ مضادٌ لشهادة الكتاب وقد كان سببًا عظيمًا للقذف بالديانة البروتستانتية وفتح افواه البابويين عليها من جهة ومن جهة اخرى قد جعل كثيرين من ابنائها مطمئنين ومعتقدين بانهم حاصلون على التبرير حال كون اعمالهم شريرة. ومع انهُ لا يليق بنا ان نقول ان هذه الاعمال لها استحقاقات ولكن بما ان لها مكافأة نرى ان بعض اولئك الذين يلقبون بالادباء لم يترددوا في ان يدعوها الاعمال "المستحقة" حتى والبعض منا ايضًا يستعملون هذا النعت وان يكن بطريقة معتدلة لطيفة وليس بالطريقة المنكرة التي تطرق اليها الباباويون كما سبق الكلام

وفي الختام اننا اذا نظرنا الى الاعمال الصالحة بذات الاعتبـار الذي

ينظر اليها به بعض البروتستانت نسلّم حالاً بطيبة خاطر ليس انها فقط غير ضرورية لاتمام عمل التبرير بل انها مضرّة ايضاً لان "افضل الاعمال حتى اعمال القديسين هي دنسة ونجسة" هذا اذا كنا نحكم عليها بالنسبة الى مطابقتها للناموس الخارجي وكونها صادرة عن قوة الانسان نفسهِ وبحسب ميلهِ وارادتهِ اما اذا صدرت هذه الاعمال الصالحة من انسان قد اختبر تجديد القلب الروحي وولادة المسيح في داخلهِ فهي طاهرة مقدسة كالاصل الذي صدرت عنهُ . لذلك هي مقبولة عند الله والله تعالى يبرّرنا في عملها ويهب لنا عليها خير مكافأة بحسب غنى نعمتهِ

فالآن اذ قد بيّنت مواد هذه المباحثة اتقدم لوضع الاركان الآتية مثبتاً اياها بالبرهان المقنع الدامغ ان شاء الله

رابعاً الركن الاول ان النفس بواسطة طاعة المسيح وآلامهِ وموتهِ تنال مغفرة الخطايا . وهذه الواسطة وحدها هي العامل لحصول على النعمة الالهية التي بفعلها يولد المسيح روحياً فينا ويجعل انفسنا ترغب في ان تسلك حسب مشيئتهِ فتتبرّر وتتطهر . وباعتبار وجودنا في هذه الحالة وبالنعمة المعطاة لنا يقال اننا قد صولحنا مع الله وما زال الانسان باقياً في خطاياهُ فهذه المصالحة لا تتمّ فعلاً وهذا التبرير لا يحصل حقيقة فلا يعدّ مبرّراً لانهُ اذ ذاك يكون بحالة يعدّ معها دنساً حقيقة وغير مبرّر

الركن الثاني اننا قد اثبتنا ان الانسان انما يعدّ مبرّراً امام الله متى حصل على ولادة المسيح الداخلية في قلبهِ وعليهِ فعمل التبرير لا يكون كاملاً ومستوفياً شروطهُ نهائياً ما لم يولد المسيح فينا وحينئذٍ نعدّ مبرَّرين في عينيهِ تعالى لان الكتاب المقدس يستعمل لفظة تبرير بمعناها الحقيقي اي كون الانسان باراً وليس مجرّد لقب فهي والقداسة بمعنى واحد

الركن الثالث الاعمال الصالحة شرط للتبرير بما ان الميلاد الثاني

ينتج من طبعهِ الاعمال الصالحة كما ان النار تصدر الحرارة فوجود هذه الاعمال ضروري جدًّا لاتمام عمل التبرير Causa sine qua non اي انها وان تكن ليست السبب الذي من اجلهِ نحصل على التبرير الاَّ انها السبب الذي متى وُجد فينا نحصل على التبرير ودون وجودهِ لا يمكن ذلك . ومع ان هذه الاعمال ليس لها استحقاق ولا تدوَّن على الله كدَين الاَّ انها مقبولة لديهِ تعالى ولها ايضًا مكافأة لانهُ تعالى لا يرفض خاصتهُ . فتلك الاعمال فيها كمال نسبي لكونها صادرة عن اصل طاهر مقدس. وعليهِ فحكم الذين يقولون بان افضل اعمال القديسين هي رجسة ودنسة في عيني الرب هو كاذب وباطل لان هذه الاعمال الصالحة هي ليست اعمال الناموس التي قال عنها الرسول ان ليس فيها برّ

خامسًا **الركن الاول البرهان الاول** ان الركن الاول هو ثابت بالبرهان الواضح من الكتاب المقدس رو ٣: ٢٥ "الذي قدَّمهُ الله كفَّارة بالايمان بدمهِ لاظهار برّهِ من اجل الصفح عن الخطايا السالفة بامهال الله" فقد اثبت الرسول هنا كفاءة موت المسيح وشمولهِ مظهرًا ان الانسان بموت المسيح وبالايمان بدمهِ ينال مغفرة الخطايا السابقة وهذه علامة امهال الله نحو الجنس البشري . وهكذا مع ان الانسان بسبب الخطايا التي يرتكبها يوميًّا يستحق الموت الابدي وغضب الله فبفضل ذبيحة الرب يسوع المسيح الفائقة القداسة تتحرَّك احشاء الله بالمحبة نحوهُ يوم افتقادهِ لينقذهُ من الشرّ والخطية وذلك بان يحرق شرَّهُ ويمحوهُ ويلاشيهِ ولا ينتقم منهُ فيما بعد

البرهان الثاني لو ان الله تصالح تمامًا مع البشر وصار يعتبرهم ابرارًا حال كونهم بالحقيقة ليسوا ابرارًا بل لا يزالون في خطاياهم فالله لا يعود يخاصمهم او يحاجهم بعد ذلك . الاَّ اننا نرى الكتاب المقدس مملوءًا من التهديد والانذار للذين يعتبر مقاوموننا انهم مبرَّرون ويقول لهم بان آثامهم

صارت فاصلة بينهم وبين الههم اش ٥٩: ٢ اما متى وُجدت المصالحة التامة فلا يصير فيها بعد انفصال وبحسب تعليمهم هذا لابدَّ اننا نصل الى احدى نتيجتين وهما اما كون الذين مات المسيح عنهم وحصلوا على المصالحة لايخطئون البتة او انهم وهم يخطئون لايزالون مصالحين مع الله ولا تنفصلهم تلك الخطايا عنهُ. وبكلمات اخرى انهم مبرَّرون في خطاياهم ولنا من ذلك هذه النتيجة الغير المستحبة وهي ان الاعمال الصالحة والخطايا الفظيعة سيَّان في عيني الرب لان الاولى لا تبرّرهم والثانية لا تؤثر في مصالحتهم فينجم عن ذلك حالة اطمئنان عظيمة وينفتح الباب لارتكاب الفظائع الدنيئة

البرهان الثالث ان كان ذلك كذلك فكل تعليم الانجيل باطل والايمان نفسهُ ايضاً عديم الفائدة. لأن الايمان والتوبة والصفات الاخرى التي يطلبها الانجيل هي صفات تتمُّ عنا قبل ان تكون قد تمت بواسطتنا. وهكذا اما ان نكون قد حصلنا على المصالحة الكاملة مع الله او اننا قد وصلنا الى حالة يمكننا معها المصالحة معهُ وهو مستعدٌ ايضاً ان يصالحنا ويبرّرنا عند ما تتمُّ هذه الشروط وهذا المبدأ الاخير يوافق الحق الذي نتمسك بهِ ولكن لو كنا نعتبر مصالحين ومبرَّرين تماماً قبلما تتمُّ هذه الشروط (وهذه الشروط لايمكن اتمامها دفعة واحدة لكن يقتضي لذلك كامل الحياة) لكانت هذه الشروط غير لازمة ولاضرورية وهذا يعاكس شهادة الكتاب الصريحة التي يعترف بها اكثر المسيحيين عب ١١: ٦ "ولكن دون ايمان لا يمكن ارضاؤهُ" اي الله ويو ٣: ١٨ "والذي لا يؤمن قد دين لانهُ لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد" لو ١٣: ٣ "ان لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون" رو ٨: ١٣ "ان عشتم حسب الجسد فستموتون"

المسيح يفتح باب الرحمة بواسطة التوبة وقد قال ايضاً عن الذين كانوا في الايمان اني آتيك وازحزح منارتك. ولو اردت ان اورد كل

عبارات الكتاب الصريحة من جهة هذا التعليم لوجب عليَّ ان انسخ اكثر كتابات الكتاب التعليمية. ولكن المسيح لما قال قد تمَّ كان قد تم عملهُ الى وقت صليبهِ اذ فتح للجميع باب الرحمة فقط مقدمًا نفسهُ قربانًا بهِ يمكنهم ان يحصلوا على مغفرة الخطايا عند ما يتوبون واهبًا اياهم قياس النعمة التي بها يمكنهم ان ينظروا شرورهم ويتوبوا . لانهُ لو كان تم عمل الفداء عن جميع الناس ماضيًا ومستقبلاً اي انهُ تم المصالحة الفعلية عن كل واحد من ابناء الخلاص اي جعلهم ابرارًا حقيقة فذلك لا بدَّ من ان يكون قبلما يؤْمنون (كما يقول الانتيمونيان) اي ان الفداء يتمُّ عندما يشعر الانسان بصحة تاريخ المسيح او بمعمودية الماء ولو لم يكن قد تبرَّر حقيقة وعليهِ فلا لزوم اذًا بعد للمصالحة والتبرير وهذا يجعل التوراة عديمة الفائدة وكذلك ارسال التلاميذ لكي يبشّروا بالتوبة ومغفرة الخطايا وكل اعمال المبشرين وكتاباتهم تذهب سدًى وكذا الدراهم التي ترسل اليهم وتنفق عليهم هي ذاهبة ضياعًا اذ ينظر الى كل ذلك Actum agere اي اعمال باطلة وعديمة الفائدة او التأْثير لانهُ يراد بها اتمام عمل قد تمَّ دونها

يسوع يشفع فينا يوميًا واخيرًا اما من جهة الحصول على التبرير بواسطة الاعمال البشرية فلا لزوم لاطالة البحث فيهِ او فيما اذا كانت تلك الاعمال لانهُ (كما سنبيّن فيما بعد) امر معترف بهِ ان افضل هذه الاعمال هو شرير. ثم لو فُرض ان التبرير تمَّ بواسطتها فشفاعة المسيح لاجل البشر هي باطلة . وما الفائدة اذًا من قاعدة الايمان العظمى التي نصرّح بها قائلين الذي هو ايضًا عن يمين الله الذي ايضًا يشفع فينا" ولكن الروح نفسهُ يشفع بأنَّات لا يُنطق بها" لانهُ من الحماقة ان نقول ان المسيح يقدّم شفاعة من اجل الذين لا يمكن خلاصهم . واخصامنا لا يسلمون بان المسيح صلَّى لاجل كل العالم بطريقة عامة اما اذا قيل ان الصلاة هي لاجل الذين حصلوا على

المصالحة والتبرير التام فهي لغير جدوى والصلاة لاجل مغفرة الخطايا حال كونها قد غُفرت في الماضي والحاضر والمستقبل هو عديم الفائدة ايضاً فلا يوجد اذاً حل "حقيقي" لهذه المسئلة الاّ بالاعتراف الحقيقي بان المسيح بموته قد رفع عنا غضب الله ومنح مغفرة الخطايا لكل من يقبل تلك النعمة او النور الذي وهب لهم اياهُ واشتراهُ لهم بدمهِ والذي حالما يؤمنون بهِ ينالون مغفرة الخطايا السابقة وقوة للتخلص منها وغسلها عند السقوط فيها وبسبب الاهمال والضعف بواسطة التسليم للنعمة والتوبة الحقيقية لانهُ يقول "واما كل الذين قبلوهُ فاعطاهم سلطاناً ان يصيروا اولاد الله" وعليهِ لا يمكن ان ندعى بنين او مبرَّرين ومصالحين ما لم نقبلهُ بواسطة ذلك الزرع الصغير في قلوبنا لان الحياة الابدية تعطى للذين بصبر في العمل الصالح يطلبون المجد والكرامة والبقاء . واذا رجع البارُّ عن برّهِ كل برّهِ الذي عملهُ لا يُذكر ثم من الجهة الاخرى لا يمكن ان نُحسب ابناء الله ومبرَّرين ما لم نجاهد بصبر في البرّ والعمل الصالح ولذلك فالمسيح يشفع فينا دائماً في مدة افتقاد كل انسان لكي يقبل الايمان وعند ما يقبل الانسان الايمان فالرب يسوع يتشفع بهِ لكي يداوم في الايمان وينمو ولا يفشل ويرجع الى الوراء ويمكننا ان نذكر آيات كثيرة غير هذه لاجل اثبات هذه الحقيقة الاّ انني اقتصر واتقدَّم للنظر في الاعتراضات الشائعة ضدها وهي الاقيسة التي تستعمل لتزيد ضلال الذين يناقضون هذه الحقيقة

(سادساً) ان اول هذه الاعتراضات واهمها مأخوذ من قول الرسول المذكور آنفاً ٢ كو ٥: ١٨ و١٩ "ولكن الكل من الله الذي صالحنا لنفسهِ بيسوع المسيح واعطانا خدمة المصالحة اي ان الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسهِ غير حاسب لهم خطاياهم"

اعتراض اول انهم يستنتجون بان هذه الاعداد تدلّ على ان المسيح

تم عمل المصالحة لما كان على الارض

جواب فردًا على ذلك اجيب انهُ اذا اريد بالمصالحة ازالة غضب الله ومشترى النعمة التي بها نصير مصالحين فانا اسلّم بذلك واذا انعمنا النظر في هذا العدد نفسهِ نرى ان الرسول لما تكلم عن نفسهِ وعن القديسين تكلم صريحًا بصيغة الماضي قائلاً صالحنا لانهم كانوا قد قبلوا النعمة المشتراة بدم المسيح وقد تبرّروا بالايمان . الاّ انهُ لما تكلم عن العالم قال مصالحًا وليس صالح لان مصالحًا تدلّ على ان المصالحة قد جرت في الماضي ولا تزال تجري ايضًا لان المسيح ابتدأ بها نحو الجميع لما كان في الجسد نعم وقبل ذلك ايضًا بزمان طويل لانهُ الوسيط منذ البدء والحمل المذبوح منذ تأسيس العالم . ولكنهُ بعد ان اكمل الناموس وتمم برّهُ مزّق الحجاب وسهّل طريق اعلان بشرى الانجيل الصريحة العامة للجميع يهودًا واممًا اذ قدّم نفسهُ ذبيحة مرضية عن الخطية يعمّ تأثيرها لكل من يقبلهُ داخليًا بواسطة نورهِ في القلب. ثم ان هذه الآية تظهر انهُ لا يوجد مصالحة اخرى الاّ انهُ يفتح باب الرحمة من لدنهُ تعالى ويرفع غضبهُ من اجل الخطايا السابقة وهكذا الناس بقطع النظر عن خطاياهم قد صاروا في حالة يتيسّر لهم معها الخلاص لان الرسول في العدد الآتي يقول " اذًا نسعى كسفراء عن المسيح كأنّ الله يعظ بنا نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله ٢ كو ٥: ٢٠ فلو كانت المصالحة قد تمّت سابقًا فهل من لزوم لان يطلب الرسول منهم ان يتصالحوا مع الله ؟ فالسفراء لا يرسلون لاجل عقد سلام قد تمّ او بعد ان تكون المصالحة قد أُبرمت بل لكي يطلبوا المصالحة ففي هذا الكلام على زعمهم تناقض جلي

اعتراض ثانٍ انهم يقدّمون اعتراضًا آخر العدد ٢١ من نفس الاصحاح " لانهُ جعل الذي لم يعرف خطية خطية لاجلنا لنصير نحن برّ الله فيهِ " فهم يحتجون قائلين انهُ اذا كان المسيح قد صار خطية لاجلنا فذاك الذي

لم يعرف خطية هكذا نحن نجعل برّ الله دون ان نكون ابرارًا

فأُجيب ان تفسيرهم هذا مردود لانهُ وان يكن المسيح حمل خطايانا وتألَّم لاجلنا وحسبهُ الناس وهو على الارض خاطئًا وأُحصي مع الاثمة اما كون الله عدَّهُ خاطئًا فذلك ليس عليهِ من برهان اذ قيل عنهُ انهُ قدوس بلا شرّ ولا دنس ولم يكن في فمهِ غش. والحقيقة هي اننا نحن نستحق كل ما احتملهُ من اجلنا بسبب خطايانا وهو احتمل ما احتملهُ مطيعًا للآب وحسب مشورتهِ الأَّ ان ذلك لا يجعلهُ خاطئًا في عيني الله البتة . فهو لم يمت لكي نُحسب نحن ابرارًا ولكي يعدّ هو خاطئًا كما سأُبيّن فيما بعد لانهُ لو ثبت هذا القياس لوقعنا في ورطة يسرّ بها الاشرار الذين يرغبون في ان يبنوا يعمهون في خطاياهم فلو صرنا ابرارًا كما صار المسيح خاطئًا اي بمجرَّد كونهِ احتمل العار عنا لامكننا القول انهُ كما ان المسيح مع كونهِ دون اثم ولا خطية عُدَّ خاطئًا هكذا نحن ينبغي ان نُعَدَّ ابرارًا حال كوننا ليس فينا اثر للبرّ او القداسة او الطهارة الداخلية كما انهُ لم يكن فيهِ اثر للخطية ولكن يجب ان نفهم بانهُ "قد جُعِل خطية لاجلنا" لكونهِ قد احتمل آلام خطايانا لكي نصير شركاء النعمة التي اشتراها لنا وبذلك قد جعلنا برّ الله فيهِ لان الرسول يقصد هنا صيرورتنا حقيقة ابرارًا وليس ان نعدّ ابرارًا بالاسم فقط وذلك يتضح من العدد ١٤ و ١٥ و ١٦ من الاصحاح الذي يليهِ اذ ينبّه ويبيّن انهُ لا خلطة للنور مع الظلمة ولا للبرّ مع الاثم الامر الذي لابدّ من حدوثهِ فيما لو سلمنا ان اناسًا قد حسبوا ابرارًا مع انهم ليس فيهم ادنى برّ يمكن ان يتأصلوا بالمسيح ويعدُّوا من اعضائهِ

البرّ النسبي بالمسيح ليس لهُ اصل في التوراة والامر الاغرب هو ان البعض قد جعلوا هذا من قوانين الايمان الاساسية مع كونهِ مضادًا جدًّا لروح الانجيل . والرب يسوع المسيح في كل مواعظهِ وكرازتهِ اللطيفة كان يبيّن بان الاعمال هي مساعدة في امر تبريرنا والاكثر غرابة تشبثهم بهذه

العبارة وتكرارهم لهـا اي البرّ النسبي بالمسيح فتراها غالبًا على السنتهم وفي افواههم واساس رجائهم واتكالهم على ان الكتاب على ما ارى لم يأتِ على ذكرها البتة

فها انني قد انبت على ذكر القسم الاول من هذه القضية مقتصرًا بوجه لان الكثيرين ممن يعتقدون بالتبرير النسبي يعترفون ايضًا انه حتى المختارين لا يتبرَّرون حقيقة الأ بعد ان يهتدوا اي بعد ان يعلن لهم هذا التبرير بالروح

سابعًا اننا نتبرَّر بالمسيح في داخلنا انني سأتكلم الآن عن الركن الثاني الذي مرَّ ذكرهُ وهو ان عمل التبرير لا يعدُّ كاملاً ومستوفيًا شروطهُ نهائيًا ما لم يولد المسيح فينا وحينئذٍ نعدُّ مبرَّرين في عينيهِ تعالى

بما انني قد تكلمت كفاية واظهرت مقدار اهمية موت المسيح وآلامهِ التي بها يستوفي العدل الالهي حقهُ ويمنح مغفرة الخطايا وننال النعمة والزرع الذي منهُ وبواسطتهِ تتمّ هذه الولادة . سأتقدم الآن لاثبات كون اننا انما نتبرَّر ونصير حقيقة ابرارًا بولادة المسيح في داخلنا ولكن معلومًا انني عند ما اذكر عمل التبرير اقصد بهِ ما قد تمَّ على هذا الوجه

(١) ان ما يثبت هذا قول بولس الرسول ١ كو٦ :١١ "وهكذا كان اناس منكم لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبرَّرتم باسم الرب يسوع المسيح وبروح الهنا" فاقول ان كلمة تبرَّرتم يقصد بها هنا صرتم ابرارًا حقيقة وليس فقط شعرتم كذلك والأ فكلمة تقدستم واغتسلتم يقصد بها ذلك ايضًا وهذا الاعتبار يبطل الفائدة المرغوبة من وعظ الرسول الذي يظهر لهم في الاعداد السابقة بان الاشرار لا يرثون ملكوت الله وبعد ان عدَّد بعض انواع الخطايا والمعاصي قال وهكذا كنتم قبلاً اما الآن فقد تبررتم اي كما انكم اغتسلتم وتقدستم كذلك تبرَّرتم فلو كانت هذه العبارة غير حقيقية لما كان صرَّح

الرسول بان الكورنثيين قد تركوا خطاياهم بل لكان قال انهم ولو كانوا لا يزالون يمارسونها فهم الآن يحسبون ابرارًا الامر الذي هو بحدّ ذاتهِ حماقة تغيّر المقصود من كل كلامهِ فكأنهُ قال ان الكورنثيين بصيرورتهم مسيحيين لم يحدث فيهم اقلّ تغيير بل كان ذلك ايمان بانفعال عقيم لم يحدث اقلّ تغيير في حاسياتهم او ارادتهم او هيئة حياتهم . وهكذا على ما ارى انهُ لا يمكن بوجهٍ من الوجوهِ عند اقلّ تأمل اعتبار معنى تبرّرتم بغير معناها الحقيقي اي صرتم ابرارًا ولكي نفهمها باكثر وضوح اقول ان كلمة تبرّر مصدرها تبرير ويشتقّ منها كلمة متبرّر وهذه الكلمات جميعها تؤكد للذهن وجود فضيلة صحيحة حقيقية في النفس اذا ان ما يفهم منها هو حقيقي وليس ظنًّا فعند ذكر كلمة تبرير او برّ ينطبع في عقل كل انسان تلك الصفة السامية والنعت "بارّ وبارّة" ايضـًا يفهم منهُ صريحًا ذلك الرجل المتّصف او تلك المرأة المتّصفة بتلك الصفة التامة . اما حسب زعمهم اذا نُعِتَ احد بكلمة بارّ يقصد بها برارة موهومة حال كونهُ شرّيرًا أفلا يعدّ هذا حماقة غير لائقة بل بالحري كذب وبهتان وعليهِ فكما ان فعل "تقدّس" وما يشتق منهُ يدلّ على معنى التقديس والقداسة ولا يمكن ان يفهم منهُ عدم القداسة هكذا فعل تبرّر لهُ معناهُ الحقيقي فقط وليس معنى تصوّري يفهم منهُ عكس لفظهِ او ينظر اليهِ كما لو قيل شرعًا مثلاً ان رجلاً اقترف ذنبًا ثابتًا ثم سومح من القصاص على خطيتهِ فقيل عنهُ انهُ تبرّر اي انهُ وُضع في مقام كانهُ بارّ . وهذا الاستعمال نشأ عن الافتراض انهُ لا احد يجب ان يسامح سوى البري حقيقة وهكذا في الكلام عند ما نبرّر هذا الرجل او هذا الامر او ذاك فيدل استعمالنا ان الرجل او الشيء قابل التبرير حقيقة وان كان في المسئلة غلط او خلل فالخلل نفسهُ لا يلحق بالعبارة ايضًا

بما ان القداسة لازمة فكذاك الاعمال الصالحة وهذا الامر واضح

ومشهور حتى ان باروس من معلمي البروتستانت وكلفيني المبدإ يصرح مقرًا بما يأتي " اننا لم نقل قط بان برّ المسيح قد حُسب لنا فنحن بهِ نعدّ ابرارًا بالاسم ولو خالفته الحقيقة كما قد اثبتنا ذلك مرارًا والعقل السليم لا يسلّم بهِ ولا يعتبره اكثر ما يعتبر كلام رجل مذنب يدَّعي كونهُ بريئًا بداعي ان الحكمة تساهلت وسامحتهُ شفقة على حياتهِ " أوليس الامر مستغربًا جدًا ان الانسان يتغاضى عن مسئلة مهمة كالتبرير ويثبت حقيقة قبولهِ لدى الله على معنى غير حقيقي مستعار تاركًا الحقيقة جانبًا ومدعيًا ان لا لزوم لما يصرّح بهِ الكتاب " انهُ دونها لن يرى احد الرب " فاذا كانت القداسة لازمة وضرورية وقد قبل عنها ذلك فالاعمال الصالحة ايضًا لازمة الَّا اذا قدر احد اخصامنا ان يربنا قديسًا دون اعمال صالحة ومن مطالعة الاعداد التالية نرى جليًا معنى "تبرّر" الحقيقي في نظر الكتاب خر ٢٣: ٧ وايوب ٩: ٢٠ و ٢٧: ٥ وام ١٧: ١٥ واش ٥: ٢٣ وار ٣: ١١ وحز ١٧: ٥١ و ٥٢ ولو ١٠: ٢٩ و ١٦: ١٥ لان هذه كلها تشير الى تبرئة الانسان المذنب او لذاتهِ والذين ينظرون الى ذواتهم انهم ابرار حال كونهم خطاة اثمة واذا ورد ذكر كلمة بطريقة مبهمة يمكن ان يفهم منها المعنى الذي يرغبون فيهِ . فمن النظر الى القرائن يتبيَّن معناها الحقيقي صريحًا فلا يترك مجالاً للريب . ولكن الامر الجوهري هو ليس طريقة استعمال كلمة تبرير بل تعليم التبرير نفسهِ والخطأُ الذي يتطرق اليهِ فيما لو ارتضينا بتبرير تصوّري في حين ان الله يطلب تبريرًا حقيقيًا وعاقبة هذا الخطإ خطرة جدًا ولو فحصنا رومية وكورنثس وغلاطية وغيرها وكل الاماكن التي يكتب فيها الرسول عن هذا الموضوع يتضح لنا لدى اقلّ تأمل انهُ يقصد معنى الكلمة الحقيقي . فقد ثبت في مواضع كثيرة من الرسائل المذكورة اي رومية وغلاطية ان الانسان لا يتبرَّر بناموس موسى ولا باعمال الناموس اي بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمات الذي هو صوابي وخالٍ من الغلط

ويوافق قول الرسول ان الناموس لا يكمّل احدًا

التبرير يعني ان يصير الانسان بارًا وقد قيل ان الانسان يتبرر بالايمان ومعنى يتبرَّر هنا جلي اذ قيل ان الايمان ينقي القلب ولا شك ان الانقياء القلب هم ابرار "واما البارّ فبالايمان يحيا" ويقال ايضًا اننا مبررون بالنعمة اي متبررين بالمسيح ومتبررين بالروح فلا يصعب فهم معنى متبررين هنا لانهُ بالنعمة والروح يصير الانسان بارًا . اما اذا جعلنا لها مجرّد معنى القول بالاسم فيجرّ ذلك الى اضاليل مستهجنة كثيرة وبما ان هذا الامر ظاهر لا يمكن انكارهُ فسأقتصر على ذكر الاماكن التي وردت فيها لفظة تبرير في الكتاب تدلُ دلالة واضحة صريحة على عمل التبرير هذا والتي ترغم اخصامنا اذ يقصد بها معناها الحقيقي اي كون الانسان بارًا وليس مجرّد حسبانهِ بارًا بالاسم فقط كما ذُكر اولاً في ١كو٦: ١١ "لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبرّرتم" كما قد أُثبت سابقًا وكما يلتزم اكثر البروتستانت ان يعترف بهِ وقد قال ثيوسيبوس "اننا لا نرتاب باننا بعد التدقيق العظيم نرى غالبًا ان القداسة هي نتيجة عمل التبرير كما ذكر في رو٨: ٣٠ وتي ٣: ٧ و ١كو٦: ١ "وهكذا كان اناس منكم لكن اغتسلتم" الخ وترانكيس في كلامهِ عن التبرير بهذا المعنى يقول ان تفسير عمل التبرير هو هكذا اي ان يصير العديم البرّ بارًا كما انهُ بالنقاسة يصير العديم القداسة مقدسًا وهذا يوافق المعنى الذي اتخذهُ الرسول في الآية التي تكرّر ذكرها "وهكذا كان اناس منكم" الخ اي انتقلتم من حالة القذارة الى حالة القداسة والنقاوة ومن حالة الاثم الى حالة البرّ بالروح من اجل المسيح الذي بهِ آمنتم وهذا يوافق ما ذُكر في سفر الرؤيا ٢٢: ١١ ومن هو بارٌّ فليتبرَّر بعد اي الذي هو بالحقيقة بارٌّ فليتقدم اكثر في سبيل البرّ اي انهُ كان قبلاً عديم البرّ اما الآن فقد صار بارًا وقد فسّر الآباء ايضًا ولاسيما اوغسطينوس هذه الكلمات بذات المعنى . وقد قال

هربونجر ان الرسول لما ذكر هذه الكلمات المتعددة اغتسلتم وتقدستم وتبررتم كان يقصد بها معنى واحداً

البرهان الثاني ان الرسول في كلامهِ السامي الجدير بالاعتبار في رو ٨: ٣٠ " والذين دعاهم فهولاء بررهم ايضاً والذين بررهم فهولاء مجدهم ايضاً " الذي كثيراً ما يدعى السلسلة الذهبية اذ ينظر اليهِ كقاعدة ترتيب درجات الخلاص يقصد بكلمة بررهم معناها الحقيقي والاَّ لانتقض معنى هذه السلسلة الذهبية تماماً ومما هو جدير بالاعتبار هنا ان الرسول في تقريرهِ المختصر الدقيق يجعل كلمة بررهم تملأ الفسحة بين دعاهم ومجدهم

التبرير هو الحلقة الوسطى بين الدعوة والمجد وهذا يوضح صريحاً ان عمل التبرير الحقيقي هو الحلقة الوسطى الوحيدة التي توصل بين الدعوة والمجد والكلّ يقرّون تقريباً ان لكلمة بررهم في هذه الآية معناها الحقيقي وليس ذلك فقط بل اكثر المقاومين على الرغم منهم يلتزمون ان يسلموا انهُ بما ان هذا المعنى هو الانسب فهو المقصود غالباً وقد اقرّ بذلك اكثر علماء البروتستانت . وقد قال دنشامبروس " اننا لسنا قليلي التأمل بحقيقة الكلام لكي نجهل او من المباحثين الذين يغلب عليهم الهوس لكي ننكر ان كلمتَي التبرير والتقديس تتفقان في الدلالة بل بالحري نحن نعلم حقيقة ان القديسين سُمُّوا هكذا لانهم حصلوا على التبرير بالمسيح بقبولهم منهُ مغفرة الخطايا وكما نقرأُ في الرؤيا ومن هو بارّ فليتبرر بعد فهذه الآية لا يمكن ان تدلّ الاَّ على نمو البرّ الداخلي الحقيقي انما نحن لا ننكر انهُ ربما يؤخذ في بعض اماكن لهذه الكلمة معنى مبهماً وخصوصاً عن بعض الآباء فقد قال بيزا ان عمل البرّ يشمل كل ما يُطلب من المسيح ان كان باتمام الفرض او بتبيان الروح في تقديسنا وقد قال ملانكتون في الكلام عن التبرير من رو ٨: ٣٠ " ان معنى كلمة التبرير في الكتاب المقدس ليس ان يلقَّب

الانسان مبررًا بالاسم فقط بل ان يتغير من حالة الخطية الى البرّ" وغيرهما ايضًا من معلمي البر وتستانت المشهورين الذين مع انهم لم يتكلموا بغاية الصراحة اشاروا الى صحة ما يعتقد بهِ وهو ان مغفرة الخطايا هي بموت المسيح اما عمل التبرير فبنعمة الروح المقتناة بدمهِ ومارتيوس بورهوس في تفسير رو ٤: ٢٥ "الذي أُسلم لاجل خطايانا وأُقيم لاجل تبريرنا" يقول "يجب ان ننظر الى امرين ضروريين في المسيح تبريرنا الاول موتهُ والثاني قيامتهُ من الاموات فبموتهِ كفّر عن خطايا العالم وبقيامتهِ من الاموات ارتضى الله بجودتهِ ان يعطي الروح القدس الذي بهِ نؤْمن بالانجيل ونسترجع البرّ الذي خسرناهُ بسقوط آدم الاول" ثم يقول بعد ذلك ان الرسول قد بيّن هذين الامرين بهذه الكلمات "وهو أُسلم عن خطايا الجميع" الخ "فان لنا بموتهِ التكفير عن الخطية وبقيامتهِ عطية الروح القدس لاجل تكميل تبريرنا" وقد قال هو ذاتهُ في موضع آخر "ان قسمَي التبرير داخلان ضمن عمل التبرير ولا يمكن ان ينفصّل احدهما عن الآخر فعند تحديد التبرير يدخل استحقاق دم المسيح ضمنًا بمغفرة الخطايا وعطية الروح القدس للتبرير والتجديد. وقد قال مارتيوس بوسيرس "اننـــا نرى انهُ بخطية آدم الاولى سقط الجنس البشري ولكن بنعمة الرب يسوع المسيح لم تمحَ تلك الخطية والموت المسبب عنها فقط بل قد مُحيت تلك الخطايا التي لا تحصى ومنح التبرير الكامل لكل من هم بالمسيح فالله لا يمحو عنهم الخطية الموروثة عن آدم او خطاياهم فقط لكنهُ يهب لهم ايضًا روح التبرير الكامل الثابت الذي بهِ نتحوّل الى صورة ابنهِ الوحيد

وقد قال عن هذه الكلمات ايضًا يوسوع المسيح "نحن نحكم دائمًا ان كل المنفعة الممنوحة لنا بالمسيح تعمل نحو هذا الغرض وهو ان نكون اقوياء بواسطة عطية البرّ اذ نتزين بلياقة بالحق بكل فضيلة اي ان نعود الى صورة الله

الحقيقية". واخيرًا احد مواطنينا وليم فورس اسقف ادنبرج يقول "ان الكتاب لما يأتي على ذكر كلمة التبرير امام الله (كما تكلم بولس الرسول ووعظ عنهُ اوغسطينوس وغيرهُ) يظهر للعيان ان كلمة تبرير ليس ان نعتق من حكم الناموس فقط بل ان يحصل الانسان على البرّ الحقيقي الداخلي لان الله لا يبرّر الشرير كما يبرّرهُ قضاة هذه العالم لانهُ تعالى لما يبرّر الخاطئ العديم البرّ يحكم عليهِ كما يحكم اولئك ولكن في الوقت نفسهِ وهو يحكم بعدم برّهِ بحسب الحق . هو يغيّرهُ حقيقة اي انهُ يصيّرهُ بارًّا بعد ان كان عديم البرّ" وقد قال هو نفسهُ ايضًا في ذات الموضوع ردًّا على بعض المتعصبين من البروتستانت الذين يقولون ان الله يبرّر اولاً ثم بعد ذلك يصير الانسان بارًّا" لينتبهوا لئلا يميلوا الى التطرّف في تنميق الكلام الفارغ المغاير لتعليم الكتب المقدسة والآباء فيقللوا بل ينقصوا اعتبار تلك الوصية الالهية العظيمة التي يعطيها الكتاب اهمية كبرى اي تبرير الخاطئ . اما من جهة تبرير الخطاة بحسب الخارج او بالاسم فقط اي ان يحسب الخاطئ بارًّا لان الخطاة تبرروا حال كونهم لم يزل ملطخًا بالخطايا ونفسهُ باقية بالحالة التي كانت فيها قبل التبرير فلا يحدث فيهِ اقلّ تغيير سوى الزعم ان الشرّ والتوجع والمعصية وعداوة الله لا تحسب عليهِ فيما بعد ولكن الكتاب المقدس يثبت كما يشهد الآباء ايضًا ان تبرير الخاطئ هو ليس ان تغفر خطاياهُ فقط او تستر او لا تحسب عليهِ بل ان تنزع منهُ وتبتعد عنهُ بعيدًا فيطهر ويغسل وينقى . وقد ذكر هذا في اماكن عديدة من الكتاب المقدس وفورتس نفسهُ يثبت ايضًا لنا في الفصل الآتي من نفس كتابات مقاومينا ان الآباء كانوا يؤيدون هذا التعليم وهاك بعض ما قالهُ

اولاً قال كمنتز "لا يجب ان نقبل كل ما يحكم بهِ اوغسطينوس او على الاقلّ كلامهُ فهو وان يكن لا ينسب الى الانسان اقلّ فضل في امر التبرير

بل ينسب الكل الى النعمة الالهية مع ذلك هو يجعل النعمة سببًا للقداسة التي بها نولد ثانية بالروح الى جدَّة الحياة" وقال كليمنضس "انهم لا ينكرون الا كون الآباء قد اتخذوا كلمة تبرير للتجديد التي بها عمل البرّ بواسطة الروح . وقال ايضًا "انني لا انكر بان الآباء قد استعملوا غالبًا كلمة تبرير بمعناها الحقيقي اي صار بارًا". وزنكتيوس يقول "ان الآباء وخصوصًا اوغسطينوس يفسّر تبرير بهذا المعنى اي صار بارًّا وهكذا حسب رأيهم يتبرر انما تعني ان يصير الانسان بارًّا بنعمة الله بالمسيح" وهو يذكر شواهد غير هذه اكتفي الآن بما اوردته منها

ثامنًا برهان اول اذ قد تبيّن جليًا بان كلمة تبرير يقصد بها حقيقة صيرورة الانسان بارًا انتقدم لاثبت ايضًا ليس عن معرفة وهمية بل بتأكيد تام وعن شعور اختباري حقيقي داخلي . ان السبب الرئيسي الوحيد لتبرير الانسان في عيني الله تعالى هو اعلان يسوع المسيح في النفس مغيرًا ومجددًا الذهن الذي به (كمنشئ هذا العمل الداخلي) نتبرّر وننال قبولاً في عيني الله تعالى مصوّرًا ومعلنًا هكذا في قلوبنا. لاننا اذ نلبس ذاك الذي يسرّ بهِ الآب دائمًا ونستتر بهِ يمكننا ان نقترب من الله ونقف بثقة امام عرشهِ مغتسلين داخليًا بدم يسوع المسيح الذي سُكب في ارواحنا مرتدين بحياتهِ وبرّهِ المعلن بها . وقاعدة الخلاص هذه قد علّم بها الرسول في قولهِ الالهي رو ٥: ١٠ "لانهُ ان كنا ونحن اعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنهِ فبالاولى كثيرًا ونحن مصالحون نخلص بحياتهِ" فالرسول يثبت اولاً بان المصالحة قد تمّت بموت المسيح الذي بهِ ينال الانسان قبولاً وفداء واقترابًا الى الله ومن ثم يثبت ان الخلاص والتبرير قد تمّا بحياة المسيح وهذه الحياة هي روحية داخلية معلنة للنفس وبها نتجدد وننجو من الموت الذي هو نتيجة السقوط فتنتعش ونتقدم بروح الحياة الى الله وهذا يظهر من قول الرسول في اف ٢: ٥ "ونحن اموات

بالخطايا احيانا مع المسيح . بالنعمة انتم مخلصون . واقامنا معهُ" فلا شك انهُ يقصد هنا عمل التجديد الداخلي في النفس وسأعود الى البحث في هذا الموضوع فيما بعد . اما من جهة اعلان روح الحياة فقد قال الرسول نفسهُ ٢ كو٤: ١٠ "لكي تظهر حياة المسيح ايضًا في جسدنا" وفي عدد ١١ "لكي تظهر حياة المسيح ايضًا في جسدنا المائت" وهذا يوافق ما سبق الكلام بصددهِ وهو اننا نخلص بواسطة حياة المسيح الداخلية

برهان ثانٍ انا نتبرر باعلان يسوع المسيح والخليقة الجديدة في داخلنا وهذا يتضح من كلام بولس النفيس المذكور في نفس القضية تي ٣: ٥ "بل بمقتضى رحمتهِ خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس" الخ فدون شك ان ما نخلص بهِ هو نفس ما نتبرَّر بهِ والكلمات هي من هذا القبيل مترادفة . فقد اثبت الرسول هنا ان سبب التبرير الاصلي هو عمل التجديد الداخلي معلنًا في النفس يسوع المسيح وهو ايضًا يصيّرنا اهلاً للمصالحة مع الله بغسل الميلاد الثاني الذي هو تلك القوة او الفعل الداخلي الذي بهِ تُنقى النفس وتلبس برَّ المسيح لتصير اهلاً لان تظهر امام الله

برهان ثالث ان هذا التعليم يتضح من ٢ كو ١٣: ٥ "جرّبوا انفسكم هل انتم في الايمان امتحنوا انفسكم ام لستم تعرفون انفسكم ان يسوع المسيح هو فيكم ان لم تكونوا مرفوضين" . فما ذُكر يظهر (١) رغبة الرسول في ان يبيّن لهم انهم يجب ان يعرفوا المسيح في داخلهم لكونهِ يحثهم على ذلك بالحاح ويحرّضهم بشدة ثلاث مرات (٢) انهُ يجعل لهم سبب كونهم مرفوضين او غير مرفوضين عدم معرفتهم المسيح معلنًا في انفسهم . فيتحتم من هذا اذًا بحسب قاعدة التعاكس ان العكس بالعكس والامر ظاهر هنا انهُ متى عُرف المسيح من اناس داخليًا فاولئك الخاضعين لهُ يرتضي بهم ويبرّرهم . فلا يمكن ان يكون كلام اوضح من هذا لانهُ ان كان يجب ان نعرف بان المسيح هو فينا ان لم نكن مرفوضين او

غير مبررين فاننا ان عرفناهُ في داخلنا فنحن غير مرفوضين وبالنتيجة مبررون وقد قال الرسول ما يشبه هذا الكلام في غل ٤: ١٩ "يا اولادي الذين اتمخض بكم ايضاً الى ان يتصوَّر المسيح فيكم" وقد زاد الرسول على هذا في موضع آخر قائلاً "المسيح فيكم رجاء المجد" فذاك الذي هو رجاء المجد يجب ان نتكل عليهِ لاجل تبريرنا وبهِ نصير بالحقيقة ابرارًا وكما اننا لا ننكر في الوقت نفسهِ ان الاصل او السبب الاساسي لتبريرنا هو محبة الله المعلنة لنا بظهور يسوع المسيح في الجسد الذي جعل سبيلاً لمصالحتنا بحياتهِ وموتهِ وآلامهِ وطاعتهِ وقد صار قربانًا لاجل مغفرة خطايانا الماضية واشترى لنا هذا الزرع او النعمة الذي منهُ الميلاد الثاني وبهِ نقبل يسوع المسيح داخلنا ويتصوَّر فينا ويظهر بصورة برّهِ القدوس الطاهر الذي فيهِ تحيا انفسنا لله وتلبسهُ ونستتر بهِ كما يقول الكتاب اف ٤: ٢٣ و ٢٤ وغل ٣: ٢٧ اي اننا نتبرر ونخلص فيهِ وبهِ وبروحهِ واعنيهِ رو ٣: ٢٤ و ١ كو ٦: ١١ وتي ٣: ٧ وهكذا بالتبادل نصير بذلك شركاء ملء استحقاقاتهِ وروحهُ الطاهر يغسل كل خطية وضعف فينا ويشفي زلاتنا كلما رجعنا بالتوبة الحقيقية فنتجدد بروحهِ.

فكل الذين عرفوهُ انهُ قام هكذا فيهم وانهُ هو المتسلط عليهم. عندهم هذا الرجاء المؤسس على الايمان الوطيد بانهم قد تبرروا بدمهِ فلا يخدعنَّ احد ويعلل نفسهُ بالرجاء المبني على الايمان الكاذب اي انهُ بموت المسيح وآلامهِ قد تبرَّر حال كون الخطية رابضة عند الباب كما ذُكر في تك ٤: ٧ وليحترس هؤلاء الذين تسود عليهم الخطية ولا يزالون غير مولودين ثانية ولا متجددين لئلا يقال لهم "اني لا اعرفكم" وليتذكر كل واحد كلام المسيح نفسهُ مت ٧: ٢١ "ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات بل الذي يفعل ارادة ابي الذي في السموات" واذا اضفنا الى هذا

كلمات الرسول الحبيب ١ يو ٣: ٧ و ٢٠ "ايها الاولاد لا يضلكم احد من يفعل البرّ فهو بارّ كما ان ذاك بارّ. من يفعل الخطية فهو من ابليس. لانهُ ان لامتنا قلوبنا فالله اعظم من قلوبنا ويعلم كل شيء"

بورهيوس ان كثيرين من معلمي البروتستانت الشهيرين يشهدون للتبرير الداخلي بالمسيح المعلن داخليًا والمتصور في الانسان نظير بورهيوس في الكلام عن "فريضة التبرير" يقول ان فريضة التبرير التي بهـا يقدّم المسيح ويُبذَل عن المؤمنين تعلن استحقاقات دمهِ. والروح القدس المعطى لنا بواسطة هذه الاستحقاقات على السواء فلا مندوحة من الاعتراف اذًا بان المسيح هو برّنا وانهُ باستحقاقاتهِ وبعطايا روح البرّ ايضًا ننال قبولاً ومغفرة الخطايا فان فعلنا هذا قلبيًا يكون لنا ثقة بان المسيح بكاملهِ هو نفدمة تبريرنا وليس جزئيًا" ثم ذات الكاتب يقول "ان المقصود من تبريرنا هو ان المسيح يحيا ويتنفس فينا اي اننا نرتدي بروحهِ مستشهدًا على الارتداء بهِ بقولهِ قد لبستم المسيح" وقد قال ايضًا "نحن لا نودّ ان يقصد بالتبرير جزءًا من المسيح بل المسيح كلهُ لانهُ هو برّنا من كل جهة" وقال بعد ذلك "انهُ كما ان الرسول بولس الجزيل الطوبى في كلامهِ عن تبريرنا اذ قال "الذين برّرهم هولاء مجدهم ايضًا" يقصد كلما يتعلق بمصالحتنا مع الله الآب وتجديدنا الذي يؤهلنا لنوال المجد بالايمان والبرّ والمسيح وهبات برّهِ الممنوحة لنا بهِ والتي بواسطتها نولد ثانية لاجل تكميل عمل التبرير الذي تقتضيهِ الشريعة هكذا نحن ننال كل ما هو داخل ضمنًا في هذا العمل اي كل ما يتعلق بتبريرنا واسترجاع طهارتنا" وقد قال ايضًا "ان فريضة تبريرنا هي البرّ الالهي نفسهُ الذي بهِ نصير ابرارًا صالحين. هذا هو المسيح الذي نعتبرهُ برّنا بالنظر الى امرين الاول مغفرة خطايانا والثاني تجديدنا واسترجاع طهارتنا الاولى التي خسرناها بسقوط آدم الاول اذ نلبس آدم الثـاني السماوي كما يقول

الرسول "لبستم المسيح" اقول لبستموهُ اي لبستم برّ الله وحكمتهُ وحياتهُ وقد اثبت هذا ايضاً كلوديوس البرتس انكونانوس وقال زنكليوس في رسالتهِ الى امراء جرمانيا واستشهد بكلامهِ بعدئذٍ هيباليوس ايضاً "ان قداسة النفس هي التبرير الحقيقي الذي هو وحدهُ كافٍ لان يتبرّر" واوسنيوس في الكلام عن ١ كو ٦: ١١ يقول "ان الرسول لئلا يوهم احد ان البرّ المسيحي يتوقف على الاغتسال فقط اي مغفرة الخطايا اردف كلامهُ قائلاً "بل تبرّرتم" ثم يضيف الرسول قولهُ ايضاً "باسم الرب يسوع المسيح" اي باستحقاقاتهِ "وبروح الهنا" اي بالروح القدس المنبثق من الله والمعطى لنا بالمسيح واخيراً واعظ انكليزي شهير يقول في كتابهِ المسمى حقائق التبرير وجه ٨٠ "ان بعض المتطفلين الجهلاء يصرّون اسنانهم على هذا التعليم كانهُ ظاهريًّا بابوي الاَّ انهم لا يفهمون قوة برّ العهد الجديد الذي يخصر كلهُ بالمسيح فينا ويتمّ بقوة روح المسيح في داخلنا"

تاسعًا الركن الثالث ان الامر الثالث الذي قلت انني سابحث فيهِ هو لزوم الاعمال الصالحة في التبرير وعلى ظني انني قد بينت فيما مضى كلها وهذا يزيل عنا كل تهمة باننا نعتقد اعتقادًا بابويًّا من هذا القبيل

اعتراض وربما يوجَّه الينا هذا السؤال هل نحن نعتقد او نقول بان الانسان يتبرَّر بالاعمال

فأُجيب اننا لا نقصد ان نزعج او نعثر احدًا من هذا القبيل وها انني اعتمد على اقوال الكتاب جوابًا على هذا السؤال يع ٢: ٢٤ "ترون اذًا انهُ بالاعمال يتبرّر الانسان لا بالايمان وحدهُ" ولا لزوم لان ابرهن صحة هذا القول لان كلام الرسول نفسهُ في ذات الاصحاح كافٍ لان يقنع كل من يريد يقرأ ويؤمن ولكنني سأبني عليهِ القياس الآتي فقط

الاعمال لازمة لعمل التبرير اذا كان الانسان لا يتبرّر الاَّ بالايمان

وان كان الايمان لا يحسب حيًّا او عاملاً للخلاص الاَّ بالاعمال فاذًا الاعمال هي ضرورية للتبرير

ولكن الاول ثابت وعليهِ فالثاني هو ثابت ايضًا

وهذا الحق هو جليٌّ ثابت في كل الكتاب ويشهد لهُ اكثر شرائع الانجيل وساذكر قليلاً من كثير من هذه الشواهد التي هي في نفسها تؤيد هذه المسئلة بجلاء لا يحتاج الى شرح وتفسير. ومن ثم اذكر هذه الاعتراضات المقدمة ضدها التي هي بالحقيقة اقيسة تثبت عكس ما يقصد مقدموها بها عب ١٢: ١٤ "القداسة التي بدونها لن يرى احد الرب" ومت ٧: ٢١ "ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات بل الذي يعمل ارادة ابي الذي في السموات" ويو ١٣: ١٧ "ان علمتم هذا فطوباكم ان عملتموهُ" و اكو ٧: ١٩ "ليس الختان شيئًا وليست الغرلة شيئًا بل حفظ وصايا الله" ورؤ ٢٢: ١٤ "طوبى للذين يصنعون وصاياهُ لكي يكون سلطانهم على شجرة الحيــاة ويدخلون من الابواب الى المدينة". وآيات غير هذه كثيرة اقتصر عن ذكرها وساتي من هذا كلهِ الاقيسة الآتية

ان كان الذين يصنعون ارادة الآب السماوي فقط يدخلون ملكوت السموات وان كان كل من يعمل باقوال المسيح فقط يُحسب سعيدًا وعاقلاً وان كان لا يستفيد من وصايا الله سوى الذي يحفظها وان كانت الطوبى للذين يصنعون وصاياهُ فقط التي بها يكون سلطانهم على شجرة الحيــاة ويدخلون من الابواب الى المدينة

فاذًا الاعمال لازمة وضرورية لنيل الخلاص والتبرير وبما ان الاول صحيح فكذلك الثاني ونتيجة المقدمة هي جلية واضحة لكل ذي ذوق سليم فلا تحتاج الى برهان

عاشرًا اعتراض اول ربما يعترض احد قائلاً ان الاعمال ليست

ضرورية للخلاص اولاً لان المسيح نفسهُ يقول لو ١٧: ١٠ "كذلك انتم ايضاً متى فعلتم كل ما أُمرتم بهِ فقولوا اننا عبيد بطالون لاننا انما عملنا ما كان يجب علينا"

فأُجيب اننا في نظر الرب عبيد بطالون بالحقيقة لانهُ لا يحتاجنا بشيء ولا نقدر ان نزيدهُ شيئاً اما بالنظر الى انفسنا فلسنا بطالين والاَّ لقيل ان الانسان لا ينتفع شيئاً من حفظ وصايا الله الامر الذي هو منتهى الحماقة ويناقض تعليم المسيح على خط مستقيم مت ٥ ألم يوجّه المسيح الطوبى في كل تطويباتهِ لاجل النقاوة والاتضاع والمسالمة الخ . أوليس ما يطوّبهُ المسيح مفيد ونافع للانسان ثم في مت ٢٥: ٢١ و ٢٣ ألم يلقب المسيح اولئك الذين اتجروا بالوزنات وربحوا عبيداً امناء ثم في العدد ٣٠ قول عن العبد الذي خبأ الوزنة ولم يتجر بها "اما العبد البطال فاطرحوهُ في الظلمة الخارجية" فان كان عدم الاتجار والربح بالوزنة كان السبب في تلقب العبد بطالاً وصدر الامر بطرحهِ الى الظلمة الخارجية فبقاعدة التعاكس لنا على الاقل هذه النتيجة ان العمل بالوزنات والربح بها جعل الآخرين غير بطالين فاذا سمح لنا مقاومونا ان نصدّق كلمات المسيح نرى انهُ قد جعل اعمال اولئك العبيد العاملين السبب في قبولهم وسماعهم هذا الكلام "نعمّا ايها العبد الصالح والامين كنت اميناً في القليل فسأُقيمك على الكثير ادخل الى فرح سيدك"

ثم ربما يعترض ثانياً بقول الرسول حيث يستثني اعمال الناموس من جهة كونها موثرة بالخلاص اولاً رو ٣: ٢٠ "لانهُ باعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرَّر امامهُ" والعدد ٢٨ "اذاً نحسب ان الانسان لا يتبرر بالايمان دون اعمال الناموس"

فأُجيب انني قد اظهرت فيما مضى مقام الاعمال في اعتبارنا من جهة التبرير حتى وافضلها واننا ننسب الفضل فيها جميعها الى العامل فينا وليس

الى الاعمال نفسها ففي جواب هذا الاعتراض اقول يوجد بون عظيم بين اعمال الناموس واعمال النعمة والانجيل اما الاولى فمستثناة وعديمة الفائدة واما الثانية فهي بالعكس ضرورية . الاولى معمولة بحسب قوة الانسان ومشيئته طبقًا للناموس الخارجي الحرفي ولذلك فهي اعمال الانسان تنسب العديمة الكمال او اعمال الناموس التي لا تكمل احدًا ومن هذا القبيل جميع الطقوس والتطهيرات والاغتسالات والتقاليد التي يحافظ اليهود عليها

اعمال النعمة والانجيل هي غير الاعمال بالناموس اما الثانية فهي اعمال روح النعمة في القلب المعمولة طبقًا لناموس الروح الداخلي في القلب وهذه الاعمال ليست معمولة بمشيئة بشرية ولا بقوة الانسان او قدرته بل بقوة وقدرة روح المسيح فينا ولذلك فهي نتيجة طاهرة في نوعها (كما سأبين فيما بعد) ويمكن ان تسمّى اعمال المسيح لانه هو العامل الاصلي لها وهذه هي الاعمال التي نعتقد انها لازمة وضرورية للخلاص فلا يتبرّر انسان دونها لان كل ايمان دونها هو ميت عديم الفائدة كما يصرّح يعقوب الرسول فاذ انه من الضرورة التمييز بين اعمال واعمال فقد جعل الرسول الاعمال الاولى عديمة الفائدة للتبرير وهذا يتضح لنا جليًا عند التأمل في الكيفية التي يذكرها بها في رومية وغلاطية حيث يتكلم باسهاب في هذا الموضوع اما كنه المسئلة فهو هذا

انه لما كان كثيرون من الامم الذين ليسوا من نسل ابرهيم بحسب الجسد قد اهتدوا الى الايمان المسيحي فالبعض من اليهود الدخلاء استفزتهم الغيرة لان يلزموا هولاء الامم لكي يحافظوا على الطقوس والعوائد اليهودية كانها ضرورية لتبريرهم وهذا الامر جعل بولس ان يذكر ما جاء في رومية وغلاطية وغير رسائل ويبيّن اعمال الناموس مميزًا اياها عن الايمان بالمسيح وبره مثبتًا ان الاول بطل وصار عديم الفائدة اما الآخر فهو ثابت وضروري فالاعمال التي يبطلها الرسول هي اعمال الناموس وذلك ظاهر من فحوى

كلامهِ في غل ص ١ و ٢ و ٣ و ٤ حتى انهُ في الاصحاح الرابع وبخهم لانهم رجعوا الى عادات المحافظة على الايام والازمنة وفي اول الاصحاح الخامس بيّن لهم حماقتهم والنتائج الوخيمة العاقبة التي تنجم عن التمسك بالطقوس والختان ثم يقول في العدد ٦ "لانهُ في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئًا ولا الغرلة بل الايمان العامل بالمحبة" ففي كل هذه الاماكن يتضح الفرق بين نوعي الاعمال المذكورة سابقًا . اما الواحد فمرفوض واما الآخر فلازم وضروري للتبرير وقد قال الرسول ان الختان (الذي هو مثال يطلق على كل الفروض والطقوس اليهودية) ليس ضروريًا بل ليس لهُ اقلّ تأثير وهذه هي الاعمال المستثناة التي لا يتبرَّر بها الانسان ولكن الايمان العامل بالمحبة اي الخليقة الجديدة التي تعمل وتقتدر فهي التي تعدّ اعمالًا لازمة وضرورية لان الايمان العامل بالمحبة لا يمكن ان يكون دون اعمال كما هو مذكور في غل ٥: ٢٢ "واما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول اناة لطف صلاح ايمان وداعة تعفف ضد امثال هذه ليس ناموس" فاذا كانت تقتدر ولازمة فلا تكون كذلك دون الاعمال لانها من طبيعتها يجب ان تأتي باعمال البر. وعدم اهمال الرسول للاعمال الجيدة يظهر في ذات الرسالة لانهُ يحثّ الغلاطيين على هذه الاعمال ويمتدح فوائدها ويظهر لزومها بكل وضوح وبغاية الجلاء غل ٦: ٧ و ٨ و ٩ لا تضلوا الله لا يشمخ عليهِ فان الذي يزرعهُ الانسان اياهُ يحصد ايضًا لان من يزرع لجسدهِ فمن الجسد يحصد فسادًا ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة ابدية فلا نفشل في عمل الخير لاننا سنحصد في وقتهِ ان كنا لا نكلّ" أفلا يتضح هنا بان الرسول يجتهد بان يفهم الغلاطيين ان يعتبروا الاعمال الجيدة وهي ليست اعمال الناموس التي هي فروض وتقاليد بل اثمار الروح التي سبق فذكرها قبل هذا بقليل وهذا هو الروح الذي نرغب نحن في ان يتخذهُ الجميع مرشدًا ويسلكوا في اعمالهِ الصالحة ونظهر اهمية هذه الاعمال

في نظر الرسول من كونهِ جعل مكافأتها الحياة الابدية فالاثمار التي تخوّل الانسان مكافأة عظيمة وغنية كهذهِ لايمكن ان تكون عديمة الفائدة في امر تبريرهِ

اخيرًا انني في الجواب النهائي على هذا الاعتراض ولاجل اثبات هذا التعليم ساعتمد على قول بولس الرسول في مكان آخر الذي يستعملهُ اخصامنا ايضًا بسبب غلاظة قلوبهم وعقولهم كبرهان ضدنا اي تي ٣: ٥: "لا باعمال في برّ عملناها نحن بل بمقتضى رحمتهِ خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس"

التبرير ليس بفرائض الشريعة بل بايمان الروح فان قول الرسول كلمة خلصنا هنا يعتبرها الجميع تقريبًا كانهُ قال بررنا لانهُ يأتي على ذكر نوعيّ الاعمال فبالنوع الاول ليس لنا خلاص او تبرير ولكن بالنوع الثاني ننال الخلاص والتبرير. فالاعمال الاولى هي التي نعملها ببرّنا الذاتي في طبيعتنا الاولى الساقطة بقوتنا كاننا نتمم الفرائض الشرعية وهذه يجب ان نسميها اعمالنا الحقيقية مهما كانت ظواهرها ثم ان القسم الاخير من العدد يُظهِر النوع الثاني من الاعمال وهي التي تعمل بعد غسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس وهذا الميلاد الثاني لهُ اعمال كثيرة صالحة وهي الاعمال التي نسميها اثمار الروح

واذا اعترض البعض قائلين ان هذه الاعمال هي اعمالنا لانها تتمّ بنا وما نحن اكثر الاوقات سوى آلات عاملة لاتمامها

فأُجيب ان هذه الاعمال تختلف جدًا عن الاولى لان الاولى يعملها الانسان وهو بعد عائش بحسب الطبيعة الاولى وفي اهوائهِ فهو يقصد ان يتمم امر خلاصهِ طبقًا لناموس الحرف الخارجي مجاهدًا ومحاربًا بقوة عقلهِ البشري الذي هو عداوة لله وبحسب مشيئتهِ التي لم تزل متمردة وتحت

اللعنة اما النوع الآخر من الاعمال فاذ نكون قد صُلبنا مع المسيح وصرنا مشاركين في آلامهِ وموتهِ لاننا نكون قد صلبنا الانسان الاول العتيق وكل اعمالهِ سواءٌ كانت شريرة واضحة او فيها هيئة البرارة فتسمَّر كلها مع صليب المسيح وبذلك يتوقف جهادنا حسب الناموس ومحاربتنا الباطلة بقوتنا ومن ثم لسنا نحن العاملين فيما بعد في انفسنا بل المسيح الساكن فينا وان كنا نحن على نوع ما نعمل الاعمال او ان الاعمال تتمّ بواسطتنا وهو يوافق ما قالهُ الرسول غل ٢: ٢٠ "مع المسيح صُلبت فاحيا لا انا بل المسيح يحيا فيَّ" لا انا بل نعمة المسيح فيَّ فاذًا هذه الاعمال يجب ان تنسب الى روح المسيح او نعمة الله العاملة فينا والتي ترشدنا والقادرة ان تتم وتكمّل كل شيء وهذا هو التعليم المعوَّل عليهِ عند الرسل وقد كان مألوفًا جدًّا كما يتضح من غل ٢: ٨ "فان الذي عمل في بطرس لرسالة الختان عمل فيَّ ايضًا للامم" وفي ٢: ١٣ "لان الله هو العامل فيكم ان تريدوا وان تعملوا من اجل المسرَّة" الخ وهذا يثبت انهُ كما ان غسل الميلاد الثاني هو ضروري لاجل اتمام عمل التبرير فبما انهُ يوجد لهذا الميلاد اعمال خاصة بهِ فاعمالهُ هي ضرورية ايضًا وهي غير اعمال الناموس المستثناة من اعتبارنا في عمل التبرير

حادي عشر وقد يعترض البعض ايضًا بقولهم ان الاعمال ليس لها اقلّ اعتبار في عمل التبرير حتى والاعمال التي نعملها بالمسيح لانهُ لا شيء دنس لهُ اقلّ منفعة وكل الاعمال التي نعملها نحن هي مدنسة دون استثناء ويقدّمون شاهدًا على هذا اش ٦٤: ٦ "وقد صرنا كلنا كنجس وكثوب عدة كل اعمال برّنا" متشبثين بهذا اي اننا لكوننا مدنسين فاعمالنا هي ايضًا كذلك فهي وان كانت جيدة بذاتها لما تتمّ بواسطتنا تصطبغ بصبغة الدنس كما ان الماء النقي اذا مرَّ بقناة قذرة يصير قذرًا

فأُجيب ردًّا على هذا انني مع اعترافي بان كل الاعمال النجسة ليس لها

اقل فائدة في التبرير انكر تماماً كون كل اعمال القديسين نجسة وذلك يتضح مما قد بينته من انه يوجد فرق بين اعمال واعمال فالنوع الاول من الاعمال المذكورة سابقاً هو نجس دنس بخلاف الثاني وذلك لان الاول يتم بواسطة طبيعتنا الغير مجددة اما الثاني فبخلاف ذلك . اما من جهة قول اشعياء فهو انما يطلق على النوع الاول لانه وان قال "وكثوب عدة كل اعمال برنا" فذلك لا يشمل بر المسيح فينا بل برنا الذاتي فقط لاننا لو اخذنا هذه النتيجة على الاطلاق لوجب ان ننفي وجود القداسة والبر لانها كلها اشبه بخرق بالية او هي كثوب عدة يجب ان يطرح خارجاً وعلى هذا الزعم يجب ان ننكر كل اثمار الروح المذكورة في غل ص٥ ونحسبها كانها نجسة وقد صرح الكتاب بعكس هذا اي ان اعمال القديسين هي كرائحة ذكية يشتمها الرب زينة ثمينة في عيني الله مقبولة لديه . اما الخرق البالية فلا يمكن ان تكون كذلك نعم وكثير من البروتستانت انفسهم يقرّون ان النبي لم يقصد بهذه الآية ما يدّعون

رأي كلفن وغيره من جهة اش ٦٤ : ٥ بخصوص تبريرنا وهاك ما قاله كلفن في هذا الصدد "لقد استشهد البعض بقول النبي اشعياء لكي يثبتوا ان اعمالنا ليس لها ادنى اعتبار بل هي نجس ورجس في عيني الرب الا انني اعتقد ان قولهم هذا مغاير لافكار النبي" لانه لم يتكلم عن جميع بني البشر وقد تكلم موسكلوس في هذا الموضوع قائلاً "انه بما ان شعب اليهود اعتادوا ان يعتدوا كثيراً ببرهم الشرعي كانهم به يتطهرون فالنبي ينبههم انه مع كل ادعائهم ليسوا اطهر من خرق الانسان البالية" وقد اتخذ البعض معنى هذا الكلام شاملاً لكل البر الجسدي ومع انني اوافقهم على هذا الفكر ان لا بر في الجسد الا انني اقول ان النبي كان يقصد عدم طهارة ذلك الشعب بواسطة الفرائض بحسب الناموس

وقد كتب برنيوس في تفسير رومية ص٧ جاعلاً له علاقة بخصوص

كلام اشعياء هذا قائلاً " ان هذا الموضوع قد سيء فهمه بسبب المجادلات التعصبية العنيفة بخصوصهِ فلا يزال البعض يضلّون بجعلهِ شاملاً لاعمال اتقى المسيحيين " الخ

وقد اجاب كوا قسيس فرنسي في كنيسة باسل في محاماتهِ عن التبرير ضد الاشكال بقولهِ " مع ذلك فانني اتباعاً لنصيحة بعض الاتقياء انبهُ القارئ انهُ لا يخطر ببالنا قط ان نقلل اعتبار ما جاء في الاصحاح ٦٤ من قول النبي اشعياء عن الاعمال الجيدة حيث يقول 'وكثوب عدة كل اعمال برّنا' فنقول انهُ قصد بذلك الاعمال الصالحة المعمولة بالروح فينا او ان النبي اعتبر هذه الاعمال كشيء قذر نجس "

ثاني عشر اما من جهة القسم الآخر اي انهُ بما ان افضل الناس هم دنسون وغير كاملين فاعمالهم هي ضرورية كذلك فهذا امر غير محقق ومبني على قياس غير مسلَّم بهِ وسيأتي البحث عنهُ باكثر تدقيق في القضية التالية. انما اقول الآن انهُ على افتراض كون الانسان غير كامل من كل جهة فلا يمنعهُ هذا عن ان يأتي بالاعمال الصالحة الكاملة من نوعها التي يعملها المسيح وروحهُ بواسطتهِ . اما مثل الماء النقي الجاري في قناة قذرة فلا يصيب الغرض الذي توخاهُ مباحثونا لانهُ وان صار الماء وسخاً بمرورهِ بقناة وسخة فحاشا ان يلمّ بروح الله ذاك الذي ثبت انهُ العامل الحقيقي لهذه الاعمال المعتبرة في امر التبرير شيء من الدنس . ولذلك فاعمال المسيح في اولادهِ هي طاهرة كاملة وهو يعملها بواسطة الخليقة الجديدة الطاهرة التي يجددهم بها وفوق كل هذا اذا فُرض صحة زعم اضدادنا انهُ ما من انسان كامل او يمكن ان يعمل عملاً طاهراً كاملاً فما قولهم في عجائب الرسل والاعمال التي عملها المسيح بواسطتهم والتي عملوها هم بقوة روح المسيح ونعمتهِ . فهل يجب ان تكون ايضاً دنسة وغير كاملة ? وما قولهم في تبشيرهم للامم بالايمان المسيحي وتأليفهم الكنائس وكتابتهم

الكتاب المقدس وتكريسهم حياتهم وسفك دمهم شهادة ليسوع . فماذا يجيب مباحثونا عن هذا كلهِ الذي اذا قلنا بصحتهِ يجب ان نحكم هذا الحكم الفاسد ان الكتاب المقدس الذي يبالغون في سموهِ وكمالهِ هو اناءٌ غير طاهر وغير كامل على ان كثيرين من البروتستانت انفسهم يعترفون مرارًا ان الآباء قد اثبتوا بان اعمالاً كهذه قد كان الانسان فيها آلة بيد المسيح وروحهِ كما مرَّ الكلام في التبرير الّا ان البعض من الجهلاء يصرخون ان هذا الاعتبار هو بابوي محض

وهاك ما يصرّح معترفًا بهِ بعض مشاهير البروتستانت فاماندوس بولاندس في كتابهِ المعروف سمفونيا كاثوليكيا الفصل ٢٧ و ٦٥١ عند اثباتهِ هذه القضية حسب اعتقاد البروتستانت العمومي الموافق كثيرًا لاعتقاد الآباء يقول " نحن نحصل على مغفرة الخطايا بالتوبة والاعتراف والصلاة والدموع الصادرة كلها عن الايمان الّا انها ليس لها استحقاق البتة اي اننا لا ننال المغفرة باستحقاقات التوبة والصلوات ولكن برحمة الله وجودتهِ" وانتوسنفيوس تجنيليس احد المحامين الشهيرين بين البروتستانت بعد ان اسهب الشرح في الايمان والاعمال اتى على الكلمات الآتية " فاذ اننا نرى ان الواحد لا يمكن ان يكون دون الآخر نحن نسميهما سببين عاملين بالاتحاد " وذانكيوس قال في احد كتبهِ " نحن لا ننكر ان الاعمال الصالحة هي مسببة للخلاص ولكنها السبب المساعد وليس السبب الاساسي المسمى Sina qua ron " ثم يقول بعد ذلك " ان الاعمال الصالحة هي سبب مساعد لاقتناء الحياة الابدية لانها كالوسيلة والطريقة المشروعة التي بها يرشدنا الله الى اقتناء الحياة الابدية . وأمِس يقول " ان طاعتنا وان تكن ليست السبب الرئيسي الذي يستحق الحياة الابدية الّا انها مع ذلك سبب على نوع ما مهذّب يساعد ويمكّن من امتلاك الحياة " ورنشرد باكستر في كتاب لهُ يقول " اننا نتبرّر بالاعمال كما

اننا نتبرَّر بالايمان اي انهما سببان او حالتان من العهد الجديد المطلوب منا لاجل تبريرنا " ثم يقول ايضاً وجه ١٦٥ " انني ارى انهُ ليس من اللازم ان نشرح لاحد من المعلمين الذين قرأُوا كتابات الباباويين شدة اختلاف تعليمهم عن تعليمنا "

استحقاق او مكافأة الاعمال اخيراً انهُ من المناسب ان يذكر هنا شيءٌ عن استحقاق او مكافأة الاعمال الجيدة وسأُبين ايماننا ومعتقدنا في هذا الموضوع . نحن نؤمن ان الانسان ليس لهُ استحقاق قبل الله تعالى من جهة الاعمال لانها معمولة بالنعمة المجانية ومع كوننا الآن وقد كنا منذ البدء ننكر تعليم الباباويين بالاستحقاقات المنسوبة Meritim ex condigno الى الاعمال نفسها كذلك لاننكر البتة ان الله بجودتهِ الغير المحدودة التي بها احب الجنس البشري بعد ان منحهُ نعمة روحهِ القدوس قد شاءَت ارادتهُ ان يكافي او يجازي اولادهُ من اجل الاعمال الصالحة فمن المقرَّر اذاً انهُ يوجد لهذه الاعمال استحقاق او اجر ولاسيما لان الكتاب يصرّح بهِ بطريقة ثابتة . فلا يمكننا ان نرفض استعمال كلمة استحقاق في المعنى او الى الحدّ الذي يعينهُ الكتاب فالكلمة اليونانية التي معناها استحقاق تترجم في التوراة بهذه الكلمات يليق ويحق ويؤَهل كما في مت ٣: ٨ و انس ٢: ١٢ و ٢ تس ١: ٥ و ١١ وقد قال ر. باكستر في ذلك في كتابهِ المذكور آنفاً وجه ٨ ولكن بمعنى اعمّ " انهُ بما ان الوعد هو ارتباط والشيء الموعود بهِ دين لذلك فتممو الشروط يُدعَون اهلاً وما يتممونهُ استحقاقاً وهكذا مع ان الاصل ان الكل بالنعمة وليس كذين نرى ان الذين نسميهم آباء الكنيسة يكثرون استعمال كلمة استحقاق ولا لزوم لسرد اقوال اولئك الآباء اذ ليس في المسئلة اقلّ شك ولان اكثر البروتستانت لايضادون في استعمال الكلمة في المعنى الذي نقصدهُ . ومحاماة اغوسطينوس مادة ٢٠٥ تحتوي على ما يأتي " نحن نسلّم ان الاعمال لها استحقاق ولكن ليس

في امر مغفرة الخطايا او اتمام عمل التبرير ولكن لها استحقاقات اخرى او بالحري مكافأة إما روحية او جسدية في هذه الحياة ام في الحياة الآتية" ثم بعد هذا يقول "اذ اننا نرى ان الاعمال هي اتمام الناموس فعلى نوع ما يليق ان تدعى بالحق مستحقة او يقال بالحق ان لها مكافأة واجبة"

في اعمال لجنة اولونبرج المنتخبات الالهية ٨١٠ و ٢٦٥ يقال "ان كنائسنا لا تعترض على استعمال كلمة استحقاق بالمعنى الذي استعملهُ بها الآباء ولكننا في الوقت نفسهِ لا نستصوب المذهب الباباوي في تعليم الاستحقاق". وج. فوسيوس في قضيتهِ اللاهوتية عن استحقاق الاعمال الصالحة يقول "نحن لا نجسر ان نخطئ كلمة استحقاق تماماً لان كثيرين من الآباء الاقدمين استعملوها وكذلك قد استعملتها كنائس الاصلاح في كتاباتهم فالله يجازي او يكافي كلاً بحسب اعمالهِ وهذا امر لا يشك بهِ كل من يقرأ بامعان الكتب المقدسة" مت ١٦: ٢٧ ورو ٢: ٦ و٧ و١٠ و ٢كو ٥: ١٠ ويع ١: ٢٥ وعب ١٠: ٣٥ و ١بط ١: ١٧ ورو ١٣: ٣

ثالث عشر ففي ختام هذه القضية نحذر كل انسان من ان تجرهُ جسارتهُ ليتشامخ على الله ويحسب نفسهُ مبرَّراً او مقبولاً في عيني الرب بقوة موت المسيح وآلامهِ حال كونهِ لا يزال عديم القداسة وعديم التبرير في قلبهِ بل وهو ملطخ ايضاً بالخطية لئلا يكون رجاؤهُ كرجاء المرائي الذي يضمحلّ ١ يو ٨: ١٣ "فلا يفتكر احد بحماقتهِ انهُ يستطيع ارضاءهُ باعمال او باتمام بعض الفرائض والطقوس او التقاليد او باعطاء فضة او ذهب او بالتقشفات الجسدية في العبادة او بالتواضع او بالاجتهاد في السلوك طبقاً للناموس الخارجي الحرفي فينتفخ مدعياً انهُ يستحق ان يُحسب لهُ ذلك ديناً في عيني الرب ولا يظنّ اناس انهم يمكنهم ان يجعلوا ذلك سبباً اساسياً للحصول على التبرير لئلا يكونوا منتفخين وحمقى وغرباء تماماً عن المسيح وعن برّهِ. وطوبى للذين ادركوا انهُ

ما زال شاهد الله القدوس في داخلهم يخبسهم ويبكتهم ويدينهم فهم بالحقيقة خطاة وغير مستحقين والذين لما رأوا ان كل مسعاهم واجتهادهم بحسب الجسد يذهب سدًى ودون ثمرة عرفوا ان كل رجائهم وايمانهم واتكالهم على انفسهم لا يجديهم نفعًا وليس لهم منه فائدة اسلموا ذواتهم لنعمة الله المقدسة لكي تعمل فيهم وتغيّرهم وتجددهم بالروح في اذهانهم . هولاء هم الذين انتقلوا من الموت الى الحياة وعرفوا ان المسيح الذي قام فيهم هو يعمل فيهم ايضًا لكي يريدوا ويعملوا . وهكذا هم يلبسون الرب يسوع المسيح ويستترون فيه ويشتركون ببرّهِ وطبيعته وهولاء هم الذين يمكنهم الاقتراب الى الله بجرأة ويعلمون ان اعمالهم مقبولة فيه لانها منه وبها وبه

يمكث فيها بسرّ الآب السموي



القضية الثامنة

الكمال

ان الذين وُلدوا الولادة الثانية المقدسة الطاهرة وصلبوا جسد الخطيئة والموت فاتحدت قلوبهم باطاعة الحق ولم يعودوا يسلكون في اطاعة تجارب الشرير بل تحرروا من عمل الخطيئة عمدًا وتعدي الناموس يعدُّون كاملين . انما هذا الكمال قابل النموّ كما انهُ عرضة على الدوام للوقوع في الخطيئة لما لا يداوم العقل الاتكال على الرب والالتفات اليهِ بسهر واجتهاد

(١) بما اننا قد ابنّا ان التبرير يتمّ باعلان يسوع المسيح مولودًا في القلب لاعمال البرّ واثمار الروح فيهِ بقي علينا هذا السؤال . الى اي حدّ يسود المسيح علينا ونحن في هذه الحياة ونسود نحن على اعداء النفس بقوّتهِ ؟

فالذين يلتمسون اتمام التبرير من الخارج بالحصول على برّ خارجي منكرين لزوم الارتداء بالبرّ الحقيقي من الداخل يقولون انهُ يستحيل على الانسان مهما تقدم في الطهارة والنقاوة أن يتحرّر من الخطية في هذه الحياة فهو لا يقدر من تلقاء نفسهِ او بواسطة النعمة المعطاة لهُ في هذه الحياة (وهذه جسارة عظيمة على قوة النعمة الالهية) ان يحفظ وصايا الله تمامًا بل يخالفها بالفكر والقول والفعل وهم يصرّحون كما قد أُشير اليهِ سابقًا ان افضل اعمال القديسين وصلواتهم وعباداتهم هي نجسة وغير طاهرة

اما نحن فبالعكس فمع اننا نعترف بسقوط الانسان الطبيعي ما لم يتجدد ويولد ثانية مهما كان اعتقادهُ وادعاؤهُ الاَّ اننا نؤمن ان الذين يولد فيهم

المسيح خليقة جديدة بواسطة الزرع العديم الفساد (لان الانسان بالاتحاد مع الخليقة الجديدة يجدّ طبعاً لكي يرضي الله) بمعنى لم حفظ وصايا الله وعدم مخالفتها يوميًا ولاجل ايضاح القضية نذكر ما يأتي

(٢) اولاً المعرفة الخارجية انا لا نسلّم ان هذا ممكن للانسان بقوتهِ اي وهو في الحالة الطبيعية مهما كانت معرفتهُ الخارجية عن المسيح وعن منطوق الناموس الخارجي لانهُ بشر وابن آدم الساقط

ثانيًا الولادة الجديدة ان ذلك ممكن للانسان المتجدد ذي الذهن المستنير المولود ثانية الذي قام مع المسيح ويعرف المسيح حيًا مالكًا فيهِ ومرشدًا لهُ بروحهِ ومعلنًا فيهِ ناموس روح الحياة الذي لا يعلن الخطية فقط ويوبخها بل يعطي قوة الغلبة عليها

ثالثًا النموّ في الكمال انا نقصد بهذا كمالاً يقبل النموّ يوميًا اي اننا لا نقصد كمالاً طاهرًا ومقدسًا الى التمام بحكمتهِ الفائقة ومعرفتهِ وطهارتهِ بل كمالاً نسبيًا فقط بحسب قياس النعمة الذي يحفظ بهِ الانسان من تعدّي ناموس الله ويتمكن من اتمام ما يطلبهُ منهُ كما اتّجر صاحب الوزنتين وصيَّرها اربع وزنات فاستحق نظرًا لاتمام عملهِ ان يدعوهُ السيد عبدًا صالحًا وامينًا نظير العبد الذي احضر العشر وزنات بدلاً من الخمس التي اتّجر بها . فقطعة الذهب الصغيرة هي ذهب صرف من نوعها كالقطعة الكبيرة وجسم صبي صغير هو جسم كامل كجسم الرجل الكبير مع ان الاول قابل النمو يوميًا ولذا قيل عن المسيح لو ٢: ٥٢ انهُ كان "يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس" مع انهُ لم يخطئ البتة بل كان كاملاً بكل معنى الكلمة

رابعًا كل خطية تضعف الانسان في الحياة ولكنها لا تميتهُ تمامًا يجب ان يجدّ الجميع دائمًا نحو الكمال وان يكن البعض قد يسقطون احيانًا في مكايد وتجارب ابليس عدوّ الانفس بعد ان ثبتوا في المسيح مدة وذلك

لانهم يغفلون السهر غير منتبهين الى ارشاد الله في القلب . ولا شك ان عدداً كبيراً من رجال الله الصالحين القديسين الذين وصلوا الى الحياة الابدية اختبروا مدة حياتهم تندماً وتنهداً من هذا النوع لان الخطية مع انها تضعف الانسان روحياً لكنها لا تميته تماماً او تجعله عاجزاً لا يتمكن من النهوض

خامساً واخيراً يصبح عمل الصلاح امراً طبيعياً انني اثبت ان الانسان يمكنه الوصول الى حالة لا يخطئ بعدها اما اذا اخطأ البعض احياناً فهذا غير كافٍ لان نقول انه لا يمكن الوصول في هذه الحياة الى درجة روحية يسهل معها عمل الصلاح حتى انه يصبح امراً طبيعياً في الحياة المجددة فلا يقدر الانسان ان يخطئ فيما بعد . ولعل غيري يقدر ان يتكلم باكثر ثقة في هذا الموضوع لكونهم قد اختبروا ذلك بانفسهم اما انا فاعترف بقصوري الا انني لا اقدر ان انكر امكان ذلك حسب ما جاء في كلام الرسول ١يو ٣: ٩ "كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية لان زرعه يثبت فيه ولا يستطيع ان يخطئ لانه مولود من الله"

فاذ قد بينت هذه القضية على وجهٍ ينفي كل اعتراض ابتدئ اولاً ان اظهر سخافة مذهب القائلين ان الخطية صفة لازمة في هذه الحيــاة حتى في القديسين ايضاً

ثانياً ان أثبت مذهب الكمال بالبرهان بموجب شواهد متينة من اقوال الكتاب

واخيراً ان أجيب على براهين واعتراضات مناظرينا

الجزء الاول

(٢) البرهان الاول القول بان الخطية هي صفة ملازمة في هذه الحياة باطل ان التعليم بان القديسين لا يقدرون الآن يخطئوا لانهم

لا يمكنهم ان يتحرروا من الخطية في هذه الحياة لا يطابق حكمة الله وقدرته وجلاله ومجده لان عيني الرب اطهر من ان تنظر الى الشرّ حب ١: ١٣ فالذي شاء ان يقتني شعبًا مختارًا لكي يعبده وقد دعاهم لكي يكونوا له شهودًا على الارض هو دون شك يقدسهم ويطهرهم لانه لا يسرّ بالشرّ بل يكره الاثم. اما نظره الى شرّ الانسان فهو من وجهِ الشفقة لكي يعتقه منه مع هذا هو لا يسرّ به ما زال ملتصقًا بالشرّ فاذا اختار انسان ان يبقى في الشرّ يبتعد الله عنه كما جاء في اش ٥٩: ٢ "بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين الهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم" اما ان القديسين يشتركون هنا في هذه الحياة بالطبيعة الالهية فقد قيل في ٢ بط ١: ٤. "واما من التصق بالرب فهو روح واحد" ١كو ٦: ١٧. ولا يمكن لمن تنجس بالخطية هذا الاتحاد لان الكتاب يقول صريحًا "اية شركة للنور مع الظلمة" ٢كو ٦: ١٤ فالله نور وكل خطية هي على نوع ما ظلمة. فما اعظم افترائهم على حكمة الله فكانهم يقولون ان الله شاء فدبّر وسائط لاولادهِ بها يعبدونه ويخدمونه الى التمام الا انهم فيها كلها ايضًا يجب ان يخدموا الشيطان نظيره او اكثر منه لان "من يخطئ هو عبد للخطية" رو ٦: ١٦ وكل خطية هي اطاعة للشيطان وخدمته فان كان القديسون يخطئون يوميًا بالفكر والقول والفعل حتى ان نفس الخدمة التي يقدمونها لله لا تخلو من الخطية فهم اذًا يخدمون الشيطان اكثر من الله لانهم عدا عن انهم يعملون اعمالاً كثيرة خدمة صِرفًا للشيطان لا يعملون عملاً ما في جانب الله غير ممزوج بحظ وافر منه لابليس وان كانت صلواتهم واحتفالاتهم الروحية ايضًا خاطئة اذ هم يصرّحون انها معمولة دون ارشاد الله او تدريب روحهِ فهم بها يخدمون الشيطان بقدر ما يخدمون الله واكثر

فكم يحسب الانسان جاهلاً مَن في ايام سيادته مع مقدرته وشدة رغبته لا يهتم بتدبير طريقة يدعو بها اولاده او خدمه الى اخلاص الخدمة له اكثر

من خدمة عدوهِ او بينما يخدمونهُ لا يجتهد في الوقت نفسهِ ان يمنعهم عن تقديم خدَم لاتقلُّ منافعها او احيانًا تزيد عما ينتفع بهِ هو . فكم هي جهالة اعظم اذا تجرَّأنا ان ننسب هذا الى الله الحكيم القادر على كل شيء

(٤) البرهان الثاني عدم موافقتهِ لعدل الله انهُ لا يوافق عدلَ الله الذي يطلب من ابنائهِ ان يكونوا اطهارًا ويأمرهم صريحًا كما سيأتي بيانهُ ان يجتنبوا الشرَّ معلنًا غضبهُ على فجور النـــاس وشرّهم . فالله تعالى قد اعطى الانسان قوة كافية لاتمام ارادتهِ اما من يحكم بخلاف ذلك فهو يحكم ان الله غير عادل ويتحد مع العبد الكسلان بقولهِ انهُ اله قاسٍ . وقد تبيَّن سابقًا ما ينسبهُ المتشبثون بهذا الرأي الى الله من عدم العدالة لانهم يعلمون انهُ يدين الاشرار حال كونهِ لم يعطهم فرصة ليتمكنوا بها من عمل الصلاح فهل من خطإٍ اعظم من ان نقول انهُ تعالى قد حرم من اختارهم لنفسهِ (او الذين يعترفون بمحبتهِ) من الطرق التي يرضونهُ بها فبالحقيقة ان هذا الاعتقـــاد بمنتهى الغرابة

اما عدم كمال القديسين فهو اما من الله او منهم فان كان منهم فهو ناجم اما عن تقصيرهم في التقدم في الصلاح او في استعمال القوة المعطاة لهم التي في امكانهم اطاعتها لو انتبهوا ولاسيما تلك القوة انما مناظرونا ينكرون ذلك ويقولون انهم لا يقدرون على ذلك البتة وفي هذه الحالة لايليق ان يلاموا لاجل عدم كمالهم ومداومتهم في السلوك في الخطية لانهُ ليس بامكانهم التخلص منها

ثم اذا لم يكن التقصير منهم فبالضرورة هو من الله الذي لم يمنحهم قياس ملء النعمة التي توصلهم الى ذلك وهذه جرأة عظيمة ينسب بهـــا اليهِ تعالى عدم العدالة لكونهِ يتطلب من اولادهِ ان يتركوا الخطية حال كونهِ لا يهب لهم القوة لاجل التخلص منهـــا بل يجعلونهُ اظلم من النـاس الاشرار الذين

لا يعطون اولادهم حجرًا بدلاً من الخبز او حية بدلاً من السمكة

هذا وفي الوقت نفسهِ يقولون اننا يجب ان نطلب من الله قوة للتخلص من الخطية حال كونهم لا يؤْمنون انهُ يمكن الحصول عليها وصلاة كهذه عارية من الايمان وعديمة الفائدة بها يحسب الله غير عادل في شعبهِ نظير فرعون مع الاسرائيليين عند امر الوكلاء ان لا ينقصوا مقدار اللبن ولا يعطوهم تبنًا كالسابق ولكن ليكن الله مباركًا لانهُ لا يعامل شعبهُ المتوكلين عليهِ كما يتصوَّر هؤلاء لان امناءَهُ الحقيقيين يجدون ان نعمتهُ تكفيهم وقد اختبروا انهم بقوة روحهِ يغلبون الشرّير

(٥) البرهان الثالث ان غاية المسيح وظهورهُ لكي يرفع خطايا العالم ويفتديهم من كل اثم ان هذا التعليم الباطل مجحف بالرب يسوع المسيح ومنتقص من قوة فضيلة ذبيحتهِ ويجعل مجيئهُ وخدمتهُ عديمي الفائدة لا يفيان بالغرض المقصود منها. لان اهمّ الامور التي جاء المسيح لاجلها مغفرة الخطايا ليجمع لنفسهِ شعبًا بارًا يعبد الله بطهارة العقل والسير في خوفهِ بالبرّ الابدي وكال الانجيل الذي لا يقدر الناموس ان يمنحهُ كما جاء في تي ٢: ١٤ "الذي بذل نفسهُ لكي يفدينا من كل اثم ويطهّر لنفسهِ شعبًا خاصًا غيورًا في اعمال حسنة" وقد قبل هذا في القديسين على الارض . اما اولئك فيصرّحون قائلين اننا لا يمكن ان نفتدى من كل الشرور جاعلين بذلك تقدمة المسيح لاجلنا عديمة التأْثير باطلة وكانهم يقولون ان بولس الرسول كاذب لانهُ يقول عن المسيح "انهُ يطهّر لنفسهِ شعبًا خاصًا غيورًا في اعمال حسنة" لانهُ كيف يمكن من يداوم على ارتكاب الاعمال الشريرة ان يكون غيورًا في اعمال حسنة ؟ وكيف يكون الذين لم يزالوا منغمسين في عدم الطهارة وارتكاب الخطية شعبًا طاهرًا اذا كانت الخطية تحسب عدم طهارة ؟ اما يوحنا فيقول صريحًا ١ يو ٣: ٥ و ٨ "لاجل هذا ظهر ابن الله لكي ينقض اعمال ابليس

ويعلمون ان ذاك ظهر لكي يرفع خطايانا " اما هم فبتعليمهم ينكرون تأثير مجيئهِ لانهم لا يسلمون ان ابن الله ينقض اعمال ابليس في هذا العالم في خاصتهِ ولا يعتقدون انهُ ظهر لكي يرفع خطايانا لانهم يقولون اننا لا بدّ من ان نعيش فيها على الدوام

ولئلا يسيء الانسان فهم معنى الرسول زاعمًا ان ازالة وصمة الخطية ليس في هذه الحياة عاد فقال في الاعداد التالية " ان من يثبت فيهِ لا يستطيع ان يخطئ " الخ فلي رجاء انهم لا يخطئون يوميًا سواء كان بالفكر او بالقول او بالفعل " لا يضلكم احد من يفعل البرّ فهو بارّ كما ان ذاك بارّ . " من يفعل الخطية فهو من ابليس " فكل من يخطئ يوميًا بالفكر والقول والفعل هو بلا شك يفعل الخطية فكيف يكون اذًا ابنًا لله ؟ وكل من ينكر امكان التغلب على الخطية والتخلص منها في هذه الحياة ينكر ان المسيح قد ظهر ليرفع الخطية ويفتري على كفاءة قوة اتيان المسيح الذي جاء ليجمع لنفسهِ شعبًا ينقلهُ من الظلمة الى النور ومن ملكوت الشيطان الى ملكوت ابن الله الحبيب . فمن هم الذين اقتناهم أليسوا خدمةً واولادهُ واخوتهُ واصدقاءهُ الذين يصيّرهم كما كان في هذا العالم مقدسين انقياء طاهرين فهو يسهر عليهم ويقف بجانبهم ويصلي لاجلهم ويحفظهم بقوتهِ وروحهِ

ابليس يسكن مع الاشرار فماذا يمنع ابناء الله ان يكونوا لهُ كما ان ابناء ابليس هم لهُ . أفلا يشاء المسيح ان يكون عبيدهُ اطهارًا ؟ ان هذا التجديف يخالف شهادة الكتاب التي تكرّر ورودها . أو لا يقدر الله ان يحفظ ابناءهُ ويعطيهم قوة على خدمتهِ ؟ وهذا ايضًا تجديف لا يقلّ عن ذاك ضدّ المسيح نفسهِ الذي يشهد الكتاب فيهِ انهُ قهر الخطية والموت والهاوية والقبر منتصرًا عليها كلها جهارًا لان كل قوة في السماء وعلى الارض قد أُعطيت لهُ

اما اذا كان الذين يسوعون يخطئون يوميًا بالفكر والقول والفعل كما يقولون

فهم يخدمون الشيطان يوميًا ولا يزالون تحت سلطانهِ وهو يسود عليهم اكثر ما يسود عليهم المسيح نفسهُ . فخدام المسيح اذًا هم في قبضة يد الشيطان شاء المسيح ام لم يشاء . وهذا يناقض الغاية التي جاء المسيح لاجلها التي قد وصفها الرسول اف ٥: ٢٥ و٢٦ و ٢٧ " كما احبَّ المسيح ايضًا الكنيسة واسلم نفسهُ لاجلها لكي يقدسها مطهرًا اياها بغسل الماء بالكلمة لكي يحضرها لنفسهِ كنيسة مجيدة لادنس فيها ولا غضن او شيء من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب " فبحسب ما ذُكر ان كان المسيح قد تم ما جاء لاجلهِ فاعضاء الكنيسة لا يمكثون دائمًا في الخطية بالفكر والقول والعمل والاَّ فما هو الفرق بين المبرَّرين وغير المبرَّرين بين الطاهرين وغير الطاهرين بين المقدسين وغير المقدسين بين الملوثين من الخطية والذين بلا لوم

(٦) البرهان الرابع اعطى الرعاة والمعلمين لاجل تكميل القديسين ان هذا التعليم يجرّد الخدمة والتبشير بالكلمة وكتابة الكتب المقدسة وصلوات رجال الله القديسين من كل نفع وفائدة . اما من جهة الاول فقد جاء في اف ٤: ١١ " انهُ قد اعطى البعض ان يكونوا رعاة ومعلمين لاجل تكميل القديسين الخ الى ان ننتهي جميعنا الى وحدانية الايمان ومعرفة ابن الله الى انسان كامل الى قياس قامة ملء المسيح " . فلو كان من الضرورة ان يخطئ القديسون في كل شيء فلا يمكن ان يكون كامل لانهم والحالة هذه لا يمكن ان يعتبروا كاملين وان كان الله قد اعلن الخدمة وجعلها لاجل تكميل القديسين ألا يجعل منكر وامكان تكميل القديسين هذه الخدمة باطلة وعديمة الفائدة ؟ لانهُ لا يمكن الحصول على الفائدة المرغوبة ما لم ينتقل العالم من الخطية الى البرّ ثم ان كان هولاء الخدمة لا يؤكدون لنا امكان التخلص من الخطية فما الفائدة من الوعظ ضدّ الخطية التي يوبخها كل الواعظين لانهُ يستحيل التخلص منها ؟ على ان مناظرينا يعظمون الكتاب وينادون بعظم فائدتهِ

وكمالهِ وقد قال الرسول ٢ تي ٣: ١٧ "ان الكتاب نافع لان يجعل انسان الله كاملاً اما انكار امكان ذلك في هذه الحياة فيجعل شهادة الكتاب عديمة الفائدة لانهُ لا حاجة اليهِ في الحياة الآتية ويجعل ايضاً صلوات القديسين بلا نفع مع انهم يصرّحون انهم ينبغي ان يصلّوا يومياً لله لكي ينجيهم من الشرير ويحرّرهم من سلطة الخطية ويساعدهم بروحهِ ونعمتهِ ما داموا في هذه الحياة. اما اذا قالوا ان هذا لا يمكن اطلاقهُ لان الصلوات احياناً لا يقارنها الايمان بالحصول على كل ما يصلي لاجلهِ فماذا يقولون في صلوات الرسل القديسين الذين كانوا يصلّون بحرارة لاجل هذه الغاية نفسها فهم بلا شك كانوا يؤْمنون بامكان استجابة صلواتهم كما جاء في كو ٤: ١٢ "مجاهداً كل حين لاجلكم بالصلوات لكي تثبتوا كاملين" الخ وتس ٣: ١٣ و ٥: ٢٣

(٧) **البرهان الخامس الظلمة والنور كالخطية والبرّ لا تتفقان معاً** ام ١٧: ١٥ ان هذا التعليم يخالف العقل والذوق السليم لان القوتين المتعاكستين اللتين تعمل احداهما في الظلمة والاخرى في ابناء النور هما الخطية والبرّ وبحسب ما يسلّم الانسان نفسهُ لاحدهما يدان او يتبرّر لان "مبرئ المذنب ومذنّب البريء كلاهما مكرهة الرب"

فاذا قلنا انهُ لا يتسنى للانسان ان ينال قياساً من الواحد بدون ان يتحرّر من الآخر كاننا قلنا ان الخطية والبرّ الفان متآلفان اي يمكن ان يسمى الانسان باراً مع انهُ يخطئُ كل يوم في كل شيء بعملهِ ولا فرق بين الصلاح والشرّ وهذا تهوّر بل ضلال مبين بهِ يدعى الظلام نوراً والنور ظلاماً والصلاح شراً والشرّ صلاحاً لذلك فالقول ان افضل اعمال بني البشر رجس ونجس وان الذين يخطئون يومياً بالفكر والقول والفعل هم اناس صالحون وقديسون وخدام طاهرون لله الطاهر القدوس هو مذهب باطل ينفر منهُ العقل السليم لان الاشياء تنعت بالصفة التي تغلب فيها فالحائط يدعى ابيض اذا

غلب فيهِ البياض واسود اذا غلب فيهِ السواد وهلمَّ جراً والانسان اذا زاد شرُّهُ على برّهِ سمي شريراً وليس باراً وهكذا اذا اخطأ يومياً بالفكر والقول والفعل فلا تحسب لهُ خطيئة براً البتة لان كل اعمالهِ البارّة ممزوجة بالشرّ فان كان في كل انسان تزداد صفات الشرّ على الخير ولا يليق ان يسمى احد باراً او مقدساً ومغتسلاً اذاً اين اولاد الله؟ اين المطهرون؟ اين الذين كانوا قبلاً غير مقدسين اما الآن فمقدسون الذين كانوا ظلمة اما الآن فنور في الرب . فعلى قياسهم لا يمكن ان يوجد سوى الشرّ. اما تبرير المذنب فهو مكرهة الرب وهذا يوصلنا الى تجديف الرنتوريين (Ronters) الفظيع الذين يقولون ان لا فرق بين الخير والشرّ في عيني الرب وما اكثر الفظائع والمناقضات العقيمة التي يتضمنها هذا التعليم الفاسد

على ان ما ذُكر الآن يكفي لان اجعلهُ توطئة لبرهان الحقائق التي نتمسك بها. ولاجل زيادة الايضاح سأتقدم الى القسم الثاني الذي اشرت اليهِ سابقاً وسأُثبت كل ما اذكرهُ ببراهين كثيرة من الكتاب المقدس

الجزء الثاني

(٨) **البرهان الاول كونوا كاملين احفظوا وصاياي** انني أُثبت هذا اولاً بالبرهان القاطع من وصايا المسيح ورسلهِ نفسها فاقول ان الاولية الثابتة المندغمة في عقل كل انسان هي عدم ارغام احد على عمل ما يراهُ مستحيلاً . اما المسيح ورسلهُ فيأمروننا بحفظ كل الوصايا وبان نكون كاملين بناء عليهِ يجب ان يكون ذلك ممكناً اما كون هذه حقيقة موصى بهـــا فيتضح دون صعوبة او تكلف من شهادة الكتاب الصريحة مت ٥: ٤٨ و٧: ٢١ ويو ١٢: ١٧ و ١كو ٧: ١٩ و ٢كو ١٣: ١١ و ايو ٢: ٣ و٤ و٥ و٦ و ٣: ٢-١٠ فنصّ الكتاب يعطي وصية جابة ويصرح بكونها ضرورية فيظهر ان ما قد

كتب كُتب رداً على اعتراض مناظرينا لاظهار جهالة الذين يعتبرون انفسهم اولاداً واحباء لله حال كون سلوكهم ينافي ذلك

البرهان الثاني امكان ذلك ان ذلك ممكن لنا لاننا قد قبلنا الانجيل والناموس اللذين يعلمان به ولنا الوعد الثابت الصريح لاننا تحت النعمة وهذا ظاهر من قول الكتاب رو ٦: ١٤ "فان الخطية لن تسود كم لانكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة" ورو ٨: ٣ و ٤ "لان ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسد فالله اذ ارسل ابنه في شبه جسد الخطية لاجل الخطية دان الخطية في الجسد لكي يتم حكم الناموس فينا" الخ ثم لو كان هذا غير ضروري او غير ممكن في عهد الانجيل فما الفائدة من الاتيان بعهد جديد او شريعة لايمكن تكميل شيء بها. لانه حينئذٍ لا فرق بين الذين في الانجيل والذين في الناموس بين الذين يسلكون في حياة الانجيل والذين يسلكون حسب الحرف. اما الرسول ففي كل الاصحاح السادس من رومية يبرهن ليس فقط امكان التحرير من الخطية بل كون ذلك ضرورياً لمن هم في عهد الانجيل (عهد النعمة) وليس تحت الناموس وهو يبيّن انه والذين يكتب لهم في الحالة التي يصفها في الاعداد من ٢-٧ ثم يبيّن من ١١-١٣ و١٦-١٨ انه ممكن بل ضروري ان نتحرّر من الخطية كما قد مرّ بيانه وفي ع ٢٢ يصفهم كانهم وصلوا الى تلك الدرجة بقوله "واما الآن اذ أُعتقتم من الخطية وصرتم عبيداً لله فلكم ثمركم للقداسة والنهاية حياة ابدية"

وبناء عليه بما ان هذا الكمال والتحرير من الخطية ممكن عند قبول الانجيل ومعرفة ناموس الروح الداخلي فمقاومة هذه الحقيقة الثابتة جهل ظاهر اما الانسان فباهمال النور او الناموس الداخلي في القلب (الذي لا يكشف الخطية فقط بل يرشد الى التخلص منها) هو غريب عن الحياة الجديدة او الميلاد الثاني من الله (الذي يدرّب بالطبع الى الرضوخ الى وصايا الله)

وينظر الى الوصايا بحسب الطبيعة الخــارجية اي الحرف وهذا مع انهُ يقتنع ويوبخ فالحرف يقتلهُ ولا يولّد فيهِ حيــاة فيجد نفسهُ محروماً لانهُ لا يستعمل العلاج الداخلي القادر ان يشفيهُ بل يعمل من تلقاء نفسهِ بحسب الناموس الخارجي العاجز عن اتمامهِ لانهُ على رغم اجتهادهِ العظيم يجد نفسهُ مقصراً . وهذا هو اليهودي وناموسهُ الخارجي الجسدي بحسب العهد الاول الذي لا يقدر ان يكمل من هم فيهِ من جهة الضمير عب ٩:٩ وان يكن عندهُ المام خارجي بالديانة المسيحية وايمان خارجي بالمسيح لانهم يطلبون من الكتاب براً مكتسباً من الخارج يغطون بهِ عدم طهارتهم ويتصورون ان لهم بهِ حق القبول لدى الله حال كونهم يعتقدون انهُ من المستحيل عليهم اطاعة وصاياهُ فوا أسفاه انهم يخدعون انفسهم فلا يجديهم ذلك نفعاً يوم فيهِ يدين الله كل انسان بحسب عملهِ ان خيراً وان شراً

فلا يفوتك ايها القارئ العزيز ان تقول انك اضطررت ان تخطئ يومياً بالفكر والقول والفعل لان الذين هم كذلك يمكثون في الشرير وقد ذُخر لهم سخط وغضب شدة وضيق كما قد اعدّ المجد والكرامة والسلام والحياة الابدية لكل من يفعل البرّ مداوماً بالصبر في كل عمل صالح فان شئت ان تعلم طريق الكمال والتحرير من الخطية فوجّه بصرك الى النور والى ناموس المسيح الداخلي في القلب واجعل توبيخهُ يبيّن لك قضاء الله ومقتهُ لما فيك من الميل الفاسد المعلن لك فالمسيح قد سهّل لك طريق التخلص منهُ محوّلاً القضاء الى غلبة فتنال نصيباً في شركة آلامهِ وموتهِ وتُصلب معهُ للعــالم بقوة صليبهِ فيك فتضمحلّ منك تلك الحياة التي كانت تنتصر للعالم ومحبتهِ وشهواتهِ ويخلق فيك حياة تعيش فيها بعد ذلك لله وليس لذاتك ويحق لك حينئذٍ ان تقول مع الرسول غل ٢٠:٢ " فاحيا لا انا بل المسيح يحيا فيَّ " وتكون مسيحياً بالحق وليس بالاسم فقط كما يفعل الكثيرون وتعلم حقيقة ما هو

ان تخلع الانسان العتيق الذي يخطئ يومياً بالفكر والقول والفعل مع اعماله وتلبس الجديد المخلوق بحسب الله في البرّ وقداسة الحق وتميز بنفسك انك انت خليقة جديدة بالمسيح يسوع لاعمال حسنة ولوس لكي تبقى عائشاً في الخطية وبصيح نير المسيح الذي كان ثقيلاً على آدم الاول هيناً وحملهُ خفيفاً ووصاياهُ ليست مؤلمة لان طعامك وشرابك هما ان نعمل مشيئة الله

البرهان الثالث كثيرون قد نالوا الكمال ان هذا الكمال او التحرير من الخطية ممكن لان كثيرين قد نالوهُ وهذا يشهد بهِ الكتاب . فالبعض قد نالوهُ قبل الناموس والبعض تحت الناموس لاشتراكهم بفائدة بشرى الانجيل وعدد اعظم جداً في عهد الانجيل

اخنوخ سار مع الله وقد كان كاملاً فقد قيل قديماً عن اخنوخ تك ٥: ٢٢ و ٢٤ انهُ عاش مع الله فكيف يعيش مع الله و يسلك في الخطية ؟ ثم ان الكتاب لا يذكر لهُ مساوئ البتة وقد قيل ايضاً في نوح تك ٦: ٩ و ايو ١: ٨ وزكريا واليصابات لو ١: ٦ انهم كانوا كاملين وقد ذكر الرسول بطريقة عامة ايضاً عن قديسين كثيرين فضلاً عما تقدم ذكرهُ في رومية وفي اف ٢: ٤ و ٥ "الله الذي هو غنيّ في الرحمة من اجل محبتهِ الكثيرة التي احبنا بها ونحن اموات بالخطايا احيانا مع المسيح بالنعمة انتم مخلصون واقامنا معهُ واجلسنا في السموات في المسيح يسوع ومن هذا يتضح انهم وهم جالسون في السموات لا يمكنهم ان لا يخطئوا يومياً بالفكر والقول والفعل ولا تكون اعمالهم التي يعملونها "كخرق وكثوب عدة" اش ٦٤: ٦ ثم انظر ما قيل في عب ١٢: ٢٢ و ٢٣ "والى ارواح ابرار مكملين" وفي الختام لنراجع رو ١٤: ١ — ٥ حيث يقول انهم وجدوا بلا عيب مع الاشارة انهم كانوا على الارض لانهم اشتروا من بين الناس ولم يوجد غش في افواههم وسأتقدم الآن للردّ على الاعتراضات التي يتخذها مقاومونا براهين لاثبات مبادئهم

(٩) اعتراض اول انني سأبتدئ بما يعتبرونهُ اعظم وامتن برهان ويسندونهُ الى كلمات الكتاب ١ يو ١: ٨ "اذا قلنا انهُ ليس لنا خطية نضل انفسنا وليس الحق فينا" وهذا بحسب زعمهم اعتراض لا يمكن الردّ عليهِ

فأُجيب بالهم من اناس قد اعمتهم الاغراض يرفضون الكثير من الآيات الصريحة ويتشبثون بما يمكن فهمهُ والجواب عليهِ بطرُق متعددة فاولاً ان قلنا انهُ ليس لنا خطية لا تطلق على الرسول نفسهِ لانهُ قد ورد في الكتاب مراراً كثيرة استعمال ضمير المتكلم حيث لا يقصد اطلاق الكلام عليهِ فيعقوب الرسول ٣: ٩ و ١٠ وهو يتكلم عن اللسان يقول "بهِ نبارك الله الآب وبهِ نلعن الناس" مردفاً كلامهُ بقولهِ "لا يصلح ان تكون هذه الامور هكذا" فلا ريب بان الرسول ليس احد الذين يلعنون

ثانياً ان هذا الاعتراض يخطئُ الغرض الذي يقصدونهُ لان الرسول لا يقول اننا نخطئُ دائماً بالفكر والقول والفعل وهو ايضاً ابعد جداً من ان يقولهُ ان نفس الاعمال الجيدة التي يعملها الله بروحهِ هي خطية لانهُ يظهر جلياً من العدد الذي يليهِ اذ يقول "اننا بالاعتراف والتوبة لا نحصل على المسامحة فقط بل نتطهر ايضاً" هو امين وعادل حتى يغفر خطايانا ويطهرنا من كل اثم" فهذا العدد يدلّ على نيل المسامحة والمغفرة وازالة وسخ الجسد لانهُ لا لزوم لذكر المسامحة والتطهير لو كان المقصود مغفرة الخطايا فقط لان ذلك تكرار عديم الفائدة فالرسول لم يقصد زوال الخطية فقط بل وسخ الخطية ايضاً متكلماً في الزمان الماضي في العدد العاشر "ان قلنا اننا لم نخطئ نجعلهُ كاذباً وكلمتهُ ليست فينا

ثالثاً يوجد فرق بين لا نخطئُ وبين ليس لنا خطية ان اوغسطينوس بيَّن في شرح رسالة غلاطية انهُ يوجد فرق بين لا نخطئُ وبين ليس لنا خطية وكلمات الرسول ليست ان كنا لا نخطئُ او لا نرتكب الخطية يومياً بل

ان قلنا انهُ ليس لنا خطية والفرق بين العبارتين واضح فنحن نعترف انهُ يمكن ان يقال عن الكل انهم قد اخطأوا الا اننا من جهة ثانية يجب ان نميّز بين الخطية وزرع الخطية الذي يمكن ان يوجد في المتدينين من الخطية اما التجارب والمكايد التي يقوى بها المجرّب عبيد الله فيقاومونها ولا ينقادون اليها فالمجرّب يخطئ وليس الانسان الذي قاوم التجربة وحفظ منها

رابعًا ان الرسول في اماكن متعددة من هذه الرسالة وغيرها يظهر انهُ يقصد ما قد اشرنا اليهِ فهل من الحكمة تأويل كلامهِ هنا بما يناقض كلامهُ السابق وبقية الوصايا المقدسة ومبادئ الكتاب الحقة

اعتراض ثانٍ انهم يعترضون ثانيًا بما جاء في ١مل ٨:٤٦ "لانهُ ليس انسان لا يخطئ" وما جاء في جا ٧:٢٠ "لانهُ لا انسان صديق في الارض يعمل صلاحًا ولا يخطئ" والاثنان تقريبًا بمعنى واحد

فأجيب اولاً انهُ لا يستفاد من هذا مداومة الخطية يوميًا وعدم امكان التخلص منها بل الاخبار ان الجميع قد اخطأوا او ان ليس احد دون خطية انما لا يفيد ان الانسان يجب ان يخطئ دائمًا ولا يمكنهُ التوقف عن الشرّ وهذا محور كلامنا ثم انهُ في سفر الملوك يذكر بعد عددين ان هولاء رجعوا بكل انفسهم وكل قلوبهم مما يدلّ على امكان ترك الخطية

ثانيًا لا يليق بنا ان نهمل اعتبار العصر والزمان لاننا اذا سلمنا انهُ في عصر سليمان لم يوجد احد الاَّ اخطأ فهذا لا يفيد ان في هذا العصر ايضًا لا يوجد احد الاَّ يخطئ او اننا بنعمة الله وبنور الانجيل لا يمكن ان نتوصل الى تلك الحالة . واخيرًا ان هذا الاعتراض بجملتهِ مبني على تأويل غير صحيح لان الكلمة العبرانية يمكن ان تعني ايضًا انهُ لا يوجد انسان لا يمكن ان يخطئ وهي موجودة هكذا في اليوناني القديم والمرنم استعمل ذات التعبير مز ١١٩:١١ "خبأت كلامك في قلبي لكي لا أخطئ اليك" وهذا يطابق تعابير

الكتاب وشهادة الحق وفهم كل المفسرين تقريباً مما يجعل التفسير الآخر مرفوضاً

اعتراض ثالث انهم يعترضون ببعض ما صرّح بهِ بولس الرسول رو ٧: ١٩ "لانني لست افعل الصالح الذي اريدهُ بل الشرّ الذي لست اريدهُ فاياهُ افعل" والعدد ٢٤ "ويحي انا الانسان الشقي من ينقذني من جسد هذا الموت"

فأُجيب ان هذا لا يفيد سوى ان الرسول كان يصف حالتهُ ولا يقصد بان يطلق ذلك على الآخرين او ما احتملهُ هو احياناً وهذا الاصطلاح كثير في الكتاب كما ذُكر في رسالة يعقوب وقد مرَّ بيانهُ ولا يوجد في العدد ما يدلُّ جلياً انهُ قصد ان هذه حالتهُ او الخطَّة التي يسلكها دائماً بل بالعكس ففي الاصحاح السابق قد تكلم صريحاً عن الموت عن الخطية ثم قال "فكيف يعيشون بعد فيها"

ثانياً بولس الرسول يصف الانسان التعيس لكي يرشدهُ الى الفادي ان الرسول يقصد بما قالهُ الذين لم ينالوا الحياة الروحية عدد ١٤ "اما انا فجسدي مبيع تحت الخطية" فمن يقدر ان يتصوّر ان بولس الرسول يقصد انهُ هو نفسهُ لما كتب الرسالة كان لم يزل سالكاً في الجسد مع انهُ في الاصحاح الاول يقول عن نفسهِ انهُ مفرز رسولاً وقادر ان يدرّب اهل رومية في العطايا الروحية وص ٨: ٢ "لان ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد اعتقني من ناموس الخطية والموت" فان كانت هذه حالتهُ فالامر واضح انهُ ليس جسدياً وكلامهُ يفيد انهُ يوجد اناس روحيون في هذه الحياة ومناظرونا انفسهم يقرّون بذلك كما انهُ يفهم من كل الاصحاح الثامن ان الرسول كان واحداً منهم . لذلك ما قالهُ في الاصحاح السابع من انهُ جسدي لم يقصد بهِ نفسهُ ولا يمكن ان يستدلَّ من شيءٍ من كلامهِ انهُ لمح الى نفسهِ وفي

العدد ٢٥ بعد ان اظهر في العدد ١٤ الحالة التعيسة يصرّح قائلاً "اشكر الله بيسوع المسيح ربنا" مظهراً انهُ قد نال النجـاة ثم يتقدم الى وصف ما قد نالهُ في ص ٨ : ٣٥ "من سيفصلنا عن محبة المسيح" والعدد ٣٧ "ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا" ثم يكرّر في العدد الاخير ان لا شيء يقدر ان يفصلنا الخ

اما حيثما توجد المقاومة على الخطية توجد طريق انفصال لان كل خطية معاكسة لمشيئة الله مناقضة للشريعة ١ يو ٣ : ٤ "كل من يفعل الخطية يفعل التعدي. والخطية هي التعدي" فمن يرتكب اقلّ خطية قد غُلب على امرهِ وهو ليس منتصراً بل مغلوباً فهذه الحالة التي يصفهـا الرسول بصراحة تشهد كما يشهد غيرهُ ايضاً انها لا يمكن ان تتمّ دون الانفصال عن الخطية

اعتراض رابع انهم يعترضون مشيرين الى ذنوب وخطايا بعض القديسين المشهورين كنوح وداود الخ

فأُجيب ان هذا ليس ببرهان يثبت صحة كلامهم لانهُ لا يقصد بهِ ان رجال الله لا يمكن ان يسقطوا في الخطية او هل هو ممكن لهم ان يخطئوا؟ اما كونهم اخطأُوا فلا يثبت انهم لازموا الخطية ولم ينفكوا عنها البتة . ثم بحسب قاعدة المعاكسة اذا قلنا ان الانسان اذا اخطأ مرة او مرتين لا يمكن ان يعتق من الخطية فيما بعد بل تلازمهُ الخطية كل حياتهِ كاننا نقول ان الخاطئ اذا عمل اعمالاً صالحة مرة او مرتين لا يمكنهُ ان يترك الصلاح بعد ذلك فيكون بالضرورة باراً طول حياتهِ وهذا خطأ واضح مناقض لشهادة الكتاب لذلك الزعم الآخر غلط مبين

اخيراً انهم يعترضون بقولهم انهُ لو كان الكمال والتحرير من الخطية ممكناً فهذا يجعل اماتة الخطية بلا فائدة ويكون دم المسيح عديم المنفعة فلا لزوم للصلاة لاجل مغفرة الخطايا

فأُجيب ان هذا الاعتراض سخيف جداً لا يستحق الردّ عليهِ . فهل

يحتمل ان تكون امانة الخطية عديمة الفائدة متى توصل الانسان الى تمام الغلبة
على الخطية ؟ نعم ان الكمال لا يتمّ الاّ بامانة الخطية تماماً ولكن هل التيقن
بالغلبة يجعل الحرب غير لازمة ؟ لذلك فليحكم الفطن اللبيب اي الامرين
ينطبق على العقل السليم . القول بلزوم الجهاد والمحاربة مع شدة التيقن بعدم
امكان الغلبة ام القول بلزوم الجهاد مع الامل بالغلبة ؟ هل الذين يؤمنون
ان دم المسيح يطهرهم يجعلون ذلك الدم عديم الفائدة ؟ ام الذين يعتقدون
انهم لايمكن ان يتطهروا . اذا مرض رجلان ودعيا طبيباً لمعالجتهما فايهما يفي
الطبيب والعلاج حقهما من يثق بالشفاء وفائدة العلاج العظيمة له ام من
لا يؤمل بالشفاء مطلقاً ولا يشعر بفائدة الدواء بل يتوهم انه سيبقى مريضاً
ما دام حيًّا

الصلاة لاجل مغفرة الخطايا اما من جهة الصلاة لاجل مغفرة
الخطية فذلك غير منكور لان الكل اخطأوا فالانسان يحتاج ان يصلّي
لاجل مغفرة الخطايا السابقة ولكي يحفظ من السقوط في الخطية فان كانت
الثقة وشدة الامل بالحصول على التحرير تعيقان الصلاة لاجل المغفرة فعلى
ذات القياس يمكن الانسان ان يقول لا يلزم ان تمتنع عن القتل والزنى
والتوغل في الشرور لانه كلما ازدادت هذه الخطايا كلما ازداد لزوم الصلاة
لاجل الخلاص منها واتمام الاعمال المميتة من اجلها . اما الرسول فدحض هذا
الاعتراض السخيف بقوله رو ٦: ١ و٢ " أنبقى في الخطية لكي تكثر النعمة. حاشا
نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها "

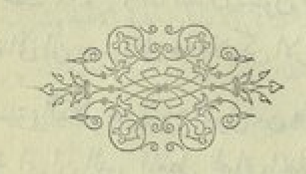
اخيراً يمكننا بسهولة ان نفحم الذين يتشبثون بقولهم ان كلمات الصلاة
الربانية " اغفر ذنوبنا " هي ضدّ مذهبنا فاقول ان كلمات هذه الآية تنفي
التبرير التام كما تنفي التقديس التام لانه ان كان كل القديسين صغيرهم

وكبيرهم متبرّرون تماماً حال تجديدهم ويحصلون كما يعتقد مناظرونا على المسامحة من الخطية قبل موتهم بزمن طويل . فما الفائدة من الصلاة لاجل مغفرة الخطايا والانسان قد تبرّر وغُفرت له خطاياهُ ماضياً ومستقبلاً

(١٠) شهادات الآباء في الكمال والتحرير من الخطية ان جيروم قد تكلم بهذا الصدد قائلاً "ان الانسان يمكنهُ ان لا يخطئ اذا شاء وذلك على رغم الزمان والمكان والضعف البشري ما دام مصمماً النية وما زالت اوتار القيثار لا ترتخي بسبب الرذيلة" وفي نفس الكتاب يقول ايضاً "وهذا ما اقول انهُ قد وضع في طاقتنا (بمساعدة نعمة الله) ان لا نخطئ او نخطئ" اما ضلال بلاجيوس بقوله ان الانسان يمكنهُ بقوته الطبيعية وبدون مساعدة نعمة الله ان يتغلب على الخطية فهو مذهب نرفضهُ بتاتاً وقد قاومهُ الآباء ايضاً فاوغسطينوس المقاوم العظيم لهرطقة بلاجيوس لم ينكر ان الانسان يمكنهُ التوصل الى هذه الدرجة بمساعدة نعمة الله وهو يقول "اذا اثبت احد انهُ يمكن لبعض القديسين في هذه الحياة بنعمة الله وليس بقوة الانسان ان يكون لهم هذه الثقة وهذا الرجاء العظيم الامين فحسناً يفعلون لان كل شيء مستطاع كعطية من الله" وقد كان هذا اعتقاد الآباء ايضاً كما يظهر من تصريح مجمع اذانسك اننا نؤمن حسب المذهب الكاثوليكي ان كل الذين اعتمدوا بالنعمة الالهية وقبلوا المعمودية وحصلوا على مساعدة المسيح العامل فيهم يمكنهم بل يجب ان يتمموا كلما يتعلق بالخلاص اذا عملوا بامانة

(١١) الخلاصة طوبى للمؤمنين بالله القادر الذي يريد ان ينقذ كل من يأتي اليهِ بالتوبة الحقيقية من كل الخطايا الذين لا يتوهمون كما يتوهم البعض ان يبقوا كل حياتهم في خدمة الشيطان بل يثقون انهُ يؤهلهم كل يوم للتقدم وترك الخطية "لكي ينسوا ما وراء ويمتدوا الى ما هو قدام نحو الغرض

لاجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع" في ٣: ١٤ هولاء لا يجدون أن اءانهم وثقتهم بالله باطلين لكنهم في الوقت الموافق ينالون الغلبة الحقيقية بالذي آمنوا به وهذه الغلبة ستجعلهم "اعمدة" في هيكل
الله ولا يقدرون ان يخرجوا الى
خارج رؤ ٣: ١٢



القضية التاسعة

الثبات في النعمة وامكان السقوط منها

مع ان هذه المحبة ونعمة الله الداخلية كافية لاتمام الخلاص في الذين يقبلونها يمكن ان تتحوَّل في الذين يقاومونها الى دينونة لان الذين تعمل فيهم هذه النعمة جزئيًّا لاجل تطهيرهم وتقديسهم وترقيتهم نحو درجة الكمال قد يسقطون منها بواسطة العصيان فيحولون نعمة الله الى الدعارة يهوذا عد ٤ وتنكسر بهم سفينة الايمان ١تي ١٩:١ "وبعد ان ذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس سقطوا" عب ٤:٦-٦ اما الذين يثبتون فيزدادون رسوخًا في الحق في هذه الحياة الى ان يصلوا الى حالة لا يمكن الارتداد معها

(١) لقد سبق الكلام عن الجزء الاول من هذه القضية في القضيتين الخامسة والسادسة اي ان النور المعطى للحياة والخلاص يتحوَّل الى دينونة في الذين يرفضونه . وقد اثبت بالبرهان ان الانسان يمكنه ان يقاوم نعمة روح الله مستندًا في كل ذلك على شهادة الكتاب التي لا يمكن انكارها ام ١: ٢٤-٢٦ وبو ٣:١٨ و١٩ و٢ تس ٢:١١ و١٢ واع ٧:٥١ و١٣:٤٦ ورو ١:١٨

اما الآن فانتقدم للبحث في القسم الثاني وهو ان الذين اثرت فيهم نعمة الله تطهيرًا وتقديسًا لاجل اعدادهم للتقدم في الكمال يمكن ان يرتدوا بسبب العصيان . وشواهد الكتاب في القضية نفسها برهان كافٍ لمن لا يريد الانحراف عن جادة الصواب وبما ان اكثر البروتستانت يوافقوننا في هذا

الموضوع سأقتصر في الكلام متحاشياً تكرار ما قد كتبهُ غيري لانني لا اقصد في الكتابة اظهار المعرفة بل كشف الحقيقة للعموم وبيان المبادئ التي نتمسك بها ورأينا فيها

(٢) **البرهان الاول** يثبت من كلمات الكتاب الموجودة في متن القضية عدا عن آيات كثيرة غيرها انهُ اذا امكن القول ان اناساً حوَّلوا نعمة الله الى الدعارة اذاً انهم كانوا سابقاً حاصلين على تلك النعمة

اما الاولى فصحيحة لذلك الثانية هي صحيحة ايضاً

البرهان الثاني اذا انكسرت السفينة في البعض من جهة الايمان فذلك دليل على انهم كانوا في الايمان . ولا يمكن ان يكون لهم ايمان حقيقي دون نعمة الله

اما الاول فصحيح لذلك الثاني صحيح ايضاً

البرهان الثالث اذا ذاق الانسان الهبة الالهية وشركة الروح القدس ثم ارتدَّ عنها يكون قد اختبر لدرجة ما فعل نعمة الله وروحهِ العامل للخلاص الذي بدونهِ لا يقدر احد ان يذوق العطية السموية او شركة الروح القدس

اما الاول فصحيح لذلك الثاني صحيح ايضاً

ثانياً ان المبدأ المناقض مبني على قاعدة فاسدة وهي ان النعمة لا تعطى للجميع للخلاص بل لعدد مختار فقط لا يمكنهُ ان يرتدَّ عنها اما بقية الجنس البشري فقد أُغلق عليهم بحكم مطلق وقد حُرموا من النعمة والخلاص . ومما يثبت ضعف هذا المذهب وسقوطهُ كونهُ ينافي الوعظ والارشاد اليومي ودعوة الناس لكي يؤْمنوا ويخلصوا لانهُ كيف يليق هذا وقسم كبير منهم قد عينوا للهلاك كاناس مرفوضين يستحيل خلاصهم اما اذا كانوا من المختارين فلا فائدة من دعوتهم الى الهداية لان هدايتهم مقرَّرة بتعيين سابق

وكذلك تعليمهم في الثبات لا ينطبق على الحقيقة بل هم متناقضون لانهم مع كونهم يحثون الناس ان يبقوا امناء الى النهاية وانهم ان لم يثبتوا يرفضوا ولا ينالون اجرهم وهذا الامر وان يكن صحيحاً بحدّ نفسو لكنهُ باطل بموجب تعليمهم لانهم يقولون انهُ لا خطر من الارتداد على من حصلوا على اقلّ قياس من النعمة الحقيقية لان الله قد جعل سقوطهم مستحيلاً فلو كان هذا واقعاً ما الفائدة من الوعظ وحثهم على الثبات . وهنا اقف في الكلام عند هذا الحدّ لان ما ذُكر كان لبيان قصدي ولان كثيرين غيري ممن عندهم ذات الاعتقاد قد اثبتوا مبدأنا ببراهين عديدة مثبتة وقد كان هذا اعتقاد البروتستانت الاولين ويثبت ذلك ترتيب اوغسطينوس لتاكري معمودية الاطفال لاجل قولهم ان الذين تبرروا لا يمكنهم ان يخسروا الروح القدس فيما بعد وفي اماكن عديدة من كتابات فيليب ملانكثون وفوسفس في تاريخ البلاجسيين يظهر ان هذا الاعتقاد كان اعتقاد الآباء وقد قال ايضاً "ان هذا كان اعتقاداً شائعاً منذ التقدم فاذا انكرهُ البعض في الوقت الحاضر مع سعة علمهم فذلك يثبت عدم تعمقهم في فهم هذا الموضوع" الخ فبعد ان اثبتُّ البيانات الآتية اتقدم لذكر اعتراضات مناظرينا

(٢) الاعتراض الاول انهم يدَّعون ان العبارات المذكورة "تنكسر بهم السفينة من جهة الايمان" الخ تقال عن الذين لهم صورة الايمان فقط وليس عن الذين ايمانهم حقيقي ثابت وهذا اعتراض سخيف جداً يناقض ما جاء ١ تي ١:١٩ حيثما يردف الرسول الايمان بالضمير الصالح على طريق اللوم فلو كان ايمانهم خارجياً ريائياً لكان الافضل ان يكونوا بدونهِ ولما استحقوا اللوم لاجل خسارتهِ لانهُ بحدّ نفسو شرّ ولكن الرسول يقول صريحاً وضمير صالح الذي يظهر انهُ حقيقي فهل يمكن الحصول على ضمير صالح دون عمل نعمة الله المخلصة ؟ وهل يمكن ان يجتمع معاً الضمير الصالح والايمان

الرباني الخارجي الكاذب ومما يؤكد ان الايمان الذي نالوهُ كان حقيقيًا وليس خداعًا كاذبًا بل ضعيفًا فقط ان الرسول اظهر اسفهُ لاجل ارتدادهم وسقوطهم اذ يقول صريحًا انهم ذاقوا الهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس وهذا يظهر انهم سالكين في الروح ويبين سخافة اعتراضهم

الاعتراض الثاني ما جاء في ١:٦ "واثقًا بهذا عينهِ ان الذي ابتدأ فيكم عملاً صالحًا يكمل الى يوم يسوع المسيح" و ١ بط ١:٥ "انتم الذين بقوة الله محروسون بايمان لخلاص مستعدّ ان يعلن في الزمان الاخير"

فأُجيب ان هذه الاعداد تطابق اعتقادنا تمامًا لانها تظهر ان الخلاص يتوقف على احوال معلومة كما قد تبرهن سابقًا وكما يعترفون هم ايضًا كما جاء في رو ٨:١٢ "لانهُ ان عشتم حسب الجسد فستموتون ولكن ان كنتم بالروح تميتون اعمال الجسد فستحيون" وعب ٣:١٤ "لاننا قد صرنا شركاء المسيح ان تمسكنا ببداءة الثقة ثابتة الى النهاية" فلو انهم سلموا بهذه الاماكن التي يبنون عليها اعتراضاتهم دون هذا الشرط لتغيرت كتاباتهم تمامًا . ويوجد اعتراضات غير هذه تشبهها يمكن الردّ عليها بنفس الاجوبة فاقتصر على ما ذكرت لان غيري قد تكلم مطوّلاً في الموضوع فاكتفي بذكر شهادة الحق حسب ما نتمسك نحن بهِ كما هو مذكور في القسم الاخير من القضية وهذا نصهُ "اما الذين يثقون فيزدادون رسوخًا في الحق في هذه الحياة الى ان يصلوا الى حالة لا يمكن الارتداد معها"

(٤) المذهبان المتطرفان في السقوط من النعمة وعدمهِ كما سبق ذكرهُ في القضيتين الخامسة والسادسة من ان البعض الذين ينكرون الضلال الذي وقع فيهِ غيرهم من جهة الرفض التامّ ويؤيدون ان موت المسيح كان شاملاً للجميع يقصّرون في اعلان الحقيقة كالواجب وبتقصيرهم يزيدون المقاومين تمسكًا في الخطإِ الذي وقعوا فيهِ فغلط الذين يقولون ان

من نال اقلّ نصيب من النعمة المخلصة الحقيقية لا يمكنهُ فيما بعد السقوط منها يوازي غلط الذين ينكرون امكان وصول الانسان الى درجة ثابتة لا يستطيع بعدها ان يرتدّ ارتدادًا نهائيًا ثابتًا والرأي الصوابي متوسط بين هذين المذهبين المتطرفين كما يظهر من شهادة الكتاب التي اعلنها الله لنا بروحهِ وايدها اختبارنا ايضًا . وكما قد لاحظنا في المحاورة الاولى نلاحظ في هذه ايضًا والحقيقة واضحة لكل من ينظر اليها نظرًا غير منحرف والبراهين التي يقدمها كلا الجانبين تثبت معتقدنا اما الاعتراضات الشديدة اللهجة التي يوجهها الجانب الواحد ضدّ الآخر فتحل لنفسها عند ظهور هذا الحق الثابت لان كل البراهين التي يتمسك بها القائلون انهُ لا يمكن السقوط تدعم الرأي القائل انهُ يمكن الوصول الى درجة متينة ثابتة لا يمكن السقوط فيها اما اعتراضهم فيردّ عليهِ مما يوردهُ الجانب الآخر من الكتاب بانهُ يمكن ارتداد الذين لم يصلوا الى درجة ثابتة ولو كانوا قد نالوا قياسًا حقيقيًا من النعمة وهكذا عند محاولة مناظرينا الحائدين عن جادة الصواب تسفيه رأي بعضهم البعض يثبتون صحة ما نعتقد بهِ نحن ولكن خوفًا من ان يكون ما ذُكر غير كافٍ لاقناع الذين يعتقدون ان افضل الاتقياء معرضون للسقوط دائمًا ما زالوا في قيد الحياة اورد بعض آيات الكتاب على سبيل الاختصار برهانًا على صحة مذهبنا

(٥) السهر والجدّ ضروريان للجميع اولاً انني اعترف صريحًا انهُ يليق بكل انسان ان يلزم حدّ التواضع ولا يعتمد على هذه اليقينية قبل اوانها فينجذب الى الشرور ويستمرّ في حالة التنور فالحكيم من لازم الجدّ بسهر ما دام في هذه الحياة فالله يطلب من كل مسيحي ان يواظب على الجهاد لكي يكون اهلاً للخدمة وينال سلاحًا يحميهِ من تجارب العدوّ وبما ان اجرة الخطية هي موت فكل من يخطئ او من هو عرضة لان يخطئ هو بحسب هذا الناموس عينهِ عرضة

للهلاك وبولس يقول ١ كو ٩: ٢٧ "بل اقمع جسدي واستعبده حتى بعدما كرزت للآخرين لا اصير انا بنفسي مرفوضاً" فالرسول نفسه يحسب انه من الممكن ان يسقط حال كونه لما كتب الرسالة كان متقدماً في الحياة الجديدة الروحية اكثر جداً من كثيرين من الذين يجب يحسبون ذواتهم قد امنوا العثار لكونهم قد نالوا قياساً من النعمة الحقيقية فاذا ذكر الرسول انه هو نفسه عرضة للسقوط فذلك تنبيه كاف للجميع للمواظبة على السهر "اقمع جسدي" الخ والرسول نفسه في موضع آخر اظهاراً لشدة شعوره بقوة الله الروحية المالكة فيه والتي تعطيه النصرة على الخطية وعلى اعدائه الروحيين لا يجد صعوبة بان يقول رو ٨: ٣٨ "فانني متيقن انه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا روساء ولا قوات ولا امور حاضرة ولا مستقبلة . . . تفصلنا عن محبة الله في المسيح يسوع" فاظهر بهذا انه قد وصل الى درجة تيقن معها انه لا يمكن ان يسقط منها

ثانياً يمكن الوصول في هذه الحياة الى حالة لا يمكن السقوط منها ان ما يثبت امكان الوصول الى درجة لا يمكن السقوط منها ان الكتاب يدعونا اليها لانه لا يطلب منا ما يستحيل علينا الوصول اليه ٢ بط ١: ١٠ "لذلك بالاكثر اجتهدوا ايها الاخوة ان تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين" فاذ لنا هذه الدعوة وقد تبرهن انه يمكن اجابتها لذلك فالموعود به ايضاً يمكن نيله

اما اذا سمحنا للشك والخيبة ان يملكا علينا بسبب عدم الثقة فنكون قد رفضنا امكان وجود حالة يتجرد فيها القديسون من اليأس والقنوط وهذا معتقد باطل من نفسه يخالف معتقد الالوف من ذوي الخبرة

ثالثاً الثقة والطمأنينة المعطاة من الله لقديسيه واولاده ان الله قد اعطى ثقة تامة لكثيرين من قديسيه واولاده انهم له وان لا قوة تقدر ان

تأخذهم من يدي فاذا كانت تلك الثقة غير ثابتة فيمن سلمت اليهم بسبب الضعف فهي غير كافية لازالة التردد والشك والعكس بالعكس . وقد ورد في الكتاب شواهد كثيرة تثبت ما قد ذُكر بطريقة عامة وبطريقة خاصة اي بذكر اشخاص خصوصيين ايضاً رؤ ٣: ١٢ "من يغلب فسأجعله عموداً في هيكل الهي ولا يعود يخرج الى خارج" الخ فهذه دعوة عامة للجميع وفي ٢ كو ١: ٢٢ يخاطب الرسول بعض الذين قد خُتموا قائلاً "الذي ختمنا ايضاً واعطى عربون الروح في قلوبنا" وختم الروح على الوجه المذكور يسمى عربون ميراثنا اف ١: ١٣ "الذي فيه ختمتم بروح الموعد القدوس" والرسول نفسه في موضع آخر يصرّح بنفس الثقة ٢ تي ٤: ٧ "قد جاهدت الجهاد الحسن" الخ وهذا يعيش فيه ويشهد به كثيرون من رجال الله الاتقياء وتوّيدهُ شهادة الكثيرين من المسيحيين في وقتنا الحاضر الموافقة لشهادة المسيحيين الاولين . على انه لدينا ايضاً شواهد كثيرة قديمة وحديثة تثبت امكان الارتداد من الثقة الى الدعارة والسقوط من الايمان مما يثبت ان السقوط ممكن ايضاً كما اننا نرى انه وجد اناس في القديم وفي العصور المتأخرة ايضاً الذين حصلوا على النعمة قبل مغادرة هذه الحياة بمدة قصيرة فماتوا في الايمان الصالح وشهد لهم الروح انهم نالوا الخلاص

لذلك نرى صريحاً من كل ما تقدم انه يمكن الوصول في هذه الحياة الى حالة من النعمة لا يمكن السقوط منها لان روح الله يشهد صريحاً انهم لا يذهبون الى الهلاك والشاهد هو امين ولا يمكن ان يكذب



القضية العاشرة

الخدمة

يجب ان يبشّر بالانجيل مجانًا مت ١٠: ٨ ان كل معرفة حقيقية في الامور الروحية تقبل وتعلن بواسطة النور او عطية الله وبما ان كل معرفة تعلن للقلب وتقبل منهُ بفعل هذا النور وقوتهِ هكذا كل قسيس او خادم للانجيل يرسم ويعدّ ويؤهل للخدمة بواسطة النور فقط وبارشادهِ وفعلهِ وتأثيرهِ ايضًا يجب ان يسير كل مبشر انجيلي وكل راعٍ مسيحي ويهتدي في عملهِ وفي خدمتهِ الانجيل . سواء كان من جهة مركز العمل او الاشخاص الذين يعمل بينهم او الوقت الذي يعمل فيهِ . فكل من نال هذه الدعوة والقوة يمكنهُ بل يجب عليهِ ان يبشر بالانجيل بقطع النظر عن معارفهِ واستعداداتهِ البشرية الخارجية . اما كل من ليس لهُ هذه الدعوة او العطية ومارس الخدمة فهو مكار وليس خادمًا حقيقيًا للانجيل مهما كان عالمًا ومتقدمًا في نظر الناس والكنائس والذين قبلوا هذه العطية المقدسة الطاهرة فكما أُعطيت لهم مجانًا هكذا يجب ان يقدموها مجانًا ايضًا بلا اجرة ولا مكافاة وبدون ان يستعملوها وسيلة للانجار والربح . اما اذا دعا الله البعض ليتركوا اعمالًا او تجارة ما يرتزقون بها وهي علة معيشتهم فيجوز لمثل هولاء بحسب الحرية الممنوحة لهم من الرب ان يقبلوا معاشًا يسدُّون بهِ ضروريات الحياة من قوت وكسوة اذا قُدّم لهم عن رضا وطيبة خاطر من الذين يخدمون

بينهم

(١) كنيسة الله هي جسد المسيح الروحي لقد تكلمت فيما سبق عن الامور المتعلقة بالايمان المسيحي والمسيحيين وحالتهم الخصوصية الشخصية وما هي الوسائل التي يمكن الانسان بها ان يكون مسيحيًا حقيقيًا ممكنًا وسأتقدم الآن للبحث فيما يتعلق باتحاد المسيحيين معًا بالشركة والعبادة وكونهم جمعية خارجية منظورة كنيسة الله التي يشبهها الكتاب بالجسد و يدعوها جسد المسيح فكما انه يوجد في الجسم البشري اعضاء مختلفة تشترك كلها وتعمل معًا لغاية واحدة وهي حفظ الجسد كله وبناؤهُ هكذا في الجسد الروحي السرّي يوجد اعضاء مختلفة بحسب انواع النعمة المختلفة والروح الموهوب لكل عضو حسب الاحتياج وبسبب تنوّع المذاهب ينشأ اشخاص ذوو استعدادات متنوعة في الكنيسة المسيحية المنظورة رسل ورعاة ومبشرون وقسوس الخ وسيكون مدار البحث في هذه القضية عن الامور التي تؤهل وتبني كل خادم في الكنيسة والصفات التي يجب ان يتصف بها وكيف يجب ان يسلك و يتصرّف لان الكلام على الوظائف المختلفة في الكنيسة قبل الكلام على الكنيسة بوجه العموم يعدّ مبتسرًا فسأتكلم عنها بالاختصار وان كنت لم اشر اليها في متن القضية ثم اتقدم الى البحث عن الاعضاء الخصوصيين

(٢) تحديد الكنيسة واشتقاقهُ انني لا اقصد مطلقًا ان اتعرّض للمحاورات والمجادلات الكثيرة العنيفة المتعبة التي بهـا يمزّق البابا ويون والبروتستانت آراء بعضهم البعض من هذا القبيل بل اقتصر على ذكر الحق المعلن لي وفيّ حسب شهادة الروح والمعرفة الموهوبة لي لاذكر ما اذكرهُ بالاختصار كمقدمة لازمة للخدمة حسب ما اعتقدهُ انا واخوتي من جهة الكنيسة اما الكنيسة فبحسب التحديد اللغوي وكما هي مستعملة في الكتاب المقدس تعني الجماعة المجتمعين معًا في مكان واحد لان الاسم باليونانية يشتق من كلمة معناها " ادعو من " واصلها ادعو ودلالتها المعنوية تطابق بالحقيقة تحديدها

اللغوي تماماً فالكنيسة ليست سوى جمعية او اجتماع او جماعة الذين دعاهم الله وافرزهم من العالم والروح العالي لكي يسلكوا في النور وجدّة الحياة وهذا التحديد انما يدخل ضمنهُ كل من دعاهم الله بالحق من الذين لم يزالوا في هذا العالم الفاني والذين قد نُقض بيت خيمتهم الارضي وانتقلوا الى منازلهم السماوية فمن هولاء واولئك تتألف الكنيسة الكاثوليكية الواحدة التي قد جرى مجادلات عظيمة بخصوصها

لاخلاص لمن هم خارج الكنيسة ونحن نقرّ صريحاً ان كل مَن هو خارج هذه الكنيسة ليس له خلاص البتة لانها تضمّ ضمن دائرتها كل الذين يطيعون النور المقدس وشهادة الله في قلوبهم فيتقدسون و يتطهرون من طرقهم الشريرة من اي امة او جنس او لسان او شعب كانوا حتى ولو كانوا بالظاهر بعيدين وغرباء عن الذين يعترفون بشفاههم بالمسيح او بالديانة المسيحية الذين يستنيرون بالكتاب المقدس لان هذا هو الروح الكاثوليكي الجامع الذي به يدعى الكثيرون من اربعة اقطار العالم ويجلسون مع ابرهيم واسحاق ويعقوب وبهذه الواسطة ينال كثيرون من البعيدين جدًّا سرّ الحياة وفضيلة الرب يسوع كما تنبعث الحياة بواسطة الدم الذي يجري في اوردة الجسم الطبيعي وشرايينهِ من الرأس والقلب الى الاطراف البعيدة

اليهود والوثنيون يمكن ان يكونوا اعضاء في الكنيسة فلذلك يمكن ان يوجد اعضاء من هذه الكنيسة الجامعة بين الوثنيين واليهود وكل شيع المسيحيين المتعددة اي رجال ونساء بسطاء القلب امناء الذين وان نقصتهم معرفة بعض الاشياء او تغلبت عليهم خرافات وطقوس الطائفة التي يختصون بها ولكن لكونهم مستقيمي القلب امام الله و يسعون باجتهاد لكي يتخلصوا من خطاياهم ويحبون ان يتبعوا البرّ والاستقامة فهولاء بفعل هذا النور القدوس السرّي تختمر نفوسهم وتنمو ويتحدون سرّيًّا مع الله و يصيرون

اعضاء حقيقيين في الكنيسة الكاثوليكية وبهذا الاعتبار يتقرر كيان كنيسة الله الحقيقية في كل العصور لان الله لم يعدم شهداء له في كل الازمنة وان كانوا احيانًا كثيرة قليلي العدد وغير معروفين لدى العالم الخارجي

وقد كان كيان هولاء في اوقات مختلفة كنيسة خفية غير ظاهرة لرجال هذا العالم كما يقول الكتاب ار ٣: ١٤ "واحدًا من المدينة واثنان من العشيرة" لذلك وان تكن الكنيسة بهذا الاعتبار كأنها مخبأة عن لحاظ الناس الاشرار لكونها غير مرتبطة او مشتركة شركة ظاهرة بل وقد تكون احيانًا خفية عن لحاظ البعض الذين هم من اعضائها الآن هذا كلهُ لا ينفي كيانها ولنا مثال على هذا تذمُّر ايليا وقولهُ انهُ قد بقي وحدهُ ١ مل ١٩: ١٨ "اما الله فاجابهُ قائلاً" قد ابقيت في اسرائيل سبعة آلاف كل الركب التي لم تجثُ للبعل وكل فم لم يقبلهُ" وعلى هذا اسند الرسول برهانهُ رو ص ١١ انهُ يوجد بقية في عصرهِ

(٢) تحديد كنيسة الله الخاصة التي تتحد معًا بالعبادة بهيئة منظورة ثانيًا يقصد بالكنيسة ايضًا الجماعة الذين يجتمعون معًا حسب ارشاد روح الله وبواسطة شهادة بعض خدمهِ الذين اقامهم لكي ينادوا بالمبادئ والتعاليم الحقيقية وينشروا الايمان المسيحي ولكون قلوبهم ترتبط معًا بالمحبة الواحدة مستنيرة افهامهم بالحقائق نفسها يجتمعون متحدين معًا منتظرين وعابدين الرب مقدمين الشهادة للحق وناهين عن الباطل مهما كلفهم ذلك من التعب وبواسطة شركتهم هذه يصيرون من اوجهٍ كثيرة عائلة واحدة وبناء واحدًا يعلمون ويرشدون بعضهم بعضًا حسب ما منح لهم من المعرفة والمواهب وهكذا كانت تتألف الكنائس الاولى في ايام الرسل كما هو مذكور في مواضع كثيرة من الكتاب المقدس اما الكنيسة المنظورة فقد طرأ عليها بعد ايام الرسل تغييرات كثيرة مشوشة بسبب عدم الايمان كما سيتضح مما سيأتي بيانهُ

(٤) كيف يصير الانسان عضواً في كنيسة الله انهُ ضروريّ اذاً لكي يُحسب الانسان عضواً في الكنيسة الكاثوليكية ان يحصل على دعوة الله الداخلية بواسطة النور الالهي في القلب الذي بهِ يصير خليقة جديدة حسب روح الكنيسة فيترك الشرّ ويلتصق بالخير وينقطع العقل داخلياً من تلك الزيتونة البرّية او الطبقة الاولى الساقطة ويتطعّم بفعل كلمة المسيح وروحهِ في القلب ويمكن الذين يجهلون تاريخ المسيح ان يحصلوا على هذه العضوية ايضاً (لان الله شاء ان يبتهم غرباء عنهُ) كما قد تبرهن في القضيتين الخامسة والسادسة

اعتراف الانسان الخارجي بالكنيسة الحقيقية وكما ان العمل الداخلي لا بدّ منهُ لكي يكون الانسان عضواً مختصاً بكنيسة المسيح هكذا الاعتراف الخارجي والايمان بيسوع المسيح والحقائق المسلمة في الاسفار المقدسة بروحهِ لان شهادة الروح التي يعلنها الكتاب لنا تماثل شهادة الروح نفسهُ في القلب مماثلة الصورة للوجهِ عند ما ينظر الانسان الى المرآة فعمل التقديس الداخلي وترك المعاصي ضروريان من كل وجهٍ لكل عضو من كنيسة المسيح وكذا الاعتراف الخارجي لكي يحسب الانسان عضواً في الكنيسة التي تتحد معاً على هيئة مخصوصة الاّ ان الاخير ليس ضرورياً لكي يكون الانسان عضواً في الكنيسة الكاثوليكية وان يكن هذا الاعتراف الخارجي واجب عند ما يسهل الله الحصول عليهِ لان الشهادة الخارجية يجب تصديقها عند نقديها واعلانها وقد تقدم اثباتهُ سابقاً

(٥) ايمان اعضاء كنيسة اضداد المسيح وقت الارتداد باطل ان الشيطان الذي دأبهُ اغواء البشر وايقاعهم في المعاصي والشرور يوسوس في عقول تابعيهِ ان الانسان مهما تقدم في القداسة والصلاح لا يمكن ان يعدّ عضواً في كنيسة المسيح ما لم يقرّ بها اقراراً خارجياً ويدخلها بواسطة فرائض

خارجية ايضاً. ولذا تراهم يصرّحون قائلين ان كل الذين يعترفون الاعتراف الخارجي هم اعضاء حقيقيون في كنيسة المسيح ويجب اعتبارهم اعضاء ولو كانوا غير حاصلين على التطهير الخارجي فكأنهم بهذا يسمون النور ظلاماً والظلام نوراً على ان الله لا يرتضي بالكلام بدلاً من العمل ولا يسرّ بالاعتراف الباطل اكثر من القداسة الحقيقية كما قد ثبت بالبرهان الواضح سابقاً انما يتضح لدى العموم ان ضد المسيح قد شيّد بناءهُ البابلي على هذا الاساس الفاسد فتشامخت كنيسة ضدّ المسيح بسبب الارتداد وترفعت ترفعاً ساحقاً هائلاً حتى على الله بل جلست في هيكل الله كإله

تأخر الكنيسة ولان الفساد تسرّب الى كنائس المسيح الخصوصية التي كانت تجتمع في ايام الرسل وأثر في داخليتها فنشأ اغلاط جسيمة بسبب تقهقر معلمي الديانة وسيرهم حسب الروح العالمي والاميال الخارجية اما الله فسرّ بان يحفظ الحماة الروحية على مرّ الاجيال في كثيرين من اتباعهِ الحقيقيين الذين البسهم غيرة فثبتوا محتملين الاضطهادات الكثيرة العسرة من اجل اسمهِ . ومنذ ذلك الحين اخذت الديانة المسيحية تنحط عما كانت عليهِ من الوداعة واللطف والمحبة وطول الاناة والصلاح والتعقل ولا سيما عند ما انضمّ اليها عدد من ولاة هذا العالم ولم يعد الاسم المسيحي مقروناً بالعار والاحتقار بل بالعكس اصبح داعياً للافتخار والعظمة واصبحت العضوية بالارث والدرس والعلم وليس بالاقتناع والغيرة وجدّة الحياة فلم ينظر فيما بعد الى الذين انضموا الى الكنيسة كانهم اقدموا الى اعتناق ما من شأنهِ ان يجرّ عليهم السخرية والاحتقار والاضطهاد بل ما يكسبهم رضى الحكام الذين كانوا يغمرونهم بالهبات والعطايا فاتسعت ثروتهم وسلطتهم وصاروا اصحاب مقاطعات فسيحة فانتفخوا وتعظموا وانصرفوا الى امجاد وفخفخة هذا العالم الباطل فنظموا ذواتهم رتباً انقسمت الى عدة درجات وجرى بينهم خصومات

ومجادلات فيمن يجب ان يكون فيهم اولاً ومن جرى ذلك فقدت الديانة المسيحية رونقها وحياتها وجوهرها واصبحت جثة ميتة وصورة خارجية فقط ولكي توافق الذوق الوثني وتجذب الجماهير الوثنية للانضمام اليها جعل لها منظرًا جميلاً وزينة بهية خارجية فلم ينظر الى اقتناع الدخلاء الروحي الحقيقي بل رُحب بهم مع بقائهم متمسكين بخرافاتهم غير حاصلين على تجديد القلب الداخلي ولا تاركين شرورهم بل محولين خرافاتهم من صورة الى صورة ولانهم ليس لهم زينة الروح اوجدَّة الحياة فقد توغلوا في استعمال طقوس ونظامات وترتيبات كثيرة مزينين انفسهم بالفضة والذهب والحجارة الكريمة والثياب الفاخرة المزركشة حسب درجات هذا العالم الفاني فلم يعد من الممكن ان تعدّ هذه الديانة الكنيسة المسيحية الحقيقية على رغم اسمها واعتبارها الخارجي كما ان جثة الانسان المائتة لايمكن ان تحسب جسمًا حيًا مهما تفنن المزينون في الاثواب التي يُلبسونها اياها ومهما كانت تلك الاثواب متقنة ومرصعة بالفضة والذهب واثمن الحجارة الكريمة ومدهنة باطيب الدهون لانها مع كل ما ذكر تبقى جثة باردة عديمة الحياة والحسّ والحركة فالطقوس والخرافات التي ادخلتها كنيسة رومية المرتدة الى الكنيسة المسيحية لم تكن باقل من الطقوس اليهودية والوثنية وقد كان ولايزال سائدًا فيها وبين معلميها ورؤسائها واساقفتها الكبرياء والحسد والفساد والغطرسة والزنا والنجاسة والالحاد اكثر كثيرًا مما يوجد بين غيرها من الملل وكل من طالع كتب مؤلفيها كبلاتينا وخلافه يتيقن صحة هذا الكلام

هل يوجد فرق بين البروتستانت والبابويين من جهة الخرافات وما هو اما البروتستانت فقد اصلحوا بعض النقط المهمة والتعاليم الشاذة المتعلقة بالكنيسة والخدمة. انما اقول مع الاسف انهم قطعوا الاغصان وابقوا الاصول التي نشأت عنها تلك الفروع الباطلة فمع انهم الغوا الطقوس

والفرائض والرسوم الخارجية جانبًا بقوا محافظين على الغطرسة والكبرياء والتحاسد والخففة العالمية وقد نمت هذه وانتشرت في كنائسهم وبين خدّامهم فخسروا بذلك حياة وقوة وفضيلة الديانة الحقيقية واصبحت عبادتهم عقيمة خاملة فارغة مائتة فلا يختلفون عن الباباويين سوى بالهيئة والطقوس ولكنهم ارتدّوا نظيرهم عن الحياة والقوة اللتين كانتا في الكنيسة الاولى وربما فيمكن ان يقال عنهم بحق ودون مخالفة ناموس المحبة انهم وان كانت لهم صورة التقوى الاّ انهم ينكرون قوتها مدنسين الطريق الصحيح وقد وضعوا لانفسهم مبادئ هي من ذات طبعها كأصل فاسد يأتي باثمار مرة وسائكم على هذا كلهِ وادحضهُ بالبرهان لانهُ يخالف الحقائق الثابتة الواضحة التي سيأتي بيانها في ما يلي من هذه القضية

كنيسة البروتستانت ونظام اعضائها اما من جهة هيئة الكنيسة ونظامها فالبروتستانت فيما سوى مجادلاتهم مع الباباويين بخصوص الكنيسة المنظورة وعصمتها واسبقيتهــا هم لا يختلفون عنهم ان كان في الامور التي يمارسونها او في المبادئ لانهُ يوجد ضمن دائرة كنيستهم شعوب بكاملهــا يعتقدون انهُ برشّ قليل من الماء على اطفالهم يصيرون اعضاء فيها ومهما كانوا متوغلين في الشرور والمعاصي لا يمنعهم ذلك من ان يحسبوا من ابنائها فلا يطلب من اعضاء الكنيسة ان يتصفوا بالطهارة والقداسة . فاذا تفحصت الشعوب البروتستانية لا ترى فرقًا ظاهرًا بينهم وبين شعوب الطوائف الاخرى على العموم لان ذاك الذي يتسلط على ابناء المعصية يسود على كليهما فقد حصر الاصلاح في تلطيف بعض الاضاليل العظيمة وليس في تنقية القلب الذي هو محور الحياة المسيحية وتجديدهُ

(٦) دخول الفساد الى خدمة الباباويين كانت اصل الفساد ان الاغلاط التي أُدخلت الى كنيسة رومية تستوجب الاسف العظيم لانهم

بواسطتها قد نبذوا قوة الحياة المسيحية فساد بسبب ذلك في الكنيسة قحط ويبوسة وموت وهذا ضلال عظيم لان التعليم الكاذب هو ينبوع كل اصناف الشرور والمثل المقدس يقول كما الكاهن هكذا الشعب فعوضاً عن ان يكون الكهنة مثالاً صالحاً لحياة الطهارة والبرّ تراهم يقتادون رعيتهم في طريق الشرّ والموت وقد كان هذا سبب تهوُّر الشعب اليهودي قديماً "روساء شعبي اقتادوهم الى الضلال" واكثر كتابات الانبياء تونبهم على هذا وكثيراً ما ورد هذا التنبيه للسبب عينهِ في العهد الجديد "احترزوا من الانبياء الكذبة والمعلمين الكذبة" الخ فماذا يقال اذاً وكل شيء قد اصبح مختلاً فالاساس والدعوة والصفات المؤهلة والهيئة وكل المبادئ قد صارت مغايرة ومعاكسة لخدمة الكنيسة الاولى وبالضرورة تضعف بل تنفي كل خدمة روحية وتشجع ادخال وتقوية كل خدمة جسدية وسيأتي الكلام عن هذا بالتفصيل

(٢) سوال اول ان ما يستلفت انظارنا للبحث هو دعوة الخادم او القسيس وما هي الصفات التي توهل الانسان لهذه الوظيفة وكيف يصير راعياً ومعلماً في كنيسة المسيح

الجواب ان الانسان يصير قساً الخ بقوة روح الله روح الفضيلة الداخلي كما ذُكر في بداءة هذه القضية فقبول المعرفة في الامور الروحية انما يتمّ بفعل روح الله الذي ليس دونهُ معرفة فكل من يتنقى ويتقدس حسب قياس النعمة وتضطرم فيهِ روح الرغبة والغيرة ويدعى لكي يخدم الآخرين يمكنهُ حينئذٍ ان يتكلم ويشهد عن اختبار روحي وبما انهُ قد اختبر خوف الله يمكنهُ ان يقنع الآخرين ايضاً ٢ كو ٥: ١١ ولان كلمتهُ وخدمتهُ تصدران عن قوة وفضيلة داخليتين تصل البشرى الى قلوب سامعيهِ فيستحسنون ما يقول ويخضعون لهُ ومناظرونا لا يقدرون ان ينكروا ان هذا هو الحقيقة بعينها الاَّ انهم لا يحتمون بكونهِ ضرورياً لازماً فلذلك اتقدم لاثبات كونهِ ضرورياً

بالبرهان مبيناً شدة ضلالهم في الامور التي يجعلونها اهمّ من هذه الدعوة السموية المقدسة

اعتراض اولاً ان كل ما هو ضروري للانسان حتى لا يمكن ان يعدّ دونهُ مسيحيًا حقيقيًا هو ضروري لهُ لكي يجعلهُ صالحًا لان يكون قسيسًا في كنيسة المسيح لان الدرجة الاخيرة هي اسمى من الاولى الداخلة ضمنها كما ان الاستاذ يجب ان يكون قد حصل معرفة التلميذ وقوة ادراكهِ اولاً لذلك غير المسيحي لا يصلح ان يكون خادمًا للانجيل او معلمًا بين المسيحيين

ان الدعوة الداخلية ضرورية لكي يكون الانسان مسيحياً

اما الدعوة الداخلية بقوة روح الله ونعمتهِ فضرورية لكي يصير الانسان مسيحيًا وهذا قد تبرهن سابقًا في القضية الثانية بحسب نصّ آيات الكتاب القائلة "لان كل من ليس لهُ روح المسيح فذلك ليس لهُ" "وكل الذين ينقادون بروح الله فاولئك ابناء الله" لذلك دعوة الروح الحقيقية يجب ان تكون ضرورية لخادم الانجيل

ثانيًا خدمة الروح تستلزم عمل الروح وشهادتهُ ان كل خدّام العهد الجديد يجب ان يكونوا خدمة الروح وليس الحرف حسب ما قيل في ٢كو ٣: ٦ وحسب المعنى اللاتيني القديم "ليس بالحرف بل بالروح" لكن كيف يمكن ان يكون الانسان خادمًا للروح وهو ليس مدعوًا بالروح داخليًا او حال كونهِ لا يعتبر عمل الروح وشهادتهُ جوهريين للدعوة فكما ان الانسان لا يمكن ان يكون خادمًا للحرف حال كونهِ غريبًا عنهُ ويجهلهُ تمام الجهل فكذلك لا يمكن ان يكون خادمًا للروح حال كونهِ غريبًا عنهُ ويجهل المامهُ وتأثيرهُ وعملهُ وانهُ بدربهِ ويتقدمهُ في عمل الخدمة فكيف يقدر الذين يتخذون على عاتقهم خدمة الانجيل (كما يزعمون) لاجل الكلام الخارجي فقط دون ان يشعروا مطلقًا بعمل الروح او بدعوتهِ الداخلية لهم ان يعتبروا

انفسهم او يعتبرهم غيرهم اكفاء وخداماً للروح او ما هو الفرق بينهم وبين خدمة الحرف

ثالثاً انهُ ان كانت هذه الدعوة الداخلية او شهادة الروح غير جوهرية ولا ضرورية لخادم الانجيل فخدمة العهد الجديد ليست افضل من الشريعة القديمة بل هذه من وجوه كثيرة مفضلة عليها لان الناموس يعيّن سبطاً خصوصياً للخدمة ومن ذلك السبط يعيّن عشائر الكهنوت او غير وظائف كما كان الله بأمر موسى لذلك لم يخامر الشعب شك فيمن اختارهم كهنة او خدمة المقدس وفيما سوى ذلك كان الله بروحهِ وشهادتهِ الصريحة يدعو اشخاصاً في اوقات مختلفة لكي يعلموا ويهذبوا ويوبخوا شعبهُ كصموئيل وناثان وايليا واليشع وارميا وعاموس وانبياء كثيرين غيرهم اما الآن في ظل العهد الجديد لما يجب ان تكون الخدمة الدينية روحية اكثر سامية والوصول الى الرب اقرب واسهل منالاً فقد عكس مناظرونا كل ذلك بانكارهم دعوة الروح الداخلية لانهُ لا يوجد سبط مخصوص او عشيرة معينة للخدمة ونحن اذاً متروكون عرضة للشك فيمن نختارهم رعاة ولحكم الصدفة لانهُ ليس عندنا دليل على رضا الله او ارادتهِ وليس لدينا ناموس خارجي ولا فريضة ثابتة نسلك بموجبها ولكننا قد بينّا في القضية الثالثة ان الكتاب يبين لنا قاعدة مطردة في هذه المسئلة

رابعاً المسيح الباب يو ١٠: ١ ان المسيح يسمّي كل من لا يدخل فيهِ بل يطلع من موضع آخر سارقاً ولصاً لانهُ هو الباب والخراف لا يجب ان تتبع السارق

اما الذين يأتون بدون دعوة او الهام روح المسيح وارشادهِ المدرّب الذي يقتاد ابناءهُ الى كل حق فهم لا يأتون بالمسيح الذي هو الباب بل يطلعون من موضع آخر اذاً هم ليسوا رعاة حقيقيين للانجيل

(٨) الخلافة المدَّعاة خطأً التي تعتبر الكنيسة انها اخذتها عن المسيح والرسل ان جوابهم على كل هذا هو ادعاؤُهم بخلافة الكنيسة قائلين ان المسيح دعا رسله وتلاميذهُ وهم سلَّموا هذه الدعوة الى خلفائهم فصار لهم السلطة ان يعيِّنوا رعاة ومعلمين بالخلافة الى وقتنا الحاضر فكل الذين يدعون او يسامون بواسطة رعاة الكنيسة الحاليين يحسبون قسوسًا شرعيين اما غيرهم فمتطفلين او مغتصبين وبعض البروتستانت يزيدون على هذا القول ان كل من يُدعى يجب ان يشعر بدعوة داخلية بالروح تجعل فيه ميلاً لما عيّن له ولكنهم يجعلون هذا تابعًا لدعوة الكنيسة وليس سببًا لها فكأنهم لا يحكمون انهُ امر جوهري

اما اعتبارهم دعوة الروح ثانوية بقولهم انها ليست الدعوة الحقيقية الجوهرية فظاهر من انهم قلما يسبرون بحسبها فالذين يدخلون في الخدمة لا يسألون عند امتحانهم ان كانوا حصلوا عليها ام لا اما البروتستانت الاولون فيكثرون من ذكرها في كتاباتهم وهذا يظهر انهم كانوا مقتنعين داخليًا في افكارهم ان الدعوة الروحية الداخلية هي الدعوة السامية التي تفوق غيرها وقد صار التنبيه اليها في اعمال الاصلاح الشريفة الباسلة ولم يتردد البروتستانت الاولون في انكار الدعوة الخارجية واحتقارنا عند ما أبهم البابا ويون بسببها

البروتستانت الاولون فضَّلوا دعوة الروح على غيرها اما في الوقت الحاضر فقد ترك البروتستانت شهادة الروح مدعين بالخلافة نفسها وعند ما يحتج عليهم المصلحون بسبب هذه الاضاليل التي هي مغايرة لاعتقاد اسلافهم فلا يذعنون حال كونهم يعترفون بان اسلافهم كانوا ينقادون في اعمالهم بواسطة دعوة الروح الصريحة الداخلية الّا انهم يستندون بتلك الدعوة التي يدَّعونها ان اسلافهم كانوا حاصلين عليها نظير اساقفة

رومية ولاثبات هذا لا نحتاج ان نرجع الى عصر قديم لان نيقلاوس ارنلدس كتب ضد هذه القضايا في كتب له تسمى "حقائق لاهوتية" فهو يصرّح بانهم لا يدعون بدعوة الروح الصريحة بل بالاصلاح بواسطة الفضيلة التي ينالونها بواسطة الدعوة الاعتيادية التي للكنيسة كما كانت قديماً اي كنيسة رومية

(٩) تهوُّر البروتستانت بقولهم انهم استلموا الخلافة من كنيسة رومية ان البروتستانت بادعائهم انهم اكتسبوا هذه السلطة بالخلافة من كنيسة رومية قد وقعوا في اغلاط عديدة فهم ملزومون (١) ان يعترفوا انها كنيسة المسيح الحقيقية ولكنها شذّت في بعض المسائل وهذا يخالف معتقد اسلافهم الذين كثيراً ما كانوا يلقبونها ضدّ المسيح (٢) ان يعتبروا كهنتها واساقفتها خدّاماً ورعاة حقيقيين لكنيسة المسيح في الامور الجوهرية والّا لما كانوا اهلاً لان يحافظوا على هذه السلطة ولا كانوا آنية صالحة لقبولها ونقلها الى خلفائهم (٣) ان كهنتها واساقفتها لم يزالوا الى الآن رعاة ومعلمين حقيقيين لانه ان كان قسوس البروتستانت ليس لهم السلطة التي قبلوها منهم وكنيسة رومية هي الآن كما كانت وقت الاصلاح في الهيئة والمبادئ (وتدعي ذات القوة التي كانت تدعيها وقتئذٍ) فان كانت السلطة تتصل بالخلافة فكهنة كنيسة رومية الآن الذين نالوا سيامتهم من الاساقفة الذين نال المصلحون الاولون سيامتهم منهم لهم ذات السلطة التي للمصلحين وهم بالطبع خدّام حقيقيون للكنيسة نظيرهم الّا ان هذا لا ينطبق البتة على اعتقاد البروتستانت الاولين اما لوثر فلم ينكر على اساقفة كنيسة رومية السلطة فقط بل صرّح قائلاً انهم بشرّهم وخبثهم يحصرون خطأً سلطة التعليم بهم وحدهم ككهنة وقسوس الخ لان كل مسيحي بالحق (ليس الرجال فقط بل النساء ايضاً) يصلح ان يكون واعظاً

(١٠) ايضاح الخلافة التي يدّعي بها الباباويون والبروتستانت

اما من جهة هذه الخلافة الباطلة التي يؤيدها الباباويون والبروتستانت بكونها ضرورية لدعوة القسوسية فاقول ان كل الذين يعتقدون انها كافية او لازمة للدعوة يعترفون بانهم يجهلون طبيعة الديانة المسيحية وهم اذًا غرباء جدًا عن حياة الخدمة المسيحية وقوتها لانها لا تحصر بالخلافة كالارث الخارجي وكما قد صرّحت مرارًا سابقًا انهم بهذا لا يجعلون للانجيل افضلية على الناموس بل يحسبونه مقصرًا عنه اما الحقيقة فهي هذه انه كما ان المسيح لم يراعِ شعبًا خاصًا او عشيرة ما بل وجّه الدعوة للجميع لكي يتحدوا معهُ ويقبلوا الزرع الصالح الطاهر المقدس فهو ايضًا لا يعتبر خلافة خارجية مجرّدة في من ليس لهم حيـــاة البرارة الطاهرة العديمة العيب لانهُ لم يعطِ العهد الجديد لشعوب خاصة لكي لا يوقعهم في اغلاط اليهود القديمة ولا يقبلهم في اغلاطهم بل ليجمع لنفسهِ شعبًا طاهرًا على الارض فاليهود اخطأُوا خطاءً عظيمًا لانهم كانوا يعتقدون انهم الكنيسة او شعب الله الخاص لمجرّد كونهم حسب الجسد من ذرية ابرهيم اب المؤمنين فاعتبروا انفسهم اولاد الله

غلط اليهود من جهة خلافة ابرهيم اما الكتاب فوبخ هذا الادعاء العقيم الباطل قائلاً "ان الله قادر ان يقيم من هذه الحجارة اولادًا لابرهيم" فاولاد ابرهيم الامناء الحقيقيون اذًا ليسوا ذريةً بل الذين لهم ايمان ابرهيم . وهكذا الادعاء الخارجي بين المسيحيين هو بالاحرى باطل عديم الفائدة لان المسيح نفى كل علاقة خارجية من هذا النوع بقولهِ "لان كل من يصنع مشيئة الآب السماوي هو امي واخوتي" وقد قيل ايضًا "ثم نظر حولهُ وقال ها امي واخوتي لان من يصنع مشيئة الله هو اخي واختي وامي" اما الغير المتسربلين ببرّهِ فليسوا تلاميذ لهُ وما لا يملكهُ الانسان لا يقدر ان يهبهُ لغيرهِ ثم انهُ لا يمكن لانسان ام لكنيسة مع وجود الدعوة من الله لهُ كقسيس او لها ككنيسة ان يحصر او تحصر تلك السلطة كما انهُ لا يمكن حصر قوة الديانة المسيحية او

حياتها او برّها لان الهيئة ملحق للقوة والجوهر ولا يعكس ومتى توقف الانسان عن ان يكون مسيحيًا داخليًا في القلب (مركز الديانة المسيحية الحقيقي) واتبع الشيطان مرتدًا عن الايمان فهو حينئذٍ غير مسيحي بالحق مع انهُ يبقى بالاسم والعرف الخارجيين ملقبًا مسيحيًا كما ان جثة الانسان المائت مع انها تبقى على صورتهِ وشبههِ لا يمكن ان تعدّ انسانًا فالصورة مع انها تفيد لكي ينقل عنها صورة ثانية والجثة لكي ينقل المصوّر مثالها لكن في كليهما يستحيل ايجاد حياة لان الحياة من الله الذي خلق الانسان اولاً وهو قادر ان يرجعهُ حيًّا ثانية

الهيئة الخارجية هي تابعة للقوة والجوهر وليس الجوهر للهيئة فكما ان الموت يبطل اعادة الجسد الخارجي الطبيعي ولا يوجد معرفة او طريقة ما خارجية يمكن بها ارجاعهُ فلا يمكن للانسان المائت انتاج ذرية بعد موتهِ كما انهُ لا يمكن تحويل صورة الاموات الى رجال حية اما الاحياء فيخلفون بعضهم بعضًا لان الذين يموتون حالما يفارقون الحياة تفارقهم القوة التي بها يخلفون او يخلّفون هكذا في الامور الروحية الحياة المسيحية في القلب هي التي تصيّر الانسان مسيحيًا والجماعة الذين استنارت قلوبهم روحيًا عند ما يتحدون معًا بالحياة المسيحية يكونون كنيسة المسيح الجامعة الكاثوليكية

وعند ما يخسر احد هذه الحياة يبطل عن ان يكون مسيحيًا وكل قوة او فضيلة او سلطة كانت لهُ كمسيحي تبطل ايضًا وعليهِ ان كان قسيسًا او معلمًا فارتدّ عن السلوك في جدة الحياة فهو ليس قسيسًا او معلمًا حقيقيًا فيما بعد ولو بقي محافظًا على الهيئة الخارجية ومتمسكًا بالسلطة بالكلام فلا فائدة من محافظتهِ او تمسكهِ لان ما يتظاهر بهِ ليس تلك الفضيلة او السلطة الحقيقية كما ان صورَ الانسان المائت ليست الانسان نفسهُ وهذا ما يقبلهُ العقل السليم وينطبق على شهادة الكتاب المقدس ايضًا كما قيل عن يهوذا اع ١: ٢٥ " انهُ سقط من الخدمة والرسالة بواسطة تعديهِ الذي ابطلهُ حالاً من ان يكون

رسولاً" ولو كانت الرسالة متعلقة بشخصهِ فلا يحرمها بتعديهِ الى ان تحرمهُ منها الكنيسة فبقي رسولاً بعد تسليمهِ السيد كما كان قبل ذلك (انما هذا خلاف ما جرى) والامر الحقيقي عن واحد يطلق على الكثيرين نعم وعلى عموم الكنيسة لان الامر ظاهر ان لا شيء يصيّر الانسان مسيحيًّا بالحق سوى الحياة المسيحية المالكة فيهِ داخليًّا

الاعضاء الحية تؤلف الكنيسة فعند ما تفقد الحياة تبطل الكنيسة لذلك لا يمكن ان تتألف كنيسة حقيقية سوى من اشخاص مسيحيين بالحق متحدين معًا كجسد واحد وعند ما يفقد كل الاعضاء هذه الحياة تبطل تلك الكنيسة من ان تكون حقيقية ولو حافظت على الصورة والاسم الخارجيين لانهُ عند ما فقدت تلك الجماعة الحياة التي بواسطتها صارت كنيسة ولاجلها سميت بطل طبعًا كونها كنيسة وللسبب نفسهِ عندما خاطب الروح كنيسة اللاودكيين موبخًا فتورها رؤ ٣: ١٦ "هددها بانهُ يتقيأها من فمهِ" فلنفرض ان كنيسة لاودكية بقيت فاترة وصارت تحت القضاء والدينونة الا انها بقيت محافظة على اسمها وصورتها الخارجية ككنيسة وعلى رعاتها وقسوسها (لانهم دون شك كانوا موجودين فيها في ذلك الوقت) فلا يقيها ذلك من ان تكون كنيسة غير حقيقية ومتى بطلت فهل تدوم سلطة رعاتها وخدّامها بسبب الخلافة الخارجية حتى ولو تسلموها رأسًا من الرسل . فالنتيجة الثابتة من كل ما تقدم في هذه انهُ بما ان سلطة كنيسة المسيح ورعاتها مرتبطة ارتباطًا تامًا بالقوة الداخلية قوة الفضيلة والبرّ والحياة المسيحية بحيث لا تنفك عنها فمتى بطلت هذه امتنعت تلك ومناظرونا انفسهم يقرّون بان كثيرين من الذين أُخذت عنهم السلطة بالخلافة ان لم يكن اكثرهم غرباء تمامًا عن الحياة المسيحية وعيشة الفضيلة لذلك فلا يمكنهم والحالة هذه ان يقبلوا او يملكوا او يمنحوا السلطة المسيحية

اعتراض اما اذا اعترض معترض قائلاً انهُ مع ان عموم اساقفة رومية وكهنتهـا كانوا وقت الارتداد اشرارًا جدًا فالبروتستانت انفسهم يوبدون وانت نفسك تعترف انهُ وُجد بينهم رجال اتقيـاء افتقدهم السيد فكانوا اعضاء حقيقيين في كنيسة المسيح أفلا يمكن ان تنتقل هذه السلطة بواسطتهم

والجواب ان هذا الاعتراض باطل تمامًا لان البروتستانت لا يعتقدون ان هذه الخدمة انتقلت اليهم رأسًا من هولاء الاتقياء ولا يجعلون لهذا اقلّ اهمية بل يحصرون الخلافة بكونها موروثة عن رعاة كنيسة رومية وقت الارتداد فصحة هذه الدعوة وثبوتها عندهم ليس لانهـا متسلسلة من رجال الله الاتقياء بطريقة منفصلة عن اساقفة واكليروس كنيسة رومية لا علاقة لهم بها بل لانهم يعتقدون انها سلطة كائنة في جميع الذين يمنحون الخلافة وينسبون الكفر الى كل من يعتبر ان للصفات الشخصية او السلوك اقلّ علاقة في السلطة او اعمال الخدمة

لما ينقطع العصبة يرجع الملك الى الحكومة ولا يقدر ان يدّعي بها احد سوى من يوليهِ عليها الحاكم والحال هو هو في ميراث الحياة الابدية الذي يعطيهِ المسيح فقط وهذه الخلافة المدعاة الباطلة ليس انها فقط تعاكس قصد المسيح وتناقض غرضهُ في دعوة الكنيسة وتأسيسها بل هي تجعلهُ عزّ وجل اقلّ معرفة وحذقًا من بني البشر لانهم في شرائع الارث الخارجي وترتيبهِ اذا انقرضت عصبة ما ما لها حق بارث ولم يبقَ احد لهُ بهـا علاقة نسبية ثابتة لا يستحق الارث من اتفق ان يكون لهُ اسم تلك العصبة فلا يمكنهُ الاستيلاء على الميراث بل يرجع الملك الى الحكومة وحينئذ يحق لها ان تولي من تشاء وبها منوط منح امتيازات والقاب تلك العائلة وريع املاكها وهكذا الحال في اسم المسيحي بالحق والامتيازات المختصة بهِ والتي بهـا ينال

الميراث السماوي ويحقّ له ان يكون عضواً من جسد المسيح بواسطة البرّ والقداسة داخلياً فيتحرّر من الاباطيل والشهوات والخطايا السائدة في هذا العالم فالجماعة والجمعية التي تتألّف من اعضاء نظير هولاء في الكنيسة اما متى تلاشت تلك الجمعية فيبطل لقبها معها وحينئذ النسل الشرعي الذي له المواعيد ويستحق الميراث عند ما يتلاشى تتلاشى به حقوق الارث فيقود الى المسيح وارث الحياة الحقيقي وهو بعد ذلك يعطي اللقب والحقوق الشرعية لمن يشاء ممن وجهوا قلوبهم الى نورهِ الطاهر واستنارت به ضمائرهم فارشدهم ذلك النور الى حياة القداسة التي بها يصيرون اعضاء جسدِ الحقيقيين الذي هو الكنيسة فهبات الارث اذاً والسلطة والقدرة لا تختصّ باشخاص لهم الاسم فقط والهيئة الخارجية وهم متمسكون بالقشور والظلّ المسيحي لان الموعد للمسيح وزرعهِ ولذلك فالسلطة له ميراثاً وبهِ لكل من هم واحد معهُ متحدين بالطهارة والقداسة وتجديد القلب الداخلي واستنارة العقل

ان هيكل الله لا يليق ان يكون مدنساً فلا ملحد او مرائي يقبل فيهِ وفوق ما ذكر ان هذه الخلافة المدعاة مخالفة لنصّ الكتاب عن وظيفة كنيسة المسيح واعضائها الحقيقيين لان الكنيسة هي اولاً هيكل الله وعمود الحق ودعامتهُ اتي ٣:١٥ اما حسب تعليمهم فيكون هيكل الله مدنساً بكل انواع الشرور والمنكرات مبنياً بحجارة قذرة دنسة مشوهة بالنقائص من كل وجهٍ وبكل العيوب الموجودة على الارض حيث يحكم الشيطان بكل انواع المعاصي فالتاريخ يشهد ومناظرونا يقرّون ايضاً ان حالة كنيسة رومية كانت تنطبق تماماً على ما ذكر وقد تكلم بهذا بعض مؤرّخيهم فان كانت هذه حالة هيكل الله فماذا نسمي هيكل الشياطين فهل يجوز ان نسميهم هيكل الله مع كل النجاسات التي سلكوا فيها لانهم اتخذوا لانفسهم هيئة خارجية وعوجوا طرقاً كثيرة وكانوا تحت ستار الاسم المسيحي شياطين ملحدين في كل ما يعملونهُ

معوجين في سلوكهم الروحي ومبادئهم ايضاً أفلا يعدُّ قباحة بعد هذا ان نعتبرهم شيئاً مرتدين خدّاعين مدعين بامور كاذبة وقد حكم الكتاب بكونهم ملومين جدًا وبانهم مجدفون رو ٢:٩ ومن يعطي شرّهُ بادعاء كاذب بتقوى الله وبرّهِ يعدُّ شرّ الاشرار كما كان اولئك الوحوش الضارية يحسبون انفسهم اساقفة في تلك الكنيسة المرتدة الّا ان ادعاءهم الكاذب بالخلافة الرسولية لا يجعلهم مقدار ذرة افضل ما لم يكن الكذب جائزًا والرياء طريق السماء. أولم يوبخ النبي ارميا اليهود قديمًا على هذا الخطإِ العظيم قائلاً ار ٧:٤ " لا تتكلوا على كلام الكذب قائلين هيكل الرب هيكل الرب هيكل الرب هو لانكم ان اصلحتم اصلاحًا طرقكم واعمالكم " الخ. كأن هذه الاسماء والامور الخارجية هي ما يسرّ بهِ الله اكثر من القداسة الداخلية ولكن هل يمكن ان يكون عمود الحق وركنهُ ما هو بالاحرى مصدر الفساد وبيتهُ ومنبع الاضاليل والاباطيل والخرافات وعبادة الاصنام؟ كلاَّ لانهُ اشدُّ معاكسة من كل ما سواهُ لتعليم الكتاب والذوق السليم

ثانيًا المسيح هو الرأس للجسد العديم الدنس ان الكنيسة قد عنيت لتكون مملكة ابن الله المحبوب المؤلفة من القديسين الذين قد خرجوا من سلطان الظلمة وقد سميت جسد المسيح ايضًا الذي يتحد معًا برُبط ومفاصل مقترنًا ومتوازرًا ينمو نموًا من الله كو ٢:١٩ فهل يمكن ان يكون هؤلاء الذين بيّنا اوصافهم والذين يدعي البعض ان السلطة حفظت لهم واتصلت اليهم بواسطتهم ومنهم استمدوا دعوتهم من اعضاء تلك الجمعية او الكنيسة او جسد المسيح؟ ام هل يمكن ان يكون المسيح رأس جثة فاسدة مائتة مظلمة ممقوتة منتنة فان كان ذلك كذلك فلنا الحق ان نعترض على قول الرسول ٢ كو ٦:١٤ " لانهُ اي خلطة للبرّ والاثم واية شركة للنور مع الظلمة واي اتفاق للمسيح مع بليعال واي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن واية موافقة لهيكل الله

مع الاوثان"

فعلى هذا لا يسمى احد هيكل الله او الروح القدس ما لم يتطهر تطهيراً تاماً ويكون صالحاً ليسكن الله فيه. وكثيرون هم الذين يؤهلهم الله ويعدهم لكي يصيروا جسد الذين يسكن فيهم ويسير فيما بينهم كما هو مكتوب "انني اسكن فيهم واسير فيما بينهم واكون لهم الهاً وهم يكونون لي شعباً" ٢كو٦: ١٧ و١٩ ثم ان الرسول يحثنا بكلام النبي لكي نكون هيكلاً لله وللرب يسوع المسيح بقوله "لذلك اخرجوا من بينهم واعتزلوا يقول الرب ولا تمسوا نجساً فاقبلكم واكون لكم اباً وانتم تكونون لي بنين وبنات يقول الرب القادر على كل شيء" فلماذا يجب ان ننفصل عن كل نجس وما هو قصد الرسول بهذا التشبيه ان كان مجرد الاعتراف الخارجي والاسم يكفيان لقيام الكنيسة الحقيقية؟ والنجسون والدنسون انفسهم هم الكنيسة والخلفاء الشرعيون الذين اتخذوا الخلافة عن الرسل وانتقلت بواسطتهم لمن اتوا بعدهم؟ اما كيف يمكن ان تكون الكنيسة ملكوت ابن الله ولا فرق بينها وبين ملكوت وسلطان الظلام او ما هي فائدة الخروج من مملكة الى اخرى وكيف يمكن ذلك ان كان اركان مملكة الظلام واصحاب السلطة فيها هم في الوقت نفسه اعضاء حقيقيين من كنيسة المسيح الخاصة وليس اعضاء اعتياديين فقط بل رعاة ومعلمون فيها ام كيف ينمو نمواً الهياً ويقبل الغذاء الروحي من المسيح نفسه رأس الكنيسة الذين هم اعداء له في قلوبهم بسبب اعمالهم الشريرة ونهايتهم الهلاك لا محالة. لذلك فادعاؤهم انه لا يوجد فرق حقيقي بيّن واضح (والاصرار على القول انهم وان كانوا حسب حياتهم الشخصية اعداء لله وللمسيح بالفعل اي خدّام الشيطان الا انهم بفضل وظيفتهم يحسبون اعضاء كنيسة المسيح وخدّامها واهلاً لان يمنحوا هذه الخلافة) هو ادعاء فارغ واهٍ مبتدع لا يسرّ به ذلك الذي لا يخدع بالظواهر وبالامور الباطلة ولا يجعل قوام جسده المجيد

وكنيستهِ الحقيقية مظاهرة ربانية فينظر الى هذه القبور المكلسة كأعضاء جسدهِ المقدس النقي الطاهر فهو لا يحتاج الى اعضاء كذبة فاسدة لاجل تكميلهِ كما ان الضمائر المسيحية لا يقنعها هذا الادعاء الفاسد الباطل لاسيما وقد جاء قول الرسول ووصيتهُ الصريحة لهذا التنبيه الجلي الواضح اهربوا من الذين لهم صورة التقوى ولكنهم ينكرون قوتها

جواب المسكين للاسقف المتكبر فلنا الحق اذًا ان نوبخ هذا المذهب الباطل كما وبخ مرة رجل مسكين اسقفًا متكبرًا اراد ان يستر عجرفتهُ الباطلة المغايرة للروح المسيحي بقولهِ "انني استمرُّ على العجرفة كامير وليس كاسقف" فخاطبهُ ذلك الرجل المسكين بهدوّ وبساطة قائلاً "وعندما يذهب الامير الى جهنم اين يكون نصيب الاسقف"؟ والقصد من هذا انهُ احيانًا كثيرة اذا كان جسد المسيح غير تام في البعض يلجأُون الى التمويه والاستتار باخلاق بالية واعمال مائتة عوضًا عن الاعضاء الحية نظير الذين يفقدون عيونهم او ارجلهم او ايديهم فيستعيضون عنهـا باعضاء زجاجية او خشبية التي وان كانت تستر نقص الجسد الانساني قليلاً لكنها ليست كالاصلية فلا يمكن ان يقاس عليها جسد المسيح او يحكم بصحتها للاسباب المارّ ذكرها . فالمسيح اذًا لا يمكن ان يعتبر اناسًا اشرارًا اعضاء من جسدهِ لانهم يجتهدون بخبث ورياء ان يتحمّوا باسمهِ مدّعين انهم لهُ والسيد ينفي هذا بقولهِ الصريح انهُ هو الكرمة الحقيقية وان تلاميذهُ الاغصان فان لم يثبتوا فيهِ لا يمكنهم ان يأْتوا بثمر بل يطرحون كالغصن المقطوع ويجفّون ولا يعدُّون بعد ذلك اعضاء حقيقية قادرة على اخذ الغذاء او النموّ بعد قطعها وليست على شيء من الفضيلة او الغذاء او النموّ فاين المخففة والافتخار الباطل بالسلطة من الذين تعوزهم الفضيلة والغذاء والنمو التي هي دعائم السلطة

فالاعضاء المائتة بسبب الخطية تقطع من جسد المسيح فتجفّ ولا يكون

لها حياة صادقة حقيقية وما كان الادعاء والكبرياء الا ليزيدا معاصيهم وتورطهم في سبل الخداع فهم بذلك لا يجعلون المسيح خيالاً وظلاً فقط بل يزعمون ويوهمون انهُ رأس جثة مائتة فاسدة بالية لها صورة ظاهرة خارجية ولكنها من الداخل نتانة واقذار أوليس من المستحيل ان يكون المسيح الرأس المقدس المملوء من حياة الفضيلة مرتبطاً بجسد مائت عديم الحياة كما قد سبق وصف هذه الاعضاء الذين ادعوا انهم كنيسة المسيح اما وصف اعضاء كنيسة المسيح الحقيقيين فهو المقدسين بالمسيح اكو ١ :٢ اما تلك الخلافة فليس ان بعض اعضائها غير مقدسين بل كلهم وقد عدّ خلفاء حقيقيون للرسل حتى السحرة وخدمة الشيطان فاستقرّت السلطة المدعاة عليهم ونقلت بواسطتهم بالخلافة والبعض منهم كما يعترف الباباويون والبروتستانت نالوا وظائفهم بوسائط وطرق اردأ جدًّا من الطريقة التي طلب بها سيمون الساحر نيل وظيفته مستعملين السحر والتقليد والقتل والخداع والدراهم وقد اعترف بلاتنا نفسهُ ان كثيرين من اساقفة رومية نالوا وظائفهم بالوسائط المارّ ذكرها

(١١) ان الذين يتمسكون بهذه الخلافة الكنسية التي قد ابتدأ عدد كبير من البروتستانت يرتابون في امرها يتشبثون بقولهم انهُ في اثناء ارتداد عظيم كالارتداد الذي سقطت فيهِ كنيسة رومية يقيم الله بروحهِ افرادًا يريهم بواسطة شهادة الكتاب الاغلاط التي سقط فيهـا المسيحيون فيرشدونهم ويعلمونهم وحينئذٍ ينضمّ الشعب اليهم ويقبلهم وبسبب انضمام الشعب اليهم يحصلون على السلطة والاكثر يصرّحون ان الروح حينئذٍ يكون خاضعًا للسلطة وليس مسببًا لها

اعتراض ثم يقولون ان الكنيسة التي تمّ فيها الاصلاح (نظير الاصلاح الذي حصل في كنيسة البروتستانت) لا يلزمها سوى دعوة اعتيادية منظمة

اما دعوة الروح فهي خارقة العادة ولا حاجة الى انتظارها مصرّين على القول Res aliter se habet in acclesiâ constituendâ quain in ecclesiâ constitutâ

اي انهُ يوجد فرق فيما يلزم عند تنظيم الكنيسة و بعد تنظيمها

فأجيب ان هذا الاعتراض لا يؤثر فيما نحن بصددهِ مطلقًا فنحن نلوم البروتستانت ونثبت لهم بالبرهان من الكتاب انهم يخطئون و بسبب الاغلاط الكثيرة التي يحافظون عليها لا يزالون بحاجة الى الاصلاح كالسابق اما كنيسة رومية فهي بحاجة ماسة اليهِ ويحق لنا ان نصرّح قائلين اننا لهذه الاسباب بحالة يلزمها دعوة فائقة ولدينا من البراهين الصحيحة الثابتة التي ندعم بها معتقدنا نظير ما يزعمون ان لديهم منها

الفرق بين تنظيم كنيسة وكنيسة منظمة اما هذه القاعدة ان الحالة عند تنظيم الكنيسة تختلف عنها بعد تنظيمها فلا انكرها لانهُ يلزم للواحدة احيانًا قوة اعظم من الاخرى والله بنعمتهِ الفائقة يعطي الروح بحسب ما يراهُ مناسبًا. اما ان يقال ان مساعدة الروح الصريحة الحقيقية غير ضرورية لخدمة الدين في كنيسة منظمة كما هي ضرورية وقت التنظيم فذلك قول مبني على اساس واهن لان وعد المسيح الصريح انهُ يبقى مع خاصتهِ الى انتهاء الدهر فكنيستهُ تحتاج الى تدريب الروح لاجل صيانتها وارشادها دائمًا كما تحتاجهُ عند تأليفها ونشأتها والطبيعة نفسها قد علّمت الامم صحة هذه القاعدة ''Non minor est vertus, quam quœrere, meriparta''

"اي لاجل المحافظة على ما قد حصلنا يلزم قوة لا تقلّ عما بذلت في تحصيلهِ"

فالمسيحيون يجب ان يتدربوا دائمًا بفعل الروح الداخلي مباشرة كما تدربوا فيهِ اولاً والسيد قد وعد ان ذاك الروح يرشد ابناءهُ الى جميع الحق ويعلمهم كلّ الاشياء في كل ما يؤول لمجد الله وخلاص انفسهم وهذا قد مرّ بيانهُ

بوضوح سابقًا فلا لزوم للاعادة وخلافهُ حيلة من حيل الشيطان قد زيّن بها للبعض لكي يهملوا ارشاد روح الله الدائم وتدريبهُ وينظروا اليهِ امرًا خارق العادة حصل عليهِ اسلافهم قديمًا اما هم فلا لزوم لان يطلبوهُ الآن او يتوقعوا الحصول عليهِ . وقد كان هذا الفكر ولا يزال سببًا للارتداد في كنائس كثيرة وهو اعظم مسبب للخدمة العديمة الحياة العقيمة المائتة والتي تحمل الشعب الى الموت ايضًا وقد شاع انتشار هذه الحالة حتى بين الشعوب البروتستانية ايضًا فاصبحوا في تبشيرهم وعبادتهم وكل احاديثهم لا يمتازون عن الباباويين بالنظر الى الجهاد الحي الحقيقي او موازرة قوة الروح فانحصر الخلاف بينهم بالافكار والآراء فقط

(١٢) **اعتراض** اما بعض البروتستانت العديمي الحكمة والتدقيق فيعترضون علينا قائلين انهُ ان كانت لنا هذه الدعوة فيجب ان نثبتها بالآيات

فأجيب ان البابويين كثيرًا ما وجهوا هذا الاعتراض نحو البروتستانت الاولين فسأقتصر على اعادة ردهم عليهِ بوجهِ الاختصار . اننا لا نحتاج الى الآيات لاننا لا نبشر بانجيل جديد بل بالانجيل الذي تثبت في كل آيات المسيح ورسلهِ فلا نعلّم تعليمًا الاَّ نحن نقدر ان نؤيدهُ بشهادة الاسفار المقدسة المعترف بصحتها ويوحنا المعمدان وكثيرون غيرهُ من الانبياء لم نسمع انهم عملوا آيات مع انهم أُرسلوا من الله رأسًا وبطريقة خارقة العادة. هذا هو الجواب العام للبروتستانت فاكتفي بذكرهِ الآن ولديَّ كلام اكثر بهذا الصدد اعرض عن ذكرهِ حبًا للاختصار وارجأُ المزيد الى ان تمسَّ الحاجة اليهِ

(١٣) **اساس بناء الكنيسة المستقلة** يوجد نوع آخر من البروتستانت الانكليكان المستقلين الذين يختلفون عن البرسبيتيريين الكلفينيين

بانهم ينكرون لزوم الخلافة او سلطة كنيسة مسكونية الا انهم يعتقدون ان كل من لهم الكتاب ويجتمعون متفقين على مبادئ الحق كما هو مبين فيهِ يمكنهم ان يؤلفوا كنيسة مجرَّدة عن كل سلطة خارجية ويحق لهم ان يختاروا راعيًا يخوّلهُ اجتماعهم واتفاقهم عليهِ السلطة اللازمة ولكنهم يقولون انهم اذا حصلوا في الوقت نفسهِ على موافقة رعاة الكنائس المجاورة لاجل نيل السلطة اذا تيسر لهم فذلك يستحسن حبًّا للترتيب مع كونهِ ليس ضروريًّا وهم يقولون ايضًا انهُ في كنيسة منظمة على هذا المنوال يجوز لكل اخ لهُ المقدرة وفيهِ الاهلية للتعليم والتنشيط والوعظ في الكنيسة ان يمارس كل هذهِ ولكن اذا لم يحصل على وظيفة راعٍ لا يمكنهُ ان يتمم ما يسمونهُ خدمة الاسرار

فأُجيب ان هذهِ لخطوة جديرة بالاعتبار في الخروج من الظلمة البابلية ولا شك انها ناجمة عن معرفة الحق والشعور باحتقار الاجتماعات الشعبية المسيّرة لان التعليم بواسطة الاخوة حسب الموهبة المعطاة لهم انما نشأ اولاً عن دعوة روح الله المنشط وتنبيه قلوب كثيرين ولكن يا للاسف ان هولاء توقفوا عن النموّ فاخذت هذهِ الحاسيات بالانحطاط حتى انهم شرعوا الآن برفض وانكار تنبيهات روح الله والهامهِ

الكتاب لا يعلم بدعوة خاصة باناس دون غيرهم اما ما يدعون بهِ من ان دعوة الكتاب تنحصر بهم فأُجيب ان الكتاب يعلن الحقائق لكنهُ لا يحصر الدعوة باناس دون غيرهم ومع انني أُومن واقرّ واعترف بصحة الآيات التي يستشهدون بها فانا انكر الامور التي يستشهدون بها عنها لان واجباتي الخصوصية هي ان اسعى وراءها بنفسي . فتصريح الكتاب وحدهُ دون السعي برغبة لا يفيد (كالقول مثلاً انا فلان يجب ان اكون خادمًا للانجيل) ولكن الالتجاء بعزم ثابت الى شهادة الروح الداخلي هو ما يفيد كما قد سبق البرهان عليهِ بالتطويل في القضية التي موضوعها الاسفار المقدسة

(١٤) دعوة القس الحقيقية المؤهلة له فيستنتج مما تقدم ان الله يدعو رجاله دعوة غير اعتيادية بروحه ليس في الارتداد فقط بل في الكنائس المتعددة التي تتحد وتجتمع معاً بقوته وليس لكي يعلنوا الايمان الصحيح وينادوا بالمبادئ الحقيقية ويدحضوا الاضاليل والكفر فقط بل لكي ينبهوا الكنائس ويضرموا الحياة الروحية والغيرة المسيحية فيها ايضاً لكي تكون الكنيسة جسداً حقيقياً للمسيح وعروساً بها الاهلية لان تسمى كذلك فدعوة الخادم لازمة لكي يكون مؤسساً كما ان دعوته لازمة لاجل تثبيت الكنيسة في حالة منتعشة نشيطة قوية لانه بعمله يحرك وينبه البعض الى عمل الروح الداخلي فيهم فيدعوهم لكي يكونوا قسوساً ومعلمين ولكي يحافظوا على الرعية ويرشدوها ويعلموها فالذين يدعون هكذا دعوة صريحة واضحة يكون لدعوتهم وقع في قلوب اخوتهم يحققها فيهم فيشعرون بقوة يستمدونها من اولئك الخدام تثبتهم وتنبههم في الايمان المقدس فتعمل فيهم كاختام مؤيدة لدعوتهم الرسولية طبقاً لما قال بولس الرسول ٢كو ١٣: ٣ "اذ انتم تطلبون برهان المسيح المتكلم فيّ الذي ليس ضعيفاً بل قوي فيكم"

وضع الايادي سخرية على الله والناس فهو ظل وليس فيه حياة . وهذا هو اساس الدعوة الحقيقي ولقب القسوسية الذي به يصير الانسان خليفة للفضيلة والحياة والقوة التي كانت في الرسل وليس بالاسم فقط فنحن نعتقد ان الذين يدعون هكذا لا حاجة لهم الى سيامة خارجية او وضع ايدٍ اذ لا لزوم لذلك عندنا حتى من الوجه الذي ينظر مناظرونا اليه منه لانهم يقولون ان الفضيلة او القوة التي بها يمكن حلول الروح القدس عليها فقدت فالمحافظة على ظلّ التقليد بموجب قولهم هذا جهالة حال كون الامر الجوهري لا يمكن نيله لانهم بموجب هذا القانون يمكنهم ان يقولوا للاعمى والاعرج ابصر او قم وامشِ اقتداء بالمسيح والرسل ولو لم يحصل الاعمى او

الاعرج على الشفاء أفلا يعدّ كل هذا سخرية على الله والناس فكيف يقولون اذاً لمن يسام اقبل عطية الروح القدس حال كونهم في الوقت عينه يعتقدون ان ما يقولونهُ مستحيل وان هذه الفريضة ليس لها تأثير ؟ والان اذ قد تكلمت باسهاب عن الدعوة سأتقدم للكلام في صفات الخادم الحقيقي واعماله

(١٥) **سؤال اول ما يؤهل القسيس** انهُ كما ان دعوة خادم الانجيل لا تتمّ الاّ بفعل الروح القدس فالقوة والحياة والفضيلة هي بهِ ايضاً ونعمة الله الطاهرة تأتي منهُ والصفات الرئيسية التي دونها لا يقدر ان يتمم واجباتهِ بطريقة ترضي الله وتفيد البشر هي نتيجة روحية اما مناظرونا فيقولون انهُ يوجد ثلاثة اشياء لجعل القس اهلاً لوظيفتهِ وهي اولاً استعدادهُ الطبيعي كأن لا يكون احمق ثانياً المعرفة المكتسبة كأن يكون عالماً في اللغات والفلسفة واللاهوت ثالثاً نعمة الله

العلم والفلسفة اللاهوتية لا يكفيان لان يؤهلا القسيس اما الاولان فيحسبونهما ضروريين فلا يمكن الانسان دونهما ان يكون قسيساً اما الثالث اي نعمة الله فيقولون انها تساعد على جعلهِ صالحاً لوظيفتهِ ولكنها ليست ضرورية لها فيمكن الانسان ان يكون دونها قسيساً حقيقياً شرعياً يجب ان يعترَف بهِ وان يطاع اما نحن فنقول انهُ وان يكن القس فيهِ الاستعداد الطبيعي وقد اتقن العلوم جيداً فنعمة الله لازمة ضرورية لهُ ودونها لا يمكن ان يصير قسيساً حقيقياً او شرعياً موافقاً اما المعرفة الخارجية فمع انها في ظروف كثيرة تساعد فهي ليست ملازمة للوظيفة وقد لا تخلو من ضرر عظيم وهذا ظاهر من قصة بولس الرسول فهو مع كونهِ عالماً وفصيحاً ومقتدراً في الكلام احتاج الى رجل عاميّ فقير لكي يرشدهُ في طريق الرب وسأتكلم الآن عن لزوم الحصول على نعمة الله ثم بعد ذلك عن العلم الذي يحسبونهُ هكذا ضرورياً

(اولاً) **نعمة الله وحدها تعلم المعلم الشرعي الحقيقي في الكنيسة**

ان ما قد قيل من جهة الدعوة يقال بالاحرى هنا انهُ ان كانت نعمة الله ضرورية لجعل الانسان مسيحيًا بالحق فكم بالاولى يجب ان تكون اشدّ لزومًا لاعداد خادم الدين المسيحي اما كون النعمة ضرورية لكي يكون الانسان مسيحيًا فهو امر لا ريب فيهِ وقد قيل في اف ٢: ٨ "بالنعمة انتم مخلصون" فنعمة الله هي التي تعلمنا ان ننكر الفجور والشهوات العالمية ونعيش بالتعقل والبرّ في ٢: ١١ و ١٢ والسيد المسيح نفسهُ يقول ايضًا "بدوني لا تقدرون ان تفعلوا شيئًا" يو ١٥: ٥ فالله يعمل فينا ويقوينا ويساعدنا بواسطة روحهِ فقط كما قيل لبولس "تكفيك نعمتي" فالمسيحي دون نعمة الله ليس مسيحيًا بل مرائيًا مدعيًا كاذبًا ثم ان كانت النعمة ضرورية للمسيحي الاعتيادي فكم بالاحرى للمرشدين الذين يجب ان يكونوا آباء ومعلمين للغير فهذه المرتبة الموقرة انما تمنح للذين حصلوا على قياس اعظم من اخوتهم والطبيعة نفسها تعلمنا ان المعلم يجب ان يكون متصفًا بالعلم اكثر من الذين يعلمهم والاستاذ افضل من تلامذتهِ متقدمًا عليهم في العلوم التي يعلمها فعليهِ اذًا ان كان لا يمكن ان يكون الانسان مسيحيًا دون نعمة الله الحقيقية وان كانت الديانة المسيحية دونها باطلة فلا يمكن الانسان ايضًا ان يكون معلمًا حقيقيًا شرعيًا في ديانة المسيح دونها

(٢) **يجب ان يكون عضوًا من الجسد حينئذٍ يقبل الحياة والغذاء من الرأس** لا يمكن ان يكون احد خادمًا لكنيسة المسيح التي هي جسدهُ ما لم يكن عضوًا من الجسد نفسهِ يقبل النضهلة والحياة من الرأس

ولكن الذي ليست لهُ النعمة الحقيقية لا يمكن ان يكون من الجسد ولا يقبل الحياة والغذاء من الرأس

لذلك بالاحرى لا يمكن ان يكون قسيسًا عاملاً لاجل بنيان الجسد

فقد اتضح ان الذي ليس من الجسد هو مقطوع ومغلق عليهِ وليس لهُ نصيب في الجسد اما القسس فيعدُّون من اعضاء الجسد الرئيسية ولكن لا احد يقدر ان يكون من الجسد مالم يقبل الحيـاة والفضيلة والغذاء من الرأس لان الاعضاء التي لا تقبل الحياة والغذاء تذبل وتيبس وتنقطع وقد اثبت الرسول هذا بقولهِ ١ اف ٤: ١٦ " الذي منهُ كل الجسد مركبًا معًا ومقترنًا بموازرة كل مفصل حسب عملهِ على قياس كل جزء يحصل نموّ الجسد لبنيانهِ في المحبة" اما الموازرة وحسن الارتباط فهي عمل نعمة الله كما قال الرسول في نفس الاصحاح عدد ٧ " ولكن لكل واحد منا أُعطيت النعمة حسب قياس هبة المسيح" والعدد الحادي عشر يبين انهُ بواسطة هذه النعمة والهبة قد أُعطي البعض ان يكونوا رسلاً والبعض انبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة لاجل عمل الخدمة وبنيان جسد المسيح فلا ريب اذًا انهُ اذا تجرَّد احد من هذه النعمة فهو غير صالح للخدمة لان المسيح يعطي كل شيء بالنعمة فمن ليس لهُ النعمة هو غير مرسل من المسيح ولا يجب ان يسمعهُ او يقبلهُ او يعترف بهِ كخادم للانجيل وهو غير لائق بالرعية لان للمسيح لا يطلب منها ان تسمع صوت الغريب ومن مطالعة ص ١٢ من ١ كورنثوس يتبين جليًا فالرسول يصف المواهب المتنوعة واعضاء الجسد المختلفة مبينًا كيف انهُ بعمل الروح الواحد يصير اظهار اعلانات واقيسة متنوعة في اعضاء الجسد المتنوعة المتعددة لاجل بنيان الجسد كلهِ فيقول في عدد ١٣ " لاننا جميعنـا بروح واحد ايضًا قد اعتمدنا لجسد واحد" ثم في عدد ٢٨ " يعدد بعض الوظائف التي يعينها الله في كنيستهِ بواسطة اعمال الروح المتنوعة لاجل بنيان الكل فاذا كان كل من لم يعتمد بالروح ليس عضوًا من الجسد واذا كان لا يقدر احد ان يعمل لبنيان الجسد الاَّ بحسب قياس النعمة المعطى من الروح فلا ريب اذًا في انهُ لا يجب ان يقبل عمل احد دون الروح لان عملهُ واجتهادهُ

دون النعمة والروح باطلان

(١٦) ثالثًا الخدمة بحسب الموهبة والنعمة المعطاة اما كون هذه النعمة والهبة ضروريتين لخادم الانجيل فيتضح من كلام بطرس الرسول ابط ٤: ١٠ و١١ "ليكن كل واحد بحسب ما اخذ موهبة يخدم بها بعضكم بعضًا كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة ان كان يتكلم احد فكأقوال الله وان كان يخدم احد فكأنه من قوة يمنحها الله لكي يتمجد الله في كل شيء بيسوع المسيح الذي له المجد والسلطان الى ابد الآبدين آمين"

ما هي الخدمة الامينة ? هي نعمة الله الغنية التي تعطي القوة لقبول الخدمة فكل من يخدم اذًا يجب ان يخدم بحسب هذه النعمة المعطاة اما الذين ليس لهم هذه الهبة فكيف يقدرون ان يخدموا ? وقد قال "كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة" فهل يمكن ان يكون الانسان وكيلاً صالحًا على شيء ليس في حوزته ام يقدر اناس عديمي التقوى والنعمة في انفسهم ان يكونوا وكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة وقد وضع الرسول في الاعداد التالية حدًا فاصلاً لهذا بقوله "ان كان احد يتكلم فكأقوال الله وان كان احد يخدم فكأنه من قوة يمنحها الله" فكأنه قال ان الذين لا يمكنهم ان يتكلموا او يخدموا لا يمكنهم ان يمارسوا الخدمة لان كلمة "ان" هنا تدل على شرط لازم واما ماهية هذه القوة فظاهرة من الكلمات السابقة اي الهبة المعطاة والنعمة التي هم وكلاء عليها فدلالة هذه الكلمات نفسها والقرائن المتعلقة بها جلية واضحة ولا يمكن ان يراد بها قوة طبيعية محضة اذ يقال عن الانسان في هذه الحالة انه لا يعلم امور الله وهو اذًا لا يقدر ان يخدم الآخرين بها ثم ان الكلمات التي تلي تبينها باكثر جلاء "لكي يتمجد الله في كل شيء" اما الله فلا يتمجد اذا تداخل الانسان الطبيعي بقوته في الامور الروحية التي لا يعلمها ولا يدركها بل بالحري يهان

رابعاً كيف يقدر الاسقف ان ينال الفضيلة دون نعمة الله اما كون النعمة من الصفات الملازمة لخادم الانجيل فيتضح ايضاً من تعداد الصفات التي يذكر الرسول انها ضرورية للاسقف ١ تي ٣: ٢ و٣ وتي ١ الخ حيث يقول "فيجب ان يكون الاسقف بلا لوم بعل امرأة واحدة صاحياً عاقلاً محتشماً . . . . صالحاً للتعليم حليماً محباً للخير متعقلاً باراً ورعاً كوكيل الله ملازماً للكلمة الصادقة التي بحسب التعليم" وفي موضع آخر يقول "انهُ يجب ان يكون غير مدمن الخمر ولا ضرّاب ولا طامع في الربح القبيح غير معجب بنفسهِ ولا غضوب . أفلا يستحيل على الانسان المجرّد من نعمة الله ان يكون متصفاً بهذه الفضائل المتعددة ومترهاً عن كل الشرور؟

ثم اذا كانت النعمة لازمة ضرورية لكي يتسنى للانسان ان يتحلى بهذه الفضائل فهي ايضاً لازمة وضرورية لهُ لكي يصلح ان يكون خادماً حقيقياً لكنيسة المسيح وهذا جلي واضح من كلام الرسول

كلما يُعمل في الكنيسة دون عمل نعمة الله هو شرٌ باطل وقد كتب في زمن الاصلاح رجل خبير بالامور القديمة بهذا الصدد قائلاً "ان كل ما يعمل في الكنيسة سواء كان للزينة او لبنيان الديانة او في انتخاب الحكام او اساقفة الكنيسة ان لم يتمّ كلهُ حسب ارشاد روح الله الذي هو حياة الكنيسة فهو باطل وقبيح لان كل من لم يدعهُ الله بروحهِ الى وظيفة سامية او الى رتبة رسولية كما دعي هرون ولم يدخل من الباب الذي هو المسيح بل دخل الى الكنيسة عن طريق آخر بحسب اختيار الناس الخ فالحقيقة ان رجلاً كهذا ليس خليفة المسيح ورسلهِ بل سارقاً ولصاً وخليفة يهوذا الاسخريوطي وسيمون الساحر . وعليهِ فعند انتخاب الاساقفة الذي يدعوهُ القديس ديونيسيوس سرّ التسمية يجب ان يحافظ بتدقيق لكي يكون الاساقفة والرسل الذين يناظرون الكنيسة رجالاً متصفين بكل الصفات الفاضلة في حياتهم

متدربين في التعاليم الصحيحة لكي يعطوا برهانًا في كل شيء وقد كتب آخر (١) في نحو ذلك الوقت قائلاً " لذلك لا يقدر الانسان بواسطة التكلم بالالسنة او المعلم ان يعطي حكمًا صحيحًا عن الاسفار المقدسة او حق الله " ثم يقول اخيرًا " ان خروف المسيح لا يطلب سوى صوت المسيح وهو يعرفهُ بواسطة الروح القدس الساكن فيهِ فهو لا يعتبر العلم ولا الالسنة ولا الوسائط الاخرى ما لم يتخللها صوت المسيح الراعي الصالح الحقيقي لانهُ يعلم انهُ يحتاج شهادة روح الله فقط

(١٧) اعتراض ولكنهم يعترضون على ضرورة الحصول على النعمة بقولهم انهُ ان كان من الضرورة ان يحصل كل قسيس على نعمة الله المخلصة الحقيقية فيجب ان يكون القسوس جميعهم حاصلين على الخلاص اذ لا يمكن ان يخسر احد هذه النعمة المخلصة او يسقط منها بعد الحصول عليها

فاجيب ان هذا الاعتراض مبني على افتراضات كاذبة ننكرها نحن تمامًا وقد برهنّا عدم صحتهِ في القضية السابعة التي موضوعها الثبات

ثانيًا قد يعترض علينا اننا لكوننا نعتقد ان لكل انسان قياسًا من هذه النعمة المخلصة الحقيقية لذلك فلا حاجة لها كصفة خصوصية سواء كان للمسيحي البسيط او للقسيس لانهُ ان كان كل انسان يملك هذه النعمة فلا لزوم لان يعاف احد بسبب الاحتياج اليها

فاجيب اننا قد بيّنا سابقًا انهُ يلزم للقسيس دعوة خصوصية من روح الله عدا عن هبة النعمة العمومية للجميع كما قال الرسول " ان هذه الوظيفة لا يأخذها احد بنفسهِ بل من يدعوهُ الله كما دُعي هرون ايضًا وعدا عن هذا اننا نعتبر النعمة للقسيس بصفة خصوصية وليس قياس النور العمومي فقط الذي يعطى لكل انسان ليبكتهُ ويدعوهُ للبرّ اي اننا نفهم بها تلك النعمة

(١) فوانيسكس لمبرتس في كتابهِ عن العزة والتكلم بالالسنة وروح النبوة

التي بعد ان اقنعت النفس لتعمل بها بقوة كما سيأتي بيانهُ عند الكلام فيما يتعلق بعمل القس فلا نعتبر الانسان من حيث ان لهُ النعمة كزرع فقط لكل واحد قياس منهُ بل نعتقد ان القسوس هم الذين اختمروا بالنعمة فتحوَّلوا الى طبيعتها لكي تثمر فيهم الاثمار الصالحة من حديث بلا لوم وعدالة وقداسة وصبر وتعقل الصفات التي جعلها الرسول للاسقف او القسيس المسيحي الحقيقي

ثالثًا انهم يعترضون بمثل الانبياء الكذبة والفريسيين ويهوذا

فاجيب انهُ من جهة الاول اي الانبياء الكذبة فلا يوجد اعتراض اكثر حماقة وسخافة منهُ لانهُ اذا وجد انبياء كذبة ليس لهم نعمة الله فهل من اللازم ان يكون القس المسيحي بالحق مجردًا منها نظيرهم . فلو ان الانبياء الحقيقيين تنقصهم النعمة لكان لاعتراضهم محل ولكن اي شركة للانبياء الكذبة الذين يدعون بما ليس لهم مع القسوس ورعاة الكنيسة الحقيقيين ثم انهُ ان كان الانبياء الكذبة تنقصهم النعمة أفلا يستنتج ان الانبياء الحقيقيين يجب ان يكونوا متزينين بها لكي يكونوا حقيقيين وليس كذبة

الخدمة في الناموس لم تكن روحية بحتة بل رمزية اما مثال الفريسيين والكهنة تحت الناموس فلا يطلق على عهد الانجيل لان الله افرز سبطًا خصوصيًا لخدمتهِ وعشائر معينة اختصت بهم الوظائف بالخلافة والارث ولم تكن اعمالهم وخدمتهم روحية محضة بل اتمام رسوم جسدية خارجية وطقوس هي ظلّ الامور العتيدة الحقيقية فلذلك عملها لا يجعل الامور العتيدة تامة من جهة الضمير لكونها عينت بحسب ناموس وصية جسدية خارجية وليس بحسب قوة صورة روحية لا نهاية لها مع ذلك كما ان الكاهن كان يجب ان تكون صورتهُ بلا عيب بحسب الانسان الخارجي وعند اتمام العمل كان يجب ان يغتسل ويتطهر من الادناس الخارجية هكذا الآن في عصر

الانجيل يجب ان يكون القسوس بحسب المرموز دون عيب داخليًا في نفوسهم وفي ارواحهم اي كما وصف الرسول بلا لوم طاهرين في اعمالهم وخدمتهم انقياء من نجاساتهم الداخلية وغير مدنسين بها بل انقياء مغتسلين ومقدسين لكي يقدموا ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح ١ بط ٢:٥

يهوذا دعي من المسيح رأسًا وكرز بحرية اما مناظرونا فلم يدعوا منهُ رأسًا اما يهوذا فزمان خدمتهِ ايضًا لم يكن في عصر الانجيل تمامًا لانهُ كان قبل ان تمَّ العمل وفي زمن كان فيهِ المسيح ورسلهُ يحافظون على العادات والرسوم اليهودية لذلك فارساليتهُ والارسالية التي قبلها للذين كانوا معهُ في ذلك الوقت كانت لبيت اسرائيل فقط مت ١٠:٥و٦ فلم يعطِ باقي الرسل في تلك الارسالية سلطة ان يذهبوا ويبشروا بعد القيامة بل قال لهم ان يقيموا في اورشليم وينتظروا الى ان يلبسوا قوة من العلا وهذا يظهر ان خدمة يهوذا كانت طقسية اكثر مما كانت حسب الانجيل . ثانيًا ان مسئلة يهوذا يعتبر الكل انها خصوصية منفردة في بابها وغير اعتيادية فهو قد دعي رأسًا من المسيح نفسهِ وأُعطي قوة لاجل التبشير وعمل العجائب . اما مناظرونا فلا يدعون ان ارساليتهم هي من المسيح رأسًا كما سأُبين فيما بعد فهم اوطى درجة من يهوذا الذي صدَّق كلمات المسيح فذهب وبشر بلا ذهب وبلا فضة او زاد معطيًا مجانًا كما اخذ الامر الذي يمتنع مناومونا عن عملهِ اليوم وسوف يأْتي بسط الكلام عنهُ على انني لم اطلع على برهان يجرّد يهوذا من كل قياس من نعمة الله في ذلك الوقت

ولكن يا للاسف حتى البروتستانت ايضًا قد وضعوا جانبًا مثال الاحد عشر رسولاً الصالحين الامناء وباقي الرسل القديسين وخدَّام المسيح واتخذوا مثالاً للخدمة ذاك الذي شهد عنهُ انهُ شيطان فبمزيد الحزن اقول ان كثيرين منهم شديدو الشبه بيهوذا الذي يقدمونهُ مثالاً

ويوجد اعتراض آخر ايضاً كثيراً ما يؤتى به اظهاراً لعدم لزوم النعمة للخدمة وهو انه ان كانت النعمة لازمة فالذين تنقصهم لا يقدرون ان يتمموا الاسرار حقيقة وهذا يسبب تشويشاً عظيماً لان الشعب كثيراً ما يكون في حالة الشك والارتياب في حقيقة ما يتناولونه من هذه الاسرار لانهم لا يقدرون ان يعلموا او يثبتوا صريحاً ان الذين تمموا الخدمة قد نالوا النعمة

ولكن هذا الاعتراض لا يؤثر ولا يتعلق بنا البتة لان جوهر العبادة الروحية التي نجاهر بها حسب روح الحق لا تقوم بهذه الفرائض الخارجية الجسدية التي بسبب استعمالها يقدم هذا الاعتراض المبني على هذه السخافة كما سيتضح جلياً فيما بعد

(١٨) **المعرفة الصحيحة لازمة للخادم الحقيقي** اننا مع كوننا لا نجعل للتعليم البشري اهمية كبرى لازمة نحن بعيدون عن ان نرفض التعليم الحقيقي اي التعليم الصادر عن ارشاد وتدريب الروح الداخلي الذي به تعلم النفس ما هي طرق الله الخفية وتدرك اعمال العقل وخواصه فتتعلم بالاختبار الحي ان تتغلب على الشرّ والتجارب باتباع الله والسير في نورهِ وطلب الحكمة والمعرفة الصريحة بالاعلان يومياً فتودع هذه المسائل المقدسة السماوية كنز القلب الصالح كما حفظت مريم الامينة الاقوال التي سمعتها والامور التي لاحظتها في كنز الروح يذخر الكاتب الصالح اشياء جديدة وعتيقة بحسب ارشاد الروح الواحد معطياً الحرية كما يقتضيهِ مجد الله الذي لاجلهِ تعلم النفس الهيكل الالهي كل الاشياء هذا هو التعليم الجيد الصحيح الذي نعتقد ان معرفته لازمة للخادم الحقيقي لكي يقدر بواسطته ان يعلم ويثقف ويبكت في الوقت المناسب وشهادتنا لله مقرونة بالاختبار الاكيد حسب شهادة داود وسليمان والانبياء المقدسين قديماً ورسل الرب يسوع المسيح المباركين الذين شهدوا بما رأوهُ وسمعوهُ ولمسته ايديهم من جهة كلمة الحياة وكوكلاء امناء على

نعمة الله الفائقة يتممون المواهب ويخدمونها حسب ما تعلموها لانهم لم يعلموا باحاديث الناس على سبيل الرواية عن امور التقطوها نقلاً عن الغير بل علموا بما علمهم اياهُ الاختبار فهم لم يعلموا الناس ان يؤمنوا وهم غير مؤمنين ولا كانوا يدعونهم للتغلب على الخطية وهم مستعبدون لها كما يفعل المعلمون الغرباء عن نعمة الله الذين يرشدون الغير الى الايمان والرجاء والمكافاة الابدية حال كونهم هم انفسهم غرباء عنها

(١٩) العلم هو معرفة اللاتيني واليوناني والعبراني والآن لنتقدم للنظر في العلم الذي يجعلونهُ ضروريًا للخدمة فالاول والأهمّ عندهم معرفة الالسنة وعلى الاقلّ اللاتيني واليوناني والعبراني والسبب لذلك لكي يكونوا قادرين ان يعلموا كتب الدين في اللغات الاصلية فيمكنهم شرحها وتفسيرها اما ما زاد في اعتبار معرفة اللغات عند البروتستانت الاولين فقد كان البربرية والجهل العظيم الذي كان سائدًا في العصور التي تقدمت الاصلاح لما كانت معرفة اللغات قليلة جدًا وتكاد تكون مفقودة (الى ان ارجعها اراسمس وغيرهُ) ومقدار الجهل قد كان عظيمًا جدًا حتى ان كل العبادة والصلوات بين العامة كانت باللغة اللاتينية وكذلك بين الرهبان والشمامسة وبالجهد واحد في الالف منهم كان يفهم "شبيتة" او خدمة القداس التي كانت تقرأ وتمارس يوميًا والاسفار المقدسة لم تكن كتابًا مختومًا عن الشعب فقط بل عن السواد الاعظم من طغمة الاكليروس حتى ان المعرفة الحرفية لم تكن معروفة ايضًا

مدح حرارة المصلحين الاولين على ان الاعتراف بفضل اولئك المصلحين الاولين واجب لانهم بذلوا نشاطًا وجهدًا عظيمًا في تبديد ظلمة الجهل السائد فاستحقوا شكرًا جزيلاً لاجل اجتهادهم الخشوعي العظيم في ترجمة الاسفار المقدسة وانا اعتقد تمام الاعتقـــاد انهم فعلوا ذلك بحسب ما

اوحتهُ اليهم معرفتهُ ولاجل اتمام رغائب الذين يتشوقون الى قراءتها ودرسها وبذلك افادوا ايضاً من جهات اخرى كثيرة كمساعدة التجارة والتفاهم بين الشعوب والعناصر المختلفة بواسطة اللغات المشتركة وغير ذلك

استحسان معرفة اللغات ولزوم المدارس لاشك انهُ امر مستحسن بل ومن الضرورة ان يوجد مدارس عمومية لتعليم وتهذيب الاحداث في ما يملون اليهِ الّا اننا في الوقت نفسهِ نعتقد ان الاصلاح لايقوم بمجرد توسيع المعرفة فقط . مع كل هذا فالجهل البابوي العظيم الذي كان سائداً للغاية والمستحق الكراهة والمقت تنبه بواسطة النهضة البروتستانتية الاصلاحية فجدّ البابويون كثيراً في طلب المعرفة وازدهت كلياتهم وازدحمت (خصوصاً بين الاغناطيين واليسوعيين) لكنهم بقوا بعيدين عن الاصلاح الحقيقي واشد تمسكاً بمبادئهم الباطلة . وهنا يظهر ان المعرفة الخارجية وان تكن نافعة لكنها ليست من الصفات الواجبة ضرورة لخادم الانجيل وهي اقلّ اهمية بدرجات من نعمة الله وروحهِ لان روح الله ونعمتهُ يغنيان عن المعرفة في ابسط الناس الذين لم يتيسر لهم احرازها. اما المعرفة الخارجية فلا تقوم مقام عمل الروح في افضل العلماء وافصح الوعاظ لان كل ما يدركهُ المرء او يعلم بهِ معتمداً على المعرفة فقط او فهم اللغة لايفيدهُ شيئاً اذ تنقصهُ شهادة الروح الصالح فينونة الجوهر لانهُ غير مؤمن بما يعلمهُ

الروح افضل مفسّر للكتاب سواء كان من اللغات الاصلية او غيرها اما الاُميُّ البسيط الذي عند ما يسمع قراءة الكتاب من غيرهِ فيمكنهُ ان يتحقق صحتهُ بواسطة شهادة الروح الداخلية وبمساعدة الروح نفسهِ يمكنهُ ان يفهم ويبيّن ويفسّر عند اللزوم وذلك لانهُ يرى من اختبارهِ الشخصي ان حالتهُ تنطبق على حالة القديسين الاولين. وهكذا يفهم بل يملك تلك الحقائق المعلنة في الكتاب لانها مختومة بذات الروح الشاهد الامين في

قلبهِ ولدينا لاثبات هذا شواهد عديدة عن عدد عظيم من الاميين الذين اقامهم الله قسوساً في كنيستهِ وبعض هولاء اصلحوا بعض اغلاط المترجمين كما جاء في الخطبة الثالثة عن الكتب المقدسة وقد نبهت اليهِ آنفاً

اسكاف امي يدحض برهان استاذ لاهوت من قول الكتاب وانا نفسي اعرف اسكافاً فقيراً لا يزال حياً يجهل القراءة تماماً وقد قاوم مرة استاذاً في اللاهوت . اما احد حكام المدينة اذ اورد لاجل اثبات صحة كلامهِ آية من الكتاب اعادها غلطاً وهو يعظ اناساً اتوا ليسمعوا كلامهُ وذلك الرجل الأُمّي اعتمد في تخطئتهِ على شهادة الروح في قلبهِ ان الله لا يمكن ان يعلم هكذا وليس على معرفة الكتاب الخارجية وعند مراجعة الكتاب وجد ان الامي كان مصيباً

(٣٠) **المنطق والفلسفة ليسا ضروريين للمبشر** اما القسم الثاني من تعليمهم فهو المنطق والفلسفة وهذان ايضاً ليسا ضروريين لخادم الانجيل الحقيقي فالاجدر بالخادم الذي تعلمهما ان ينسى انهما مرجع معرفتهِ فلا يعتمد عليهما لانهما اصل كل الاختلافات والمجادلات وغموض المسائل عوضاً عن ايضاحها وجلائها والادعاء انهُ بهما تترتب قوة الفكر باتباع سنن وقوانين يدَّعون انها ترشد الانسان الى الحق قد نجم عنها خصومات وعراقيل صعبة. فالاولى ان يقال انها يصيّران الانسان مرتاباً او ملحداً وليس مسيحياً فكم بالاحرى خادماً للانجيل وكثيراً ما يعاق الانسان عن معرفة الاشياء الصريحة بسبب افكارهِ الخاصة لان القوانين الكثيرة وتشعباتها المختلفة المتخللة تعطي الانسان الضعيف الحجة فرصة للاكثار من الكلام الغث وقد يتفق ان يكون العديم الحكمة منطقياً بارعاً وقد قيل "اذا شئت ان تجعل انساناً جاهلاً يدّعي الحماقة حكمةً علّمهُ المنطق والفلسفة فهو قد كان ليس على شيء دونهما وما كانا ليزيدانهِ سوى شقشقة اللسان لانهما يملآن رأسهُ بثرثرة الكلام فلا

بسعة الافتكار بغيرها . اما العاقل الرزين فيرى انها على الغالب كلامًا منمقًا فارغًا وصناعة مجادلات غامضة تزيدان العلوم الاخرى ابهامًا وتجعلانها عسرة الفهم

فاذا قيل انهُ بها يحق الحق وتدحض الهرطقات

أُجيب ان الانسان العاقل يدرك الحق دونها اما المورارب فلا يقتنع بها بل يستنبط حيلاً واحتجاجات كثيرة لاجل التمويه على الحقيقة اما الحق الصادر عن محبة الفضيلة والروح الطاهر فيكون لهُ تأثير عظيم يثقف اكثر كثيرًا من التعاليم اللاهوتية

فيلسوف وثني يحاج اساقفة مسيحيين في مجمع نيس اعتنق الدين المسيحي بواسطـة رجل عامي بسيط وقد اعترف بهذا فيلسوف وثني كان يحاج الاساقفة المسيحيين في مجمع نيس وكان شديد الدهاء فلم يقدروا ان يسكتوهُ فقام رجل عاميّ بسيط واقنعهُ بكلمات بسيطة قليلة فاعتنق الدين المسيحي وعند ما سئل كيف اذعن لذلك الرجل المسنّ العديم العلم ولم يذعن للاساقفة العلماء قال انهم جادلوهُ على اساليب وطرق علمية فكان قادرًا ان يردّ كلامهم باجوبتهِ اما ذاك الرجل المسنّ فاظهر لهُ فضيلة لم يقدر ان يقاومها

فهذه الفضيلة الهادئة والقوة الخفية يجب ان تكونا المنطق والفلسفة اللتان يتصف بهما القس المسيحي الحقيقي فلا يحتاج ان يلتجئ الى ارسطوطاليس

فائده قوة المنطق الطبيعي اما قوة المنطق الطبيعية التي بها يتوصل اصحاب العقول الذكية دون تصنع او سفسطة الى صحة المقابلة بين قضيتين فهي اذا استنارت بفعل الروح لايقدر احد ان ينكر قوتها لانها توصل الى النتيجة المطلوبة دون تصنع علم المنطق . اما الفرع الثاني من الفلسفة المسمى بالفلسفة الادبية فهو ليس ضروريًا للمسيحي الذي عندهُ نواميس الكتاب

المقدس وموهبة الروح القدس التي هي افضل مهذّب

الفلسفة الادبية والعقلية اما الفلسفة الادبية والفلسفة العقلية فهما من خصائص علم الطب والرياضيات وليسا بالشيء الجوهري لخادم الانجيل وبولس الرسول الذي كان يعلم جداً ما هو المفيد والمضرّ لخادم الانجيل حثّ الكولوسيين بقوله كو ٢: ٨ "انظروا ان لا يكون احد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل" وقد كتب الى تيموثاوس التلميذ المحبوب قائلاً اتي ٦: ٢٠ "يا تيموثاوس احفظ الوديعة معرضاً عن الكلام الباطل الدنس ومخالفات العلم الكاذب الاسم"

(٢١) ان اللاهوت المدرسي هو فلسفة وثنية موضوعة بقالب مسيحي

اما القسم الثالث والمهم من العلم المطلوب فهو علم اللاهوت المدرسي وهو تركيب مؤلف من بعض تصريحات من الكتاب عن الحق واصطلاحات وتعريفات وثنية اي انهُ فلسفة وثنية موضوعة بقالب مسيحي او بعبارة اخرى معرفة المسيح الخارجية بصورة وثنية فهو كناية عن ان الانسان وهو في حالتهِ الاولى الساقطة يسلي نفسهُ ببعض شهادات الكتاب مزيناً اياها بحكمتهِ العقلية الجسدية لاعتقادهِ ان بساطة الحق هي احقر وادنى من ان تليق بهِ فهو يزدري بتلك البساطة اينما وُجدت لكي يرفع ويعظم نفسهُ مفتخراً بهذا التأليف المستنبط الذي ليس هو حقيقة سوى شيطان واضع برقعاً على معرفة الله لكي يخفيها ويسترها بحكمتهِ التعبانية العالمية لكي يسهل عليهِ ان يخدع القلوب البسيطة ولكي يجعل الحق كما هو فيهِ مهاناً يعسر فهمهُ لوجود الوف من السؤالات الصعبة التي لا لزوم لها ولاحتدام مجادلات وخصومات ليس لها نهاية . فمن تعلم كل هذا مجرد معرفة لا يصير مقدار ذرة اقلّ اتباعاً للشيطان مما كان بل يصير عشرة اضعاف شراً مما كان بسبب تصلفهِ وافتخارهِ فيصبح بعيداً عن قبول الحق وفهمهِ والعمل بهِ اكثر كثيراً مما لو بقي في حال

البساطة لانه يخدع بسبب وهمهِ الباطل انه متحلٍّ بالعلم والحكمة وكل الذين يفاخرون بالحكمة والفطنة كثيرًا ما يهملون زمان افتقادهم فيصرفون ذلك الوقت الثمين في سؤالات عديدة لا تحصى لاطائل تحتها بل اخترعوها وانتحلوها عما يتعلق بذلك اليوم

السؤالات العديمة الفائدة ومجادلاتهم التي لا نهاية لها وقد قال احد العلماء ان هذه المبادئ المختلطة المزدوجة اشبه بسلالة قنطورس (الخرافي نصفه رجل والنصف الآخر فرس) قسم منها متخذ من الاقوال الالهية والقسم الآخر من الآراء الفلسفية على انهم هم انفسهم يقرّون ان الوفا من سؤالاتهم لا اهمية لها في امر الخلاص وعددًا منها سوف يبقى على الدوام سببًا للمجادلات العنيفة . اما عدد المجلدات الضخمة المكتوبة بهذا الموضوع فعظيم جدًا لا يقدر الانسان كل مدة حياته ان ينهي مطالعتها حتى ولو عمّر طويلاً وانكبّ عليها باجتهاد ثم ولو فرض انه تمكن من مطالعتها كلها فما كانت مطالعة هذه الألتزيد انزعاج نفس وارتباك افكار وشكوكًا كان خاليًا منها سابقًا فيصحّ فيهم ما قيل في اي ٣٨ : ٢ "الذي يظلم القضاء بكلام بلا معرفة" فهم قد جعلوا الكتاب محور لنظمهم ثم ملأوا المجلدات الضخمة في المجادلات على تفسير معناها على ان الانسان التقي المستقيم الذي يتقدم بيقين ثابت بانتظار الله في القلب بروحه يتعلم في برهة يسيرة اكثر مما يتعلمه من مطالعة الف مجلد منها لانها تملأ رأسه بتصورات عديمة الفائدة والجدوى فلا تزيد ايمانه بل تزيد قلقه . فكل من زاد في افراغ نفسه لدرسها ازداد عرضة للتهوّر والضلال كما يتضح من مثال اورجنس الذي بسبب تعمقه في العلم كان من اول الذين كتبوا مجلدات ضخمة في تفسير الكتاب وادخل معها كثيرًا من الضلالات التي اتعبت الكنيسة جدًا

سبب وقوع آريوس في الغلط والضلال وآريوس الذي بسبب

تطرفهِ ومباحثهِ الانتقادية التي اعتمد فيهـــا على قواهُ البشرية محتقراً بساطة الانجيل سقط في ضلال عظيم كان اساس كفر مبين اقلق الكنيسة للغاية ولنا في بساطة الكتاب المقدس وسهولتهِ والاختصـــار فيهِ موبخ كافٍ لهذا العالم . فبما ان الرسل كانوا بسطاء وعديمي العلم سهل على البسطاء فهم كتاباتهم اكثر من كتابات جماعة الطلبة الذين لم يخطروا على بال بطرس وبولس ويوحنا

(٣٢) **الارتداد ونتائجهُ الخطرة** وبدعة الشيطان هذه كانت بداءة الارتداد وكل نتائجهِ الخطرة فسلبت بساطة الحق باحياء التعليم الوثني الذي هو اساس الشكوك حتى بين اولئك المدعوين آباء والمباحثات التي دارت بينهم من هذا النوع وبقي قليل منها الى الآن لا يناقضون فيها بعضهم بعضاً فقط لكنهم احياناً يناقضون انفسهم ايضاً وعند ما زاد الارتداد اخفى ابليس الحقيقة تحت ستار هذا البرقع المظلم واغلق باب المعرفة الحقيقية عن الشعب واشغل اولئك الذين يسمونهم علماء بمسائل باطلة عديمة الفائدة فاصبحت المسائل الالهية المهمة نسياً منسياً

الاتجار بالاسفار ومع ان البروتستانت ازالوا معظم هذه الاباطيل ابقوا اصل الشرّ حيّاً يتغذى وينمو فحسبوا هذا العلم ضرورياً لخادم الانجيل وانزلوا تعليم روح الحق الصافي منزلة الازدراء والاهمال كأنها لا تأثير لهـــا ورفعوا الحكمة البشرية . وبهذه الحكمة العالمية مدّوا ايديهم الى الكتاب وبحثوا وتنبأوا فيهِ حال كونهم مجردين عن روح وحياة الذين كتبوهُ الذين بامثالهم فقط يمكن فهمهُ وصحة استعمالهِ ثم اوجبوا على من يريد ان يكون خادماً للانجيل ان يتعلم صناعة الاحتراف والاتجار بالاسفار المقدسة

وبأسف اقول انهم يصدق عليهم ما قالهُ الرسول اي "غاشين كلمة الله" ٢ كو ٢: ١٧ فصار القس كلما اراد ان يأتي بعظة منمقة في آية من الكتاب

معرضاً لان يضيف اليها آراءهُ وتصوراته العقلية وافتراضاته الغير الثابتة وما سرقة عن كتب غيره وذلك لقصد واحد وهو ان يجذب الناس اليه فيملي نحو ساعة من الزمان بماجعة او ألفة من الكلام وهذا ما يسمونه تبشيراً بالكلمة مهاملين هبة روح الله في التعليم والتفسير والتهذيب ووعظ الكلمة في اوانها فترفعت صناعة الانسان ومعرفته وحكمته التي هي من اسفل في هيكل الله وتعالت على الزرع الصغير

وهكذا ضد المسيح يتفوّق على الزرع الصالح في الملكوت وهذا هو المقصود من عمل ضدّ المسيح الذي يعمل في الظلمة وعلى هذا فيكون الشيطان افضل واقدر خادم للانجيل من جميعهم لانهُ امهر في فهم اللغات واعلم في المنطق والفلسفة واللاهوت ويعلم عقلياً ما هو الحق اكثر من جميعهم ولهُ مقدرة وفصاحة في الكلام تفوق معرفة كل المبشرين ولكن ما الفائدة من هذا كلهِ؟ فما هو سوى موت وقبر مكلس وجيفة مائتة دون قوة او روح او حياة الديانة المسيحية التي هي اصل وجوهر الخدمة المسيحية . اما الذي لهُ القوة والروح والحياة فيمكنهُ ان يتكلم بالحق ولو كان راعياً فقيراً او صياداً او غير عالم بكل هذه العلوم والسؤالات والتصورات لانهُ يتكلم بالروح ويؤثر في اقناع الخطاة والاتيان بهم الى الله اكثر من كل العلماء بحسب الجسد كما قد مرّ بيانهُ في مثل الرجل الامي المسنّ في مجمع نيس

(٢٣) قوة الله بواسطة الآلات الضعيفة لارجاع بساطة الحق

فان كان الله قد سبق فعين منذ ايام الرسل ان يعلن قدرتهُ بواسطة الآلات الضعيفة لكي يرفض الحكمة الجسدية الوثنية ويعيد بساطة الحق القديمة في عصرنا الحاضر الذي اقام فيهِ لهُ شهوداً كما اقام اولئك الصيادين في الزمان القديم . وهكذا اظهر كثيرون من الفعلة والعملة الخنفيين الذين بواسطة قوة روح الله ودون العلم قد خرّبوا بابل القديمة وقوّضوا اساساتها وبواسطة

القوة نفسها قد جمعوا حولهم الوفا مؤثرين على قلوبهم وضمائرهم بلذات القوة والحياة مع ان هولاء بالنظر الى المعارف اعلى واقدر الاّ انهم لم يقدروا على مقاومة الفضيلة التي نطقوا بها والتي انا نفسي شاهد حقيقي لها

قوة شهادة البسطاء في الخدمة ويمكنني ان اصرح عن اختبار شخصي ان قلبي انسحق وتلطف كثيراً بسبب شهادة رجال عديمي العلم وهيئة وجوههم وحلاوة كلماتهم ضربت على الشرّ الذي فيَّ ونبهت الصلاح والتقوى فماذا اقول اذاً لمحبي العلم والمعجبين بالمعرفة ? ألم اكن انا نفسي معجباً بهِ وسعيت وراءهُ بحسب ما كانت مقدرتي وسنّي يسمحان لي ولكن الله قد شاء بمحبتهِ الفائقة ان يقاوم مساعيّ الباطلة باكراً وانا ابن ثمانية عشر سنة وجعلني اعتبر باهتمام (ارغب جدّاً ان يشاركني غيري بهِ) انهُ دون قداسة وتجديد لا يقدر ان يرى احد الله وان "مخافة الله هي الحكمة والحيدان عن الشرّ هو الفهم" اي ٢٨:٢٨ وان قليلاً من المعرفة ينفخ ويبعد عن الرزانة والهدوّ واتضاع القلب الداخلي التي بها يرى الرب وتعلن حكمة العقل فاذا نظرتم الى هذه الامور نظراً صحيحاً فلا شك انكم تصرّحون معي ان كل العلم والحكمة والمعرفة المختصة بهذه الطبيعة الساقطة ليست كافية لتقديم الشهــادة لصليب المسيح ولاسيما اذا كانت مجردة عن القوة والفضيلة والحياة التي كنت اشعر ان اولئك الشهود الامناء مملوئين بها (مع انهم أُميون وعديمو العلم) فبما انني انا وكثيرون غيري وجدنا هذا الطعام السماوي الذي يعطي القناعة فنحن دائماً نطلب هذه المعرفة السماوية وننتظرها

(٢٤) **السؤال الثالث عمل القسيس** فاذ قد تكلمت عن دعوة خادم الانجيل وصفاتهِ اتقدم الآن الى الكلام في ماهية عملهِ وكيف وبأي ناموس يجب ان يسير? فمناظرونا يعتمدون في كل شيء على الامور الخارجية ولهم قوانين وطرق مخصوصة منتحلة بحسب حكمة هذا العالم البشرية

الروح القدس روح ترتيب وليس روح تشويش اما نحن فبالعكس لا نزال نبني على ذات الاساس ونعتمد دائمًا على مساعدة الروح القدس وارشادهِ الذي وهبهُ الله لاولادهِ لكي يعلمهم كل شيء ويدربهم في كل شيء ذاك الروح الذي هو روح الترتيب وليس روح التشويش فهو يرشدنا نحن وكل الذين يتبعونهُ على نسق مرتب هادٍ كما يليق بكنيسة الله

الترتيب البابوي وموظفوهُ اما مناظرونا فاذ قد حرموا انفسهم من تدريب الروح وارشادهِ وتوغلوا في عراقيل كثيرة وكابدوا عناءً عظيمًا في السعي لكي يضعوا ترتيبًا خصوصيًا لهذه المسئلة فعيَّن بعضهم رئيسًا للاساقفة او بابا لاجل السلطة ولكي يترأس على الجميع ثم رتبوا الذين دونهُ في الرتبة على نسق معلوم اي الكردينالية ثم البطاركة ثم المطارنة ثم الكهنة فالقسوس فالمبتدئين . وغيرهم قسم علماء اللاهوت الى رتب ايضًا (كما يسمونهم ايضًا) اساتذة ودكاترة الخ وكل ملة لها ترتيب خاص يستقلّ بهِ عن غيرها كالبطريرك الذي يرتب الموظفين الذين تحت سلطتهِ . اما غيرهم ممن هم ضدّ كل افضلية اكليريكية فلم يجعلوا ترتيبهم بالنظر الى الاشخاص بل الى الادارة فمرجعهم الاول هو الادارة ثم المصاف الخ وهم في هذه كلها يخطّئون بعضهم بعضًا ويختصمون فيما بينهم عما يتعلق بالترتيب والامتيازات في الوظائف المختلفة

الحروب الدموية بخصوص سلطة الكنيسة ولم ينحصر الخصام بالكلام لكنهُ احيانًا جرَّ الى الانشقاقات والحروب والمذابح وسفك الدم فلم تكن هذه المواقع اقلّ هولاً مما نشأ من الحروب بين الممالك عند سقوط البعض وقيام غيرهم مكانهم . والتواريخ الحديثة مملوءة من ذكر الحوادث الدموية والمكايد المتعددة البربرية التي حدثت ضمن دائرة هذه المملكة الاكليريكية الروحية وعلى نفقتها كما ان تواريخ العصور القديمة مملوءة من

ذكر الحروب والمذابح التي جرت بين الاشوريين والفرس واليونان والرومان وهذه الحروب والاختلافات الاخيرة التي جرت بين الذين يدعون مسيحيين لم تكن اقل قساوة وسفك دم من القديمة التي كانت بين الوثنيين فيما يتعلق بممالكهم الارضية وسيطرتهم

اسباب الحروب واصلها واذا امعنا النظر في اسباب هذه الانشقاقات بين البابويين والبروتستانت لرأينا انه على الغالب ناجم عن ان كلاً منهم يطلب ان يقيم بحسب التقليد هيئة خارجية في ظلّ الامور الروحية فهي عديمة القوة والفضيلة والجوهر. حتى ان اكثر ترتيباتهم ليس لها ذكر في الكتاب المقدس . ولدحض كل هذه الترتيبات الخارجية والسنن والرسوم والقوانين والسلطات العديدة. نقول اننا انما يجب ان نطلب الجوهر وننتظر لكي تدرك القوة والفضيلة والروح وهذه كلها تنحصر في واحد في كل الاسماء والوظائف التي يستعملها الكتاب كما يظهر من ١ كو ١٢: ٤ "فانواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد" وبعد ان بيّن الرسول في كل الاصحاح بان الروح الواحد نفسه يعمل في كل عضو ويحييه قال في عدد ٢٨ "فوضع الله اناساً في الكنيسة اولاً رسلاً ثانياً انبياء ثالثاً معلمين "الخ وقد قال في الموضوع نفسه اف ٤: ١١ مظهراً ان الله قد رتب البعض في الكنيسة رسلاً والبعض انبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين الخ فالمسيح ورسله لم يقصدوا ان يقيم المسيحيون رسماً او فريضة ما خارجية دون ارشاد الروح القدس كما يعينون طبقات ورتب وقوانين وانظمة عديدة لاجل اتمام خدمة الجسد

عمل وتدريب ضد المسيح ورئيس اجناد الشر ولكنهم فعلوا ذلك لكونهم اجنبيين عن روح المسيح سالكين حسب تدريب ضدّ المسيح رئيس اجناد الشرّ الذي ظهر في ديجور ليل الارتداد ليعمل في ابناء المعصية . اما كنيسة المسيح المجتمعة معاً حسب مشيئة الله ليس طبقاً لمبادئ الحق القويم

فقط بل بقوة وحياة روح المسيح لكي يكون روح الله نفسهُ المدرّب والمتسلط والعامل في الافراد كما انهُ هو وحدهُ يجب ان يكون العامل في الجماعة ايضاً

الذين يفرزهم الروح للخدمة يسمعهم اخوانهم وعند ما يجتمع الجمهور معاً منتظرين الرب بروح العبادة والسجود حينئذٍ يعيّن الروح للخدمة من يشاء بقوّتهِ الالهية وارشادهِ فيطلق افواههم لكي ينبّهوا ويعلّموا ويرشدوا الى الفضيلة والقوّة واناس كهؤلاء معيّنون من الله للخدمة يسمعهم الاخوة بفرح ويقبلونهم ويحترمونهم لاجل عملهم

الاكليروس والعامة وهذا العمل لا ينحصر بطبقة خصوصية من الناس كالاكليروس مثلاً الذين يتعلّمون لهذه الغاية ويتمرّنون لكي يتقنوها (كباقي اصحاب الحرف الجسدية) ويستثنى منهُ غيرهم باحتقار كعامّة الشعب ولكن هذه المواهب يجب ان تبقى حرّة يختار الله اليها بروحهِ من يراهُ موافقاً غنياً كان ام فقيراً سيّداً ام خادماً كبيراً ام حقيراً رجلاً ام امرأة وكل من يقبل هذه الدعوة يبشر بالانجيل ليس فقط بالوعظ بالكلام بل بقوّة الروح القدس "وبيقين شديد ثابت ايضاً" ١تس ١: ٥وخراف المسيح حينئذٍ تقبلهم وتسمع لهم

(٣٥) اما اذا اعترض بعضهم قائلاً انك بهذا لا تجعل اقلّ تمييز بين القسوس وغيرهم مخالفاً قول الرسول ١كو ١٢: ٢٩ "ألعلّ الجميع رسل ألعلّ الجميع انبياء ألعلّ الجميع معلّمون" الخ ويستنتجون من هذا انني أناقض تشبيه الرسول في هذا الاصحاح كنيسة المسيح بجسد الانسان كما يقول في عدد ١٧ "لو كان كل الجسد عيناً فأين السمع لو كان الكلّ سمعاً فأين الشم" الخ قائلين ان الرسول هنا لا يميّز الرسل عن غيرهم من العامّة فقط بل بتفوّق الموظفين على بعضهم لانهُ يدعوهم بالتفصيل رسلاً وانبياء ومبشّرين ورعاة ومعلمين الخ

جواب اوَّل

اما معنى القسم الاخير من الاعتراض الذي سأُجيب عنهُ اوَّلاً فظاهر لان تعداد الاسماء لا يقصد بهِ تمييز وظائف مستقلَّة عن بعضها بل بيان عمل الروح المتعدّد الانواع وكثيرًا ما استعمل بولس الرسول هذه الطريقة في كلامهِ لكي يزيد مجد نعمة الله ايضاحًا بطريقة خصوصية بالتفصيل رو ١٢: ٦ "ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا أَنبوة فبالنسبة الى الايمان ام خدمة ففي الخدمة ام المعلم ففي التعليم ام الواعظ ففي الوعظ" فلا يستنتج من هذا انهُ يقصد وظائف مستقلَّة لا تجتمع او لا يمكن ان تجتمع معًا في شخص واحد كما تجتمع في كل الاشياء الاخرى المذكورة في الاعداد التالية اي "محبّين وادّين بعضهم بعضًا حارّين في الروح مضيفين مجتهدين مباركين فرحين" الخ فهو يعدّدها كلها كأنها مواهب روحية مختلفة وبحسب اعتراضهم هي وظائف ممتازة مستقلَّة ولا يخفى كم بذلك من الحماقة

ثانيًا يتضح من الاماكن ذاتها المارّ بيانها انها ليست مواهب منفصلة مستقلة لان الكل يقرّون ان وظيفة الرعاة والمعلمين (الذين تنصلهم وتميّزهم عن بعضهم مثل الرعاة والانبياء والرسل) هي واحدة وتجتمع وظيفة واحدة في شخص واحد وهكذا يقال ايضًا في البقيَّة

النبوَّة والتنبوُّ لهُ معنيان لانهُ اذا قصد في النبوَّة الاخبار بامور مستقبلة فقد تكون موهبة مستقلَّة حقيقة وقد تجتمع مع غيرها من الوظائف ايضًا حتى ان مناظرينا انفسهم لا يضعونها في الوظائف المتعدّدة ولا ينكرون انها يمكن ان تُعطى من الله للرعاة والمعلمين وبعض العامة ايضًا لانهم يسلمون انهُ يوجد خارج رتبة الاكليروس أُناس متصفون بها

النبوَّة هي هبة المعلمين والقديسين اما النبوَّة بمعناها الآخر اي

التكلم بروح الحق فهي لا تختص بالرعاة والمعلمين الذين يجب ان يتنبأُوا لكنها نعمة مشتركة بين القديسين فالتعليم والتدريب والوعظ صفات تليق اكثر من المدعوّين خصوصاً لعمل الخدمة لكنها لا تختص بهم بحيث لا يكون مباحاً لغيرهم ان يشترك بها عندما يجتمع القديسون معاً ويرشد بعضهم روح الله اليها فالبصر والسمع مثلاً هما حاستان في الانسان لانهُ يمكن ان يقال حقاً انهُ يرى ويسمع لكنهما لا تختصان بهِ لان باقي الحيوانات تشاركهُ فيهما هكذا النبوَّة التي تليق جداً بالقسوس والمعلمين ولكنها ليست خاصة بهم لانها تعمّ غيرهم من القدّيسين المدعوّين اليها كما يتضح من ١كو١٤ حيث يذكر الرسول بطريقة عمومية ترتيب ونظام الكنيسة الاعتيادي ثم يقول عد٣٠ و٣١ "ولكن ان اعلن لآخر جالس فليسكت الأوَّل لانكم تقدرون جميعكم ان تتنبأُوا واحداً واحداً ليتعلم الجميع ويتعزّى الجميع" فيظهر من هذا انهُ لا يستثني احداً وان وُجدت افضلية بحسب اختلاف قياس الهبة المعطاة. والعدد الثاني يبيّن ان ارواح الانبياء خاضعة للانبياء لان الله ليس اله تشويش بل اله سلام. ثم ان العدد ٣٩ يؤكّد ان النبوَّة بهذا المعنى مشتركة بين كل القديسين لانهُ يخاطب الجميع بطريقة عامة "اذاً ايها الاخوة جدّوا للتنبوء" وفي العدد الأوَّل يعظهم قائلاً جدّوا للمواهب الروحية وبالاولى ان تتنبأُوا"

ثالثاً ان الشيء نفسهُ يمكن ان يقال عن وظيفة "انجيلي" فكل من يكرز بالانجيل وكل خادم يعصم بهِ يدعى انجيلياً الأ انهُ لا يقصد بهِ وظيفة خصوصية منفردة اما اذا تشبث احدٌ قائلاً ان الانجيليين هم متى ومرقس ولوقا ويوحنا فقط لانهم كتبوا حياة المسيح وآلامهُ. ولكن حتى بهذا الاعتبار ايضاً لا يمكن ان تعدّ خصوصية منفردة لان يوحنا ومتى كانا في الوقت نفسهِ رسولين ومرقس ولوقا راعيَين ومعلمين فاجتمعت الوظيفتان في واحد فلا يكون

الرسول قد استعمل كلمة انجيلي بمعناها الخصوصي فقط . وقد قال كلڤن ان كل الذين بشّروا بطهارة الانجيل بعد الارتداد يحقّ لهم ان يلقبوا انجيليين اوّل نشأتهم فلا بدّ انهُ كان بينهم رسل ايضًا فكانوا انجيليين ورسلاً في وقت واحد

هل يمكن ان يُسمّى احد رسولاً في الوقت الحاضر ان المعنى اللغوي لكلمة رسول "رجل مرسل" وفي نظر المسيحيين كل خادم حقيقي امين للانجيل مرسل من الله فهو اذًا رسول ومع ان الاثني عشر الذين تسمّوا رسلاً لانهم أُرسلوا خصوصًا من السيد المسيح per eminentiam اي بطريقة ممتازة مع ذلك لايتقيّد الرسل بهذا العدد كما يزعم البعض بجهالة . ويتضح هذا من انهُ بعد ان مُلئَ الفراغ الذي وُجد في هذا العدد سمّي بولس رسولاً وهذا دليل كافٍ للحكم بانهُ لا يوجد وظائف خصوصية مستقلة بل اسماء أُستعملت بحسب الاقتضاء لتظهر احوال نعمة الله المشرقة بابهى لمعان فلو اتفق ان خادمًا للانجيل اقنع امّة بكاملها فاعتنقوا الايمان المسيحي حال كونهِ ليس لهُ وظيفة ممتازة فهل يتردّد البابويّون والبروتستانت عن ان يسمّوهُ رسولاً او انجيليًا . ولهذا السبب عينهِ يسمّي اليسوعيون بعض اعضائهم رسل اليابان او الهند . وكلڤن عندما تكلم عن الاصلاح صرّح قائلاً انهُ وجد في زمانهِ انجيليين ورسلاً وبهذا الاعتبار نفسهِ كان جون نوكس يسمّى غالبًا رسول سكتلند من هذا كلهِ يمكن ان يستنتج ان كل فرد من الرعاة والرسل والمعلمين كان يسمّى رسولاً وراعيًا ومعلمًا معًا كأن الوظيفة واحدة ولا يجب ان يفرق بينهم وساقتصر على ما ذكر في برهان هذه المسئلة لانها واضحة جدًا ولان الذين ينكرون سلطة الاساقفة Diocesan Episcopacy قد كتبوا في هذا الموضوع ما بهِ الكفاية

جواب ثانٍ

(٣٦) اما من جهة القسم الاوَّل اين اعتراضهم عليَّ لكوني لا اجعل فرقًا بين خادم الانجيل وعامة الشعب فاقول اننا اذا اعتبرنا بذلك الحرية في الكلام او النبوَّة بالروح فانني اعتقد ان للجميع حق بهذا على السواء عندما يمنون اليو كما تبيَّن سابقًا. على انني اعتقد واوكد ايضًا ان البعض يدعون لاتمام هذه الخدمة بطريقة خصوصية والرب يؤهل الذين يداومون على العمل ويخصّصون انفسهم للتعليم والمناظرة والتبكيت لكي يرعوا الاخوة ويسهروا عليهم وبما ان المسئولية عليهم من هذه الجهة اكثر مما على غيرهم من جماعة المؤمنين يليق بالرعيَّة ان تخضع لهم وتطيعهم حسبما يصرّح الكتاب عب ١٣: ١٧ وانس ٥: ١٢ و ١٣ واتي ٥: ١٧ وابط ٥: ٥

عمل الشيوخ الاعتناء بالاحداث واليتامى والارامل ثم انهُ عدا عن هولاء المدعوّين للخدمة خصوصًا بالتعليم والكلام والعمل الدائم يوجد الشيوخ الذين ربما ليس لهم هبة الكلام لاجل تقديم الشهادة علانية الاَّ انهم يصرفون حياتهم في خدمة الحق المبارك الذي اختبروهُ في قلوبهم فيسهرون على الاحداث ويرشدونهم ويهتمون بالارامل والفقراء واليتامى مجتهدين لكي لا يعوز احد شيئًا ولكي يسود في البيوت المحبة والسلام والاتحاد والمسالمة والطهارة وهذا يقابل عمل الشمامسة المذكور في سفر الاعمال اما الامر الذي نجاهر دائمًا ضدَّهُ فهو ان يجعل فرقًا بين الاكليروس والعامة لان ذلك مخالف لروح الكتاب المقدس او ان لا يُقبَل احد في الخدمة ما لم يتعلَّم علمًا خصوصيًا في المدارس ويتقن اللاهوت والفلسفة الخ فكان الانسان يتعلَّم الوعظ كصناعة او حرفة فيحرم من هذه النعمة رجال امناء لمجرَّد كونهم لم يدرسوا هذه الصناعة الوثنية ومن تعلَّم وترقّى اكليريكيًا لا يطلب منهُ ان يتخذ عملاً يحصل بهِ معيشتهُ بامانة

بل ان يسعى لكي ينال مركزًا باجرة يعيش منها فيمتاز عن غيره بثوبهِ الاسود وقبعتهِ فوق ما طلب منهُ من اتقان المعرفة وسأزيد الكلام في الموضوع فيما بعد

(٣٧) **الآباء يفرزون ابناءهم منذ الصغر للخدمة حبًا للمجد والربح والاتجار** ان افراز خدمة الانجيل في الكنيسة لا يتم حسب الطريقة التي اتبعها الرسل قديمًا لذلك نتج عنهُ شرور كثيرة لانهُ اولاً عند ما رأى الجمهور ان مقام الاكليروس رفيع وذو ربح عظيم قدَّم آباء كثيرون اولادهم منذ الطفولية ليكونوا من مصافهم وربوهم تربية تعدُّهم لهذه الوظيفة وغيرهم ايضًا عند وصولهم سنَّ البلوغ للغاية نفسها مالوا الى هذه الخدمة فقبلوا لمجرَّد كونهم مائلين اليها . ومن ثم حافظ هؤلاء بتدقيق على ما حكموا في انهُ في عرفهم ضروريٌّ للتقسيس فعاشوا عيشة الكسل والملذَّات زاعمين انهُ من العار عليهم ان يعملوا بايديهم فجلُّ ما يعملونهُ مطالعة كتبهم قليلاً وتأليف عظة مرَّة او مرَّتين في الاسبوع يلزم تلاوتها وقتًا معينًا ينبههُ اليهِ وجه الساعة بدون التفات الى هبة النعمة وارشاد روح الله الذي يدعو ويؤهل لخدمة الانجيل

الدرس في الكتب واهمال هبة الله لذلك دخل الكنيسة رجال مملوءون حسدًا وفسادًا ذوو اميال عالمية جسدانية يملكون هبة فصاحة الكلام لكنهم غرباء عن نعمة الله ويجهلون عملها الداخلي في قلوبهم فادخلوا معهم اعمال الظلمة والفساد والموت التي تولد عنها خرافات واضاليل وعبادة وثنية تسرَّبت تدريجًا الى الكنيسة وخمرتها بخميرة الشرّ وهذا هو سبب الزيغان والارتداد عن الحق الذي حدث في الكنيسة. وعلى هذا امثلة كثيرة اقتصر عن ذكرها حبًا للاختصار فاصبحت هذه الوظيفة والاكرام والاحترام المتعلق بها للاسباب المارّ ذكرها مجرَّد رسم خارجي بوجب الاستماع لكل من سيم اسقفًا

او كاهنًا والثقة بهِ ولو كان خاليًا من روح الرسل وخدام الانجيل الحقيقيين وحياتهم وقوَّتهم وصارت الخدمة بمدَّة قصيرة مجرَّد هيئة ولقب وكل الوظائف المتعلقة بها تجرَّدت من طبيعتها الاصلية ومن الفضيلة والحياة واصبح رسل المسيح وخدَّام الانجيل خيالاً وهميًا وصورة باطلة واستطرق الفساد في بعض العصور الى هذه ايضًا فتشوَّهت ليس بفقد الجوهر فقط بل بتغيير الهيئة الخارجية تمامًا او استبدالها بغيرها . وقد تدنست ايضًا بعد ذلك وفسدت تلك الهيئة حتى امكن ان يقال عن الكنيسة المسيحية المدَّعاة انها اشبه بمركب ثاسيوس (الذي بسبب تعداد قطع الخشب التي سُمرت فيهِ لاجل سد ثغره تغيَّرت هيئته الاصلية) حتى اصبح من الصعب تمييزهُ ان كان هو نفسهُ او مركب آخر . ولكن بما ان الاوَّل كان معمولاً من خشب السنديان والقطع التي طُرحت عليهِ كانت من نوع آخر نخرهُ السوس وقد سُمِّرت بطريقة غيَّرت هيئتهُ وشكلهُ كان يمكن ان يُقال بسهولة انها سفينة اخرى ليس لها من الاوَّل سوى الاسم وهذا لاحقٌ لها بهِ ايضًا . ثانيًا انهُ بسبب افراز الاكليروس عن العامَّة والتمييز بينهما حدث هذا الخلل وهو ان رجالاً صالحين امناء ذوي مقدرة لكونهم من اهل الصناعة او لانهم لم يتعلموا طريقة الوعظ وبموجب هذه القوانين الباطلة ليس لهم حقٌ بأن يعظوا او يشتركوا في الخدمة لانهم لا يصلحون لها بسبب عدم العلم . وبهذا الزعم الكاذب كثيرًا ما جعلهم يهملون مواهبهم التي اتصفوا بها ويهملون الانتباه الى الهامات روح الله في قلوبهم الذي لو سلكوا في طاعتهِ لامكنهم ان يساعدوا لاجل بنيان الكنيسة اكثر جدًّا من المواعظ المنمقة المرتبة علميًا فقط . وهم بهذا يزدرون بوصية الرسول ونصيحتهِ ا تس ٥: ١٩ و ٢٠ "لا تطفئوا الروح لا تحتقروا النبوات" وهذه الاعمال كلها هي ترتيبات أُناس يسمُّون انفسهم مسيحيين ويفتخرون بأن المبشرين الاولين اسلافهم ودعاة ديانتهم كانوا من اهل الصناعة وعديمي العلم . والبروتستانت

ايضاً لا يسمحون بمعاطاة الخدمة الا لمن اتقن علوماً مخصوصة واضعين حدّاً لعطية روح الله خلافاً لما علّم بهِ آباؤهم مع ان تواريخهم تبين الاعمال الخطيرة الكثيرة التي تمها رجال بسطاء عديمي العلم بفعل روح الله في اماكن عديدة فكانوا من كبار المساعدين في عمل الاصلاح

فيظهر من هذا ان كل خادم حقيقيّ للانجيل ان كان في الدعوة او في الصفات المؤهلة لها وان كان في الوعظ والصلاة ودرجات الخدمة الاخرى يجب ان يتقن تماماً ان روح الله يرافقهُ ويساعدهُ بقوة الفضيلة والحياة وسانكلم باكثر اسهاب في هذا الموضوع في القضية التالية التي موضوعها العبادة لان لها علاقة خصوصية بهِ

اما الآن فبعد ان انكلم بالاختصار عما نعتقد بهِ من جهة وعظ المرأة سانقدّم الى الكلام في راتب خادم الانجيل والبحث فيهِ

يحق للنساء ان يشتركنَ في الوعظ والصلوات العلنية ان للذكور والاناث مقام واحد في نظر الرب يسوع المسيح فهو يهب روحهُ لكليهما على السواء فاذا نبَّه الله بروحهِ قلب امرأة فلا يجب ان تمنع من ان تعظ في جماعة الرب ولا يفهم مما قالهُ بولس ١ كو ١٤: ٣٤ انهُ يمنع النساء عن الوعظ لانهُ هناك يوبخ نساء الكورنثيين العديمات الوقار والكثيرات الكلام لانهنَّ ازعجنَ كنيسة المسيح بصوالاتهنَّ العديمة الفائدة ولا بما جاء ايضاً في ١ تي ٢: ١١ و ١٢ "لتتعلم المرأة بسكوت في كل خضوع . . . ولا تتسلط على الرجل" اما الكتاب فيصرّح ان بعض النساء بشرنَ وتنبأنَ في الكنيسة والّا لكان بطرس مخطئاً عند ما اتى على ذكر تلك الآية من يوئيل اع ٢: ١٧ ثم ان بولس ايضاً في رسالتهِ الى الكورنثيين اعطى قوانين للنساء كيف يجب ان يتصرفنَ في مواعظهنَّ وصلواتهنَّ العلنية فاذا اعتبرنا انهُ في كلامهِ السابق يقصد منع النساء عن الوعظ لكان ناقض نفسهُ كما انهُ يذكر ايضاً ان امرأة

ساعدتهُ كثيرًا في عمل الرب اع ٩:٢١ والكتاب يذكر ايضًا ان فيلبُّس كان له اربع بنات يتنبأْنَ

اخيرًا انهُ يمكنا ان نثبت في الوقت الحاضر ان كثيرين نالوا الخلاصَ بواسطة خدمة النساء وبواسطتهم ايضًا كثيرون من اولادهِ نالوا عزاء وهذا الاخبار الصريح كافٍ لان يبطل كل مقاومة ويبكم كل معترض وسأتقدم الآن الى الكلام في رواتب القسوس

(٢٨) **رواتب القسوس** اننا نعترف صريحًا بحسب منطوق القضية ان على الذين يرسل الله اليهم او يقيم بينهم خادمًا للانجيل واجبات واذا مسَّت الحاجة يجب ان يقدموا له احتياجاتهِ وانهُ يسوغ له ان يقبل لوازمهُ الضرورية بحسب الموافق ولا خوف من ان يعترض مناظرونا على على هذا. انما الشيء الذي اريد ان ابينهُ هو اننا نحن نسلم بما تصرّح بهِ شهادات الكتاب فقط غل ٦:٦ واكو ٩:١١-١٤ واتي ٥:١٨ ونرفض ما يأتي اولاً لزوم التعهد بمقدار محدود ثانيًا ان يكون المقدار اكثر من اللازم يقصد بهِ عيشة التأنق فيصبح عبئًا ثقيلاً ثالثًا ما يرافقهُ من طرق الخداع الغير اللائقة وسيأتي الكلام عن كل منها بالتفصيل

اما من جهة البند الاوَّل فمناظرونا يدَّعون انهُ بحسب الناموس لانهم كثيرًا ما يتخذون الناموس وسيلة يسترون بها اكثر اضاليلهم وخرافاتهم المناقضة لبساطة الانجيل وطهارتهِ

اعتراض

يقولون ان الله عيَّن الاعشار للاويين لذلك هي في الوقت الحاضر مختصة بخادم الاقداس في عهد الانجيل

فاجيب **ان الراتب كان معينًا للاويين وليس لخدمة الانجيل**

نعم يفهم من كلامهم هذا انهُ كما كان للكهنة حسب الناموس اجرة معينة كذلك

يحق للقسوس والمبشرين اجرة نظيرهم. فمع عدم انكاري هذا اقول ان المقابلة بين الامرين ليست تامة اولاً لانهُ لا يوجد وصية صريحة اتى السيد المسيح او احد الرسل على ذكرها. ثانيًا لانهُ يوجد فرق ظاهر بين اللاوي في عهد الناموس والمبشر في عهد الانجيل لان اللاويين كانوا مخصَّصين باحد اسباط بني اسرائيل. ولهم حق بقسم من الميراث في الارض كباقي اخوتهم فلما حرموا منهُ عيّن لهم نصيبًا عوضًا عنهُ ثالثًا ان عشر الاعشار كان معينًا نصيبًا للكاهن الذي يخدم المذبح وما بقي منهُ يعطى منهُ نصيبًا للاويين ويحفظ الباقي لاجل الانفاق على الغرباء والارامل. اما المبشّرون فمع انهم يرثون نصيبهم من والديهم وغيرهم يدعون ايضًا بكامل الاعشار غير تاركين للارامل والغرباء شيئًا وسأضرب صفحًا عن الكلام في الاعشار لان كثيرين غيري قد اسهبوا الشرح في الموضوع بطريقة علمية بالتفصيل. وجانب كبير من البروتستانت يعترف بكونها ليست فريضة واجبة لذلك فالمقابلة بين الامرين غير تامّة ولكنها مأخوذة من وجهة عامة اي المساعدة بمعاش يلزم دفعهُ ويُعدّ الامتناع عن ادائهِ اخلالاً بالواجب ولكن في الوقت نفسهِ لا يجب ان يحدّد مقدارهُ او يُحسَب الزاميًا والبرهان على ذلك ان المسيح لما ارسل تلاميذهُ قال لهم "مجانًا اخذتم مجانًا اعطوا مت ١٠: ٨ وفي الوقت نفسهِ سمح لهم ان يقبلوا ما يقدَّم لهم من طعام وشراب لسدّ احتياجاتهم وذلك دليل واضح انهُ يجب ان لا يطلبوا شيئًا او يحصّلوهُ بالقوّة او بالعنف او ان يتفقوا على مبلغ سلفًا كما يفعل خدمة الانجيل بين البروتستانت والباباويين في هذه الايام. وقد يمتنع الواعظ عن الوعظ الى ان يعلم مقدار المبلغ السنوي الذي يعيَّن لهُ اما الطريقة المثلى فهي ان يتمم الواعظ الواجبات الروحية مجانًا دون انتظار مكافأة او طلب اجرة بل كما يأمرهُ الرب

البند الثاني

يجب ان يبشر بالانجيل مجانًا بلا راتب سنوي محدود

ولا يجوز ان اهمل الجواب الذي قدّمهُ نيقلاوس ارنلدوس اكرست عنهُ وعن اخوتهِ بل يجب ان يدوَّن تذكارًا لهُ فهو تكلَّم بكل صراحة عنهُ وعن اخوتهِ قائلاً اننا لم نأخذ مجانًا ولهذا لا يجب ان نعطي مجانًا . نعم ان هذا الجواب من الوجهة التي نظر اليهـا جيد وقد قيل بحكمة لانهُ ان كان الذين اخذوا مجانًا يجب ان يعطوا مجانًا فبموجب قاعدة التعاكس الذين لم يأخذوا مجانًا يجب ان لا يعطوا مجانًا . نعم وانا مستعدّ ان اسلّم معهم بذلك اذا كانوا هم مستعدّين ان يسلّموا معي انهم بحسب هذا لا يبشرون حسب الموهبة والنعمة التي قبلوها من الله ولا يمكن ان يكونوا وكلاء امناء على نعمة الله كما يجب ان يكون كل خادم حنيفي للانجيل . والأَّ فهم قد حصّلوا هذه الموهبة او النعمة بدراهم كما قال سمعان ماغس وليسوا ملزومين ان يعطوها مجانًا . وهنا لزيادة الايضاح انكلّم بحرية واقول انني اعتقد انهم لم يقصدوا بالهبة نعمة الله التي يجب ان يبشر بها لكنهم قصدوا المعرفة المكتسبة والحرفة والدروس التي كلَّفتهم في المدارس مشقَّة عظيمة ومبلغًا من المال لا يستهان بهِ فمثلهم في هذا مثل من يشتري سهمًا من البنك العمومي فينتظر ان يسترجع مالهُ مع فائدتهِ فبصرفهم مبلغًا من المال لاجل اكتساب صناعة علم التبشير حق لهم ان يقولوا بجسارة انهم لم يحصّلوا المعرفة مجانًا لانها كلَّفتهم المال ومشقَّة الدرس فمقابلة لذلك هم ينتظرون المال والراحة اي كما ان ارنلدس يأخذ من تلامذتهِ دراهم عندما يعلمهم اللاهوت وصناعة التبشير هو ينتظر انهم بدورهم ايضًا يحصلون على المكافأة عندما يعطونها لغيرهم حتى انهُ اصبح مثلاً سائرًا Omnia venalia Romce اي "كل ما في رومية معروض للبيع" وهذا المثل

يصح في فرنكلين الان وعندما يتوجه تلاميذ ارنلدس لاجل التبشير يمكنهم ان يخبروا سامعيهم بشعار معلمهم القائل Nosgratis uonaccepimus, ergo neque gratis dore tenemur ولكن يحق لسامعيهم ان يجاوبوهم بدورهم انهم هم ومعلمهم ليسوا اهلاً بأن يدَّعوا خدمة السيّد الحقيقية لانهُ لما ارسل تلاميذهُ اوصاهم قائلاً "مجاناً اخذتم مجاناً اعطوا" لذلك نحن نرفض تعليمكم لاننا نحسبكم من عداد الذين "التفتوا جميعاً الى طرقهم كل واحد الى الربح عن اقصى" اش ٥٦: ١١

(٢٩) **لا يمكن تجديد العطايا الاختيارية.** ثانياً ان شهادات الكتب التي تدعونا للعمل مجاناً هي نفسها من طبعها تدعونا ايضاً للشفقة على الفقراء والاحسان اليهم بسخاء موصية باضافة الغرباء الخ ولكنها كلها غير محدودة ولا تقع تحت حصر ضمن كميّات معلومة لانها كميات اختياريّة تتوقف اطاعة الوصية فيها على حسن طويّة المعطي وليس على نوع العطيّة او كميتها كما برهن المسيح عندما امتدح فلسَي الارملة. فمما تقدَّم ذكرهُ نرى ان على الرعية واجباً نحو خدمة الانجيل بأن يقدموا لهم تقدمات خارجية انما لا يمكن ان يحدَّد هذه التقدمات سوى المعطي برضاهُ ولربما يفضّل القليل اضعافاً على الكثير وهكذا كما انهُ لا يمكن ان يوضع حدٌّ لاعمال الرحمة والسخاء لا يمكن ان يوضع حدٌّ لمكافأتها ايضاً

ولربما يعترض البعض بقولهِ انهُ كما يحق للقسوس ان يحثّوا الشعب ويشوّقوهم لكي يكونوا مجتهدين في اعمال الرحمة واضافة الغرباء هكذا يمكنهم ان يحثوهم على دفع الراتب

فاجيب انهُ لا يُفهم من هذا كلهِ انهُ يجب ان يُفرض راتب محدود اجبارياً ولا يوجد في الكتاب برهان او شبه برهان يؤيدهُ على انني اعترف ان لخدام الانجيل الحق بأن ينشطوا اعمالاً كهذهِ كما فعل بولس عند ما بيَّن للكورنثيين

الواجب المطلوب منهم .ثم انهُ يليق بالقسوس الشديدي الغيرة بأن يكون لشهادتهم تأثير عظيم وان يكونوا احرارًا فيسلموا من تهمة الطمع وحب الربح الشخصي

عمل بولس لكي تكون خدمة الانجيل بدون اجرة وحينئذٍ يمكنهم ان يغدوا مع بولس حقيقة عندما قال ١كو ٩: ١٥–١٨ "اما انا فلم استعمل شيئًا من هذا ولا كتبت هذا لكي يصير فيَّ هكذا لانهُ خير لي ان اموت من ان يعطل احد فخري لانهُ ان كنت ابشر فليس لي فخر اذ الضرورة موضوعة عليَّ فويلٌ لي ان كنت لا ابشر فانهُ ان كنت افعل هذا طوعًا فلي اجر ولكن ان كان كرهًا فقد استؤمنت على وكالة فما هو اجري اذ وانا ابشر اجعل انجيل المسيح بلا نفقة حتى لم استعمل سلطاني في الانجيل"

البند الثالث

ثالثًا بما انهُ لا يوجد نصّ على هذا الراتب المعيَّن الاجباري ولا ما يشير اليهِ في الكتاب فعندما ودع بولس الرسول شيوخ كنيسة افسس ورعاتها حذَّرهم قائلاً اع ٢٠: ٣٣–٣٥ فضة او ذهب او لباس احد لم اشتهِ. انتم تعلمون ان حاجاتي وحاجات الذين معي خدمتها هاتان اليدان. في كل شيء أريتكم انهُ هكذا ينبغي انكم تتعبون وتعضدون الضعفاء متذكرين كلمات الرب يسوع انهُ قال مغبوط هو العطاء اكثر من الاخذ

فلو كان الامر جائزًا او جرت العادة عليهِ لكان نبههم ان يكتفوا براتبهم المعيَّن غير طامحين الى اكثر منهُ. الا انهُ يحثهم (جاعلاً نفسهُ شاهدًا) اولاً ان لا يطمعوا بفضة احد او ذهبهِ ثانيًا هو ينشطهم ان يعملوا بايديهم لاجل تحصيل معيشتهم بامانة كما فعل هو ايضًا. واخيرًا يطلب منهم عمل ذلك امتثالاً لكلمات يسوع المسيح قائلاً انهُ مغبوط العطاء اكثر من الاخذ

مُظهراً لهم انهُ ليس من شأن خادم الانجيل ان يوجّه اهتمامهُ نحو الأخذ بل بالاحرى يجب ان يتجنبهُ حاسباً نفسهُ عبئاً ثقيلاً اذا اضطرتهُ الضرورة اليهِ

(٢٠) رابعاً ان التسليم براتب اجباري محدود يجعل خدام المسيح كالفعلة المستأجرين الذين كتب الانبياء ضدّهم لانهُ حقّاً اذا عقد القس مقاولة مع الشعب على اجرة معيّنة يتقاضاها سنوياً فاذا توقفوا عن اداء تلك الاجرة توقف هو عن الوعظ او طلب اجبارهم على ذلك بالقوّة والعنف فقس كهذا انما يعظ لاجل الاجرة وينظر الى الربح من اقصى وزد على ذلك انهُ احياناً يدبّر مكائد ضد من لا يملأ فمهُ وهذه هي صفات النبي الكذّاب العامل بالاجرة اما خادم المسيح الحقيقي فيترفّع عنها تماماً

البند الرابع

الخدمة باجرة معينة لا تتفق مع انجيل المسيح

اولاً ان القسوس المسيحيين يجب ان يرفضوا الاجرة الزائدة وهذا لاحاجة لذكر البراهين المثبتة لهُ لان المتعقلين من بابويين وبروتستانت يعترفون بهِ وكلهم يعدون معترضين بشدّة ضدّ مطاخيل الاكليروس الفاحشة. وما اوضح ما قالهُ الرسول في اتي ٦: ٧-١٠ اذ حينما يبين ما يجب ان نكتفي بهِ ويحظر من الوقوع في خطر محبة المال . والخلاصة ان من يمعن النظر يرى ان المقصود بالراتب سد الحاجة اما القادر على العمل فالكتاب يشجعهُ ان لا يقبل اجرة فهل من سبيل بعد هذا للاجور الثقيلة التي تزيد عن الكفاف. اما خدام الانجيل المتضعون بالاستقامة والتقوى فهم اميل لان يكتفوا باقل من الكفاف من ان يتطلبوا الاجور الباهظة الثقيلة

(٢١) زيادة رواتب الكهنة والاساقفة ان البابويين

والبروتستانت انفسهم يتضجرون من مداخيل بعض الكهنة والاساقفة التي تزيد زيادة غير لائقة عما يجب ان تكون ومن تصريحاتهم يمكن القول بلا مبالغة انهُ يدفع للواحد منهم سنوياً احياناً اكثر مما صرفهُ المسيح ورسلهُ كل حياتهم. لان المسيح ورسلهُ لم يسعوا وراء التنعم والملذات الخارجية مع انهم كانوا اكثر استحقاقاً من هولاء الكهنة والاساقفة الذين يتنعمون بالثروة العظيمة الواسعة وقد اعتادوا رخاء العيش والتلذذ بالعظمة والاكرام الخارجي المحيط بهم وشغفوا بهِ لدرجة لا يريدون معها ان يتبعوا نصائح المسيح ورسلهِ او يتخذوهم مثالاً لهم من هذا القبيل

ولربما يعترضون بقولهم ان المسيحيين قد صاروا قساة القلوب وقلما يهتمون بالامور الروحية فاذا لم يعيَّن للقسوس مرتبات قانونية محدودة مضمونة بواسطة الحكومة يعوزهم وعيالهم الخبز اليومي بل قد يموتون جوعاً

فاجيب لقد يصحّ هذا الاعتراض فيما اذا كانت الخدمة جسدية ورجالها ذوي اخلاق عالمية تنقصهم الحياة والقوَّة والفضيلة ومن ثم ينتحلون اسباباً نظير هذه يظهرون بها ان الراتب ضروري لخدمتهم ولكن الله لا يرسل احداً ويتركهُ يهتم بنفقة ارساليتهِ فالمرسلون الحقيقيون الذين يدعوهم يلقون اتكالهم عليهِ عالمين انهُ تعالى لا يطلب من احد شيئاً الا ويهب لهُ القوَّة على اتمامهِ وعندما يسألون في نهاية كل امر يجيبون انهُ لم يعوزهم شيءٌ . وأُناس كهولاء اذا قطنوا في مكان ما واتكلوا على ارشاد روحهِ القدوس ولم يكونوا باحتياج لكي ينقلوا عن الكتب او يسرقوا منها ما يبشرون بهِ فلكونهم لا يضيعون وقتهم او يصرفونهُ على هذه الكيفية يمكنهم ان يحترفوا حرفة عاملين بايديهم بأمانة كما عمل بولس عند ما أسَّس كنيسة كورنثوس . ولو كان على هذا اعتراض جوهريٌّ لما تمكَّن الرسل والآباء الاولون من الذهاب الى الاماكن البعيدة وتلمذة الشعوب خوف الحاجة . أوَ لم يعلِّم السيد المسيح تلاميذهُ ان يطلبوا عبادة

الله تاركين الاهتمامات العالمية جانباً ؟

اما من يخاف ان يكرّس نفسهُ لخدمة السيّد لئلاَّ تعوزهُ الدراهم فيتوقّف عن الكرازة الى ان يعيّن له راتب مضمون فلا يستحق ان يُحسب خادماً للانجيل لان ما هي فائدة الكرازة أليست تبكيت القلوب الفاسدة وتكميل القدّيسين ؟

ولربما يقول قائل انني وعظتهم وعملت فيما بينهم ولكنهم لايزالون قساة القلوب ولا يدفعون شيئاً

فاجيب من يقول هكذا هذا اما لانك غير مرسل من الله فلم يكن تعليمك بينهم مصحوباً بقوة المسيح وحياة الفضيلة فانت والحالة هذه لا تستحقّ شيئاً او لانهم رفضوا شهادتك لكونهم لا يستحقونها . وأُناس كهولاء لايجب ان تنتظر منهم او تقبل منهم شيئاً ولو سلموا بدفعهِ بل عليك ان تنفض الغبار الذي لصق برجليك وتتركهم . وسخافة هذا الاعتراض ظاهرة من انهُ في ايام الظلمة والخرافات زادت رواتب الكهنة زيادة عظيمة وحصلوا على غنى جزيل مع انهم كانوا اقلّ استحقاقاً

فالحقيقة الثابتة اذاً هي ان خادم السيد المسيح يأمن الحاجة او خوف الحاجة فما زال متمّاً الواجب ليطمئنّ باله على انهُ لا يليق بهِ ان يتمم عملهُ طلباً لمكافأة ماديّة

اما كل الذين يتمسكون بهذا الاعتراض فمجرّد تمسكهم يشهد عليهم انهم ليسوا خدمة حقيقيين للمسيح بل الهتهم بطونهم ولذا تراهم في اهتمام دائم كيف يملأونها

الاضرار الكثيرة الناجمة عن رواتب الكهنة

(٣٢) اخيراً ان الاضرار الناجمة عن تعيين الرواتب هي عديدة متنوّعة فاذا اراد احد ان يعدّدها ولو على سبيل الاختصار تملأ مجلداً ضخماً

والامر الحري بالاعتبار هو انها كلها تسربت الى الكنيسة في زمان الارتداد . اما في الازمنة الاولى فلم يكن لها من اثر ولم يتطلب خدام الانجيل اعشارًا ولا رواتب مفروضة مضمونة لان الكنيسة كانت تقدّم كل احتياجاتهم وبعضهم عملوا بايديهم. لكن عندما هدأت الاضطهادات وانضم الى الكنيسة عدد من المسيحيين بالاسم كالملوك والعظماء وساد على الكنيسة روح الفتور وافسد الطمع قناعة خدام الدين واستبدلوا اكواخهم الحقيرة بالقصور الفخمة ولم يهنأ لبعضهم عيشًا حتى ارتفعوا الى سدّة الامارة ولم يسلكوا سلوك البساطة والتحفظ بل انهمكوا بالبذخ وتنعم المعيشة خلافًا لما كان عليه الرسولان بطرس ويوحنا صيادا السمك او بولس صانع الخيام الذين لم يخطر لهم قط ببال ان أناسًا يدّعون الخلافة عنهم يستعبدون لهذه الامور بشدّة. ولكن لما تربع الاساقفة في هذه الكراسي بمجرّد الادعاء دنسوا الحياة المسيحية وعملها الروحي وباعوا انفسهم الى الاسراف وحدّثتهم انفسهم بسموّ المقامات وزيادة الرواتب وصار كل منهم يهتمّ بنفسه ويرغب في ان يكون الحظ الاوفر له

مع ان البروتستانت تركوا البابا لم يتركوا حق السيطرة على المداخيل البابوية ومما يوجب الاسف العظيم ان هذه العوائد المضرّة استطرقت الى البروتستانت فلم يمض على نشأتهم زمن طويل حتى اخذ خدمة الدين منهم يضربون على ذات الوتر قائلين اننا وان تركنا اسقف رومية لا يجب ان نترك الرواتب القديمة وعندما كان يرفض احد الولاة او الامراء سلطة البابا ويهدمون الاديرة وابنية الراهبات واماكن غيرها كانت ترتفع حالاً في آذان الحكام اصوات خدمة الدين في كنيسة الاصلاح قائلة احذروا من ان تمسّوا متروكات الكنائس او تتدخلوا فيما يختصّ بها ناهين بشدّة عن استعمال تلك الثروة العظيمة (التي منحت للكنيسة بطرق خرافية) لاجل المنافع العمومية بداعي كون ذلك محرّمًا. وابقاء هذه الثروة

لتنفق في سبيل رواتب خدمة الدين او الاكليروس كما كانوا يسمونهم. كان شركاً عظيماً للوقوع في الطمع الذي هو عبادة الاوثان وكثيراً ما جرَّ الطمع البعض لكي يقدّموا انفسهم للخدمة حبّاً للربح القبيح فقط لكي يتوصلوا الى موارد الثروة. والرجل ذو العائلة الكبيرة اذا ساعدهُ الحظ وتوصل بعض اولادهِ الى وظيفة القسوسية عدَّ نفسهُ سعيداً وصاحب ارث منفرد فاصبحت الابرشيات الغنية مطمح الابصار وبذل في سبيل التوصّل اليها كل انواع التمليق والنصب والرشوة واعمال اخرى لا يليق ذكرها وشهرتها وتكرار وقوعها يغنيان عن ايراد البراهين لاجل اثباتها

طمع خدمة المذابح وما اعظم العار الذي لحق بالمسيحيين بسبب هذه الامور فقد ضربت الامثال بطمع خدمة المذابح وشراهتهم الذين اهملوا عطية الله ونعمتهُ ولم يبقَ من رابط يربطهم بالكنيسة سوى الراتب السمين لانهم وان كانوا يدّعون كذباً عند دخولهم الكنيسة او قبولهم مركزاً ان قصدهم الوحيد مجد الله وخلاص النفوس. بيد انهم اذا قدم لهم مركز آخر براتب اكبر يجدون حالاً ان مجد الله يقضي بانتقالهم وهكذا يسهل نقلهم من مكان الى آخر بهذه الطريقة. ومع هذا كلهِ هم يتهموننا اننا نسمح لمبشرينا بالانتقال من مكان الى آخر غير متقيدين بوضع مخصوص. على اننا نحن نفعل هذا حسب الهام الله تعالى وليس حبّاً للربح لان خادم الانجيل اذا دُعي لعمل ما في مكان معين فلا يجب ان يتركهُ ما لم يدعهُ الله منهُ لاننا ننظر الى مشيئة الله المعلنة لنا داخلياً لاجل تدريبنا للذهاب من مكان الى آخر وليس الى المال او زيادة الربح القبيح

ثانياً بذخ الاكليروس انهُ بسبب الرواتب اصبحت جماعة الاكليروس عائشة في الكسل والملذات شأن معظم رجال الدين بين البروتستانت والبابويين وهذا اكبر عار على المسيحيين وكثيراً ما تكون هذه

الرواتب كبيرة تزيد زيادة عظيمة عن احتياجاتهم فتجعلهم عرضة للبذخ والكسل والتخفخة وهذه الصفات تتجلى باعظم مظاهرها في نسائهم كما هو معروف ومشهور لدى الجميع

ثالثًا قد تتمكن منهم محبة المال لدرجة تجعلهم ينغمسون في الشرور والقساوة والمعاصي ويا للمصيبة اذا تأخر أحد في دفع ما يترتب لهم عليه لانك تراهم عندئذٍ يسخطون ويرغون ويزبدون وقد يشتدّ بهم الحنق احيانًا الى ان يصلوا الى درجة اشبه بالجنون فيفقدون رشدهم ويصبحون ابعد عن الصفح والرضاء من اقسى المرائين ويشهد لذلك صراخ الفقراء والمساكين.

وحدّث ولا حرَج عن تدقيقهم في استيفاء اعشار الاغنام والأرز والبيض وما اشبه وعند اقتسامها فكأنها من قطعانهم يحاسبون على الفلس الاخير ولا يسلم فقير او ارملة من اياديهم الاثيمة البخيلة ولا ينتهون عن الكلام الكذب والتلفظ بالاقسام الكاذبة بل يغضّون الطرف عن افظع الشرور. اما اذا امتنع احد من دفع فلس مستحقّ لهم فيرشقونه بسهام حادّة يرعدون ويبرقون ويسخطون متفوّهين بالكلام البذيء ويجعلون مقرّهُ جهنم اكثر مضاعفًا مما لو جدّف على الروح القدس. اما نحن وقد اظهر الله لنا فساد خدمتهم ومضادّتها لتعليم المسيح فنشهد ضد اعمالهم التي قد دعانا الله للخروج منها لنكرّس انفسنا الى حياة البرّ ونكون شعبًا مستقلًا لاننا لا نقدر ان نتحد مع عملة مستأجرين او نسمع لهم او نطعمهم ونملأ افواههم وهم يخالفون تعليم المسيح. فاثار هذا الامر حقدهم وحسدهم وغضبهم ضدّنا ومع اننا لا نقبل بضاعتهم هذه ولا نعتقد بها فهم مع ذلك يضطروننا ان نقدّم لهم دراهم. اما ضمائرنا فلا تسمح لنا بذلك فقاسينا عذابات واضطهادات تفوق الحصر ولو اردنا وصف قساوتهم واعمالهم المغايرة الانسانية ضدّنا لملأنا تاريخًا كبيرًا ولكننا نكتفي بالقول ان هولاء الطاعين الشرهين قد تمادوا في الغضب

والانتقام لدرجة قصوى حتى انهم جرّوا عدداً من الفعلة المساكين مئات الامهال وابعدوهم عن بيوتهم وزجّوهم في السجون البعض سنة والبعض سنتين والبعض ثلاث او سبع سنين لاجل مبلغ ليرة واحدة او اقلّ

فلس الارملة لم يسلم من جشع الكهنة وانا اعرف بنفسي حادثة ارملة فقيرة طُرحت في السجن اربع سنين لانها لم تدفع عشر رزقها البالغ قيمة خمسة شلينات وبغيهم هذا نهبوا من اموال الناس مئات الاضعاف فظلموا الابرياء بل سفكوا دماء برية واماتوا كثيرين في سراديب السجون المظلمة . وقد اشتدّ حنق الكهنة احياناً لدرجة لم تقف عند اغتصاب الاموال وابتزازها بل كانوا ينتقمون لانفسهم بايديهم فيضربون ويلطمون ويجرّحون رجالاً ونساء لاذنب لهم سوى رفضهم من اجل الضمير عن ان يملأوا افواههم

لذلك فالاصلاح الحقيقي والتوصل الى ازالة كل هذه القباحات ومحو اسبابها انما يقوم بابطال كل هذه الرواتب والاجور الاجبارية المفروضة .

التخلص من سوء التصرف يقوم بالغاء الاجور الاجبارية ووضع الجميع في الخزينة العامة لتصرف لاجل تسديد الرسوم والفرائض اما في العهد القديم فقد كانت هذه الرسوم تطرح في الخزانة العمومية وتستعمل للخير العام كتسديد الضرائب والرسوم المفروضة

فاذا شاء أناس ان يعيّنوا معلمين فليدفعوا لهم اجورهم اما الذين يدعوهم الروح ويلهمهم للخدمة فيقوم بتسديد حاجاتهم الذين يتقلونهم ويستفيدون من تعليمهم وخدمتهم ولا يلزم لهذا سنّ قوانين وفرائض لاجل اجبارهم لان الله الذي ارسلهم يعتني بهم وهم بدورهم يرضون بما يحصلون عليه من كفاف القوت والكسوة

الفرق في الخدمة بين الفرندز ومناظريهم

(٣٣) وخلاصة ما تقدَّم ان الخدمة التي نجاهر بها تشبه في كل وجوهها خدمة الرسل والكنيسة الاولى وهي نفس الخدمة التي علَّم بها السيد اما الخدمة التي يعلِّم بها مناظرونا فهي تخالفها وتناقضها في كل اقسامها وهي بالاحرى تشبه احتفالات الانبياء والمعلمين الكذبة فالكتاب يشهد ضدهم ويقبح اعمالهم كما سأبين ذلك بالاختصار

اولاً اننا نرغب في ان نقتدي بخدمة الذين دعاهم المسيح نفسهُ وتممها بروحهِ نظيرهم كما كان يمارسها الرسل القديسون حسب منطوق الاعداد التالية مت ١٠: ١-٥ اف ٤: ١١ عب ٥: ٤

اما الخدمة والخدام حسب ترتيب مناظرينا فبدون دعوة من المسيح ولا يلزمهم ارشاد روحهِ والهامهِ لكنهم مرسلون بسيامة أُناس يمكن ان يكونوا عديمي الطهارة والتقوى وهكذا كان الانبياء الكذبة قديماً كما يتضح من الآيات الآتية ارميا ١٤: ١٤ و ١٥ وص ٢٣: ٢١ و ٢٧: ١٥

عمل القسوس الحقيقي

ثانياً نرغب في وجود خدمة انجيل يعمل فيهم الروح ويرشدهم مولودين ثانيةً قد اختبروا تجديد القلب الداخلي بقوّة عمل نعمتهِ صالحين مقدَّسين مملوئين نعمةً كما كان الانبياء والرسل قديماً اتي ٣: ٢-٦ وتي ١: ٧-٩

(ب) ولكن مناظرينا يطلبون اكليروس ليست لهم نعمة الله بصفة لازمة يعتقدون انهُ يمكنهم ان يكونوا خدمة بالحق ولو كانوا عديمي القداسة والعفة والتقوى وهكذا كان الانبياء الكذبة قديماً كما يتضح من الاعداد التالية

ميخا ٣: ٥ و ١١ و اتي ٦: ٥—٧ و ٢تي ٢: ٣ و ٢بط ٢: ١—٣

ثالثًا نحن نود ان يقعد خدمة الانجيل على قوّة روح المسيح في العمل والسلوك والتصرف فلا يتكلون على قوّتهم او مقدرتهم الجسدية بل على الروح العامل فيهم حسب الموهبة المعطاة لهم كوكلاء امناء على سرائر الله وهكذا كان الانبياء القديسون والرسل قديمًا ابط ١: ١٠—١١ و اكو ١: ١٧ و ٢: ٧ و ٥ و ١٣ واع ٢: ٤ ومت ١٠: ٢٠ ومر ١٣: ١١ ورو ١٢: ١٣ و اكو ١٢: ٣

(ث) مناظرونا يطلبون عملة هم في غنى عن عمل روح الله لاجل اتمام الخدمة فلا ينتظرونه ان يرشدهم او يلهمهم او يدرّبهم في شيء منها انما يعتمدون على قوّتهم الطبيعية ومقدرتهم الخارجية مع ما جمعوه او اختلسوه من آيات الكتاب وغيرها فهم يعلّمون بحسب حكمتهم وقوّة فصاحتهم وليس حسب شهادة الروح واعلانه وقوّته وهكذا كان الانبياء الكذبة قديمًا كما جاء في ار ٢٣: ٣٠—٣٤ و اكو ٤: ٨ او به ١٦

اتضاع القسوس

رابعًا نود ان يكون خدمة الانجيل متدينين متواضعين لا يختصمون لاجل السيادة والسلطة ولا يرغبون في ان يمتازوا عن غيرهم باثوابهم او تعريض عصائبهم او في طلب المتكآت الاولى في الولائم والمجالس الاولى في المجامع والتحيات في الاسواق او ان يدعوهم الناس سيدي سيدي بل يجتهدون ان يقدموا بعضهم بعضًا في الكرامة ويساعدوا بعضهم بعضًا في المحبة حسبما كان يسلك الانبياء والرسل المقدسون كما جاء في مت ٢٣: ٨—١٠ و ٢٠: ٢٥—٢٧

(ث) هبة القسوس الحقيقيين المجانية ولكن الخدام الذين

يطلبهم مناظرونا مخاصمون يزاحمون في طلب السيادة والسلطة وتفوّق بعضهم على بعض مظهرين روح الشراهة والطمع كما كان الانبياء الكذبة قديماً مت ٢٣:٥-٧

خامساً ان شعار خدَمة الانجيل الذين نرغب في الحصول عليهم "مجاناً اخذتم مجاناً اعطوا" فلا يطمعون في ابتزاز ذهب الناس او فضتهم او ثيابهم لانهم انما يطلبون خلاص النفوس فيحترفون حرفة عاملين بايديهم بامانة لاجل سدّ حاجاتهم وحاجات الذين معهم . واذا دعاهم الله في وقت من الاوقات لعمل ما يعيقهم عن اعمالهم الخاصّة يأخذون بطيبة خاطر ما يقدّم لهم من الذين اوصلوا لهم رسالة الله الروحيّة وهكذا كان رسل الله وانبياؤهُ قديماً كما يظهر من مت ١٠:٨ واع ٢٠:٣٥ واتي ٦:٨

(ج) اما شعار خدَمة الدين الذين يطلبهم مناظرونا فهو "لم تأخذوا مجاناً" لذلك تراهم طامعين يرتكبون المنكرات حبّاً للكسب القبيح يبيعون الالهيات بالدراهم فلا يعظون ما لم تملأ ايديهم اجرة "ناظرين الى الربح من اقصى" يثيرون حرباً اذا لم تملأ افواههم الشرهة كلاباً نهمة لا تشبع. رعاة يسمنون انفسهم تاركين الرعية يأكلون اللحوم ويلبسون الصوف ويتجرون بالانفس سائرين في طريق بلعام الذي احب اجرة الظلم اش ٥٦:١١ حز ٣٤:٢ و٣ و٨ مي ٣:٥ و١١ تي ١:١٠ و١١ ٢بط ٢:١ و٢ و٣ و١٤ و١٥

حياة القسوس الحقيقيين وصفاتهم وبالاختصار نحن نعتقد ان الخدمة يجب ان تكون مقدسة روحية طاهرة حيّة والخدّام مدعوّين صينهم حسن يرشدهم روح الله القدوس الى العمل ويدرّبهم في كل انواع الخدمة ذلك الروح الذي دونهُ لايمكن ان يكونوا رسلاً للمسيح اما هم فيعتقدون ان الحياة والنعمة والروح ليست من عوامل الخدمة الالهية الضرورية

لذلك هم يحافظون على خدمة جسديَّة باطلة عقيمة عديمة الثمر ميتة وبكل اسف نقول ان اثمار هذه الخدمة ظاهرة في كل كنائسهم وقد تمَّ فيهم حقيقة قول الرب ار ٢٣: ٣٢ "لم ارسلهم ولا امرتهم فلم يفيدوا هذا الشعب فائدة يقول الرب"



القضية الحادية عشرة

العبادة

ان العبادة الحقيقية المقبولة عند الله هي التي تقدّم بفعل الروح والهامه الداخلي فهي لا تنحصر في زمان او مكان او أُناس خصوصيين لاننا مع رغبتنا في عبادة الله والسلوك في محبته وخوفه على الدوام يجب ان نلجأ في ترتيب العبادة والصلوات وتقديم الشكر الى الهام روح الله القدوس ولا نعتمد على معرفتنا او اميالنا الخارجية في تحديد المكان او الزمان فالعبادة التي يسمعها الله ويقبلها هي العبادة التي يدرّبنا هو نفسه ويرشدنا اليها

الخرافات والعبادة حسب ميل الانسان عبادة اوثان اما كل عبادة اخرى ان كان مديح او صلوات او مواعظ يدبّرها الانسان ويرتبها حسب قصده ومشيئته فيبتدئ بها ويختمها كما يشاء وعند ما يريد ويتممها او يهملها حسب ما يشتهي بموجب ترتيب سابق كأن يكتب الصلوات او دون ترتيب سابق ولكن بقوّة البداهة والعقل . فعبادة كهذه هي خرافية بشريّة باطلة ونظير عبادة الاوثان مكروهة في عيني الرب ويجب رفضها واهمالها والابتعاد عنها وقت النهضة الروحيّة هذه .مع كل هذا لقد حسن في عيني ذاك (الذي يتغاضى عن الجهل وينظر الى بساطة قلوب البعض وطهارتهم وحسن قصدهم فيما يختص بالزرع الروحي الذي وُجد مستوراً في قلوبهم بخرافات عديدة) فنفخ على العظام الميتة اليابسة وهبّت من عنده نسمات واستحييتها الى ان ينبزغ الفجر وينبلج نور النهار

(١) **استطراق الخلل الى طرق عبادة الله** ان اهمّ واجبات

الانسان نحو الله تنحصر غالبًا في قاعدتين عموميتين اولاً الطاعة المقدسة لناموس الله ونوره الطاهر بالابتعاد عن الشرّ والسلوك الدائم في سبيل البرّ والاستقامة ثانيًا ما يطلبهُ الله منا من الاحترام والخشوع والتكريم وهذا ما يسمى عبادة . اما الاوّل فقد سبق الكلام عليهِ عند تعداد رتب المسيحيين المختلفة حسب قياس نعمة الله المعطى لكل واحد وقبولهِ له الذي تتوقف عليهِ وظائفهم المختلفة في جسد المسيح الذي هو الكنيسة والآن اتقدم الى الكلام على العبادة وانواعها السريّة والعلنيّة العمومية والخصوصية لان فيها كلها يقدم الانسان الى الله الواجبات التي تتعلق بهِ تعالى رأسًا.اما الطاعة فافضل من الذبيحة لذلك لا تقبل الذبيحة ما لم تقدم بحسب مشيئة ذاك الذي تقدم له. الّا ان الناس يسهل عليهم تقديم الذبيحة حسب ارادتهم اكثر جدًا من ان يطيعوا الله فتراهم قد اكثروا من تقديم الذبائح المجرَّدة عن الطاعة ولزعمهم انهُ يمكنهم ان يخدعوا الله كما يخادعون بعضهم بعضًا دبّروا له مظاهر الاحترام والاكرام والعبادة بما بها من الابهة حال كونهم غرباء عن حياتهِ المقدسة حياة البرّ والتقوى وبعيدين تمامًا عن الهام روحهِ الطاهر الذي تقدّم الذبائح بواسطتهِ فقط وبارشادهِ يمكن تقديم العبادة المرضيّة فاستطرق الخلل الى الامور التي تتعلّق بواجبات الانسان مع الله بين كل الشعوب وسادت فيها سلطة الشيطان في تضليل الانسان عن سواء السبيل اكثر مما في كل ما سواها وبعض البروتستانت والبابويين انفسهم يقرون ان العبادة تشوّش ترتيبها وفسد جوهرها بين المسيحيين بالاسم وغيرهم من الامم .

ترتيب قداس البابويين مع كل طقوسهِ ترتيب وثني ثم لانني اوافق على الامور التي اصلحها البروتستانت في البابوية من هذا القبيل لا اتعرض الآن لمحادثاتهم بخصوصها بل اكتفي بأن اصرح معهم بأن

اكثر طرق العبادة البابوية الخرافية الدينية ليست عبادة حنيفية كترتيب القداس وعبادة القديسين والملائكة واكرام بقايا القديسين وآثارهم وزيارة القدس وطقوس وترتيبات الرهبنة الخرافية وزيارة الكنائس الرومانية وغير ذلك مما لا يحصرهُ حدٌّ

هل تمم البروتستانت الاصلاح كما يجب وهذا يكفي ليثبت للبروتستانت ان اعمال ضدّ المسيح ظاهرة فيها اكثر مما في كل ترتيب آخر في الديانة المسيحية لكن في هذه الحالة الخطيرة الخطرة كان يجب على البروتستانت ان يدققوا فيما اذا كانوا قد ادخلوا الاصلاح الكامل الجلي لانهم قد قصروا في مسائل كثيرة حيث قطعوا الفروع وابقوا القاعدة فابقوا ترتيب عبادة مصنفة حسب روح الانسان وقصدهِ وليس حسب روح الله والهامهِ لان العبادة المسيحيَّة الحنيفيَّة الروحيَّة فقدت جوهرها باكرًا جدًّا وامتزجت كثيرًا بحكمة الانسان وآرائهِ بسرعة فاصبح الارتداد عظيمًا وصعب استئصال الشرّ من اصلهِ واصلاحهِ. لذلك اطلب من القارى٠ ان لا يمل او يعثر عند اوَّل مطالعة هذه القضية بل يصغي بتأمُّل وصبر الى ما اقولهُ ولي الرجاء (بمساعدتهِ تعالى) انهُ وان ظهر تعليمًا مستغربًا عند اكثر الطوائف النصرانية ابيّن بالبرهان انهُ ينطبق تمامًا على روح الديانة المسيحية الطاهرة ويجب اتباعهُ والمحافظة عليهِ ولنفي كل التباس ينجم عن الاختصار في كلمات القضية نفسها التي لا تخلو من الغموض سأبين حقيقة اعتقادنا واظهر الوجوه التي نخالف غيرنا بها

(٢) اولاً ليكن معلومًا ان ما يقال هنا في عبادة الله يقال عن عهد الانجيل وليس عن العبادة تحت الناموس او قبلهُ لان وصايا الله الخصوصية للناس في ذلك الوقت لا تقيّدنا الآن بعمل تلك الامور نفسها والاَّ لوجب علينا تقديم الذبائح كما كان يفعل اولئك والكل متفقون على هذا انهُ قد

يبطل حتى ان ما كان موافقاً ومقبولاً تحت الناموس يمكن ان يقال عنهُ الآن خرافي او عبادة اوثان . اما كلام ارنلدس المملوءِ من السخط ضدَّ هذه القضية فهو مغاير للحقيقة لانهُ اتهمني انني انكر كل عبادة جمهورية واحسبها كلها عبادة اوثان في كل عصر من العصور كما في ايام اخنوخ عندما ابتدأ الناس ان يدعوا جهاراً باسم الرب وايام اليهود الذين ذهبوا ثلاث مرَّات الى اورشليم ليقدّموا العبادة الجمهورية وكذا تعبُّد حنة وسمعان ومريم لانهم كلهم استعملوا طرق العبادة الجمهورية التي كانت مستعملة في تلك الايام . اما استنتاجهُ هذا فهو خطأ محض لا يقل حماقة وغرابة عما لو قيل ان بولس يلوم اهل غلاطية لانهم رجعوا الى عوائدهم اليهودية انهُ يلوم ايضاً موسى وكل الانبياء وينسب اليهم الحماقة لانهم كانوا يمارسون تلك العوائد . فدون شك ان الرجل قد تسرَّع في حكمهِ وعدم تمييزهِ نواميس الازمنة جرَّهُ الى هذا الضلال . نعم ان عبادة الله الروحية كانت دون شك ممكنة تحت الناموس وقد مارسها كثيرون بغاية البساطة الاَّ ان ذلك لا ينفي ان نحسب ممارسة كل الطقوس التي جرى عليها اولئك خرافة لان الله لم يفرضها وقتئذٍ على اليهود لكونها جوهريَّة في العبادة الحقيقية او ضرورية بحد نفسها لاجل تمكين الشركة الروحية بين الله تعالى وبين شعبهِ بل كان ذلك تنازلاً منهُ نظراً لميلهم الى عبادة الاوثان. مع ذلك الروحانيون الحقيقيون في تلك الايام كانوا في هذه الامور وغيرها يتمتعون بالجوهر وان يكن محاطاً بستار من الفرائض والطقوس التي لا يجوز لنا استعمالها في عهد الانجيل

(٣) ثانياً **العبادة لا تنحصر بمكان او بشخص** مع انني قلت ان هذه العبادة لا تنحصر بازمنة واماكن واشخاص كانني انفي تعيين اوقات او اماكن للعبادة حاشا لا اريد ان يخطر على بال احد اننا من الذين يهملون الاجتماعات العمومية كلاَّ لاننا نواظب على الاجتماعات في اوقاتها بنشاط

(ولا ننقطع عنها على رغم تهديدات واضطهادات الناس) وفيها نعبد الله وننتظرهُ لاننا نعتقد انهُ ضروري لنا كشعب الله ما زلنا لابسين خيمتنا الخارجية ان نحافظ على الشركة المنظورة العمومية وتأدية الشهادات الخارجية ورؤْية وجوه بعضنا بعضاً وان نتحد معاً روحاً وجسداً ونعتصم بالمحبة الداخلية والاتحاد الروحي وكل هذا مساعد عظيم في تنشيط القديسين وانعاشهم

تعليم كلمة الرب الحقيقي الأ انا نخطئ نحدد عمل روح الله وقت العبادة نفسها عند ما يجتمع القديسون معاً ونعتقد ان روح الله يجب ان يكون العامل والمحرّك والمرشد لكل انسان في طريقة العبادة . اما تعيين رجل ما او رجال مخصوصين للوعظ والصلاة حسب اختيار الناس وترتيبهم فهو يحدّد عمل روح الله لان الباقين لظنهم انهم يستثنون من العمل يسود عليهم الوهم وينتظرون عمل الروح بسكوت لكي ينشطهم في الامور التي يسمعونها. فيعتادون ان يعتمدوا حسباً ألفوا على الواعظ ويستمعوا ما يقولهُ فقط فيهملون انتظار ما يوحيهِ اليهم روح الله الطاهر وعمل ما يلهمهم اليهِ ثانياً اننا نخطئ هولاء الناس لانهم لا يجتمعون معاً منتظرين اعلان الرب والهام روحهِ الداخلي وعملهِ فيهم لكي يشعروا عند الصلاة انهُ هو المتكلم فيهم وبواسطتهم ويعظوا متنوّهين بالكلمة بحسب ما يرشدهم لانعاش النفوس المتعبة في الوقت المناسب كما يوافق حالة الشعب واحتياجات قلوبهم فيعدّ روح الله قلوب الجميع ويعطي الواعظ كلاماً مؤثراً يروي القلوب الظمآنة

الكاهن يعظ مواعظة المحضرة تاركاً امر فائدتها للجمهور للصدفة اما ما هو جارٍ فهو ان الواعظ يؤلف في غرفتهِ خطاباً بحكمتهِ البشرية وعلمهِ وحسب ميلهِ فينتقل مقتطفات من كلمات الكتاب ويمزجها بعبارات مستعارة من اقوال بعض الكتبة وملاحظاتهم ويحيكها معاً ثوباً

مستعارًا تستغرق تلاوتهُ نحو ساعة من الزمن يسير اثنائها سير ادوات الساعة غير مشعر بعمل روح الله ولا منتظر ارشادهُ تاركًا للصدف كون كلامهِ يوافق المقام او يفي بحاجات الجمهور. وعند ما يفرغ من سرد ما اعدَّهُ يختم بالصلاة كما يشاء وهكذا ينتهي عملهُ المفروض الذي هو مجرَّد عادة فهذه العبادة العديمة الثمر لا تفيد من يمارسها وكفى بحالة الشعب شاهدًا على هذا وما ذُكر يكفي لان يبيّن اننا لا نعلّم ضدَّ تعيين اوقات للعبادة كما اتهمنا ارنلدس خطاء عند الكلام في الرد على هذه القضية. ولست بحاجة لايراد براهين لاثبات ما تقدَّم لانهُ حقائق لا يمكن انكارها فالمسئلة هي ليست الاوقات بل طريقة تعيينها حسب ما يوافق فلا نعتقد ان ترتيبها مقدس كما يعتقد البابويّون الذين يجعلون الشعب يحافظ عليها على طريقة خرافية ثم اننا نعتقد ان كل الايام مقدسة على السواء في عيني الرب. اما اليوم الاوَّل من الاسبوع المسمَّى يوم الرب فمع انني لا احبُّ ان اخوض في الكلام مطولاً عن المحاورات التي دارت بين البروتستانت بخصوصهِ الاَّ انني ساتكلم بالاختصار حسب ما يناسب المقام مبينًا ما نعتقد بهِ نحن

اليوم الاوَّل من الاسبوع المسمَّى يوم الرب

(٤) اننا لا نجد في الكتاب المقدَّس ما يوجب علينا مداومة المحافظة على السبت اليهودي او اتخاذ يوم الاحد بدلاً منهُ او اعتبار اليوم الاوَّل من الاسبوع يوم الراحة الحقيقي للمسيحي مع اننا نوافق كثيرين في معتقدهم ان للاخير معنى اسمى الاَّ اننا نحسب انفسنا غير مقيدين بموجب الوصية الرابعة او وصية اخرى ان نحفظ اليوم الاوَّل من الاسبوع او نعتبرهُ مقدسًا اكثر من باقي الايام متمسكين بهذا المعتقد على نسق خرافي لكننا نرى على سبيل المناسبة. اولاً انهُ ضروري ان يفرز وقت يجتمع فيهِ القديسون معًا لكي يعبدوا الرب.

ثانياً انهُ ليوافق ايضاً ان ينقطعوا فيهِ عن الاشغال العالمية . ثالثاً ان الناموس الادبي والعقل السليم يقضيان بلزوم يوم راحة للخدام وللبهائم يتوقفون فيهِ عن اعمالهم الدائمة . رابعاً اننا نرى انفسنا مدفوعين طبعاً لكي نصرف اليوم الاوَّل من الاسبوع كما كان يصرفهُ الرسل والمسيحيون الاولون اي بالاجتماعات الروحية وما اشبه دون ان نسند ذلك الى وصية من الكتاب كما فعل البروتستانت حتى كلَّفن ايضاً مجتهدين ان يتخذوا الوصية الرابعة برهاناً لاثبات معتقدهم. هكذا مع اننا نقيم اجتماعات العبادة ونتوقف عن العمل ايام الآحاد لا يعيقنا ذلك عن اقامة اجتماعات العبادة غير اوقات مدة الاسبوع

(٥) **العبادة وقت الارتداد** اننا بحسب معرفة الله المعلنة لنا بروحهِ في عهد النور الذي اعلنهُ السيد بأبهى كمال نعتقد انهُ يجب ان نقدّم عبادة طاهرة روحية مقبولة عند الله ومطابقة لشهادة المسيح ورسلهِ وان نرفض العبادة الوثنية الخرافية وكل عبادة طقسية مرتبة حسب قصد الانسان وليس حسب قوة الله على اننا لا نقصد بهذا اننا ننكر كل عبادة يقدمها الذين يتسمَّون باسم المسيح حتى في وقت الارتداد كأنها غير مقبولة ولا مسموعة منهُ تعالى. كلاَّ اننا لسنا متطرفين لهذا الحدّ وختام القضية سيوضح هذا . لكن كما انهُ يجب ان لا نكون متطرفين من الجهة الواحدة ونحكم انهُ بسبب الظلمة والاباطيل البابلية التي احاطت وسترت كثيرين في بابل فلم يسمع الله لهم ولا قبل صلواتهم كذلك يجب ان لا نصمت من الجهة الاخرى زاعمين انهُ بما ان الله شفق على اولئك يمكننا نحن ايضاً ان نبقى سائرين في ظلمة بابل واباطيلها ولا نخرج منها بعد ان اعلنت لنا

قداس البابويين وصلواتهم لذلك نحن نعتبر ان ترتيبات قداس البابويين وصلواتهم المسائية وثنية خرافية كما يعتقد باقي البروتستانت ايضاً مع

ذلك لانحن ولاهم نعتقد انهُ لم يقم في ظلمة البابوية بررة اتقياء الذين مع انهم كانوا متعصبين في طقوسهم قبلهم الله واستجاب صلواتهم. ولا احد يقدر ان ينكر طهارة رجالهم الصالحين نظير برنارد و بوناڤانتير وتولر وتوماس كمبس وكثيرين غيرهم الذين ذاقوا محبة الله واختبروا قوَّة نعمة روحهِ القدوس عاملاً فيهم لاجل خلاصهم اما في الوقت نفسهِ لايمكن ان نغضّ النظر عن الخرافات التي وُجدوا فيها

ان البرسبيتير يان الكلثيين يخطئون طقوس الاسقفيين واللوثريين العديمة الحياة (وانا اوافقهم على ذلك) ولكن لاينكر انهم قام فيما بينهم رجال اشتهروا بتقواهم وانهم ايضاً في خطوتهم الاولى الصالحة خدموا الكنيسة خدمة جلّى بترجمتهم كتب الصلوات الى لغات البرابرة . فكانت تلك الخطوة مقبولة عند الرب ومصحوبة بقوَّتهِ وحضورهِ مع انها وُضعت في قالب طقسي اما في الوقت نفسهِ لايمكن ان يقال انهُ يحقّ للبرسبيتير يان ان يدخلوا الى عبادتهم تلك الصلوات العامية. وعلى القياس يمكننا ان نقول اننا مع كوننا نعترف ان الله برحمتهِ وتنازلهِ العجيب اختار أُناساً اتقياء مستقيمي القلوب بين البابويين والبروتستانت لايمكننا ان نوافق على طرق العبادة العمومية المستعملة عندهم او ان نتوقَّف عن المجاهرة بالعبادة الروحية التي يدعونا السيد اليها ونرفض كلما يعيق تقدّمها

(٦) **وصف الاجتماعات العمومية** رابعاً اما بالنظر الى الاختلافات التي تتعلَّق بالعبادة العمومية فنقول انهُ من الواجب على الجميع ان يكونوا مجتهدين في اقامة الاجتماعات العمومية معاً (ويشهد لنا الاضطهاد العظيم الذي اثارهُ ضدنا اعداؤُنا في بريطانيا العظمى متذرعين بكل الوسائط لاجل اعاقتنا وتوقيفنا عن تعلقنا وتمسكنا بهذه الاجتماعات العمومية في عبادة الله تعالى) وعند اقامة هذه الاجتماعات يجب على كل بمفردهِ وعلى الجميع سوية ان يسكبوا

انفسهم امام الرب متحوّلين عن افكارهم وتصوراتهم الخارجية لكي يمكنهم ان يشعروا بحضوره تعالى ويعلموا انهم مجتمعون باسمهِ وانهُ هو حسب وعدهِ بينهم. وعندما يشمل هذا الشعور الجميع ويتحدون معاً بهذا القصد داخلياً في قلوبهم كما انهم يجتمعون معاً بشخصهم يختبرون حينئذٍ سرّ قوّة حياة الفضيلة التي يضرمها الروح فيهم فيهب لهم القصد الطاهر في القوة والعمل وهذا هو ينبوع كلام الشهادة والحمد والصلوات الحقيقية التي بها يمكن تمييز العبادة المقبولة التي تبني الكنيسة ويسرّ بها الله. ففي مكان كهذا لا يقدر احد ان يحصر روح الله ولا ان يتفوّه بكلماته المؤلفة الخاصّة بل كلٌّ ليتكلّم بما يوحيهِ الله في قلبهِ حسب شهادة الروح واعلانهِ وقوّته وليس حسب قصد الانسان وحكمتهِ. والعبادة الروحية تتم في اجتماع هذا صفتهُ لاجل بناء جسد المسيح حتى ولو لم يتفوّه احد بكلمة واحدة علناً وقد حدث مراراً ان عدّة اجتماعات انتهت بدون كلام شفهيّ ومع ذلك حصل الحضور على بنيان وانتعاش روحيين وساد الشعور بقوّة الله وروحهِ بطريقة عجيبة في القلوب دون ان يتفوّه احد بكلمة واحدة وكانت قوّة الله تنتقل من شخص الى آخر. وهذه العبادة هي فريدة في بابها لا يصدقها الانسان الذي انما يفكر في الامور الجسدية الطبيعية ويحسب ان الوقت الذي يصرَف بدون كلام شفهيّ يمضي ضياعاً

وسأبحث في هذا الموضوع بحث من يقدر ان يتكلّم عن اختبار شخصي وليس كمن سمع سمع الآذان وسأبيّن ان هذه العبادة العجيبة الجيدة تظهر مجد الله وحكمتهُ بِاتمّ بهاء وتعاكس طبيعة روح الانسان ومقاصدهُ وحكمتهُ

(٧) **الحصول على الانتظار بسكوت امام الرب** لا شيء يمكن ان يعاكس قصد الانسان الطبيعي وحكمتهُ اكثر من الانتظار بسكوت امام الله لان السكوت لا يسود في قلب الانسان الّا بعد ان يضع حكمتهُ ومقاصدهُ جانباً ويُقدّم الخضوع الكامل لله بتمام الرضاء. فلا يقدر احد ان يروّض

نفسهُ بهذا السكوت او بكرز بهِ سوى الذين اختبروا عدم فائدة الطقوس والرسوم الخارجية . والكلام مهما كان مرتبًا ونقيًا حتى كلمات الكتاب نفسها لا يمكن ان تشبع ارواحهم المنسحقة المتعبة وقد يمكن الانسان ان يحصل على هذه كلها وفي الوقت نفسهِ تعوزهُ الحياة والقوَّة والفضيلة لكي تجعلها موثرة . اما الذين تعلموا ان يتحوَّلوا عن الامور الخارجية ويتقدَّموا الى الله بخشوع موجهين افكارهم الى ناموس الحياة والنور الداخلي المعلم العظيم الذي لا يمكن حصرهُ فهولاء يمكنهم ان ينتظروا الرب حسب قياس النعمة المعطى لهم منهُ تعالى فلا يعتمدوا على قوَّة كلماتهم واعمالهم التي ترشدهم اليها اميالهم ومداركهم الطبيعية بل يطلبون زرع الحياة الداخلي وينشطون بقوَّتهِ ويتدرَّبون بارشادهِ في الصلاة والوعظ والترتيل الخ ولا يجسرون ان يسلكوا فيما بعد حسب اراداتهم الجسدية بل يرفعوا افكارهم وتصوُّراتهم واميالهم متكلين اتكالاً مقدسًا على الرب

ما هو الاجتماع باسم المسيح فاجتماع كهذا ليس مجرَّد حضور معًا في مكان واحد لكنهُ اجتماع حقيقي بالروح وباسم الرب يسوع الواحد القادر ان يمنح قوَّة حياة الفضيلة هذا هو الاجتماع المسيحي الحقيقي وهذه هي الحياة التي تنمو في كل فرد وتمطر فيهِ امطارًا منعشة تملأُ كل الحضور فتكسبهم ايضاحًا وتعطي المجد لله وحدهُ فتملك الفضيلة في القلب ويظهر مجد الله المعطي كل نفس هيبة ووقارًا وحينئذٍ اذا تكلَّم احد بحسب الجسد او الحكمة الانسانية بما لا يوافق روح الحياة يظهر خطاؤُهُ للحال ويشهد عليهِ فمهُ وبالعكس عندما يعطى البعض بنعل هذه الهبة كلام وعظ او شكر او حمد او تقديم صلاة فيشعر المتكلم ان روحهُ توافق شهادة الحياة في الداخل وتنعكس عنهُ كما تنعكس صورة الوجه في الماء . هذه هي العبادة الروحية المقدسة التي لا يعرفها العالم ولا يدركها ولا تبصرها عين الجسد مهما كانت حادَّة

وما اعظم النعم التي تمتعت بها نفسي وانفس كثيرين غيري وذاقت من حلاوتها والتي يقدر ان ينالها كل من يطلبها بكل قوى النفس باخلاص لانهُ عند ما يجتمع الجمهور هكذا معًا ليس لمجرَّد استماع كلام الانسان فقط او الاتكال عليهِ بل لاجل الاتكال على الرب وانتظار ظهورهِ في قلوبهم لايمكنهم اذ ذاك ان يمزجوا عبادة الله مع مشيئة الجسد. اما هيئة هذه العبادة فهي بسيطة خالية من كل فخفخة عالمية لا تفسح للحكمة الانسانية ان تكسبها حلة خرافية او مظاهر وثنية لانها تتمّ بهدو داخلي وراحة الضمير واستعداد العقل وختم شهادة الله في القلب فيضيء نور المسيح بابهى لمعانهِ ويرى الانسان نفسهُ كما هو وتتروَّض انفس الكثيرين بوجودهم معًا في وقت واحد لاجل العمل الواحد فيزداد قياس النعمة بفعل هذه الرياضة الداخلية وينالون الغلبة على قوَّة روح الظلام فينمون من قوَّة الى قوَّة ويتجددون داخليًا في القلب دون كلام وتتلذذ الانفس بالشركة الروحية وتناول جسد المسيح ودمهِ الذي بهِ يتغذَّى انساننا الداخلي ولا يتوق الى مناولة المادَّة الخارجية (اي الخبز والخمر) في الامور الروحية فكل الذين يجتمعون هكذا معًا يتقدمون في القوة والفضيلة والحق وهذا الحق المقتصر على قوى النفس يلهم الى الكلام المفيد العامل لبنيان الاخوة وتوطيدهم في حياة الطهارة ويعطي المتكلّم روح حرية يكسب كلامهُ قوَّة فعَّالة لاجل بنيان الجسد وهذه في دلائل القوة الالهية الواضحة التي يشترك بها المجتمعون منتظرين الرب بضمير حي . واذا حضر الاجتماع نفر قليل الجلد والاهتمام يصعب عليهم ان يجمعوا افكارهم المشتتة او البعض الذين كانت افكارهم قبل دخولهم الاجتماع مهموكة بهموم واشغال عالمية تعيقهم من الاتحاد مع البقية فعند ما يضطرم قياس النعمة في غيرهم ويسود الروح الالهي في قلوبهم بقوَّة يجتاز تلك القوة الى قلوب الضعفاء ايضًا وتساعدهم بطريقة عجيبة فينتبه الصلاح الذي فيهم ويشعرون بدافع

عظيم يذيب التشويش الذي اقلق سلامهم الداخلي ويولد فيهم حرارة روحية كما تتولد الحرارة في انسان تمكّن منهُ البرد عند جلوسهِ قرب موقد أُضرمت فيهِ النار وكما يلتهم لهيب النار المواد الخفيفة السريعة الالتهاب حالما يدنو منها هكذا تضمحل تلك الافكار المزعجة بفعل النعمة الذي يتمّ عملهُ في قلوبهم رغماً عن الصمت الظاهر

توقد روح الله يسود بطريقة خفية على الاجتماع وقد يتفق ان النور الالهي يضعف في البعض فيتولد فيهم حالة فتور غير مرغوب فيها (ويكاد ان ينطفئ النور احياناً بفعل العدو او لسبب الاهمال) فاذا اتفق ان وُجد بين هولاء شخص غيور او حضر اليهم فلا بد ان يشعر الجميع بتأثر خفي في قلوبهم بسبب توقّد روح الله في ذلك الشخص الغيور فينتعش فيهم الزرع الالهي الذي يخنقهُ ويمنعهُ عن التنبه بواسطة افكارهم المشتتة وكثيراً ما يستجيب الله ابتهالات ذلك الرجل الامين الذي يطلب روح الله بأمانة منتظراً عملهُ الالهي ويصغي الى توسلاتهِ الخفية فيشعر الآخرون ايضاً بتبكيت خفيّ في قلوبهم دون ان يستمعوا كلام الوعظ الشفهي فيكون ذلك الرجل كقابلة تولد بواسطتهِ فيهم حياة جديدة كما انهُ بواسطة الماء القليل الذي تسقى فيهِ طلمبة يتمكن الانسان من رفع الماء من قعر البئر . وتولُّد الحياة فيهم تخمد التصوّرات الباطلة فيشعرون ان ذاك الرجل بشّرهم بالحياة دون ان يتفوّه بكلمة واحدة

السكوت لهُ تأثير عظيم في اسكات المستهزئين وقد يتفق في اجتماع ساد فيهِ السكوت الحبي المخلص ان يدخل بقصد الهزء والسخرية احد كبار الاشقياء الذي قد ملكت فيهِ وتمكّنت منهُ قوة الظلام بشدّة لكن حالة الاجتماع الخشوعيَّة الناجمة عن اضطرام القوة الروحية تؤثّر فيهِ فينهب حالاً ويرتجّ عليهِ . ومن ثم لا يقدر ان يقاوم قوّة الفضيلة السائدة التي تغلبت على

قوة الظلام الكائن فيه وحصريها واذا كان يوم افتقاده لم ينته بعد يسّ قياس النعمة في داخله وبتنبّه فيه الميل لحصول على الفداء وهذا ما قد شاهدناه مراراً كثيرة بعد ان جمعنا اليه كشعب ونشهد بصحته وقد أُعيد المثل القديم القائل "شاول ايضاً بين الانبياء" لان عدد الذين اعتنقوا الحق حسب مبادينا ليس بقليل

الاقتناع الحقيقي وانا نفسي شاهد لهذه الحقيقة لانني توصلت الى قبول شهادة الحق ليس بقوة البرهان او بسبب ابحاث خصوصية في المعتقدات او اقتناع عقلي بها بل باقتناعي القلبي الخفي بفعل هذه الحياة لانني لما دخلت اجتماعات شعب الله هذه الحادثة الالهية شعرت وانا بينهم بقوة خفية مسّت قلبي وعندما سلّمت نفسي لهذه القوة وجدت ان ميلي الشرّير اخذ يضعف وابتدأ الميل الى الخير يتقوّى فاتحدت واشتركت معهم وكان تعطشي يزداد اكثر فاكثر لكي تملك فيَّ النعمة والحياة والقوة فشعرت بنفسي انني حصلت على الفداء التام وهذه آمن طريقة يصير بها الانسان مسيحياً حقيقياً لا تعوزهُ معرفة المبادئ وفهمها لكنه ينمو النموّ اللازم كنتيجة طبيعية للاجل الصالح وهذه المعرفة لا يمكن ان تكون عقيمة او عديمة الثمر

ونحن نتمنى لكل الذين ينضمّون الينا ان لا يكون انضامهم صادراً عن موافقة عقلية لمبادينا دون الشعور بالحياة الداخلية التي تنقادهم الى ترك الشرور والتمسك بالبرّ والاّ فهم ليسوا حقيقة منّا لاننا انما نرتبطنا بالله وببعضنا البعض الشعور الحي الحقيقي الداخلي الذي دونه لا يقدر احد ان يشترك معنا بالعبادة. اما اذا انضمّ الينا أُناس نبهاء وكانوا يعظون بامور صحيحة بكلام فصيح مرتّب وفي الوقت نفسه كانت تعوزهم الحياة الروحية فكلامهم لا يفيد شيئاً لكنه كنحاس يطنّ او صنج يرن ١ كو ١٣: ١

عملنا وعبادتنا في اجتماعاتنا ان عملنا وعبادتنا عند ما نجتمع معاً

ان يسهر كل منا وينتظر الرب داخليًا مجرِّدًا نفسهُ عن كل الاشياء المنظورة وعند ما يتحد كل المجتمعين معًا بعبادة الروح المخلصة نرى ان الصلاح يتغلب حالاً على الشرّ والطهارة على الاثم فيقترب الله منا ويعلن نفسهُ لكلٍّ بمفردهِ فيستنير الجميع على طريقة عامة ويتشدَّد كل فرد ويحصل على انتعاش وقوة لا يصدران عن شعورهِ كفرد فقط بل كشريك في كل الجسد الذي هو عضو حيّ منهُ ولهُ شركة واتحاد فيهِ واذا داومنا مثابرين على الوعظ بهذه الطريقة ومحافظين عليها نرى انهُ سهل وان يكن يظهر للانسان الطبيعي لاوَّل وهلة صعبًا لانهُ لا يسهل للانسان ان يقلع عند العبادة عن تصوُّراتهِ وافكارهِ المتجوّلة واميالهِ العالمية واسكاتها لذلك لما يرجع الى السيد فلاجل ازالة الصعوبات الشديدة التي في طريقهِ من هذا النوع يتنازل الله بحنوٍ وشفقة ويسكب عليهِ قوَّة عظيمة تجعل مداركهُ تنصرف بشدَّة الى طلب ظهور هذه الحياة منتظرًا اياها بصبر مقاومًا قوَّة الظلام التي تعمل ضدهُ وتصارعهُ فينتبه حينئذٍ الزرع الجيد ويكون كمفوّ روحي للنفس وعلى الاخصّ اذا كان هذا الانسان الضعيف مع جماعة من المؤمنين قد ملك فيهم روح الحياة بقوة عظيمة

مصارعة عيسو ويعقوب في بطن رفقة واحيانًا بسبب مقاومة قوَّة الظلام وعملها المعاكس يحدث صراع داخلي في النفس على طريقة كما تصارع عيسو ويعقوب في بطن رفقة وهذا المعترك الداخلي الذي فيهِ يحاول الظلام ان يحجب النور والنور ان يبتلع الظلام. لا بدَّ ان ينتهي باضمحلال قوة الظلام انما يحدث في اثنائهِ تأثر عظيم في النفس يمتدّ الى الانسان الخارجي فتهتزّ احيانًا كل قوى الجسد بشدَّة عظيمة فتتكرَّر الأنات والتنهدات والدموع وقد يعمّ هذا التأثر كل الاجتماع

النصرة تتوَّج بترنيمة الظفر لذلك لا بدَّ للعدوّ ان يحضر كلما اجتمع

اولاد الله معًا ويجتهد ان يكدّر سلامهم فيعمل بقوة على تشتيت افكار المجتمعين وابعادهم عن الحياة التي في داخلهم ولكنهم عندما يشعرون بقوَّته العاملة ضدهم يسدّ دون نحوها اسلحة النور فيشعر كل المجتمعين احيانًا بالقوّة الالهية التي تحلّ عليهم وينجم عن هذا صراع داخلي واصطدام هاتين القوّتين يشترك فيه كل فرد من الحضور. وقد يشبه ذلك التقاء حدّين متعاكسين وعلى هذه الطريقة يتمرّن رجال الله الامناء على محاربة الشرّير كما يتمرّن الجنود في ساحة القتال فيشعر اكثر المجتمعين ان لم يكن كلهم بتأثر واهتزاز يجلي عن تغلب الحق واستيلائهِ على النفس فيتحوّل الى حلاوة الشكر والحمد العظيمين وهذا هو سبب تسميتنا على سبيل التهكّم "كويكرز" أي المرتجفين ومع اننا لم نختر هذا الاسم لا نستحي بهِ بل بالحري نفرح لاننا نشعر بهذه القوة بشدّة وكثيرًا ما استولت على مقاومينا ايضًا واجبرتهم ان يذعنوا لنا ويتحدوا بالحق معنا قبلما كانت معرفة مبادئنا جلية عندهم وقد اتفق احيانًا ان عددًا كبيرًا منهم حصلوا على هذا الاقتناع وقد وصلت هذه القوة بعض الاوقات بطريقة عجيبة مدهشة الى الاولاد الصغار ايضًا

(٩) **السكوت ليس ناموسًا بل قد يعقبهُ الكلام** ان شواهد الاختبارات التي كانت نتيجة هذه العبادة الروحية والسكوت الخشوعي كثيرة على انني لا اقصد بقولي هذا ان السكوت يعيق عن تقديم الصلوات الشفهيّة او كلام الوعظ. كلاَّ لانهُ كما ان عبادتنا لا تنحصر بالكلام فهي ايضًا لا تنحصر بالسكوت لكونهِ سكوتًا ولكنها عبادة يقصد بها اتكال العقل المقدَّس التام على الله وهذا الاتكال يستلزم الانقطاع عن الكلام الى ان ينبه روح الله اليهِ والله لا يتأخر عن ان يلهم اولادهُ الى كلام الوعظ والصلاة عند اللزوم

نادرًا ينتهي الاجتماع دون خدمة عند حضور المتمسكين بالحق ففي الاجتماعات التي تقام لاجل عبادة الله الحقيقية قلما يتفق ان لا يوجد في

ثم واحد او اكثر من ابنائه كلاماً يؤول لبنيان الاخوة والاجتماعات التي تصرف كلها بالسكوت نادرة جداً لانه لما يجتمع الكثيرون معاً بالحياة الواحدة والاسم الواحد يشعرون طبعاً بوجوب تقديم الصلوات والحمد وانهاض بعضهم بعضاً بكلام الانذار والوعظ والتعليم فالسكوت عبارة عن وقت ينقطع فيه كل واحد للتأمل في هبة النعمة الداخلية وكلمتها لكي يستمد منها خادم الانجيل قوة لاظهار ما يعطى له من الخدمة ويكون للسامعين فرصة ايضاً للتأمل في الفرق بين الخير والشر. فالانسب ان لا يعجل في ممارسة الخدمة العلنية حالما يدق جرس الاجتماع كما يفعل باقي المسيحيين . ونحن نعلم حق العلم دون شك ان الاجتماع المقام بروح الاخلاص يكون ملذاً ومفيداً حتى ولو لم يلفظ به ببنت شفة من البداءة الى النهاية . بل انه لقد عُرف بالاختبار انه في اجتماعات كهذه كثيراً ما يمتلئ كل واحد بالحياة المنعشة الداخلية التي ينمو فيها وبها كما لو استمع كلمات كرازة حسنة صادرة عن شعور حي لانه لما لم يلهم النور احداً الى كلام وعظ مسموع اختار كل منهم ان يلزم السكوت ويتمتع بحضور السيد في القلب داخلياً . وهذه العبادة حلوة مثقنة للنفس التي تعلمت ان تنقطع عن الافتكار بالامور والاعمال الخارجية واثقة بأن الله هو الملهم الى الافكار والاعمال وكثيرون هم الذين يشهدون لهذا عن اختبار مبارك . اما الانسان العالمي فيجد صعوبة عظيمة في فهم هذه المسئلة والايمان بها لان برهان صحتها يتوقف على الشعور باختبار داخلي وليس على الاعتماد على براهين خارجية مكتسبة فلا يكفي ان يؤمن الانسان ايماناً عقلياً لانه يجب ان يملكهُ ويتلذذ به داخلياً ولاجل فائدة الذين يريدون ان يفرغوا انفسهم اكثر لاجل ممارسة هذه العبادة واختبارها شخصياً لاعتقادهم انها مؤسسة على قواعد الكتاب والعقل السليم سأضيف بعض البراهين التي تؤيد البراهين التي ذكرتها

(١٠) الكتاب يأمر بالصلاة والسهر لا ينكر ان من واجبات كل

مسيحي ان ينظر الى الله وينتظرهُ لذلك لا خوف من اعتبار الانتظار قسمًا من العبادة. والكتاب قد نبَّه اليهِ مرارًا حتى يمكن ان يقال اكثر من كل موضوع آخر كما يتضح من الآيات الآتية مز ٢٧: ١٤ و ٣٧: ٧ و ٣٤ وام ٢٠: ٢٢ واش ٣٠: ١٨ وهو ١٢: ٦ وزك ٣: ٨ ومت ٢٤: ٤٢ و ٢٥: ١٣ و ٢٦: ٤١ ومر ١٣: ٣٣ و ٣٥ و ٣٧ ولو ٢١: ٣٦ واع ١: ٤ و ٢٠: ٣١ واكو ١٦: ١٣ وكو ٤: ٢ وانس ٥: ٦ و ٢تي ٤: ٥ وابط ٤: ٧ وكثيرًا ما أُشير الى هذا مقرونًا بمواعيد عظيمة وثمينة مز ٢٥: ٣ و ٣٧: ٩ و ٦٩: ٦ ومرا ٣: ٢٥ و ٢٦ . اما منتظرو الرب فيجددون قوة اش ٤٠: ٣١ فكيف يتمّ انتظار الرب ومراقبتهُ سوى بهذا السكوت الذي صار الكلام عنهُ

ليس السكوت خارجيًا فقط بل داخليًا ايضًا والسكوت عدا كونهِ ضروريًا في البداءة محافظة على الترتيب هو من الواجبات الاولية العظيمة. ولاجل زيادة الايضاح اقول انهُ لا يقصد بهِ سكوت خارجي بالجسد بل انتظار داخلي او انقطاع الفكر عن كل التصورات العالمية والتأملات الفكرية فبالحق ان الانسان حسب المبادئ التي قد اثبتها بالبرهان نوعان الانسان الطبيعي الساقط الغير المتجدّد والانسان الروحي المتجدّد او الانسان الجسدي الطبيعي والانسان الروحي. وقد اكثر الرسول من ذكرها والكلام عنها وهاتان الولادتان في العقل هما نتيجة الزرع الجيد والزرع الشرير في الانسان فمن الاخير يتولد الفساد والنجاسة والرياء وكل الآفات التي يسميها الرسول روحية لان الثعبان الخبيث يولدها في الانسان الطبيعي فيفسد مبادئهُ الروحية التي قد تجلى احيانًا بمنظر حسن فتصبح نتائجها اكثر خطرًا وضررًا اذ يستتر بها الشيطان جاعلاً نفسهُ مرارًا كثيرة ملاك نور كما قد صار التلميح اليهِ في حينهِ من الكتاب. لذلك ينكر على الانسان الطبيعي ان يسعى او يتداخل فيما لله ولو امكنهُ ان يتممهُ على افضل منوال وفي غاية

الحكمة والفصاحة

لا يجب ان يتدخل الانسان الطبيعي في الامور الروحية لان هذا اصل كل الهرطقات وهذا الفساد الروحي نوعان مختلفان وان اتفقا بكونهما صادرين عن اصل واحد. النوع الواحد تدخل الانسان الطبيعي في الامور الدينية حسب فهمهِ او اميالهِ فيقرّر او ينتحل بدعًا مضلّة عن الله والامور الروحيّة ويخترع خرافات وطقوسًا وفرائض ورسومات في العبادة وهذا هو منشأ كل انواع الكفر والبدع والخرافات بين المسيحيين . والنوع الآخر تدخلهُ عن مجرَّد اقتناع وحسب قصدهِ فقط وبقوَّتهِ الطبيعية دون تدريب الله وارشادهِ اذ يعتمد على فهمهِ وتصوراتهِ ومداركهِ في الامور التي تختصّ بالله كالكرازة والتبشير ونحوهما

الديانة الحقيقية ليست مجرَّد اعتقادات اما النوع الاوَّل ففاسد في الجوهر والهيئة واما الثاني فلهُ الهيئة الخارجية لكنها عارية من الحياة وجوهر الديانة المسيحيةّ التي لا تقوم بمجرَّد معرفة اعتقادات او مبادئ او باجراء اعمال ولو كانت بحدّ ذاتها صحيحة .والاَّ لأمكننا القول ان كلمات الكتاب اذا نطق بها السكير والشيطان هي روح وحياة وهذا لا اظنّ احدًا يجسر على التمسُّك بهِ .لا يمكن ان يُقال انهُ حيثما توجد صورة التقوى فهناك توجد القوة ايضًا لان هذا يخالف ما صرّح بهِ الرسول لان صورة التقوى لا يمكن ان تكون مقرونة بافكار الضلال والميل الى الخطيئة والاعمال الشرّيرة الفاسدة والاَّ لكانت صورة التقوي صورة عدم التقوى وسأعود الى الكلام في هذا الموضوع عند البحث في الكرازة والصلاة

الذين تركوا الحق والحياة وتمسكوا بالهيئة والصورة واما الاخير وان يكن اقلّ شرًّا من الاوَّل فقد كان ممهدًا لهُ لان البعض الذين فقدوا حياة الديانة الصحيحة وجوهرها واهملوا العبادة الحقيقية اي العمل بقوة الروح

الداخلي الذي لا يمكن ان تكون اعمالهم صالحة دونهُ وتمسّكوا بالهيئة الخارجية والصورة اي الكلمات الصادقة والمنظر الخارجي الصحيح وتصرّفوا حسب مقاصدهم الطبيعية الغير المتجدّدة اي بحسب الصورة فقط فما عتمت هذه الصورة ان فسدت بسرعة وتشوّهت. لان الانسان بروحهِ العاملة وذهنهِ المتوقد لم يقدر ان يضبط نفسهُ ضمن حدود بساطة الحق فسلّم نفسهُ الى اختراعاتهِ وتصوّراتهِ العديدة وابتدأ ان يكيّف تلك الصورة ويطبقها على اختراعاتهِ ففقدت التقوى تدريجًا من اكثر وجوهها فخسرت بذلك القوة ايضًا واصبحت نوعًا من عبادة الاوثان اعلى بها الانسان افكارهُ وقوة اختراعهِ وبنات ذهنهِ والّهها معتصمًا بها. وهذا ميل فطري لطبيعتهِ الساقطة لانهُ يعطي النفس الطبيعية المقام الاوّل لتعمل فيهِ وتؤثّر عليهِ وهي ترشدهُ وتدرّب عبادتهُ المتوجبة عليهِ لله تعالى. فلا ينتظر اولاً ارشاد روح الله ولا يقدر ان يقدّم العبادة الروحية الطاهرة او يأتي باثمار سوى تلك الاثمار التي هي نتاج ذلك الاصل الاوّل الساقط الطبيعي الفاسد

المسيح لم يعلّم سوى بعبادة روحية اما الآن وقد حان الوقت الذي عيّنهُ الله ليراجع فيهِ العبادة الروحيّة الحقيقيّة ويبطل تلك العبادة الخارجية التي كان قد اعلنها لليهود وعيّن هيئة ترتيبها ومدّة كيانها ونهايتها وعليهِ نرى ان المسيح لم يعيّن لتابعيهِ هيئة خارجيّة منظمة للعهد الجديد الطاهر فقال لهم ان العبادة روحيّة وينبغي ان تقدّم بالروح * والامر الجديد

* اذا اعترض احد قائلاً ان المسيح عين الصلاة الربانية نموذجًا للصلاة وذلك هي ايضًا نموذج العبادة اعطاها المسيح لاولادهِ

اجيب اولاً لا يقدر احد من المسيحيين الذين اعرفهم ان يقدم هذا الاعتراض لانهم كلهم يستعملون صلوات اخرى فلا يجعلون الصلاة الربانية حدًّا لعبادتهم

ثانيًا ان هذه الصلاة أعطيت للتلاميذ وهم ضعفاء قبل ان اخذوا عهد الانجيل

بالاعتبار هو انهُ في كل العهد الجديد لم يعطِ وصيةً او ترتيبًا ما سوى اتباع اعلان الروح والوصية العامة ان يجتمعوا معًا. ونحن نعترف بهذا بسرور ونجتهد ان نمارسهُ بدقة كما سيتضح مما يأتي. نعم ان العهد الجديد يأمر بالصلوات والتبشير والترتيل والوعظ الَّا انهُ لا يوجد تصريح او نموذج ما للعمل بهِ والشروع فيهِ حالما يجتمع القديسون ولكن هذه الواجبات تذكر على الغالب مقرونة بما يدلُّ على انها تتمُّ بمساعدة روح الله وارشادهِ والهامهِ كما سيأتي بيانهُ

كيفية انتظار الرب ولما كان الانسان في حالتهِ الطبيعيةِ لا يحقُّ لهُ التدريب في العمل او الامور الروحية كان الاليق بهِ ان يصرف الوقت بانتظار الله بالصمت وباسكات الميل الطبيعي الذي فيهِ بالاقلاع عن افكارهِ وتصوراتهِ وعن كل الفواعل الخارجية التي تؤثر في ذهنهِ وعقلهِ سواء كانت جيدة ام باطلة لانهُ عندما يلتزم السكوت يتكلَّم الله فيهِ ويستيقظ زرع الصلاح المستكنّ داخلاً وهذا وان يكن يصعب على الانسان الجسداني لكنهُ موافق للعقل والاختبار الطبيعي في غير اشياء ايضًا ولا ينكر ان من يتعلم على استاذ لا يجب ان يصرف الوقت المعيَّن لهُ للعلم دون توقف والَّا فكيف يكون للمعلم فرصة للشرح والايضاح؟ فان ابى ذلك التلميذ السكوت والانتباه

وليس لكي يستعملوها وحدها للصلاة ولكن لكي يريهم مثالاً مختصرًا للصلوات فلا تكون صلواتهم طويلة كالفريسيين وهذا ظاهر من انهُ في كل الصلوات التي استعملها القديسون بعدئذٍ ويذكرها الكتاب لم يذكرها احد منهم او كرَّر كلماتها بل استعملوا كلمات اخرى بحسب اللزوم وكما اوحى لهم الروح

ثالثًا يفهم انهُ يقصد بها ما جاء في رو ٨: ٢٦ وسيأتي الكلام على ذكر ذلك بالتفصيل حيث يقول الرسول لاننا لسنا نعلم ما نصلي لاجلهِ كما ينبغي ولكن الروح نفسهُ يشفع فينا "بانات لا ينطق بها". فلو كانت هذه الصلاة فريضة مرسومة للكنيسة لما كان الرسول صادقًا بقولهِ انهم يجهلون ما يصلون لاجلهِ ولم تكن مساعدة الروح لاجل تعليمهم

لاستماع ما يلقنهُ المعلّم اياهُ ويرشدهُ اليهِ حقّ للمعلم ان يؤنبهُ ويوبخهُ ويطلب منهُ ان يتوقف عن الكلام الى ان يُسأل

مثل الشريف وخادمهُ أَولا يحسب الخادم عديم الطاعة والترتيب واللياقة ايضاً اذا اهمل واجباتهِ في الوقت المعيّن لها حتى ولو عملها جيداً في وقت آخر. او اذا هو اكثر من الكلام ولو في مدح سيدهِ في الوقت الذي يجب ان يقف فيهِ بوقار مستعدًا لاستماع ما يأمرهُ بهِ ملبيًا اشارتهُ فان كان تصرُّف كهذا لا يرضي ولاة هذا العالم وحكامها فهل يمكن ان يسرّ الله بهِ ؟

الانتظار بصمت أَفلا يليق بنا ان ننتظر بصبر لكي يلهمنا الله الى ما يجب عملهُ وحينئذٍ نذهب من قوةٍ الى قوة حسب وعدهِ وانتظارنا لا يتمّ الاَّ بالسكوت والانقطاع عن الانسان الخارجي الطبيعي الذي فينا لان الله لا يعلن نفسهُ للانسان الخارجي والعقل الخارجي بل للداخلي الذي هو روح وحياة فاذا كانت النفس الطبيعية تبقى منهمكة بالمقاصد والافكار والاعمال الخارجية وغارقة في ابحر التصورات فمع ان مواضيع التأمل بحدّ ذاتها حسنة فهي في الوقت نفسهِ تعيق الروح من سماع ذلك الصوت الخفيف الصغير فتتضرَّر لانها اهملت اهم واجباتها اي الانتظار امام الرب كما لو اشغل انسان نفسهُ بالصياح والكلام العالي في موضوع تجاري فأَشغلهُ ذلك عن استماع من يتكلم معهُ في ذات الموضوع بصوت منخفض عن مسائل يهمهُ استماعها ومعرفتها

اما اخصّ اعمال المسيحي فهي ان يصلب اميالهُ الطبيعية الجسدية بخشوع لكي يلهمهُ الله الى حسن القصد والعمل والرب بحسب هذا الخضوع انكار الذات

الآراء الدينية وأُناس كثيرون يسرّ ون ان يزجوا طبائعهم النفسانية بآراء دينية لكي يكتسبوا اسمًا وشهرة فتصبح المحادثات عن تلك الآراء ملذّة

لهم طبعاً ويتولد فيهم ميل اليها بسبب العادة مع كونهم غير حاصلين على تجديد القلب والتقديس الداخلي بالروح وهم رغماً عن ذلك كغيرهم الذين يطلبون شهواتهم في اعمال جسدية وكلاهما مضرّ للبشرية ومكرهة في عيني الرب لكونهما ثمرة او نتيجة اميال النفس الغير المتجددة في الانسان الطبيعي

الافتكار بالموت وحثهم للوقاية من الخطية هي كاوراق التين

وكثيرون ايضاً بسبب شعورهم بالخطيئة وهرباً من القصاص يجرّبون ان يمتنعوا عن الشرور خوفاً من الموت والدينونة وجهنم او املاً بالحصول على السعادة وافراح السماء فيضاعفون عدد الصلوات ويكثرون من النذور والفرائض الدينية التي لا تخلص من اقلّ خطية دون فعل نعمة الله وقوة روحهِ في القلب . انما هذا لا يفيدهم اكثر مما افادت اوراق التين آدم عندما اراد ان يغطّي عريهُ بها . اما الله فرفضها لانها كانت مشيئة آدم الطبيعية الناشئة عن حبّ الذات والاجتهاد في خلاص نفسهِ ولا يمكن ان يوجد طريقة او واسطة تصيّرها مقبولة لدى الله . فالانسان الطبيعي ما زال في حالتهِ الطبيعية فكل اعمالهِ واقوالهِ وما يختص بهِ طبيعي ايضاً فعليهِ اذاً ان يمارس واجب الانتظار امام الرب العظيم بانكار نفسهِ داخلياً وخارجياً واتكالهِ اتكالاً تاماً هادئاً على الله تعالى فيتخلى عن اعمالهِ وتصوراتهِ وتأملاتهِ العقلية واذ يصبح خالياً من كل انانية ويصلب الجسد مع كل ما يختص بهِ يصير صالحاً بقبول الرب الذي لا يرضى لهُ مزاحماً ولا شريكاً في مجدهِ وقوتهِ

انكار الذات فلما يصل الانسان الى هذه الدرجة من انكار الذات ويقبل زرع البرّ الصغير الذي وضعهُ الله في نفسهِ فداء الرب يسوع المسيح اي قيامة النعمة والحياة (ذلك الزرع الذي يقيت الانسان الطبيعي ويصلبهُ بواسطة التصورات الطبيعية والافكار) فينمو نمواً ويتمّ فيهِ الميلاد المقدس وهذه هي النسبة الالهية اني منها وبها تختمر نفس الانسان وروحهُ ثم بواسطة

تكريس النفس يصير مقبولاً في عيني الله ويقف في حضرتهِ ويسمع صوتهُ ويراقب فعل روحهِ . فمركز الانسان اولاً ان ينتظر بهذه الحالة ومن ثم اذا ثقل في عقلهِ شيء يختص بالله او بالديانة فيهِ فائدة لنفسهِ او للآخرين وكان ذلك الشعور غير صادر من مشيئة نفسهِ بل من روح الله فيجب عليهِ حينئذٍ اطاعة كلما يُرشَد اليهِ او ينبَّه بهِ ان كان في التأمل المروَّض للفكر او التفوه بكلام الوعظ والصلاة

الكويكرز ليسوا ضدَّ التأملات الروحية ومن هذا يتضح اننا لا نرفض التأملات الروحية كما يتهمنا البعض كذباً لكي يحقروا مبادئنا ولكننا نرفض افكار الانسان الطبيعي وتصوراتهِ التي هي حسب اميالهِ والتي قد كثرت بسببها الاباطيل والبدع في الديانة المسيحية في كل انحاء العالم .

النفس تنتعش بحياة الله المقدسة ولكن اذا سرَّ الله وقتاً ما عندما ينتظر امامهُ واحد او اكثر من الذين لا يسمحون لافكارهم وتصوراتهم ان تقف في طريقهم بل يلقون رجاءهم المقدس بطهارة على الله فاذا ثبت هؤلاء في القصد الحسن بعزمٍ اكيد يحصلون على الانتعاش الخفيّ وينسكب عليهم فيضان حياة مقدسة نقيَّة تخولهم الكفاءة فيما دعاهم الله اليهِ لان النفس تتغذَّى بالاختبار المقدس وتتجدَّد وتثبت بمحبة الله وتتسلَّح ضدَّ قوَّة الخطيئة وهذا هو مقدمة الشعور بالفرح الحقيقي بالله الذي يتمتع بهِ القديسون في السماء يومياً والذي يهبهُ الله غالباً لابنائهِ هنا لاجل تعزيتهم وتشجيعهم ولا سيما عند ما يجتمعون معاً منتظرين الرب

(١١) **مهما عمل الانسان دون الله باطل** يوجد روحان او قوَّتان متعاكستان روح الله الذي منهُ وفيهِ وبهِ يجب ان يرتشد كل انسان هو شرٌّ محض وغير مقبول لدى الله مهما كان ظاهرهُ تقوي خشوعي لان نور الاشرار خطيَّة ام ٢١ : ٤ اما الانسان العامل بروح الله وقوَّتهِ وحسب

تدريبهِ واشارتهِ سواء كان في الامور الدينية او المدنية حتى وفي الامور الطبيعية هو مقبول في عيني الرب ومغبوط في عملهِ يعقوب ١: ٢٥ فيتضح من هذا ان ادعاء الذين يقولون انهم ينتظرون الرب برفع صوت الصلاة والوعظ فاسد وخالٍ من الفطنة لان الانتظار يعني الاتكال بثقة اكثر مما يعني العمل

الصلاة والوعظ دون الروح مكرهة عند الله فالصلاة والوعظ دون الروح مكرهة عند الله وليس انتظاراً له. اما الصلاة والوعظ بالروح فيلزمهُ صمت خشوعي يتسنى للانسان اثناءهُ ان يشعر بالهام الروح وتدريبهِ اخيراً نرى انهُ في كثير من الاماكن التي يوصى فيها بالصلاة بذكر التنبيه للسهر وهذا يؤيد ما نحن بصددهِ مت ٢٦: ٤١ ومز ١٣: ٢٢ ولو ٢١: ٣٦ وابط ٤: ٧ . ومن هذا يستنتج انهُ قد اوصى بالانتظار والسهر بطريقة خصوصيّة ولما كان الانتظار لا يقوم الاّ بسكوت العقل داخلياً عن الافكار والتصورات الانسانيّة فهذا السكوت يجب ان يكون ركناً مهماً من عبادة الله

(١٢) ثانياً **ابليس لا يقدر ان يخدع الانتظار بالسكوت** ان سموّ السكوت بالانتظار امام الله ظاهر من انهُ يستحيل على عدوّ البشر ان يتلبّس فيهِ ليخدع الانفس ويغريها اما في كل الامور الاخرى فيقدر ان يمزج نفسهُ مع عقل الانسان الطبيعي ويستتر بطريقة يقدر ان يخدع النفس بها ويشغلها بامور قد تكون جيدة بحدّ ذاتها لكنها تحجب نور المسيح الطاهر عنها فتفصلها عن عمل واجباتها كما يحق. لان الروح الشرير الذي ينظر دائماً بعين الحسد الى سعادة الانسان الابديّة يعلم كيف يظهر بمظاهر خداعة اشبه بفخاخ يصطاد بها الانسان تحت ستار مقاصدهِ واميالهِ فاذا وجد انهُ لا يقدر على ايقاعهِ في الشرور الفظيعة والشهوات العالمية لانهُ حينئذٍ يهرب منهُ بسبب

الاميال الدينية الكائنة فيه يصطادهُ مستترًا بهذه الاميال نفسها وبتصوراتهِ الدينية ويجعله يسرع للعمل حسب مشيئة نفسهِ لانهُ يعلم انهُ اذا تسلطت مشيئة الانسان ولم يكن روح الله العامل الاول فيهِ يسهل عليهِ الوصول اليهِ

المذبح والصلوات والمنبر والدرس لا تقدر ان تبعد الشيطان

لانهُ يقدر ان يرافق الكاهن الى المذبح والواعظ الى المنبر والمتعصب في صلواتهِ ودكتور اللاهوت والاستاذ الى مكتبتهِ ويفرح لانهُ في هذه الاماكن كلها يمكنهُ ان يمارس عملهُ ويساعد الانسان على اكتشاف فروقات وتصورات زهيدة يشغل بها افكارهُ وافكار غيرهِ عن الانتباه الى نور الله في ضمائرهم والانتظار بخشوع امامهُ ولا يوجد مخدع يقدر ان يكمن فيهِ مستكنًا ويستعمل قواهُ لاتمام عملهِ خفية دون ان تشعر فيهِ النفس مرارًا كثيرة افضل من القوى الانسانية التي بواسطتها يقدر ان يعمل في الانسان الطبيعي مستخدمًا قواهُ وتصوراتهِ واميالهُ. لذلك عندما يسكت الانسان الطبيعي في الوقت الذي فيهِ تنتظر النفس بسكوت وبشعر بانهُ لاشيء بحسب قواهُ الطبيعية حينئذٍ يغلق على الشيطان بسبب حضور الله الطاهر واشراق نورهِ البهي. وقد علمنا الاختبار ان عدوَّ الانفس اذ ذاك لا يمكنهُ ان يتجاوز التصورات وكما قيل عنهُ ان حضر اجتماعات اولاد الله قديمًا فهو لا يتأخر عن حضور اماكن العبادة الآن ويمكنهُ العمل حيثما يكون السكوت مجرَّد انقطاع عن الكلام فيشغل العقل بالافكار والتصورات او يبث روح الخمول. اما اذا كنا عند ما ننقطع عن الكلام والتصورات والافكار نطلب الرب باجتهاد وخشوع ماكثين بالصبر في هذا المكان الحصين الذي يؤمّننا من وصول العدوّ الينا ويمكننا غالبًا من ان نبصر اشراق مجد الله البهي بقوة الذي يخرق الموانع كما يخرق نور الشمس الغيوم والضباب ويبدّد قوة الظلام التي يشعر الانسان احيانًا انها تخيم على عقلهِ تمامًا وتمنعهُ من الانتظار الطاهر امام الرب

(١٣) ثالثاً **لا يمكن الناس ولا الشياطين ايقاف الفرندز عن العبادة** ان سموّ هذه العبادة يظهر من انهُ لا يمكن ايقافها او مقاومتها بواسطة الاضداد العالميَّة او الشيطانية نظير غيرها لان مقاومة العبادة وايقافها نوعان المنع من الاجتماع معاً بالقوة القاهرة التي تفرّقنا الواحد عن الآخر او اذا سمح لنا ان نجتمع ان يزعج اجتماعنا الضوضاء والشغب والاصوات المهيجة التي يعمد اليها الناقمون منّا لسلب راحتنا واعاقة عملنا ولكن هذه العبادة اسمى من ان تُعاق وتفوق كل ما سواها لانهُ مهما تفرّق المؤمنون ووضعت العقبات في سبيل اجتماعهم معاً فكل واحد يقدر على نوع ما ان يجتمع قلبياً بقوة مقياس الحياة الذي فيهِ ويتمتّع ايضاً بلذّة الاتحاد والارتباط بحيث لا يقدر الشيطان وكل اجناده ان يفكّهُ عنها او يحرمهُ منها

ثم ان مقدار فائدة هذه العبادة الروحيَّة الحقيقية يظهر جلياً من المقاومات التي كانت تلمّ بنا عندما كنا نجتمع معاً لانهُ على رغم الوف من الاضطرابات والقلاقل التي واحدة منها تكفي لصدّ غيرنا من المسيحيين عن اتمام العبادة كنا نبقى نحن ثابتين في عبادتنا امام الله وفي الوقت نفسهِ نظهر مثال صبرنا المسيحي للجميع . وكثيراً ما اثّر هذا حتى في مقاومينا انفسهم.اما انواع العبادة الاخرى فلا يمكن ان تقوى على هذه الصعوبات (حتى لو تمكّن المؤمنون من الاجتماع معاً) الّا بمحاباة القوة الحاكمة ومساعدتها او بالالتجاء الى المقاومة بالاسلحة البشرية.اما نحن ففي هذه كلها نداوم على عبادة الله ونحتمل بصبر التعييرات والاضطهادات التي تنبأ المسيح انهُ يكثر وقوعها ضد المسيحيين

يمكن ايقاف البابويين عن اتمام العبادة بسهولة وكذلك الاسقفيين والمعمدانيين لانهُ كيف يقدر البابويون ان يتمّوا خدمة القداس اذا وُجد من يزعجهم او يقلقهم ؟ ام لو أُخذ كتاب ترتيب القداس او الكاس والبرشان أو ثياب الكاهن ام اذا أُريق الماء او الخمر او أُطفئت

الشموع (الامر الذي يسهل عملهُ) لتعطلت كل الخدمة ولم يمكن تقديم الذبيحة. خذ من اللوثريين والاسقفيين كتاب ترتيب الصلوات فلا يمكنهم ان يتمموا خدمتهم . خذ من الكلفنيين والارمنيين والسوسنيين والمعمدانيين والمستقلين المنبر والتوراة والساعة او اعمل ضوضاء حتى لا يُسمَع صوت الواعظ او ازعجهُ فقط قبل حضورهِ للوعظ او خذ منهُ التوراة او كتبهُ فيلتزم ان يبقى صامتاً لانهم كلهم يعتبرون الانتظار والطلب من روح الله لاجل الارشاد الى الكلام نوعاً من الكفر . وهكذا تتعطَّل وتفسد كل عبادتهم ولكن عند ما يجتمع الشعب معاً غير متكلين في العبادة على اعمال خارجية ولا ناظرين الى شخص خصوصي لاجل الوعظ بل يجلسون امام الله وينقطعون عن كل الامور المنظورة ويشعرون بفعل الله بالروح فلا يمكن لكلّ القوات المذكورة ان تكدّر اجتماعهم

اضطهاد الكويكرز لاجل طريقة عبادتهم   ونحن بنعمة الله شهود حقيقيون لهذا لانهُ لما هيَّج مقاومونا بسبب حسدهم وحقدهم الحكام ضدَّنا واستعملوا عبثاً كل الوسائط الممكنة لاجل توقيفنا من الاجتماع معاً فالقتل والنفي والسجن والغرامات المالية والضرب والجلد وباقي الاختراعات الشيطانية لم تكن لتخيفنا وتجعلنا نتوقَّف عن الاجتماعات المقدسة . ولما كنا نجتمع معاً على رغم الاهانات التي لم نكن نهابها حبّاً للاجتماع معاً لاجل العبادة كثيراً ما كان اخصامنا يثيرون علينا رعاع القوم السفلة واشقى طبقة من الناس واشدهم فساداً . فعاملونا معاملة غليظة خشنة خالية من كل الشعائر الانسانية لكي يثيروا فينا ثائر الغضب او يضعفوا عزيمتنا وبهذا يعطلون اسمنا ويتهمون مبادئنا ولكن كل مساعيهم ذهبت ادراج الرياح . اما الامور القبيحة السمجة التي اقترفوها ضدنا فهي تفوق حدّ التصديق ولاسيما لصدورها ممن يدَّعون انهم من انصار الديانة المسيحية وهي تبقى عاراً معيباً يصمهم وصمة شائنة فكثيراً

ما كانوا يضربوننا ويرمون ماء وقذارة علينا وفي الوقت نفسه يرقصون ويهمزون ويتغنون متفوّهين بكلام وحٍّ قبيح . وقد عاملوا بالعنف وبطرق غير لائقة نساء وعذارى وقورات شريفات فكانوا يضحكون ويهزأون ويسخرون قائلين هل حلّ الروح بعد ؟ وامور كثيرة غير هذه لا يليق ذكرها . كل هذا كان يجري علينا ونحن جالسون برزانة واخلاص صامتين ومنتظرين الرب فلم يعق هذا كله شركتنا الداخلية الروحية مع الله ومع بعضنا البعض بل كان بالعكس ينشطنا في حياة البرّ والطهارة

عصا موسى شقت البحر هكذا الروح يفتح لنا طريقاً وسط امواج الغضب اما الرب المطّلع على هذه الاضطهادات والتعديات الملحقة بنا بسبب شهادتنا له فقد البسنا قوة ومجداً من العلاء وانعشنا بقوة بروح محبته الذي ملأ قلوبنا والذي كان ينمو ويزداد فينا كلما اجتمعنا معاً باسم الرب حصن الابرار الحصين . وقد وجدنا اننا نحفظ به من كل ما كان يلحق بنا من الضرر بسبب احتقارهم . ومن عار الاعتراف الباطل الاسمي بالمسيح الذين لم يخجل مضطهدونا من الاتيان تحت ستاره بتلك الاثمار الشريرة المقوتة . حتى انه احياناً كان يقوم وسط ذلك الشغب العظيم والمقاومات العنيفة رجال امناء منا يحركهم الله بروحه ويظهرون الفرح الذي كان سائداً في قلوبنا على رغم كل اجرائهم وعن مقاومتهم ويشهدون بالروح ضد قباحة اعمالهم الشريرة حتى لما اضطرتهم قوة الحق الى حالة الهدو والسكينة ووقفت عواصف غيظهم وثورات غضبهم وجنونهم وفتح الله لنا طريقاً وسط شرّهم المستعر كما عبّر الله الاسرائيليين في البحر الاحمر وشقه الى قسمين بضربة عصا موسى هكذا كنّا نمرّ بسلام ونتمّ عبادتنا الروحية وقد كان لتصرّفنا تأثير على عدوّ عظيم من الدّ مقاومينا فقبلوا الحق الذي نتمسّك به وعوضاً عن ان يكونوا مضطهدين صاروا مُضطهَدين معنا

الاعمال الردية التي ارتكبها صغار الاكليروس والامر الذي يقضي بالعجب ويستحق الذكر هو ان المحركين الرئيسيين لهذه الاعمال السيئة التي أُجريت ضدنا كانوا من طلبة المدارس الاحداث الذين يتعلمون ما يسمونهُ لاهوت وفلسفة واكثرهم من الذين يستعدّون للخدمة ولو كُتبت كل الافعال الرديئة التي فعلها صغار الاكليروس للزم لذلك كتابًا كبيرًا كما يشهد بهِ كنائس المسيح المجتمعة لعبادتهِ الطاهرة في اكسفرد وكمبردج في انكلترا وابدنبرج وابردين في سكتلند حيث توجد هذه الكليات

(١٤) **بهذا نعرف اننا شركاء العهد الجديد وتلاميذ المسيح الحقيقيون** زد على ما تقدَّم اننا بهذه العبادة نعلم اننا شركاء العهد الجديد وتلاميذ حقيقيين للمسيح مشتركين معهُ بالعبادة الروحية التي تتمّ بالروح والحق لانهُ كان في العالم كما نحن فقد كان للعبادة في العهد القديم مجد خارجي الهيكل والطقوس وكان لها زينة وبهاء خارجيين وخيمة خارجية ومذبح خارجي مجلَّل بالذهب والفضة والحجارة الكريمة وكان تقديم الذبائح مختصًّا بمكان واحد جبل صهيون الخارجي وكل من صلّى كان يدير وجههُ نحو ذلك الهيكل الخارجي. وكانت تحمي كل هذه الامور الخارجية القوة المسلحة ولم يتمكن اليهود من ممارستها الّا عند ما كانوا بأمن من سطوة اعدائهم الخارجيين الذين كلما تغلبوا عليهم كانوا يقلّصون مجدهم ويوقفون ذبائحهم وهكذا تنكسف عبادتهم الخارجيّة فيتذمّرون وينوحون ويبكون خرائب هيكلهم كخسارة لا تعوَّض

عبادة العهد الجديد هي داخلية يو ١٨: ٣٦ ولكن يسوع المسيح رئيس عبادة العهد الجديد ومنشئها قد صرّح قائلاً ان الله لا يهتمّ بمكان العبادة ان هنا او هناك بل يطلب عبادة بالروح والحق. وبما ان ملكوتهُ ليس من هذا العالم فلذلك عبادتهُ ليس لها علاقة بامور هذا العالم ولا تحتاج حكمة هذا العالم او مجدهُ او غناهُ وبهاهُ لاجل تزيينها او تجميلها ولا القوة

المسلحة الخارجية لكي تدعمها او ترفعها او تحميها ولكنها قائمة وتقوم بالساجدين الحقيقيين بالروح على رغم مقاومة وعنف وانتقام الانسان . وبما انها روحية محضة لايمكن الانسان ان يمسّها او يزعجها او يسلبها فكان المسيح منشئها ومؤسسها نتمتع بملكتهِ الروحية وتسلط عليها كل الوقت وكان يفرح بملكوتهِ الروحي على رغم ما لحقهُ من الاحتقار لانهُ كان محتقرًا ومرفوضًا من الناس ومجرّبًا بشدّة من ابليس .لكنهُ جرّد الرياسات والسلاطين وشهّرهم جهارًا ظافرًا بهم وسحق قوة الموت اي ابليس

العبادة الخارجية لا تثبت دون القوة المسلحة لذلك فالمؤمنون بهِ يمكنهم ان يعبدوهُ ويتبعوهُ دون التجاء الى الاسلحة الجسدية حتى في الاضطهاد لان عبادتهم روحية وقوة الروح تعضدها وتحافظ عليها . اما العبادة الجسدية التي تقوم بالطقوس والفرائض الجسدية فتحتاج الى السلاح الجسدي لحمايتها والمحافظة عليها ولايمكن ان تقوم او تثبت دونهُ ولذلك يظهر ان عبادة مقاومينا ان بابويين او بروتستانت هي من هذا النوع وليست عبادة العهد الجديد المسيحية الروحية .لانها لا تثبت دون حماية القوة الحاكمة عليها ولا تمكن ممارستها عند اقلّ معارضة اذ ليس لهم صبر المسيح لكي يخدموهُ ويعبدوهُ بالآلام واحتمال العار والتهم الكاذبة والتوبيخ وبسبب عدم صبرهم واحتمالهم نشأَت الحروب والخصومات وسفك الدم بين المسيحيين لان كلاًّ منهم كان يجتهد ان يحافظ على عبادتهِ ويحامي عنها بالقوة وهذا هو اساس الاضطهاد القبيح الذي سأَتكلم عنهُ مطولاً فيما بعد

(٥) **الديانة الروحية الحقيقية التي وضعها المسيح** رابعًا ان العبادة الروحية تتمّ باسكات الانسان الخارجي وعمل روح الله ويثبت ذلك قول المسيح يو ٤: ٢٣ و٢٦ "ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون لله بالروح والحقّ لان الآب طالب مثل هولاء الساجدين

له. "الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي ان يسجدوا" وهذه الشهادة جديرة بالاعتبار التام لانها الوصية الاولى الخصوصية التي اعطانا الله اياها برحمته عبادة مسيحية تختلف وتمتاز عن العبادة تحت الناموس لانه قال "تأتي ساعة وهي الآن وفيها الساجدون الحقيقيون يسجدون بالروح والحق لان الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له" فيظهر جليًّا انها ليست فيما بعد تقوم بطقوس خارجية تتم في اماكن واوقات معيّنة حسبما تسمح الظروف او حسب ميل الانسان وقدرته الطبيعيّة والّا لما كانت تختلف جوهريًّا عن العبادة تحت الناموس بل ببعض امور عرضيّة حسب الموافقة

برهان المسيح المثبت العبادة الروحية وقد اعطى المسيح نفسهُ افضل برهان اثباتًا لهذه العبادة فيجب على كل مسيحي ان يقتنع بهِ اي "الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي ان يسجدوا" فيجب على الجميع اطاعة هذه الوصيّة لانها كلمات المسيح ذاتها ولانها مبنية على قوة البرهان فقد بيّن السيد المسيح بالبرهان القويم الثابت العلاقة الصادقة بين العبادة والمعبود

الله روح

لذلك ينبغي ان يقدَّم لهُ عبادة روحية وهذا امر ثابت لا يمكن ردهُ

مجد الهيكل الخارجي ثم يجدر بنا ايضًا ان ندرك انهُ لما وضع الله العبادة الطقسية بحسب الناموس وعلم اليهود بها فلاجل المناسبة ولكونها عبادة خارجية رأى من الضروري ان يتنازل بطريقة خصوصية ويسكن بين الشاروبيم في خيمة الشهادة. ثم بعد ذلك في هيكل اورشليم كمحل سكن وقد ظهر فيهما بمجد وبهاء خارجيين فانزل نارًا من السماء واكلت الذبائح وملأ الهيكل بالضباب وهكذا اظهر نفسهُ بهذه الوسائط الخارجية التي تراها

العين الخارجية لانهُ اوصاهم ان يتمموا عبادة خارجية . اما في العهد الجديد فرأى الله بحكمتهِ السماوية انهُ يناسب ان يرشد اولادهُ طريقًا روحيًا سماويًا مألوفًا اتمّ واسهل. وهكذا شاء ان يحوّل ابصار شعبهِ الى ملكوت ومجد سماويين فاعطانا لذلك ظهور ابنهِ الرب يسوع المسيح الذي انقذ شعبهُ (كما انقذ موسى بني اسرائيل من العبودية الخارجية بان اهلك اعداءهم بطريقة خارجية) بالآلام والموت من ايدي اعدائهم ليعطيهم الغلبة على الشيطان وعلى الاعداء الداخليين فعلّمهم عبادة داخلية روحية ولم يقيدهم بهيكل اورشليم الخارجي ولا برسوم او فرائض خارجية بل علّم ان قلب المسيحي الحقيقي هو هيكل لله يظهر له فيهِ ويدربهُ الى عبادة روحية في كل الامور فقد برهن المسيح بهذا انهُ بما ان الله روح ينبغي ان يُعبد بالروح في المكان الذي هو ساكن فيهِ ويعلن نفسهُ للمنسحقي القلوب. فاذا لم يبقَ هيكل خارجي للعبادة لان قلب الانسان هو الهيكل الذي ينبغي ان يسجد له فيهِ (وكما قال استفانوس لليهود قديمًا من كلام النبي العليّ لايسكن في هياكل مصنوعة بالايدي" وكما كان في السابق مجد السيد ينزل ويملأ الهيكل الخارجي الذي فيهِ خيمة الشهادة التي كانت مغشاة بالذهب ومزينة بانواع المعادن الثمينة النقيّة هكذا يجب ان يطهّر القلب وينقّي من كل اوساخهِ وافكارهِ وتصوراتهِ لكي يصلح لقبول الله فيهِ لاجل الارشاد. ولاجل هذا يجب ان نلتجئ الى السكوت الداخلي الذي تكلمنا عنهُ وبيّناهُ بتدقيق لكي تكون عبادتنا روحية بالحقّ ولان هذه العبادة وحدها هي العبادة الحقيقية التي لايمكن للعدوّ ان ينزعها ولا للمرائي ان يمارسها

(١٦) مذهب بابوي يدعون المستكنين وعبادتهم الداخلية (انظر سانتاصوفيا المطبوع ١٦٥٧) مع ان هذه العبادة تختلف جدًا عن كل انواع العبادة المخترعة الشائع استعمالها بين المسيحيين بحيث تظهر انها

غريبة عند الكثيرين فقد استحسنها ومارسها وشهد بها اشهر الانقياء في كل العصور وهذا ثابت بواسطة شهاداتهم الصريحة التي تركوها وكانوا يلقبون الذين يتبعون هذه العبادة وينادون بوجوب اتباعها "المستكنين" لانهم قالوا ان العقل يجب ان يجرّد من كل التصورات والافكار لاجل الصلاة بل والارادة. وقد كانت هذه العبادة تعتبر ارقى عبادة مسيحية واتمها ومع ان بعض القائلين بها كانوا بابويين لم يمنعهم ذلك من التصريح علانية "إن من يمارس هذه العبادة او يسعى وراءها (كما هو مدوّن في كتاب يُسمَّى سانتا صوفيا نشرهُ البندكتيون الانكليز في كتاب طبع في دواي سنة ١٦٥٧) "لا يحتاج ان يشغل نفسهُ باعترافات غير لازمة او تذليل الجسد بالاشغال الشاقة او تلاوة صلوات شفهية واستماع عدد من القداسات واكرام القديسين او تقديم الفروض لهم او الصلوات لاجل الموتى او الاهتمام والرغبة في زيارة هذه الكنيسة وذلك الدير او الارتباط باخويات او التقيُّد بنذور لان هذه كلها تشغل الفكر وتعيق النفس عن الانتباه الى عمل روح الله القدوس وتلهي الانسان عن حرية اتباع ارشادات هذا الروح"

ولكن من ينكر ان الديانة البابوية القديمة قائمة بالطقوس والفرائض اما المسمّون بالمستكنين فيظهرون بكثير من كتاباتهم انهم اعتبروا هذه العبادة اسمى وافضل جداً من كل انواع العبادة. ومن توصل اليها اصبح في غنى عن كل ما سواها (انظر حياة بالقاذر الفارز في ذات الكتاب سانتا صوفيا) ومنهُ يظهر ان كل الذين اختبروا حقيقة هذه العبادة اعترفوا سريعاً ان كل الطقوس والفرائض اصبحت عديمة الفائدة لهم وهم لا يحافظون عليها فيما بعد كاشياء ضرورية بل حباً للترتيب والمثال الحسن. لذلك وان كان البعض محاطين بظلام ديانتهم العام لكنهم يصرّحون انهُ يجب الجدّ للحصول على هذه العبادة الروحية ولو آل ذلك الى ترك طقوسهم الخارجية

برنارد يفضل العبادة الروحية على الطقوس البابوية وقد قال برنارد في رسالة الى وليم رئيس دير من ذات الرتبة في الرهبنة وفي كتابات غيرها "انتبه الى ناموس الله لان ملكوت الله داخلك. وبعد ذلك عندما كتب عن ترتيباتهم الخارجية ونواميسها يقول انه اذا وجب على الانسان ابطال احد الامرين فيجب ابطال الطقوس وليس العبادة الروحية لانه بقدر ما هي النفس اسمى واشرف من الجسد هكذا الامور الروحية افضل واسمى من الترتيبات الخارجية. وهذه الطريقة هي التي علم بها افضل رجال الله من كل المذاهب وهي تعليم المسيح نفسه فهي تفضل كل انواع العبادة فلذلك هي العبادة التي يجب اتباعها والعمل بها وقد اقام الله له شعباً يشهد ويعظ ويعلم بها لاجل تقويتهم وانعاشهم على وجه هذه البسيطة على رغم كل المقاومات ولم يجعلها هولاء سراً كالمستيكيين يحصل عليه القليلون من الرجال والنساء المرتبطين بطاقم الرهبنة او نتيجة لقب خاص بعد ان انهكوا ادمغتهم خطأً بالطقوس والفرائض الخارجية ولكنهم بحسب حرية الله المخلصة (الذي لا يحابي بالوجوه. بل ظهر قريباً من كرنيليوس الروحاني فسمعه واعلن له نفسه وظهر لسمعان وحنة وكشف مجده لمريم والرعاة المساكين ولم يظهر لرؤساء الكهنة والدخلاء الانقياء بين اليهود) ومحبته الفائقة وجد ان الله شاء ان يعلن هذه العبادة ويؤيدها معيناً للشهادة لها رجالاً من النعلة المساكين ومن الشبان والاولاد فكانوا ينادون للجميع ويطلبون اليهم ان يتركوا العبادة الخارجية المعمولة حسب اميالهم ومقاصدهم وقواهم الطبيعية والتصورات العالمية ويلتجوا الى روح الله الطاهر لكي يحركهم ويرشدهم في ممارسة عبادتهم المقبولة بالروح والحق على ان البعض يعترضون على هذه العبادة

(١٧) **اعتراض اول** يقولون ان الانقطاع عن الاعمال والكلام لا يفيد الانسان فالافضل له ان ينشغل اما بالتأملات في موضوع ما او

بالصلاة والحمد لله

الجواب ان هذا الانتظار الذي ثبت انه اهمّ الواجبات المقبولة امام الله لا يمكن ان يكون عديم الفائدة . اما الذين يتصوَّرون ان يرضوا الله بمجرَّد اعادة الكلام فعلاقتهم به وبما يختصّ بملكوته خارجية. وقد اثبتنا ان اوضح العلامات التي يتميَّز بها الانسان الخائف الله هي ان ينقطع عن افكاره وتصوَّراته ويصغي الى روح الله العامل فيه فالتوقف عن الشرّ سابق للشروع في الاعمال الحسنة . اما مداخلة الانسان في الامور الروحية بواسطة فهمه الطبيعي فهي اشدّ خطرًا من الشرور التي يعرض اليها نفسهُ وهي التي سبَّبت سقوط ابوينا الأوَّلين اللذَين تجاسرا وطلبا معرفة امور تداخلوا فيها خلافًا لما اوصاهم الله

اعتراض ثانٍ انه ان كانت العبادة تنحصر بالالتجاء الى الله والشعور بروحهِ القدوس المنبّه داخليًا وليس بالاعمال الخارجية التي يعملها الانسان حسب ما يرتئي فما الحاجة الى الاجتماعات العمومية التي تقام في اماكن واوقات معيَّنة لان كل انسان يقدر ان يتمتَّع بما ذكر منفردًا ويجب عليهِ ان يبقى في بيتهِ الى ان يحرّكهُ الروح بطريقة خصوصية لكي يذهب في الوقت المناسب الى المكان المطلوب وعليهِ فتعيين الاجتماعات في اوقات واماكن معينة هو نوع من الطقوس والفرائض الخارجية بخلاف ما يعتقدون هم به

الجواب اولاً ان تعيين الاجتماعات في اوقات واماكن معينة ليس بحدّ نفسهِ عملاً دينيًا او قسمًا من العبادة ولكنهُ موافقة خارجية ضرورية لمشاهدة بعضنا بعضًا ما زلنا لابسين بيت خيمتنا الارضي . لذلك لا يُعدّ تعيين الاجتماعات عبادة بل ترتيب اعدادي موافق لانساننا الخارجي لاجل العبادة العمومية المنظورة لكوننا لانجري اعمالاً منظورة في العبادة بعد ان نجتمع معًا سوى بحسب ارشاد روح الله القدوس ثانيًا ان الله قد سرَّ بأن يستعمل

اولادهُ شعورهم الخارجي ما زالوا في العالم ليس فقط كواسطة لبثّ الحياة الروحية نحو الكلام والوعظ والشكر الخ . وهذه الامور لايمكن ان تؤول للخير العامّ ما لم نسمع ونرى بعضنا بعضًا لتقدّم شهادة خارجية منظورة لاجل العالم ايضًا وهو يجعل الحياة الداخلية (التي احيانًا كثيرة لايمكن ادراكها بالحواس الخارجية) تزداد ارتباطًا عند ما يشتاق اولادهُ للاجتماع معًا لاجل عبادتهِ "الحديد يُحدَّد والانسان يحدّد وجه صاحبهِ" ام ٢٧: ١٧ فرؤية ابناء الحياة بعضهم بعضًا يعطي الحياة الخفية فرصة للنهوض والتقدُّم من قوة الى قوة وكما انهُ كلما زاد النور بهاء ولمعانًا هكذا عند ما يجتمع الكثيرون معًا في جدَّة الحياة الواحدة يزداد مجد الله بهاء ويظهر عظمة قدرتهِ في انعاش كل فرد لانهُ لايبقى مخصرًا في نور الحياة المشرق فيهِ فقط بل يشترك مع كل البقية ايضًا . ولذلك وعد السيد المجتمعين باسمهِ ببركة حضورهِ فيما بينهم مت ١٨: ٢٠

وقد تكلم كاتب العبرانيين بالصواب عند ما وبّخ اهمال هذا الواجب لان اهمالهُ لهُ نتائج خطرة فظيعة "ولنلاحظ بعضنا بعضًا للتحريض على المحبة والاعمال الحسنة غير تاركين اجتماعنا كما لقوم عادة بل واعظين بعضنا بعضًا وبالاكثر على قدر ما ترون اليوم يقرب" عب ١٠: ٤٢

والسيد اظهر اعتبارًا خصوصيًا للذين يجتمعون معًا لانهم بهذا يؤدّون شهادة عمومية على الارض لاجل مجد اسمهِ. لذلك كل ابناء الروح يلهمون طبعًا للاجتماع معًا لاجل المحافظة على شعب الله ولا يعوزهم دافع روحي ليستحثهم اليها . اما اذا كانت العبادة مجرَّد عادة فقط فهي دون شك ملومة مع ذلك لايُعدّ تعيين الزمان والمكان رسمًا او فريضة متممة حسب ميل الانسان لاجل عبادة الله اذ لايمكن ان تحسب عبادة كما قيل سابقًا بل هي ان يضع الانسان نفسهُ بهيئة صالحة للعبادة. وكل مقاومينا يعترفون ان

القديسين في الكنيسة الاولى مارسوا طريقة العبادة هذه

اعتراض ثالث ان العبادة بالسكوت ليس لها ذكر في كل الكتاب

والجواب السكوت هو انتظار ارشاد الروح انا لانجعل السكوت كل العبادة كما قد سبقت فقلت ان اكثر اجتماعاتنا يندر فيها السكوت الطويل بل يلهم فيها شخص او اكثر للوعظ او للصلاة او للشكر فاجتماعاتنا تماثل اجتماعات الكنيسة الاولى كما يصفها لنا الكتاب ومقاومونا يعترفون انهم كانوا يعظون ويصلّون بحسب ارشاد الروح . أفلا تحسب حماقة عظيمة اذًا ان يقال انهُ لما لم يلهمهم الله بالروح الى هذه الاعلانات الخارجية كانوا يسكتون ? عوضًا عن ان يُقال ما هو اكثر مطابقة للحقيقة اي انهم لم يشرعوا في الكلام الى ان أُرشدوا بالروح اليهِ. وكان من الضرورة انهم بقوا احيانًا كثيرة ساكتين حيث قيل قبلما حلَّ الروح عليهم "كان الجميع معًا بنفس واحدة" اع ٢ : ١ . ثم بعد ذلك يقول ان الروح حلَّ عليهم بغتةً ولم يذكر انهُ تكلم احد منهم ذلك الوقت فاذا بقيم مناظرونا بهذا ألا يُعدّ حماقة اذا قيل ان سكوتهم كان جمودًا ?

ثم لو قيل ان الكتاب لايذكر اجتماعًا كاملاً صرف بالسكوت

فأُجيب الاجتماعات بسكوت يثبتها الكتاب والعقل انهُ ولو فُرض عدم وجود ذكر صريح لاجتماع كهذا فهل يُحسَب دليلاً على كونهِ غير جائز لان اماكن عديدة من الكتاب تثبت مارستهُ لانهُ لما كان الكتاب يوصي باقامة الاجتماعات معًا ويحذّر عند الاجتماع من الصلوات والوعظ دون ارشاد الروح كانت النتيجة انهُ اذا اجتمع الشعب معًا ولم يضع الروح كلامًا في افواههم وجب ان يبقوا صامتين. لقد مارس الرسل طرقًا عديدةً لا يذكرها الكتاب على اننا قد ذكرنا من الكتاب ما يدلّ على ان هذه الطريقة كانت مستعملة . فأيوب بقي سبعة ايام صامتًا مع اصحابهِ وقد كان

هذا اجتماعًا طويلاً صُرف بالصلاة بسكوت وهذا ظاهر ايضًا من حزقيال ١٤: ١ و ٢٠: ١ فاذ قد اثبت صحة هذه العبادة بالبرهان من الكتاب ومما ينطبق على العقل السليم واجبت على كل الاعتراضات التي تقدّم غالبًا ضدّنا على طريقة تكفي لايضاح هذه القضية واثباتها. ساذكر قبل التقدم الى القضية التالية شيئًا خصوصيًا عما يتعلّق بالوعظ والصلاة والترتيل

(١٨) **الوعظ باعتبار البروتستانت والبابويين خطاب معدّ يقتضي لالقائهِ نحو ساعة** ان الوعظ بحسب اعتبار البابويين والبروتستانت يعني ان انسانًا معينًا يتخذ فصلاً او عددًا من الكتاب يتكلّم فيهِ ساعة او ساعتين بعد ان يكون درسهُ وتأمل بهِ في غرفتهِ وضم معًا من مبتكرات افكارهِ او من كتابات غيرهِ وملاحظاتهم عظة يتعلمها غيبًا (كتلميذ في مدرسة) ثم يقف ويتلوها امام الشعب وكلما زاد تفننًا في الاختلاق او النقل واجتهد في الاسهاب والشرح بسموّ الكلام وفصاحة اللسان حسب مقدرتهِ الخارجية عُدّ واعظًا قديرًا فاضلاً

الوعظ الحقيقي بالروح اما نحن فنعتقد انهُ متى اجتمع القديسون معًا ونظر كلٌّ منهم الى عطية نعمة الله في داخلهِ فمن يلهمهُ روح الله منهم ان يتقدم خدمة عليهِ ان يتكلّم كما يرشدهُ الروح غير معتمد على فصاحة الكلام وسموهِ بل ناظرًا الى اعلان الروح بقوة. ومن ثم اذا ارشد الى تفسير اي قسم من الكتاب فالروح خير منفسّر لهُ او الى كلام النصيحة او الوعظ او التبكيت او التعليم او تقديم بعض الاختبارات المسيحية. ففي كل هذه يرشدهُ الروح الى ما ينطبق على الكتاب وان يكن غير متخذ صريحًا عنهُ من اصحاح او عدد مخصوص. فأي الطريقتين اكثر انطباقًا على وصايا المسيح والرسل والكنيسة الاولى المذكورة في الكتاب؟ على انني ليس لي شيءٌ ضد وعظهم في موضوع من الكتاب ان لم يكن بحسب العادة فقط ومعدًا سابقًا بل ثم لوقتهِ حسب

ارشاد الروح . اما الطريقة المتبعة عندهم فلا يوجد وصية ولا يعلمنا العهد الجديد ان قد جرى ممارسة طريقة تشبهها في العبادة

اعتراض ولكنهم يقولون ان المسيح اخذ سفر اشعياء وقرأ منهُ وتكلم عنهُ وان بطرس حكى عن آية من يوئيل النبي

فاجيب ان المسيح وبطرس تكلما لساعتهما بحسب ارشاد روح الله والهامهِ وذلك تمَّ دون استعداد سابق وهذا ما لا يمكنهم انكارهُ وما نمتدحهُ نحن ويختلف جدًا عن الخطة التي يمارسونها بحسب العادة وبهيئة مرتبة ترتيبًا خارجيًا دون ارشاد الروح وانتظارهِ . فالمسيح وبطرس لم يستعملا ما تقدَّم ذكرهُ كعادة مستمرَّة وُضعت لكي يمارسها كل خدَمة الكنائس . وهذا يتضح من ان اكثر المواعظ التي فاه بها المسيح وتلاميذهُ في الكتاب لا تقرن بذكر مكان معيَّن ولا يُقال انها اتخذت من عدد مخصوص كما في الوعظ على الجبل مت ٥ ومر ٤ الخ . ووعظ بولس في اثينا ولليهود وهذا يكفي لان يبين ان هذه الطريقة غير مبنيَّة على وصية الكتاب وهي مغايرة لوعظ المسيح المدوَّن في الاسفار المقدسة في العهد الجديد والمسيح لما ارسل تلاميذهُ ذكر صريحًا انهُ يجب ان لا يتكلموا من انفسهم او ان يهتموا سلفًا لان الروح يرشدهم في حينهِ الى ما يتكلمون بهِ كما جاء في الاناجيل الثلاث مت ١٠ : ٢٠ ومر ١٣ : ١١ ولو ١٢ : ١٢ فان كان المسيح اعطى هذه الوصية لرسلهِ قبلما انطلق عنهم لكي يعملوا بها مدة وجودهِ معهم بالجسد فبالاولى جدًا بعد مبارحتهِ اياهم وبعد ان قبلوا الروح القدس بطريقة خصوصية لكي يرشدهم في كل شيء ويعلمهم كل شيء يو ١٤ : ٢٦ وان كانوا يجب ان يفعلوا هذا متى حضروا امام الحكام ورؤساء هذا العالم فكم بالاحرى في عبادة الله عند ما يقفون امام خاصتهِ نعبادتهِ اذًا بالروح وكثيرًا ما يقال بعد قبولهم الروح القدس اع ٢ : ٤ وتكلموا كما اعطاهم الروح ان ينطقوا وليس كما درسوا او ألفوا او جمعوا من

كتبهم واستعدُّوا عليهِ في مخادعهم وقد تكلَّم فرنسيسكوس لمبرتوس الذي سبق ذكرهُ حسنًا في الموضوع مبينًا رياءهم "ابن الذين يفتخرون باختراعهم الذين يقولون اختراع بديع اختراع بديع أيسمّون اختراعًا ما صنعوهُ انفسهم فما هي علاقة المؤمن بهذه الاختراعات . نحن لانطلب اختراعات ولا تصنيفًا بل امورًا ثابتة لاترُدّ ابدية سماوية ليس ما اخترعهُ الانسان بل ما اعلنهُ الرب. لاننا ان آمنّا بالكتاب لايفيدنا اختراعنا شيئًا بل نغبط الله بهِ لملاكنا. ثم يقول بعد ذلك احذر من ان تصمم النية للكلام في موضوع ما مقرّرًا قبل الوقت ما يجب ان تقولهُ لانهُ وان جاز لك ان تتخذ عددًا تفسرهُ لا يجوز لك ذلك في التفسير لئلّا تسلب الروح القدس حقهُ اي انك عند الكلام يجب ان تكرز باسم الرب غير معتمد على العلم والخبرة والمعرفة الشخصية كأنك لم تدرس شيئًا مطلقًا بل تسلم قلبك ولسانك وشخصك بجملتك لروحهِ غير واثق بدرسك السابق وتصوراتك بل قائلاً في نفسك بالايمان العظيم بالوعد الالهي ان الله يعطي كلمة بقوة فائقة لكل الذين يبشرون بالانجيل. وفوق كل شيءٍ احذر من ان تتبع عمل المرائين الذين يكتبون كلمة حاسمة ما يقولونهُ كانهم مزمعون ان يستظهروا بعض الاعداد في مكان التمثيل متعلمين ما يبشرون بهِ كممثلي الروايات . وبعدئذٍ هم في مكان النبوة يصلون الى الرب لكي يدرّب السنتهم وذلك بعد ان يكونوا قد اوصدوا طريق الروح القدس وقرروا فكرهم ان يتكلموا ما قد كتبوهُ هولاء هم انبياء تعساء ملاعين لا يتكلون على روح الله بل على كتاباتهم وتصوّرهم. لماذا تصلّي الى الرب ايها النبي الكذَّاب لكي يهب لك روحهُ القدوس الذي بهِ يمكنك ان تكلّم امورًا نافعة وانت في الوقت نفسهِ قد رفضت الروح ؟ لماذا تفضّل تصوراتك وعملك الشخصي على تعليم روح الله ؟ لماذا لا تسلّم نفسك للروح ؟

(١٩) **كلمات الحكمة الانسانية لاتولد الايمان** ثانيًا ان

طريقة الوعظ التي يتبعونها (باعتبار انهم يقولون انهُ يمكن ان تتمّ الخدمة بواسطة خدّام اشرار خالين من النعمة الامر الذي يكثر وقوعهُ) ليس انها لا يمكن ان تبني الكنيسة فقط او تولد الايمان الحقيقي وتنميهِ لكنها مقلقة لهُ ايضاً لانها مناقضة طبيعة الخدمة المسيحية الرسولية تماماً كما جاء في الكتاب المقدس اكو ١ : ١٧ لان الرسول لم يبشر بالانجيل بحكمة بشرية لئلاَّ يتعطَّل صليب المسيح . اما وعظهم فهو خالٍ من عمل روح الله وارشادهِ وهو فصاحة بشرية واختراع انساني بحسب ميل الانسان وعلمهِ الطبيعي المكتسب بل هو فلسفة الكلام بعينهِ وبهِ يتعطَّل صليب المسيح . اما كلام الرسل وكرازتهم فلم يكونا بكلام الحكمة الانسانية المقنع بل ببرهان الروح والقوَّة لكي لا يكون ايمان سامعيهم بحكمة الناس بل بقوَّة الله لان ايمان السامعين لا يثبت بحكمة الناس بل بقوَّة الله اكو ٢ : ٣ و ٤ و ٥ ولكن هذا الوعظ الخالي من القوَّة والروح كما يعترف المبشرون والذين يسمعونهم (اذ انهم لا ينتظرون شيئاً من ذلك واكثر الاوقات لا يشعرون بهِ) مبني على الحكمة البشرية والكلام الملق لانهم انما يطلبونهُ بالحكمة البشرية فقط ناظرين الى فصاحة المتكلم ورنَّة الكلمات التي يتكلَّم بها . فلا عجب والحالة هذه اذا كان ايمان السامعين المتكلين على مجرَّد الوعظ ومقدرة الواعظين مؤسساً على حكمة الانسان وليس على قوَّة الله . اما الرسل فقد صرَّحوا انهم لم يتكلموا "باقوال تعلّمها حكمة انسانية بل بما يعلمهُ الروح القدس" لذلك فطريقة الوعظ التي يتمسك بها هؤلاء الوعّاظ تعد اقراراً منهم انهم غرباء عن الروح القدس وعملهِ والهامهِ لانهم لا ينتظرون ان يشعروا بهِ بل يتكلمون بالكلام الذي تعلموهُ واقتبسوهُ بحكمتهم الطبيعية وعلمهم ثم يضيفون الى ذلك بعض العبارات يختلسونها من الكتب المقدسة وغير كتب حسب ما يرونهُ مناسباً وليس كما يعلمهم الروح القدس

طريقة كرازة الكنيسة الحقيقية هي الكلام حسب الاعلان ثالثًا ان هذه الخطة تخالف طريقة الكنيسة وترتيبها كما جاء في كلام الرسول ١كو ١٤: ٣٠ حيث يقول ان كل من يعظ يجب ان ينتظر اعلان الروح وان يعطي بعضهم بعضًا فرصة بحسب الاعلان اما هم فيقولون ان الواعظ يجب ان يتكلّم ليس ما يعلن له بل ما استعدّ عليهِ واحضرهُ سابقًا

قد اغلق الكهنة على الروح ان يكون معلمًا رابعًا واخيرًا ان هذا النوع من الكرازة يغلق على روح الله الذي يجب ان يكون المعلم والمدرّب لشعب الله والذي بتدريبهِ فقط يكون الوعظ موثرًا ومفيدًا لاجل بنيان الارواح فهو يعظّم حكمة الانسان الجسدية وقواهُ وعلمهُ وهو بلاشك السبب الاعظم لكون الوعظ بين اكثر المسيحيين غير ناجح وعديم الثمر وبحسب هذا التعليم يمكن الشيطان نفسهُ ان يكون واعظًا ويجب الإصغاء لما يقولهُ لكونهِ يعرف الحق وعندهُ فصاحة كأحسنهم. ولكن ما الفائدة من سمو الكلام اذا فقد اعلان الروح وقوتهُ العاملان في الضمير. والسيد المسيح لم يقبل شهادة الشيطان عند ما اعترف بالحق فشواهد الكتاب حسب ما تقدّم تبرهن ان تعليمهم في هذا الموضوع مغاير لتعليم المسيح وثبت ان تعليمنا مفيد ومطابق له

(٣٠) ولربما يعترض احد بقولهِ ألم يستفد البعض بواسطة كرازة الذين يرتبون مواعظهم ويستعدّون لها فاهتدوا واستفادوا فائدة كبيرة لاجل بنيانهم? أوَ لم يعضد الروح الالهي ويرافق عظات أُعدّت قبل الكرازة بها فاثّرت بقوّة في السامعين وافادتهم فوائد عظيمة?

فاجيب نعم انني أُسلّم بهذا ولا انكرهُ انما ذلك لايفيد ان الامر صوابي بحدّ ذاتهِ كما انهُ لايمكن ان يستفاد من ظهور الرب لبولس عندما كان ذاهبًا الى دمشق لكي يضطهد القديسين فارشدهُ الى طريق الخلاص ان عمل بولس

كان حسنًا ولا يجب ان نفبس الاعمال الفردية الخصوصية ولا الشعبية العمومية باعمال الله وتنازله في ازمنة الجهل. فكثيرًا ما اتفق ان الله نظر الى بساطة الواعظ والسامعين وامانتهم فسكب من روحهِ القدوس وقوّتهِ على قلب الواعظ وارشدهُ الى الكلام عن امور لم تخطر لهُ عند ما استعدّ للكرازة وهذه التنبيهات والمواعظ الحية التي أُعطيت دون سابق استعداد قد وُجدت بالاختبار انها اكثر فائدة ولذَّة لكلٍّ من الواعظ والسامعين من كل المواعظ الرنانة التي يكثر المتكلم بها من الاستعداد والتأمل الكثير. لكن هذا كلهُ ليس برهانًا يبرّر مداومة ممارسة امرٍ لا يوافق بل بالحري يعاكس ما جرى عليهِ الرسل عند ما اقامهم الله لكي يعِدُّوا شعبًا يعبدهُ روحيًا بحسب الطهارة الاولى فاعمال الله هذه وتنازلهُ العجيب في اعصر الجهل المظلمة يجب ان تنبهنا اكثر لكي نتبعهُ حسب الطريقة الروحية الكاملة التي اعلنها لنا

(٢١) الصلاة الروحية تختلف عن الصلاة الخارجية اما الآن وقد اسهبت في الكلام عن الكرازة فانقدّم الى الصلاة التي يوجد نفس الاختلافات من جهتها فلكون ديانة مناظرينا على الاكثر خارجية واعمالها نتاج عقل الانسان وارادتهِ وقواهُ الطبيعية فيعظون ويصلّون حسبما يشاؤون وعندهم صلوات مرتبة على نسق معين على انني لا اتعرّض للاختلافات الكائنة فيما بينهم من هذا القبيل لان البعض عندهم صلوات معينة مدوَّنة في كتب الصلوات وغيرهم يتلون الصلوات دون استعداد سابق ولكن يكفي انهم يتفقون ان لا لزوم للشعور بالهام روح الله قبل الشروع فيها ولهم اوقات في عباداتهم العمومية يصلّون فيها قبل الوعظ وبعدهُ وفي صلواتهم الانفرادية صباحًا ومساء وقبل الاكل وبعدهُ واوقات اخرى يقدّمون فيها الصلوات موجهين كلامًا الى الله سواء شعروا بارشاد الروح والهامهِ ام لا حتى ان روساءهم المشهورين اعترفوا انهم كثيرًا ما قدموا الصلوات كما ذكر دون

ارشاد الروح او الهامهِ وافرّوا انهم اخطأُوا بهذا ولكنهم قالوا انهم نظروا الى علمهم كاتمام واجب لانهُ قد فرض عليهم ان يصلّوا فاصبح من الضروري ان يتمموا هذا الفرض ولو كانت الصلاة دون الروح خطية

نحن نقرّ بفائدة الصلاة العظيمة وانها واجب ضروري موصى بهِ ويناسب ان يداوم كل المسيحيين على ممارستها مرارًا كثيرة ولكن بما اننا دون المسيح لانقدر ان نعمل شيئًا فدونهُ لا يمكننا ان نصلّي لاننا نحتاج الى ارشاد الروح ومساعدتهِ

الصلاة الداخلية   ولاجل زيادة ايضاح هذه القضية وفهمها تمامًا لنفرض اولاً ان الصلاة نوعان داخلية وشفهية فالصلاة الداخلية هي اتجاه العقل الخفيّ نحو الله لانهُ قد تنبه بأن نور المسيح مسهُ بطريقة سرية بواسطة الضمير فخرَّ متضعًا وشعر بشقائهِ وعدم اهليتهِ فالتفت الى الله وسكب نفسهُ اليهِ بالاتحاد مع الزرع الالهي ووجه طلباتهِ وابتهالاتهِ نحوهُ. وهذا هو الشعور الذي يأمرنا الكتاب ان نصلّي كل حين بهِ لو ١٨:١ انس ٥:٧ اواف ١٨:٦ ولو ٢١:٣٦. فلا يمكن ان نقصد بها الصلاة الخارجية اذ يتعذر على الانسان ان يكون دائمًا جاثيًا على ركبهِ ورافعًا صوتهُ بالصلاة لان هذا يعيقهُ عن اتمام وصايا غيرها تساويها في الاهمية قد امر الكتاب بها

الصلاة الشفهية   اما الصلاة الشفهية فهي عند ما يعمل روح الله في الانسان الذي يسكب نفسهُ امامهُ فيشعر بالهام روح الله داخليًا بقوة وينال حينئذٍ بسبب تأثير ذلك الروح نفسهِ قوة يرفع بها اصوات تنهدات وابتهالات او كلامًا في الاجتماعات العمومية او الانفرادية كصلاة المائدة ونحوها

الصلاة الداخلية   فالصلاة الداخلية ضرورية كل حين ما زال يوم افتقاد كل انسان موجودًا ولاجل اتمامها لا يلزم ان يؤثر في الانسان عامل خارجي كبيرًا كان ام صغيرًا لانها حالة يتجه بها عقل الانسان نحو الله فيعتبر

نفسهُ في حضرتهِ ممارساً هذه الصلاة السرية

الصلاة الشفهية يلزمها قوة الالهام اما الصلاة الشفهية فتحتاج قوة اعظم والهاماً روحياً ولا يمكن الانسان ممارستها كل حين وليس لديهِ قوة تمكنهُ من التفوّه بها دائماً على الفور كمن اختبر الصلاة الداخلية عقلياً مداوماً على السهر ورافعاً قلبهُ نحوهُ تعالى وحينئذٍ يكون بحالة تمكنهُ من رفع صوتهِ بصلاة شفهية لانهُ يقدر ان يدرك باكثر سهولة الشعور الروحي المقدس لانهُ قد اختبر وفهم ارشاداتهِ والهاماتهِ تعالى. فكل من له رغبة واجتهاد يمكنهُ الاقتراب منهُ تعالى لانهُ يريد دائماً ان يجتذب الكل بروحهِ اليهِ ويدعوهم لكي يقتربوا منهُ وعند ما يجتمع معاً جمهور الذين يواظبون السهر يسكب الله روح الصلاة بينهم ويرشدهم الى الكلام لاجل تثبيت وبنيان بعضهم بعضاً بالمحبة

لا يجوز تعيين وقت للكرازة والصلاة الشفهية فالصلاة الشفهية تتوقف على الصلاة القلبية الداخلية وهي تابعة لها فلا يمكن قبولها ما لم تكن صادرة من الهام الروح وليس من الامكان ان يوضع لها اوقات خصوصية او تعيين سابق في هذا الوقت او ذاك ولو شعر الانسان بالمساعدة الالهية ونحن نحسب اننا ان اقدمنا على امر نظير هذا فنحن نجرب الله تعالى ونتكلّم في حضرتهِ دون ان نعد انفسنا. لذلك يجب ان نمتثل لديهِ بانتظار العقل الداخلي ثم نتقدم في الطريق الذي يدرّبنا فيهِ حسب ارشاد روحهِ وهذا كما قد سبقت فقلت مقبول امامهُ. وكثيراً ما يسرّ الله ان يبقينا ساكتين لاجل امتحان صبرنا فلا يسمح لنا بالكلام لكي يعلمنا ان لا نتكل على الرسوم الخارجية او نكتفي بتقديم الصلاة كما يفعل الكثيرون لان اتكالنا عليهِ يجب ان يكون على الدوام وهكذا ننتظر ان يمدّ لنا صولجانهُ ويسمح لنا بالاقتراب اليهِ باكثر حرية ويسكب على قلوبنا مقداراً عظيماً من روحهِ على اننا لا ننكر ان الله يعطي احياناً كلمات صلاة شفهية سريعاً عند اول اتجاه القلب نحوهُ تعالى

وبالجهد تشعر النفس بالهام صريح اذ تكون على نوع ما مدفوعة عاجلاً وما اصدق ما قالهُ برنرد من هذا القبيل

الذين يهملون الصلاة يخطئون "ان كل صلاة لا يسبقها الهام الهي فاترة" على اننا وان كنا نعتقد انهُ لا ينبغي ان يتقدم احد للصلاة دون ارشاد لا ننكر في الوقت نفسهِ ان الذين يهملون الصلاة يخطئون لانهم يمتنعون عن ان يأتوا الى حيث يمكنهم ان يرشدوا اليها ولا شك ان كثيرين يخسرون فرص الصلاة الثمينة بسبب اهمالهم السهر وعدم توجيه قلوبهم نحوهُ تعالى ولاجل هذا يخطئون في عيني الرب كما يخطئ ايضاً الذين يرفعون صوت الصلاة دون ان يشعروا داخلياً بارشاد الروح

كلا الخادمين المتداخل بما لا يعنيهِ او المتهاون مذنبان فكما يكدر الخادم المتهاون سيدهُ لانهُ يصرف وقتهُ بالكسل عوضاً عن الشغل واتمام واجباتهِ هكذا يكدرهُ ايضاً عند ما يركض دون لباس العمل فيأخذ الادوات ويشرع في العمل دون تروٍ وعملهُ الاخير لا يصلح غلطة السابق بل يكون قد اقترف جريمة جديدة فكما ان العديم الانتباه المشتت افكارهُ لا يسمع صوت من يكلمهُ او دقات ساعة ملاصقة لهُ هكذا كثيرون بسبب التهاون والاهمال يفوتهم سماع دعوة الله لكي يصلّوا ولكن هذا ليس سبباً كافياً لكي يجرئهم ان يأخذوا حرية رفع صورة الصلاة دون تدريبهِ وارشادهِ فيصلّون كما يشاؤون

الله سمع صلواتهم في الاعصر المظلمة اخيراً انهُ وان تكن هذه الشريعة هي الوحيدة الصحيحة المقبولة امام الله الا اننا لا ننكر ان الله استمع صلوات واستجابها ووهب البعض طلباتهم خصوصاً في الاعصر المظلمة مع انهم لم يسلكوا في سبيل الصلوات الصحيح لان بعضهم قدمها حسب قوانين وفرائض على ترتيب غير صحيح ودون مساعدة روح الله والهامهِ . مع ذلك وُجد ان الله

تعالى ملأ ارواحهم تعزية وانعشهم بطريقة عجيبة ولكن هذه النتائج الحسنة ان كان في الكرازة وان كان في الصلاة لايمكن ان تتخذ حجة لاجل نموذج الصلاة الحنيفية الطاهرة الروحية الصحيح الذي به يدرّب الله شعبهُ بأكثر سهولة وينقذهم من الخرافات والطقوس الفارغة فاذ قد بيّنت هذه القضية بجلاء بطريقة تزيل كل التباس وتردّ كل اعتراض وتسهل الاجابة على كل الاسئلة التي يمكن تقديمها انقدم لكي اثبت بالاختصار من الكتاب طريقة الصلاة الروحية مقدماً البراهين القاطعة على صحتها . ثم اجيب على كل الاعتراضات التي سوف استقدمها لاجل تخطئة طرقهم وعوائدهم الغير الصحيحة

برهان الصلاة الروحية من الكتاب

(٢٢) يجب ان يلهم روح الله العقل قبل الشروع بالصلاة اولاً يتضح جليًا انهُ يجب على الانسان ان يسكب عقلهُ وذهنهُ داخليًا قبل الصلاة لكي يشعر ان الروح يدعوهُ اليها من انهُ في اكثر الاماكن التي يوصى فيها بالصلاة يسبق الوصية كلمة السهر كأنها تمهيد ضروري لها مت ٢٤ : ٤٢ ومر ١٣ : ٣٣ و ١٤ : ٣٨ ولو ٢١ : ٣٦ . ففي هذه الاعداد كلها نرى ان الوصية بالسهر سابقة للصلاة فما هو السهر وماذا يقصد بهِ ؟ فالسهر هو الانتظار الى ان نشعر ان روح الله يدعونا للصلاة لتكون مقبولة عند تقديمها ولاننا يجب ان نصلي بالروح دائمًا اف ٦ : ١٢ لاننا لا نقدر ان نصلي صلاة مقبولة دونهُ وقد جعل الوصيةَ بالسهر مقدمة للصلاة للغاية الواحدة اي لنسهر وننتظر الوقت المناسب لها اي لما يدعونا الروح اليها

ثانيًا يتضح ايضًا شدّة لزوم دعوة الروح ومساعدتهُ بكل صراحة من قول بولس الرسول رو ٨ : ٢٦ و ٢٧ وكذلك الروح يعين ضعفاتنا لاننا لسنا نعلم ما نصلّي لاجلهِ كما ينبغي . لكن الروح نفسهُ يشفع فينا بأنّات لا ينطق

نها ولكن الذي يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح لانهُ بحسب مشيئة الله
لشفع في القديسين" وهذا يبين (١) عدم استطاعة الناس الصلاة من
انفسهم او دعوة الله حسب مشيئتهم حتى الذين آمنوا بالمسيح وتقدّسوا ايضاً كما
كانت كنيسة رومية التي كتب اليها الرسول (٢) ويبين ايضاً ان الروح
هو المساعد الوحيد لاجل تقديم الصلاة المقبولة عند الله والمساعد فيها ايضاً
فدونهُ لا يمكن ان تكون مقبولة عند الله ولا مفيدة لانفس الناس (٣) طريقة
شفاعة الروح بنا بتنهدات وانّات لا ينطق بها (٤) ان الله بنعمتهِ يقبل
الصلوات التي تقدَّم لهُ بالروح عالمًا انها حسب مشيئتهِ اذ لا يمكننا ان نرتاب
بكون هذا الترتيب الذي اثبتهُ الرسول هو في غاية المطابقة لشهاداتهِ الاخرى
وهو الطريقة الفضلى للصلاة وعليهِ البرهان الآتي

ان كان الانسان دون الروح لا يعرف كيف يصلّي ولا يقدر ان يصلّي
فان صلّى دون الروح يخطئ الغاية ولا يستفيد شيئًا

اما الاوّل فحقيقي لذلك فالثاني حقيقيٌّ ايضاً

ثالثًا يتضح لزوم الروح للصلاة من اف ٦: ١٨ ويه عد ٢٠ حيث
نُعطى وصيةً ان نصلّي دائمًا بالروح ساهرين لهذا بعينهِ فكأنهُ قال يجب ان
لا نصلي الاّ بالروح او منتظرين الروح . ويهوذا يبين ان الصلوات التي
تقدَّم بالروح وحدها تؤول الى بنيان انفسنا في الايمان المقدس

رابعًا الانسان لا يقدر ان يقول يسوع ربٌّ الاّ بالروح ان
بولس الرسول يصرّح ايضاً في ١ كو ١٢: ٣ "ليس احد يقدر ان يقول يسوع
ربٌّ الاّ بالروح القدس" فان كان المسيح لا يمكن ان يدعى ربًّا بالحق الاّ
بالروح القدس فكيف يمكن ان يدعى دعاءه مقبولاً دونهُ ولهذا السبب
الرسول نفسهُ يصرّح ١ كو ١٤: ١٥ انهُ يصلي بالروح الخ

فشهادة الكتاب صريحة انهُ لا يقدر ان يصلي احد دون الروح

خامساً ان الله لا يسمع صلاة الاشرار ان كل صلاة دون الروح في مكرهة ام ٢٨: ٩ فصلوات الاشرار مكروهة . اما ثقة القديسين فهي ان الله يستمعهم اذا سألوا ما يعلمون انهُ حسب مشيئتهِ ايو ٥: ١٤ . فان كانت الصلوات ليست حسب مشيئة الله فلا سبيل للثقة بانهُ يسمعها . فاذا قيل للانسان صلِّ دون الروح فكأنهُ قد قيل لهُ أبصر دون عينيك او اسمع دون اذنيك او اشتغل دون يديك او امشِ دون رجليك . واذا طلب من انسان ان يصلّي صلاة شفهية دون ان يشعر ان الله يدعوهُ اليها . فكانهُ طلب منهُ ان يبصر قبل ان يفتح عينيهِ او يمشي قبل ان ينهض او يشتغل بيديهِ قبل ان يحرّكهما

(٣٢) **كل الذبائح التي لا تقدم بالروح خطية** اخيراً انهُ بسبب هذا الزعم الباطل اي الصلاة دون الروح والقول بعدم لزوم انتظارهِ دخلت كل الخرافات والعبادة الوثنيّة الى الديانة المسيحية وشاع بين المسيحيين استعمال امور كثيرة باطلة تغيظهُ تعالى وتحزن روحهُ . وكثيرون يخدعون انفسهم في الوقت الحاضر كما فعل اليهود قديمًا فانهم كانوا يكتفون بتقديم ذبائحهم اليومية وقرابينهم المعتادة ظانّين انهم بهذا قد تمّموا الواجب فيتولّد فيهم سلام كاذب كما هو مذكور في ام ٧: ١٤ . فكانوا يواظبون على تقديم الذبائح صباحًا ومساء . انما هذه المواظبة واتمام الفرائض على هذا النمط لم يؤثر على حياتهم اليومية لانهم كانوا غالبًا يواظبون في الوقت ذاتهِ على شرورهم . وكثيرًا ما يحدث بين البابويين والبروتستانت انهم ينتقلون بغتة من احاديثهم الباطلة القذرة الى تلاوة الصلوات عندما تأتي ساعتها المعينة وبالجهد ينتهون من الكلمات الاخيرة من صلواتهم وقراءة كلماتهِ تعالى حتى يعودوا الى ما كانوا عليهِ من الكلام السمج لان روح هذا العالم الدنس النجس يعمل فيهم في كلا الحالتين . لان قرابينهم الباطلة وصلواتهم الشفهية مكرهة لا يسمعها

الرب . وقد اتى الكتاب على ذكر ذلك صريحًا في (اش ٦٦: ٢ وار ١٤: ١٢) فحتمًا ان الصلوات التي تقدَّم حسب مشيئة الانسان وقوّته دون ان يدعوهُ الروح هي من عداد ما ذكر

(٢٤) **الاتحاد مع الآخرين بالصلاة** والآن اذ قد أُثبت ما نحن بصدده بالبرهان الكافي انقدّم برد اعتراضاتهم من جهة قولي "متحدين مع الآخرين بالصلاة" ان الذين كانوا يصلّون بنفس واحدة لم يتساعدوا روحيًا فقط بل قد كان لذلك تأثير عظيم في تحسين هيئة متوطم لديه . وهذا ما اعتقد انهُ ضروري اليوم فيحسن بالذين يقتربون بالصلاة الى الله ان يتقدموا جاثين على ركبهم ويكشفوا عن رؤوسهم حسب عادتنا وقد نشأ اختلافات كثيرة فيما اذا كان يجوز الاتحاد بظاهر الوقار الخارجي فقط مع الذين يتمّمون صلواتهم بحسب الفرائض الخارجية ولا ينظرون الى اعلان الروح او يحسبونهُ ضروريًا

فاقول اننا نحن نرفض هذه المساهمة كل الرفض وقد سببت لنا شهادتنا هذه اضطهادًا ليس بقليل . وقد اتفق احيانًا اننا وُجدنا بينهم اما بطريق العرض او لاجل تأدية الشهادة ضد عادتهم وهم يمارسونها . وبما اننا نعتقد انهُ لا يجوز ان نتحد معهم عندما يخرّون ساجدين . فاثار ذلك غيظهم وجرّ علينا احيانًا كثيرة اضطهادًا تجاوزوا فيه حدّ التوبيخ فكنا نُلطَم ونُضرَب ضربًا عنيفًا قاسيًا ولهذا السبب عينهِ أُتهمنا بالعظمة والحماقة وعدم التقوى كاننا ليس عندنا اعتبار او احترام لعبادة الله . او كأننا ندعي انهُ لا يمكن احد غيرنا ان يتقدّم الى الله بالصلاة او ان الله لا يسمع سوانا

السبب الذي لاجلهِ لا يمكننا ان نتحد معهم بالصلاة فردًا على هذا وعلى كل التهم الاخرى التي من نوعها يكفي ان نسلك هكذا ليس بسبب كبرياء او جهالة او عدم تقوى ولكن لكي لا نخالف شهادة ضمائرنا . وهذا

سبب كاف واضح لاننا ان كنا نعتقد ان الصلوات التي يعترفون انهم يقدمونها دون اعلان الروح هي مكرهة الرب. فكيف يمكننا ان نتحد معهم بها بضمير صالح ؟

اما اذا احتجوا قائلين ان عملنا هذا عارٍ من المحبة ومملوء من الكبرياء لانهُ يظهر منهُ صريحًا اننا نحكم بأننا نصلي دائمًا بالهام الروح. اما هم فدونهُ فهل يمكن ان لانخدع نحن احيانًا ونصلي دون الروح حال كونهم مجرَّدين منهُ دائمًا . مع انهم وان كانوا يعتقدون بعدم لزوم الهام الروح على الدوام فهم يصرّحون انهُ جزيل الفائدة يولد سلامًا في النفس . وكثيرًا ما يشعرون بعملهِ فيهم على طريقة لا يمكننا انكارها

فاجيب بصراحة على كل هذا قائلاً انهُ لو كانت تعاليمهم ومبادئهم المقرَّرة لا توجب عليهم ان يصلّوا دون ارشاد الروح . او لو انهم لم يقيّدوا انفسهم بأن يقدّموا الصلوات في اوقات معينة قد حتم عليهم ان يصلّوا فيها مع انهم لا يشعرون بالهام الروح لحقَّ لهم ان يتهمونا بعدم المحبة وبالكبرياء اذا لم نتحد معهم لانهم لو كانوا يعملون بارشاد الروح ويسلمون بحسبهِ لما كان عندنا مانع من الاتحاد معهم. ما لم يظهر بينهم ما يبين انهم يفعلون ذلك رياء وخبثًا . ولكن بما انهم يعترفون انهم يصلّون دون الروح وبما اننا نعتقد ان الله قد اعلن لنا ان صلوات كهذه هي مكرهة عندهُ . فكيف نقدر ان نتحد بضمير صالح بما هو مكرهة لله ؟ على اننا لا ننكر ان الله احيانًا يتنازل ويستجيب لهم وان يكن الآن قد صار التصريح بالعبادة الروحية وقد دُعي الجميع اليها خلافًا لما كان في الازمنة القديمة ازمنة الارتداد والظلمة

هل يجوز ان نتحد مع المرائين عندما يصلّون لذلك اذا شرع احد ان يصلي في حضورنا دون ان ينتظر مساعدة الروح . ثم ظهر ان الله بتنازلهِ العجيب يساعدهُ بروحهِ فلا نتأخر البتة عن ان نتحد معهُ الآن هذا

نادرِ الوقوع فلا يليق ان يتصلبوا في مبادئهم الغير الصحيحة

وهذا الامر يظهر لاوَّل وهلة صعبًا مع انهُ ثابت ومقرَّر بموجب شهادة الكتاب والعقل السليم حتى ان كثيرين تمسكوا بهِ قبل ان ادركوا فهم بعض الحقائق التي تظهر لغيرهم اسهل واوضح. وقد اشتهر بهذا في الاشهر الاخيرة اسكندر سكين حاكم مدينة ابردين. فهذا الرجل الذي هو متصف كثيرًا بالوداعة والتواضع كان يتجنب جدًّا ان يمسَّ حاسيات غيرهِ. ولكن لما قبل هذا الاعتقاد الصادق الحقيقي رأى انهُ من اللازم ان ينفصل عن الاجتماعات والصلوات العمومية وينضمَّ الينا وقد بيَّن بالاختصار الاسباب التي اوجبتهُ لذلك. والسؤَالات المختصرة التالية التي وجهها الى مبشري المدينة تظهر مقدار فهمهِ هذه العبادة وقد رأيت انهُ من المناسب ان آتي على ذكرها

بعض سؤَالات اسكندر سكين الموجهة الى مبشري ايدنبرج

(١) هل يجب ان نقدّم العبادة بحسب الهام الروح وارشادهِ ام لا ؟

(٢) اذا كان الهام الروح ضروريًا في كل الواجبات الخصوصية. فهل يجب ان ننتظر روح الله لكي تكون اعمالنا بحسب ارشادهِ ومساعدتهِ لنا ؟

(٣) هل لكل مَن يسمَّى مسيحيًا او يعترف بكونهِ بروتستانتيًا قياس معلوم لا يتغيَّر يمكنهُ من مباشرة اعمالهِ واتمام واجباتهِ دون ان يطلب من الروح او ينتظرهُ ؟

(٤) اذا اتفق احيانًا انهُ يوجد مانع من اتمام تلك الفرائض او انهُ

لا يناسب اتمامها وخصوصاً القسم الروحي المهم منها فهل اقامتها واجبة على رغم كل الموانع ؟

(٥) اذا تممت بعض الواجبات اطاعة لوصية خارجية ودون الحياة الروحية والارشاد اللازم . فهل ينتظر ان تكون تلك واجبات مقبولة لدى الله ؟ ام هي اشبه باحضار نار غريبة امام الرب لانها تمت بقوّة الانسان وبحسب مداركهِ الطبيعية وليس بقوّة ومساعدة الروح القدس الذي جعلت النار النازلة من السماء رمزاً له وهي وحدها كان يجوز ان تحرق الذبيحة وليس غيرها ؟

(٦) ألا يجب ان نحسب الواجبات التي تتم بقوّة البشر الطبيعية ومعرفتهم الخاصّة ان سرًّا وان علنًا تمثالاً واختراع انسان كالعبادة البابوية وان تكن لاتساويها شذوذًا في الظاهر ؟ وعلى هذا أفلا يجب ان تُحسَب كل عبادة من هذا النوع خرافة حقيقية مساعدة العبادة البابوية وان تكن لا تساويها في الدرجة ؟

(٧) هل يُعدّ عارًا ام عثرة اذا ساعدنا الذين يتمسكون بمبادئهم المقرّرة التي تنهاهم عن رفع صوت الصلاة او ان يتكلموا بما يؤول للبنيان ما لم يشعروا ان الروح يلهم ويساعدهم الى قياسٍ ما قليلاً كان ام كثيرًا والاَّ فيفضلون السكوت على الكلام دون مساعدتهِ ؟

اما اجوبتهم على هذه السؤالات فقد كانت ضعيفة باردة فرفضها بتاتًا حالاً

فاذ قد دعانا الله لعبادتهِ الروحية لكي نشهد ضد اساليب العبادة البشرية في الارتداد لكي نثبت غير متقلقلين في شهادتنا للحق المعلن . لاننا ان اتحدنا معهم تضعف شهادتنا لهُ وتسقط . ومن ثم يستحيل علينا ان نؤيّد العبادة الصحيحة في هذا العالم التي يمكننا ان نؤخّر او نعوق تقدمها بواسطة عمل نعلة

ولو آل الامر الى فقد كرامتنا في العالم بل والى فقد حياتنا

العار الملتحق بالبروتستانت بسبب منتخب سكسونيا اما كثيرون من البروتستانت فبسبب عدم ثباتهم او لاجل غايات سياسية سلموا بالرجاسات البابوية فشوّهوا اعتقادهم واضرّوا الاصلاح كما ظهر في مسألة الامير منتخب سكسونيا في مجمع اوسبرج سنة ١٥٣٠ الذي تمنع عن اتمام امر الامبراطور تشارلس الخامس بأن يحضر القداس ويحمل السيف امامهُ مع ان وظيفتهُ تستلزم ذلك . اما مشيروهُ الذين راعوا شرف اميرهم اكثر مما راعوا ضميرهُ فاقنعوهُ انهُ يجوز لهُ ان يتم هذا الامر ولو كان ضد ضميرهِ. فسبَّب ذلك حزنًا شديدًا لكثيرين وكانوا قدوة ردية جدًّا وعارًا عظيمًا على الاصلاح كما صرَّح مؤلف تاريخ مجمع ترنت في كتابهِ الاوَّل . والآن اتقدَّم للرد على اعتراضات مقاومينا بخصوص طريقة الصلاة

جواب الاعتراضات ضد الصلاة بالروح

(٣٥) **اولاً** هم يعترضون بقولهم انهُ ان كانت هذه العوامل الخصوصية ضرورية في امور العبادة الخارجية يجب ان تكون ايضًا ضرورية في الامور الداخلية من نحو طلب الله ومحبتهِ .وهذا فكر سخيف وكلما يُبنى عليهِ هو سخيف ايضًا

فاجيب ان ما قد تقدم البحث عنهُ يبين جلية هذا الامر . اما ما يتعلَّق بالواجبات العمومية فالانسان قبلما ينتهي زمان افتقادهِ لايحتاج الى عامل لان الله كل الوقت قريب منهُ ويجاهد معهُ بروحهِ لكي يرجعهُ الى نفسهِ حتى انهُ ان وقف هادئًا وتوقف عن افكارهِ الشريرة فالرب قريب منهُ ويريد مساعدتهُ . اما امور الصلاة الخارجية الشفهية فتحتاج الى عامل وارشاد خصوصيَّين كما قد ثبت بالبرهان

ثانيًا انهم يعترضون بقولهم انهُ يمكن ان يقال اذًا ان الانسان يجب ان لا يعمل الواجبات الادبية من نحو اكرام الاولاد لوالديهم او معاملة الانسان جيرانهُ ما لم يرشدهُ الروح لذلك

فاجيب انهُ يوجد فرق بين اتمام هذه الواجبات العمومية التي على الانسان نحو ابناء جنسهِ واتمام فرائض العبادة العلنية لله فان هذه روحية وقد اوصى الله باتمامها روحيًا . اما تلك فلاجل اتمام غاية ما بين الذين ينقادون اليها بواسطة العشرة او الفائدة او ربما تكون لاجل مبدأ طبيعي او محبة ذات. حتى ان الحيوانات لها اميال طبيعية نحو بعضها البعض فتسير عليها على هذا النسق على انني لا انكر ان هذه ليست اعمال مقبولة عند الله او مفيدة للنفس ما لم تتم في خوف الله شأن اولاد الله في كل الاشياء. لذلك هم مقبولون ومباركون في كل ما يعملونهُ

ثالثًا انهم يعترضون بقولهم انهُ ان كان يجب على الانسان الشرير ان يصلي دائمًا بارشاد الروح والأَّ تكون صلاتهُ خطية فلا يجب ان يطيع قلبهُ للسبب ذاتهِ لان طموح الاشرار وصلواتهم خطية ام ٢١: ٤

فاجيب ان هذا الاعتراض هو اشبه بالذي قبلهُ ويمكن الرد عليهِ على ذات المنوال لانهُ يوجد فرق بين الاعمال الطبيعية كالاكل والشرب والنوم وطلب ما يقوم بالجسد كالامور التي تشترك بين الانسان والحيوان وبين الاعمال الروحية فلا يستنتج من القول ان الانسان يجب ان لا يتم الاعمال الروحية الأَّ بالروح انهُ لا يمكن ان يتم الاعمال الطبيعية الأَّ بالروح . اما المقابلة اصح على الوجه الثاني وهي تؤيد ما قد اثبتناهُ .وذلك انهُ بما ان الانسان لاجل اتمام اعمالهِ الطبيعية يحتاج الى وجدانهِ الطبيعي .فكذلك عند اتمام الاعمال الروحية يحتاج الى روح الله . ولا احد ينكر ان اعمال الانسان الشرير الغير المتجدد شريرة ان لم تكن بحد ذاتها فبالنسبة اليهِ. لان الانسان

في هذه الحالة مكرهة في عيني الله في كل اعماله

رابعاً ان البعض يعترضون انه بحسب هذا التعليم يمكن ان يحج الاشرار قائلين انهم يمتنعون عن تقديم الصلوات عدَّة سنين لانه لايوجد دافع داخلي يدفعهم الى ذلك

فاجيب ان ادعاآت الاشرار الكاذبة لا تؤثر في دحض صحة هذا التعليم لانه لايوجد تعليم من تعاليم الرب يسوع المسيح الاَّ يهمله الاشرار. ثم لو سلَّمنا انهم لايصلّون لان الروح لايلهمهم الى ذلك . أفلا يجب ان يأتوا اليه منتظرين بسهر ومراقبة لكي يشعروا بدعوة الله لهم. فعدم صلواتهم هو ولا شك خطية وسبب تلك الخطية هو الاهمال وعدم السهر واهمالهم ليس مسبباً عن هذا التعليم بل عن عدم اطاعتهم له ولان صلاتهم والحالة هذه هي دون شعور روحي فخطيتهم اذاً مضاعفة لانها ليست حسب الوصية وهي عقيمة وعديمة الفائدة . وهذا يضطر مناظرونا ان يسلّموا به لانهم في امور اخرى يقولون انه من الواجب على كل مسيحي ان يواظب على مناولة القربان او العشاء الرباني كما يسمونه ويصرحون في الوقت نفسه ان لا احد يجب ان يتناوله دون استحقاق. فمن لم يستعدّ يجب ان يمتنع عن مناولته . وكثيراً ما يرفض البعض الجلوس على المائدة لهذا السبب. ومن هذا نرى انه وان يكن المعتقد وجوب المواظبة على مناولة القربان يتوجب على المتناول ان يفحص نفسه لئلاَّ يأكل ويشرب دينونة لنفسه. فمع حسبانهم ترك المناولة خطيَّة يحسبون ايضاً مناولة القربان دون استحقاق خطية اعظم

خامساً انهم يعترضون بما جاء في اعمال ٨: ٢٢ حيث امر بطرس سيمون الشرير ان يصلي مدعين انه بسبب ذلك يجب ان يصلي الاشرار ايضاً

فاجيب ان من يستشهد بهذا العدد غالباً ويهمل القسم الاوّل والاهم

منهُ لانهُ يقول هكذا اع ٨: ٢٢ فتب عن شرك هذا واطلب الى الله عسى ان يغفر لك فكر قلبك . فالرسول امر بالتوبة اولاً واقلّ ما تطلبهُ التوبة الحقيقية من الانسان ان يحوّل افكارهُ الى الله كما ذكر . ومتى وجدت التوبة الحقيقية فلا شك ان روح الله يكون اولاً فيوجه الفكر نحو الصلاة والطلب من الله تعالى

سادساً انهم يعترضون بقولهم ان صلوات كثيرة تقدمت دون روح الله وقد تبرهن انها اتت بنتائج حسنة فصلوات بعض الاشرار سُمعت وقُبلت كصلاة آخاب

فأُجيب ان ما تقدم يتضمن حلاً لهذا الاعتراض لان اعمال الرحمة واللطف التي يظهرها الله نحو البعض احياناً يجب ان لا نتخذ نموذجاً لاعمالنا والاَّ لنجم عن ذلك ارتباكات كثيرة يعترف الجميع بها . ثم اننا لا ننكر ان الاشرار يشعرون بالهام روح الله وعملهِ قبل انقضاء يومهم . وطالما هم على هذه الحالة هم يصلّون احياناً صلوات مقبولة ليس باعتبار كونهم باقين في الشرّ والخطية بل لدخولهم في طريق التقوى التي سنطول منها بعد ذلك

(٣٦) **ترتيل مزامير** انهُ لا لزوم لاطالة الشرح في ترتيل المزامير لان شأنهُ شأن الكرازة والصلاة ونحن نقرّ انهُ قسمٌ من عبادة الله وهو حسن ومنعش عندما يصدر عن شعور حقيقي بمحبة الله في القلب وبارشاد الروح القدس الهادي الانفس الى الاتفاق معاً والتكلم بحسب ما تقتضيهِ الحال وذلك سواء كان الكلام تكرار ما قد تفوّه بهِ القديسون واتى ذكرهُ في الكتاب المقدس كمزامير داود وغيرها كما ترنّم سابقاً زكريا وسمعان ومريم البتول المباركة

الترتيل بحسب التعيين ليس بحسب ترتيب الكتاب اما من جهة طريقة الترتيل المتبعة المرتبة بحسب العادة فاساسها ليس من الكتاب

او من مبادئ الديانة المسيحية الحنيفية ناهيك عن الاحتفار الذي يلحق بالصلاة والكرازة اذا لم يصدرا عن ارتباط الروح. بل كانا مجرَّد تفوُّه البعض بكلام غاشّ كاذب بحضرتهِ تعالى. فكثيرًا ما يتلو اشخاص خبثاء اشرار اختبارات داود واحوالهُ التي لا تنطبق عليهم البتة بل وعلى من هم اكثر منهم تعقلاً كما يرتلون احيانًا مز ٢٢:١٤ و١٥ ومز ٦:٦ وغيرها التي يعلم الذين يتفوَّهون بها تمام العلم انها لا تنطبق عليهم البتة كما يتضح مما يعترفون بهِ بعد مدة قصيرة بقولهم انهم ملطخون بالآثام والمعاصي المعاكسة طرق الفضيلة التي صرَّحوا انهم متصفون بها. فمن يظن ان الله يقبل تناقضًا كهذا. فالترتيل على هذه الطريقة ملذٌّ للاذن البشرية وليس للاذن الالهية التي تكره الرياء الكاذب

اما الترتيل الذي يرضاهُ الله تعالى فهو الصادر عن القلب الطاهر اي عن كلمة الحياة الداخلية التي ان كانت تسكن فينا بغنى. فهي ترجع التراتيل والمزامير الروحية الى الله حسبما قال الرسول كو ٣:١٦

اما من جهة الموسيقى الفنية سواء كان استعمال الارغن او غيرهُ من الآلات او الصوت الانساني فليس لدينا مثال او قانون في العهد الجديد لاجل اثباتهِ

(٣٧) ان امجاد هذا العالم لا تفي حق هذه العبادة اخيرًا ان فائدة عبادة الله الحنيفية التي نمارسها ونعلّم بها هي انها ليست بحسب حكمة الانسان او علمهِ او عملهِ ولا يلزمها مجد او فخفخة او غنًى او ابهة عالمية لتكسبها جمالاً لانها سماوية روحية. اما لكونها بسيطة فيحتقرها العقل الانساني ومشيئة الانسان الذي لا يسرّ ان يمكث فيها اذ لا يجد مجالاً لتصوراتهِ وابتكاراتهِ ليشبع شعورهُ الانساني الخارجي. فلكي تبقى هذه الطريقة نقية طاهرة يلزمها قوة الهية لانها دونها تكون عارية من كل ما يجذب الانسان للاقبال اليها. فقوام

هذه العبادة ان ترافقها القوّة

العبادة الجسدية تلذ للانسان اما عبادة مناظرينا فلكونها منظمة حسب ترتيبهم فهي توافق الذوق البشري لانهم بها يمارسون قوى استنباطهم ولكونها مرفوقة بامجاد خارجية يمكن ممارستها على الدوام دون قوّة الروح التي لا يحسبونها جوهرية لاجل اتمام عبادتهم لذلك هم لا ينتظرون روح الله ولا يتوقعون ارشادًا منهُ

(٣٨) **عبادة الكويكرز** فخلاصة القول ان طريقة العبادة والوعظ والصلاة والترتيل التي نعلّم بها نحن مصدرها روح الله وهي تقوم دائمًا بارشادهِ لانهُ هو الملهم اليها والواهب قوّة لاجل اتمامها فهي عبادة روحية محضة حسب ما يعلّمنا الكتاب يو ٤: ٢٣ و ٢٤ و اكو ١٤: ١٥ واف ٦: ١٨ الخ

عبادة مناظرينا اما طريقة العبادة والوعظ والصلاة والترتيل التي يعلّم بها مناظرونا ونعترض نحن عليها فهي بكاملها من البداءة الى النهاية حسب ترتيب قوّة الانسان ودون الهام روح الله الذي لا ينتظرونهُ ويمكن لاشقى البشر ان يشترك بتقديمها. وهذه هي العبادة التي يرفضها الله كما يتضح من اش ٦٦: ٣ وار ١٤: ١٣ واش ١: ١٣ ولم ١٥: ٢٩ ويو ٩: ٣١



القضية الثانية عشرة

المعمودية

اف ٤: ٥ ابط ٣: ٢١ رو ٦: ٤ غل ٣: ٢٧ كو ٢: ١٢ يو ٣: ٣٠
اكو ١: ١٧

كما انهُ يوجد الهٌ واحد وايمان واحد هكذا يوجد معمودية واحدة وهي "ليست ازالة وسخ الجسد بل سؤَال ضمير صالح امام الله تعالى بقيامة يسوع المسيح"

وهذه المعمودية طاهرة روحية اي معمودية الروح والنار التي بها دُفنًا معهُ واغتسلنا لكي تتنقى من الخطايا فيمكننا ان نسلك في جدة الحياة . وقد كانت معمودية يوحنا رمزًا لها لتبقى الى حين وليس لتدوم الى النهاية. اما معمودية الاطفال فهي تقليد بشري محض ليس لهُ وجود في الكتاب سواءٌ كان بالوصية او بالاستعمال

(١) **منشأُ عبادة الاوثان واصل الخرافات** انني لقد بيَّنت بالتفصيل في شرح القضية السابقة والبرهان عليها ان علماء الكنيسة المسيحية بروتستانت وبابويين ضلّوا في امر العبادة الى ان اصبحوا غرباء عنها وبعيدين عن العبادة الحقيقية المقبولة المقدمة بالروح والحق. وعند اقلّ تأمل نرى ان الانسان يميل في حالتهِ الساقطة لان يعظم اختراعهُ ويمزج عملهُ ونتيجة فكرتهِ بخدمتهِ الله. وهذا هو اصل كل انواع العبادة الباطلة كعبادة الاوثان والخرافات التي استطرقت اليها لانهُ مع ان الله تنازل واعطى شعبهُ اليهوديَّ المختار بواسطة عبدهِ موسى طقوسًا وفرائض ورموزًا هي ظلّ الحقيقة

التي كانت لتعلن عند ملء الزمان فكانت تحتوي بالاكثر على اغتسالات وتطهيرات خارجية وجدت لتدوم الى زمان الاصلاح لما تقوم مقامها العبادة الروحية لما يسكب الله روحهُ بقوَّة فائقة وبارشاد تلك المسحة يقتاد اولادهُ الى كل الحق معلنًا ايام العبادة الروحية المقبولة عندهُ وان تكن اقلّ موافقة لذوق الانسان وشعورهِ الخارجي. ومع تنازل الله في الفرائض والطقوس نرى ان ضعف الانسان وميله الى ان يسرّ بما ينتحله لنفسهِ كان يجعل شعب الله يميل احيانًا الى خرافات الامم مقتبسًا عنهم بعض الطقوس والعادات فوق ما كان عندهم .وقد كان تمسكهم بهذه الفرائض واخلاصهم لها الى حدّ انهم كانوا يفضلونها على وصايا الله وذلك اتباعًا لروح غيرة وتقوى يضطرم فيهم

الفريسيون اخصّ رتبة عند اليهود ولنا بالفريسيين اخص رتبة بين اليهود مثالاً جليًا على هذا . فانهُ قد وبخهم مرارًا لانهم ابطلوا وصايا الله بسبب تقليداتهم مت ١٥: ٦ و ٩ وهذا التوبيخ يمكن ان يوجَّه في الوقت الحاضر الى عدد عظيم من المسيحيين بالاسم الذين ادخلوا طقوسًا كثيرة نقلاً عن اليهود وغيرهم وهم شديدو المحافظة عليها والمحاماة عنها اكثر من المبادئ الاولية في الديانة المسيحية لان الروح الذاتي لم يزل مضطرمًا فيهم ومتسلطًا عليهم .حتى انهُ يجعلهم يفضلون ما اخترعوهُ على وصايا الله. ثم يتمسكون بعد ذلك ببعض نصوص الكتاب او سننهِ ويقرنونها بتأويلات لكي تظهر بمظهر يوافق ضعفهم البشري يسترون بها اختراعهم. فيلازمون هذه الطقوس بدقة ويحامون عنها بضجة وعناد ولا يعيرون اذنًا صاغية لبراهين اعظم المسيحيين تدقيقًا واختبارًا ولكنهم لو تبصَّروا ولو قليلاً لرأوا ان غيرتهم ناجمة عن محبة الذات والتمسك بمعرفة تعلموها ليس رغبةً في عبادة الله العبادة الحقيقية. واثباتًا لقولنا هذا ننظر فيما يسمونهُ اسرارًا . فلاجل هذه الاسرار قد اضرموا نار الخصام والجدال والمشاحنات بين المسيحيين بالاسم عما يتعلّق بعددها

وطبيعتها وكيفيتها وفضلها وتأثيرها وغير ذلك

الخصام بسبب الاسرار وقد فاق الاختلاف على هذا الموضوع كل الاختلافات الاخرى في الديانة المسيحية ان كان بين البروتستانت والبابويين او بين البروتستانت انفسهم . اما الاضرار الناجمة عن هذه المجادلات للديانة المسيحية فهي اكثر من ان تعدّ حال كون المسائل المختلف عليها ليست عندهم سوى ظلّ فارغ وامور خارجية فقط كما سيتبيّن للقارىء المتبصّر الغير المندفع بتأثراتهِ

(٢) **اسم اسرار ليس لهُ وجود في الديانة المسيحية فهو مستعار عن الوثنيين** ان اوّل ما يلفت الانظار الاسم "اسرار" وانهُ لامر غريب ان المسيحيين يتعلقون بهذا الاسم ويتجادلون بخصوصهِ. مع ان الكتاب لم يأتِ على ذكرهِ ولكنهُ مستعار من الحلف العسكري بين الوثنيين الذين عند تركهم ديانتهم واعتناق الدين المسيحي سمح لهم المسيحيون بادخال تعبيرات وطقوس كثيرة خرافية لكي يسرّوهم بها ويسهلوا عليهم اعتناق الدين المسيحي ومع ان هذا الامر صدر عن حسن قصد الا انهُ لكونهِ ثمرة سياسية عالمية وليس حسب الحكمة الالهية كان لهُ نتائج سيئة جدًّا. ولا ارى لماذا يعتنقنا البابويين والبروتستانت ولاسيما الاخيرين لاجلهِ ترك هذا اللقب الذي لم يلهم روح الله كتبة الكتاب المقدس اليهِ لكي يدوّنوهُ لنا

اما اذا اعترضوا علينا اولاً بقولهم اننا لا نعتقد بالاسم ولكن بالسرّ نفسهِ

فأُجيب لنضع الاسم اذًا جانبًا لان الكتاب لم يأتِ على ذكرهِ. فنرى حالاً الفائدة العظمى من ترك عبادة تقليدية والمحافظة على بساطة الكتاب اذ يبطل في الحال الجدال على عدد الاسرار التي لا يوجد في الكتاب عبارة تؤيدها او تشير الى استعمالها. فهل نسميها طقوسًا ام فرائض ام مبادىء ام

وصايا ام سنن ام شرائع الخ . وفي هذا كلهِ مجال لتوليد مجادلات كثيرة لان البابويين لا يحدّدون العدد سبعة فقط ولا البروتستانت يحصرونهُ باثنين فقط مما قد سبق ذكرهُ

ثانيًا فاذا قيل ان الاختلاف ليس على الاسم فقط انما على تحديد الاسرار نفسها

فأُجيب انهُ مهما كان تحديدهم لكلمة "سرّ" فان جعلوا تحديدها علامة خارجية منظورة يتمكّن الانسان بواسطتها على الحصول على نعم داخلية او انها تشير الى نعمة داخلية فقط . فهذا التحديد ينطبق على امور كثيرة لا يسلّم البابويون ولا البروتستانت انها اسرار . فاذا سمّيناها فرائض مختومة كما يعتبرها البعض فلا يوجد نصّ في الكتاب ولا دليل عقلي يجعل هذا الاسم منطبقًا عليها اكثر مما ينطبق على الرسوم الاخرى المسيحية الدينية لان كل الذين يستعملون تلك الرسوم هي لهم فرائض مختومة اذا كانوا يتيقنون انهم يحصلون على مواعيد تلك الرسوم

ثالثًا اذا قيل انها تفيد الذين هم امناء لها

فاجيب ان هذا القول يمكن ان يقال عن الصلاة والكرازة وكل عمل صالح لان الشركة بهِ تؤهل الانسان للسماء . وبهذا الاعتبار لا يوجد سبب يرجحها على غيرها

الغسل الخارجي لا ينقي القلب عدا انهُ لا يليق ان نسمي ختمًا او عربونًا لميراثنا سوى روح الله الذي قيل اننا نُختَم بهِ اف ١٤:١ ويعبَّر عنهُ ايضًا بعربون ميراثنا ٢كو ٢٢:١ وهذا لا يليق بالماء الخارجي او باكل او شرب يسهل على اشقى الخطاة ان يتوصّل الى مناولتهِ . وكثيرون من الذين يحافظون عليهِ نصيبهم الهلاك لان الانسان لا يتنقّى بغسل الماء الخارجي فيصير اهلاً للسماء . وكما ان كل ما يدخل الفم لا ينجّس الانسان لانهُ يندفع

الى الجوف ثم يُطرَح خارجًا. كذلك كل ما يأكله الانسان لايمكن ان يطهّرهُ او يؤهله للسماء. وما ذُكر هنا بطريقة عامة هو مقدمة لما سيذكر في هذه القضية وما سيجيء في الكلام عن العشاء الرباني. لانهُ عند الكلام عما يسمى اسرارًا تُعَدّ المعمودية اولاً وهي موضوع هذه القضية التي نحن بصددها فسأُثبت في شرحها صحة ما نعتقدهُ ثم اجيب على الاعتراضات مخطئًا ما يتمسك بهِ مناظرونا وسأبسط في القسم الاوّل الامور التالية المفهومة نوعًا من منطوق القضية مثبتًا اياها بالبرهان

(٢) اولاً يوجد معمودية واحدة كما انهُ يوجد اله واحد وايمان واحد ثانيًا ان هذه المعمودية الواحدة اي معمودية المسيح ليست الغسل والتغطيس بالماء بل ان يعتمد الانسان بالروح ثالثًا ان معمودية يوحنا كانت رمزًا لهذه المعمودية. وبما ان الرمز يجب ان يبطل متى وُجد المرموز اليهِ فمعمودية الروح دائمة وبدوامها تُبطل معمودية الماء

اما القضية الاولى اي انهُ يوجد معمودية واحدة فيكفي برهانًا لها ما جاء في اف ٤: ٥ "ربٌّ واحد ايمان واحد معمودية واحدة". فقد اثبت الرسول هنا بجلاء ووضوح انهُ كما يوجد جسد واحد وروح واحد وايمان واحد واله واحد الخ هكذا يوجد معمودية واحدة

اعتراض اوّل امّا ما يُذكر شرحًا لهذا العدد اي ان معمودية الماء ومعمودية الروح هما معمودية واحدة بفضل الاتحاد الذي يوجدهُ هذا السرّ

فاجيب ان هذا الشرح لم يوضع لكونهِ مؤسسًا على شهادة الكتاب بل لانهم يحوّلون بهِ معنى الكتاب لكي يوافق معمودية الماء فنحن في غنًى عن الجواب عليهِ لاننا ننكرهُ لكونهِ مناقضًا لنصّ العدد الصريح العبارة الذي لايفهم منهُ انهُ يوجد معموديتان احداهما بالماء والاخرى بالروح وكلا المعموديتان واحدة. لكنهُ يصرّح انهُ يوجد معمودية واحدة كما يصرّح انهُ يوجد

ايمانٌ واحد والهٌ واحد. فكما انهُ لا يوجد ايمانان ولا الهان ولا روحان ولا جسدان الواحد من كلٍّ منها خارجيٌّ ماديٌّ والآخر روحيٌّ ظاهر وكلاهما يؤلفان ايمانًا واحدًا والهًا واحدًا وجسدًا واحدًا. هكذا يجب ان لا يوجد معموديتان لاجل تكوين معمودية واحدة

اعتراض ثانٍ واذا قيل ان المعمودية واحدة والماء قسم منها وهو الرمز والروح القسم الآخر وهو المرموز

اجيب ان هذا يزيد في اثبات برهاننا لانهُ ان كان الماء علامة فقط وليس من مادة المعمودية الواحدة (كما سيتضح فيما بعد ذكر تحديد الكتاب لها) لوجب علينا ان نتخذ المعمودية بحسب جوهرها وليس بحسب العلامة او الصورة او الرمز السابق لها. وكما ان المسيح سُمّي التقدمة الواحدة في الكتاب مع انهُ رُمز اليهِ بذبائح وتقدمات عديدة تحت الناموس وهكذا يفهم بالتقدمة الواحدة تقدمة نفسهِ على الصليب التي وان تكن تقدَّمتها تلك التقدمات العديدة علامات ورموزًا لا نقول انها تتحد معًا مع تقدمة المسيح لاجل اتمام تلك التقدمة الواحدة. فعلى ذات القياس لا يمكن ان يقال ان معمودية الماء علامة معمودية المسيح فهي تعتبر الآن متممة لتلك المعمودية. اما اذا تشبَّث احد بالمحال قائلاً ان المقصود من قولهِ معمودية واحدة هو معمودية الماء وليس معمودية الروح. فتشبثهُ هذا يناقض شهادة الكتاب الصريحة تمام المناقضة كما سيتضح جليًا مما سيجيء

ثانيًا الفرق بين معمودية يوحنا ومعمودية المسيح يظهر من شهادة يوحنا الواضع الخصوصي لمعمودية الماء. ان هذه المعمودية الواحدة اي معمودية المسيح لا تقوم بغسل الماء مت ٣: ١١ "انا أُعمدكم بماء للتوبة. ولكن الذي يأتي بعدي هو اقوى مني. الذي لست اهلاً ان احمل حذاءهُ هو الذي سيعمدكم بالروح القدس ونار" فيوحنا يذكر هنا هيئتين للتعميد ونوعين من

المعمودية معمودية الماء ومعمودية الروح وانهُ هو معلّم النوع الاوّل . اما الثاني اي معمودية الروح فيختصّ بالمسيح . لذلك فالذين اعتمدوا بالمعمودية الاولى لا يُحسَب انهم حصلوا على الثانية "انا اعمدكم بماء للتوبة ولكن . . . . . هو سيعمدكم" اي وان كانوا قد تعمدوا بالماء لكنهم وقتئذٍ لم يتعمدوا بل سيتعمدون بمعمودية المسيح وعلى هذا اتقدّم للبرهان

اولاً ان كان الذين تعمّدوا بمعمودية الماء لا يُحسَب انهم قد تعمّدوا بمعمودية المسيح فمعمودية الماء ليست معمودية المسيح

اما المقدمة فصحيحة لذلك النتيجة صحيحة ايضاً

ثانياً ان كان الواضع الحقيقي لمعمودية الماء والمعمّد بها يصرّح انهُ لم يُعمّد ولا يقدر ان يعمد بمعمودية المسيح . اذاً معمودية الماء ليست معمودية المسيح

اما المقدمة فصحيحة لذلك النتيجة صحيحة ايضاً

اما اذا جعلنا لكلام يوحنا تأويلاً آخر فتكون كلمات يوحنا خالية من المعنى لانهُ لو كانت كلا المعموديتين واحدة لماذا جعل هذا الفرق الظاهر بينهما ؟ ولماذا قال ان الذين عمدهم هو يجب ان يعمدوا بمعمودية ذاك ايضاً

اما اذا اعترض احد بقولهِ ان معمودية الماء هي القسم الاوّل ومعمودية الروح هي القسم الثاني او نتيجة للاولى

فأُجيب ان هذا التفسير يناقض كلمات الكتاب الواضحة لانهُ لم يقل انا اعمدكم بالماء لكن الذي يأتي بعدي سوف يتم تأثير معموديتي بالروح او سوف يكمل هذه المعمودية فيكم ولكن قال سيعمدكم . لذلك اذا فهمنا معنى الكلمات الحقيقي عندما قال "انا اعمدكم" انهُ قصد انهُ عمدهم بمعمودية الماء فلكي لا نشوّش معنى العدد يجب ان يعطى القسم الثاني من العدد المعنى الحقيقي اي قولهُ بعد ذلك تماماً "هو سيعمدكم" الذي يفهم منهُ انهم سيعمّدون

ثانيةً بمعمودية غير التي عمّدهم بها هو اولاً. والاَّ فا الفائدة من جعل هذا الفرق بينهما

ثانياً الذين اعتمدوا من يوحنا عليهم ان يعتمدوا ثانيةً من المسيح ان كلام المسيح نفسهُ للتلاميذ يزيد في ثبوت ما ذُكر اع ١:٤ "بل ينتظرون موعد الآب الذي سمعتموهُ مني لان يوحنا عمد بالماء واما انتم فستعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الايام بكثير" فقلما يوجد موضعان في الكتاب يتفقان باكثر جلاء من اتفاق كلام المسيح مع ما ذُكر سابقًا لذلك فالنتيجة من كليهما واحدة . المسيح صرّح جليًا ان يوحنا قد اكمل معموديتهُ بحسب مادتها بقوله لان يوحنا عمد بالماء فكأنهُ صرّح ان يوحنا استعمل حقيقةً معمودية الماء . اما انتم فستعمدون الخ وهذا يدلّ انهم سيتعمدون بمعمودية اخرى غير معمودية الماء وانهم وان كانوا قد اعتمدوا اولاً بمعمودية الماء فهم لم يعتمدوا بمعمودية المسيح التي سيتعمدون بها

ثالثًا معمودية الروح تختلف عن معمودية الماء ان بطرس الرسول بيّن ذات الفرق اع ١١:١٦ "فتذكرت كلام الرب كيف قال ان يوحنا عمّد بماء واما انتم فستعمدون بالروح القدس". فاستشهد الرسول بهذا عند ما حلّ الروح القدس عليهم. لذلك قصد انهم عندئذٍ اعتمدوا بمعمودية الروح . اما ما يقال عن انهُ طلب الماء فيما بعد فسيأتي الكلام عنهُ .اما الآن فاقول انهُ يظهر جليًا من الاقوال الثلاثة التي تتفق تمامًا. وهي كلام يوحنا ثم كلام المسيح ثم كلام بطرس ان الذين اعتمدوا حقيقة بالماء لم يكونوا قد اعتمدوا بمعمودية الروح التي هي معمودية المسيح . وكذا ان الذين عمدوا بالماء لم يتمموا بعملهم هذا معمودية المسيح . فاذا كان يوجد معمودية واحدة الآن كما قد تبرهن سابقًا فالمقصود منها معمودية الروح وليس معمودية الماء والاَّ فتكون المعمودية الواحدة الثابتة الى الآن معمودية الماء اي معمودية يوحنا

وليس معمودية الروح اي معمودية المسيح. وهذا القول جهالة واضحة مخالفة للحقيقة. اما اذا قيل انه وان تكن معمودية يوحنا جرى استعمالها قبل معمودية المسيح وعلى نسق آخر لكونها رمزاً لها. اما الآن فتلك كرمز وهذه كمرموز يتمان معاً معمودية واحدة

فأجيب انه لا فائدة من هذا القول ما لم يسلم انهما كلاهما جوهريان للمعمودية. حتى ان المعمودية لا تحسب حقيقة ما لم يتم الاثنان معاً وهذا لا يعترف به مناظرونا لانهم بالعكس يحسبون كل المعمدين بالماء معمدين بمعمودية المسيح ايضاً سواء كانوا معتمدين بالروح ام لا. اي ان كل مرشوش او مغطس بالماء يحسب معمداً بمعمودية المسيح ولو اشتهر بكونه باعماله الشريرة معادياً لله وبهذا هم انفسهم يعترفون ان معمودية الماء عارية من الروح. لذلك فالاسلم ان يقال ان معمودية الروح التي هي معمودية المسيح يمكن ان تتمّ دون الماء كما يتضح من اع ص ٩ حيث يشهد بطرس عن أُناس اعتمدوا بالروح مع انهم لم يكونوا قد اعتمدوا بالماء. فحقيقة الامر ان الخلاف بيننا وبين مناظرينا في هذه المسألة وفي امور كثيرة غيرها انهم على الغالب يفضلون ظل الامور وصورها على قوّة حقيقتها. فيقولون ان البعض ورثة وملكوت لان لهم الصورة الخارجية او الظلّ حال كونهم بالحقيقة تعوزهم القوّة والجوهر ويرفضون الذين لهم القوّة والجوهر وينكرونهم ان لم يتمسكوا بالصورة الخارجية والظل. وهذا ظاهر من انهم يحسبون أُناساً اعتمدوا بمعمودية المسيح حال كونهم غير معتمدين بالروح (اي المعمودية التي يدعوها الكتاب معمودية المسيح) بل بالماء فقط. مع انهم يعترفون انها انما هي رمز او صورة فقط. وزيادة على هذا انهم يرفضون الذين اعتمدوا بالروح حقيقة ولا يقبلونهم ما لم يرشوا او يغطسوا بالماء. اما نحن فبالعكس نفضل القوّة على الصورة والحقيقة على الرمز ولما تجتمع الحقيقة والقوّة في شخص ما فلا يرتاب في قبوله

البتة وان تكن لم تتم الصورة الخارجية. وذلك لاننا نطلب اولاً الحقيقة والقوة كأمرين لازمين لا يمكن الاستغناء عنها. اما الصورة فهي غير لازمة في ظروف كثيرة كما ان الرموز باطلة وسيأتي بيان هذا

(٤) رابعاً اوضح تحديد للمعمودية في كل الكتاب مما جاء في رسالة بطرس ان المعمودية الواحدة ليست غسل الماء ابط ٣: ٢١ الذي مثاله يخلصنا نحن الآن اي المعمودية لا ازالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح

فلا يوجد تحديد للمعمودية اوضح من هذا في كل الكتاب ولشدة وضوحه يمكن تفضيله على كل تحديد نخبة علماء اللاهوت. فالرسول يتكلم اولاً بالصورة السلبية بقوله انها ليست ازالة وسخ الجسد. فهي اذاً ليست بغسل الماء الذي هو لتلك الغاية. ثانياً بقوله بالصورة الايجابية انها سؤال ضمير صالح نحو الله بقيامة يسوع المسيح. وهذا تحديدها بالصورة الايجابية انها سؤال (اي الاعتراف كما جاء في النسخة السريانية) ضمير صالح فسؤال الضمير الصالح ليس سوى تطهير النفس بروح الله واحراق تلك الطبيعة الاثيمة بنار قضائه. فعمل الله فيهم على هذه الصورة يمكن ان يقال بالحقيقة انهم اعتمدوا بمعمودية المسيح اي الروح القدس ونار. وهكذا كيفما نظرنا الى تحديد الرسول لمعمودية المسيح نرى انها تثبت مبدأنا. فاذا اتخذنا القسم الأول اي السلبي اي انها ليست ازالة وسخ الجسد. فهذا ينفي انها معمودية الماء لان معمودية الماء هي ازالة وسخ الجسد. واذا اتخذنا القسم الثاني اي سؤال (الاعتراف) ضمير صالح الخ. فهي ليست معمودية الماء ايضاً لانه حسب اقرار مناظرينا انفسهم ان هذا ليس نتيجة ملازمة لمعمودية الماء فكأن الرسول نبَّه بطريقة خصوصية ضد اعتبار معمودية الماء معمودية المسيح الحقيقية لانه (خوفاً من ان يجيء البعض منهم المقابلة التي قابل بها في الاعداد السابقة

الارواح التي خلصت في الفلك وبيننا نحن الذين خلصنا بالمعمودية . لان اولئك كان سبب خلاصهم الماء . فلئلاً يفهم ان المقصود بكلامهِ معمودية الماء) قال دفعاً لكل شبهة انها ليست ذلك بل شيئاً آخر ليست الماء او ازالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح لانهُ بالاوّل اي بالماء يقوم القسيس باتمام السرّ . اما بالثاني اي بالنعمة الحقيقية فبواسطة المسيح والامر جلي انها ليست ازالة وسخ الجسد . فهل من لزوم لتفسير اوضح لمحبي الحقيقة الغير المتعصبين ؟ بطرس الرسول يقول ان الذي يخلصنا هو المرموز اليهِ او مثالهُ . اما هم فيفسرون مثالهُ بقولهم انهُ كما ان الفلك خلّصهم بواسطة الماء فهم كذلك يخلصون الآن بواسطة معمودية الماء . وهذا التفسير يعاكس ما يقصدهُ الرسول كما قد سبقت الاشارة الى ما قد صرّح بهِ لنفي هذا الالتباس. ويعاكس ايضاً راي كل مناظرينا لان البروتستانت ينكرون كونها ضرورية للخلاص ومع ان البابويين يقولون انهُ لا يمكن ان يخلص احد دونها لكنهم يستثنون من ذلك الشهداء الخ . ثم يقولون ايضاً ان ليس كل المعمدين بالماء يخلصون الامر الذي يجب ان يحتموا بهِ اذا كانوا يفهمون بالمعمودية التي قال الرسول اننا نخلص بها معمودية الماء . لاننا اذا كنا نخلص بهذه المعمودية كما خلص كل الذين كانوا في الفلك بالماء كانت النتيجة ان كل الذين اعتمدوا هذه المعمودية يخلصون بها على انهُ اذا قصد بها معمودية الماء تكون النتيجة كاذبة لان الكل يعترفون ان كثيرين اعتمدوا بالماء وهم ليسوا اهلاً للخلاص . ولكن اذا فهم بهذه المعمودية معمودية الروح حسب اعتقادنا فالنتيجة صحيحة ثابتة لانهُ ما من احد اختبر الضمير الصالح وثبت فيهِ الاَّ ويخلص بهِ

خامساً نتائج واثمار معمودية المسيح انهُ كما قد اتضح بالبرهان من تحديد المعمودية الواحدة ليست الغسل بالماء يتضح ذلك ايضاً من الاثمار

والنتائج اللازمة التي يذكرها بولس الرسول على الاخصّ في ثلاثة اماكن. اولاً رو ٦: ٣ و ٤ "ام تجهلون اننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته فدفنّا معهُ بالمعمودية للموت. حتى كما أُقيم المسيح من الاموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن ايضاً في جدّة الحياة"

ثانياً يقول الى الغلاطيين ٣: ٢٧ "لان كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح"

ثالثاً يقول الى الكولوسيين ٢: ١٢ "مدفونين معهُ في المعمودية التي فيها اقمتم ايضاً معهُ بايمانَ عمل الله الذي اقامهُ من الاموات" ومن هنا يظهر ان الرسول يتكلّم بطريقة عامة مخاطباً الجميع دون استثناء. فلم يقل البعض منكم الذين اعتمدوا للمسيح لبسوا المسيح بل كلكم. فالامر الجليّ انهُ لا يقصد معمودية الماء بل معمودية الروح لانهُ لو قصد الاولى لكان المعنى ان كل من اعتمد بالماء لبس المسيح وقام معهُ وهذا يتفق الجميع بعدم صحتهِ

النتائج الغير الموجودة في معموديّة الماء ولنفرض ان كل اعضاء الكنائس في رومية وغلاطية وكولوسي اعتمدوا بمعمودية الماء (اما انا فلا اقول انهم كانوا كلهم معتمدين ولو كان مناظرونا يحتمون بذلك) فلا يمكن القول ان كل هولاء لبسوا المسيح لان الكلام الموجّه اليهم في عدّة اماكن من الرسائل يظهر عكس ذلك. اذاً الرسول لم يقصد معمودية الماء ولا يقدر احد ان ينكر انهُ قصد معمودية المسيح اي معمودية الروح. فالمعمودية التي شهد الرسول ان الذين نالوها قد لبسوا المسيح كانت تلك المعمودية الواحدة التي لا يرتاب بها احد. ثم لنفرض كما يقول مناظرونا ان كثيرين بين هذه الكنائس اعتمدوا بالماء ولم يلبسوا المسيح فتكون النتيجة انهُ على رغم انهم اعتمدوا بالماء فهم لم يعتمدوا للمسيح او بمعمودية المسيح لانهُ قد اتضح ان كل من اعتمد للمسيح قد لبس المسيح

ولنا مما تقدَّم الأقيسة الآتية

اولاً لو كانت معمودية الماء المعمودية الواحدة اي معمودية المسيح لكان كل من اعتمد بالماء قد لبِسَ المسيح

اما القسم الاخير ففاسد ولذلك فالاوَّل فاسد ايضاً

ثانياً بما ان كل من اعتمد للمسيح اي بالمعمودية الواحدة معمودية المسيح قد لبسَ المسيح . فمعمودية الماء ليست تلك المعمودية الواحدة اي معمودية المسيح

اما المقدمة فصحيحة ولذلك فالنتيجة صحيحة ايضاً

القضية الثالثة   معمودية يوحنا رمز لمعمودية المسيح   بما ان معمودية يوحنا رمز والرمز تحلُّ محلهُ الحقيقة . وبما ان المرموز اليهِ اي معمودية المسيح الواحدة باقية لذلك فالمعمودية الاخرى اي معمودية يوحنا تبطل . اما كون معمودية يوحنا رمزاً لمعمودية المسيح فهو امرٌ لا ينكرهُ احد . واذا فُرِض ان انكرهُ البعض فاثباتهُ سهل للغاية لان معمودية يوحنا تمَّ عن يد انسان بواسطة الماء . اما معمودية المسيح فهي قوَّة معدة بالروح لذلك فمعمودية يوحنا رمز لمعمودية المسيح ولا يمكن ان ينكر ان معمودية الماء ليست معمودية المسيح لذلك يمكن اثبات هذه القضية على الوجه الآتي

اولاً لا يمكن ان يثبت الى الآن سوى المعمودية الواحدة اي معموديةُ المسيح . وبناء عليهِ لا يمكن ان تثبت معمودية يوحنا الى الآن لانها ليست معمودية المسيح . وعدد كبير من مناظرينا يعترف ان معمودية يوحنا قد بطلت . واذا انكر ذلك احد فيسهل اثباتهُ من كلمات يوحنا الواضحة ليس فقط لكونهِ يجعل فرقاً بين معموديتهِ ومعمودية المسيح وعلى الاخصّ فيما قالهُ يو ٣: ٣٠ هو (اي المسيح) يزيد وانا (اي يوحنا) انقص . فالامر جليٌّ ان الزيادة او اتخاذ معمودية المسيح تقوم بنقصان او ابطال معمودية يوحنا

واخصّ خدمة يوحنا معمودية الماء. لذلك يستفاد من هذا كلهِ ان معمودية الماء ينبغي ان تبطل

ثانيًا لو كان ابقاء معمودية الماء ضروريًا كفريضة دائمة في كنيسة المسيح لكان المسيح مارسها او اوصى تلاميذهُ ان يمارسوها

اما ان السيد المسيح لم يمارسها فواضح مما جاء في يو ٤:٢ والى الآن لم يقع تحت نظري ان المسيح اوصى تلاميذهُ ان يعمدوا بالماء . وما يقال عما جاء في مت ٢٨:١٩ حيث يوصي تلاميذهُ ان يعمدوا . فاذا ادَّعى البعض انهُ يقصد بهِ معمودية الماء فسابيّن في البحث التالي ان ادعاءهم مبني على اركان واهنة فمعمودية يوحنا اذًا ليست فريضة دائمة في كنيسة المسيح

وانني اثق بهذا تمام الثقة لانهُ ما من فريضة او دعوة مسيحية لازمة للمسيحيين لم يكن مارسها المسيح نفسهُ او اعطى وصية صريحة بها من مثل اطاعة كل الوصايا التي تتعلق بواجباتنا نحو الله والناس وفي مت ص ٥ و ٦ وغير اماكن يبين ما يطلبهُ الانجيل منا فوق ما جاء في الناموس. كما انهُ يوصي من جهة العبادة ان نجتمع معًا واعدًا ايانا بحضورهِ معنا وموصيًا بالصلاة والوعظ والسهر الخ . وقد اعطى التلاميذ تعليمات وقتية بخصوص غسل ارجل بعضهم بعضًا وكسر الخبز وسيأتي البحث فيها كلها في حينهِ . اما معمودية الماء التي يحافظ عليها الكثيرون بغيرة شديدة فلم يعلم بها السيد ولا ترك شيئًا بخصوصها

(٦) **ان الانجيل يعلم بنهاية كل الفرائض** ان جعل معمودية الماء فريضة لازمة للديانة المسيحية التي هي روحية طاهرة وليست طقسية جسدانية يحطّ في مقام العهد الجديد ويعظم الطقوس والفرائض التي منها المعمودية او غسل الماء كما يتضح في عب ٩:١٠ حيث يصف الرسول رموز المسكن الاوّل القائمة باطعمة واشربة وغسلات مختلفة وفرائض جسدية

موضوعة الى وقت الاصلاح . فان كان وقت الاصلاح او عهد الانجيل الذي هو نهاية كل الرموز قد اتى فالمعمودية والفرائض والرسوم الجسدية قد بطلت ام كيف يمكن ان تصير معمودية الماء روحية اكثر مما كانت في عهد الشريعة حال كونها لاتزال معمودية ماء لغسل الانسان الخارجي وازالة وسخ الجسد وهي الآن كما كانت سابقاً لا يكسب المعتمدين كمالاً من جهة الضمير الامر الذي يعترف بهِ مناظرونا وبثبتهُ الاختبار على طريقة ظاهرة تماماً فادتها التي هي الغسل بالماء وتأثيرها الذي هو التطهير الخارجي لم يتغيرا فماذا يخولنا اذاً عدم اعتبارها الآن طقساً جسدانياً كما كانت سابقاً ؟

اعتراض اول يقول البعض ان المسيح يمنح الآن لبعض المعتمدين بها نعمةً

فاجيب ان الله دون شك كان يمنح النعمة احياناً لليهود الذين كانوا يستعملون الغسلات

اعتراض ثانٍ ولربما يقال ان المسيح اوصى بها لكي تبقى في العهد الجديد الى وقتنا الحاضر

فاجيب اولاً ان هذا الامر يحتاج الى الاثبات وسيأتي الكلام عنهُ

ثانياً لا يحصل الانسان على التطهير بمعمودية الماء الآن وقبل الآن ايضاً انما نجد انهُ لما تكون مادة الفرائض الخارجية متشابهة وغايتها متماثلة ايضاً فلا يتغيَّر استعمالها بتغيير الزمان ولا ينقص من اعتبارها الروحي ألم يأمر الله بالتطهيرات والاغتسالات تحت الناموس ؟ أوَلم يكن الماء مادة تلك الفرائض كما هو الآن ؟ ألم تكن غايتها الاشارة الى تطهير داخلي بواسطة الغسل الخارجي ؟ أوَلم تزل تلك الغاية هي هي الآن ؟ ام هل ان النتائج الناجمة عنها اليوم افضل منها في السابق مع ان المعتمدين بالماء الآن لا يكتسبون تطهيراً داخلياً كنتيجة ملازمة للمعمودية . اما اذا حصل بعض

المعتمدين بالماء على نعمة الله وعلى التطهير الداخلي فقد كان يحصل عليهِ بعض الذين كانوا تحت الناموس ايضاً . فالتطهير ليس نتيجة ملازمة لهذه المعمودية لذلك فالقول ان معمودية الماء التي كانت فريضة خارجية سابقاً اصبحت اليوم فريضة روحية هو قول مخالف للعقل السليم وشهادة الكتاب لان مصدرها لم يزل هو هو وكذلك مادتها وغايتها وان يكن قد طرأ بعض التغيير في طريقة استعمالها بخلاف روح العهد الجديد والعبادة التي علّم بها المسيح التي لا تتمّ بتغييرات خارجية سطحيّة

الفرق بين الناموس والعهد الجديد ثم ليرنا مناظرونا دون ان يحيدوا عن الموضوع او يلتجئوا الى بعض قواعد وضعوها هم انفسهم ولا نسلم نحن بها طقساً ام رسماً في العهد الجديد بقاؤُهُ لازم قد وضعهُ المسيح لاجل اتمام العبادة وكان لهُ ذات الجوهر والتأثيرات (اقول التأثيرات الضرورية وليس العرضية) ثم لاجل تغيير طفيف في الهيئة والترتيب عدّ الآن روحياً لان المسيح اوصى بهِ في العهد الجديد . وقد كان سابقاً جسدياً لانهُ علّم بهِ في العهد القديم . نعم انهم ليعجزون عن ذلك فعليهِ ان معمودية الماء كانت سابقاً فريضة خارجية لم تزل تعتبر هكذا الى الآن لانها فريضة جسدية ولا يمكن ان تُعدّ جزءًا لازماً للعهد الجديد . وبما انها ليست ضرورية فلا داعي لان تبقى مستعملة من الذين يعيشون ويسلكون في العهد الجديد . ولكننا نلاحظ في هذه المسئلة وغيرها ان مناظرينا يحافظون على التعاليم اليهودية تاركين نِعم العهد الجديد الروحية المجيدة جانباً ومتمسكين بمبادئ العهد القديم في التعليم والعبادة لانها تناسب وتوافق افهامهم الطبيعية الجسدية . اما نحن فبعكس هذا ننظر الى ما فوقها كلها الى نور الانجيل المجيد المعلن لنا طبقاً للحقيقة التي نعترف بها حسب انجيل المسيح الروحي الذي يمتاز عن رموز العهد القديم الجسدية تحت الناموس

الفرق بين العبادة والمعمودية الخارجيين والداخلين اما هم فلكونهم ينبذون الانجيل فلا يزالون يعملون تحت ثقل الناموس الذي لا هم ولا آباؤهم يستطيعون حمله لان شريعة وناموس العهد القديم واليهود كانا خارجيين مكتوبين على الواح حجرية ورقوق تشبه شريعة مناظرينا . اما ناموس العهد الجديد فهو ابديّ داخلي مكتوب في القلب كما نعتقد به نحن. اما عبادة اليهود فكانت خارجية جسدية مختصة باوقات واماكن واشخاص حسب طقوس وفرائض معينة اشبه بعبادة مناظرينا

اما عبادة العهد الجديد فلا تختصّ بمكان او زمان او شخص ما لكنها تقدَّم بالروح والحق غير محصورة بفرائض او ترتيبات معينة .ولكنها تتمّ بارشاد روح الله والهامهِ وتدريبهِ ان كان في الكرازة او الصلاة او الترتيل وهذه هي طريقة العبادة التي نتمسك بها نحن

ان المعمودية اليهودية تحت الناموس قد كانت غسلاً خارجيًا بالماء الاعتيادي الخارجي يرمز بها عن تطهير النفس الداخلي لكنها في كل الاوقات لم يكن لها نتيجة مقرَّرة . اما معمودية المسيح بحسب الانجيل فهي معمودية الروح القدس ونار وليست ازالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح امام الله وهذه هي المعمودية التي نجدّ نحن لكي نعتمد بها ونحافظ عليها

(٧) ان معمودية الماء ليست علامة للديانة المسيحية كما كان الختان عند اليهود لو كانت معمودية الماء فريضة العهد الجديد لكان بولس الرسل أُرسل خادمًا لها .لكنهُ يقول صريحًا في اكو ١:١٧ ان المسيح لم يرسلني لأُعمّد بل لأُبشّر بالانجيل . اما ارسالية بولس فلم تكن اقلّ اتساعًا من غيرهِ من الرسل.فعدم تعميدهِ مع انهُ كان مدعوًا على طريقة خاصة رسولاً للامم يدلّ انهُ لو كانت معمودية الماء كما يدّعي مناظرونا عربون الديانة المسيحية لكان بولس اشدّ حاجة اليها من غيرهِ لكي يسِم الامم المؤمنين

بالسمة المسيحية ولكن بما ان بولس كان رسول الامم وكان يعمل في خدمتو (كما يظهر من رسائلو) لكي يبطل العوائد اليهودية القديمة من طقوس وفرائض (حتى انهُ انتقد احيانًا خطأً اخوانو الذين لم يكونوا مستعدّين لترك هذه الطقوس. وهكذا فمع ان ارساليتهُ لم تقلّ عن غيرهِ في بشارة الانجيل والعهد الجديد. رأى انهُ لا يطلب منهُ ان يقتاد المؤمنين بواسطة هذه الفروض والاغتسالات اليهودية التي كان اخوانهُ الرسل يواظبون عليها بدقّة مع الدخلاء. وقد شكر الله لهذا السبب عينهِ ١كو ١:١٤ لانهُ عمد عددًا قليلاً مبيّنًا انهُ عمّد العدد القليل ليس لكونهِ رسولاً بل بسبب ضعف اولئك كما جرى عند ما ختن تيموثاوس ولكي يستر مناظرونا قوة هذه الشهادة يقولون انهُ انما يقصد بقولهِ هذا ان رسالتهُ الخصوصية لم تكن لكي يعمد وليس انهُ لم يكن مرسلاً البتة لتلك الغاية

فاجيب ان اعتراضهم ضعيف بجانب تصريح الرسول الجلي وليس لديهم برهان يسندون تشبثهم بهِ اليهِ لذلك يحق لنا رفضهُ الى ان يأتونا ببرهان ثابت لان الرسول لم يقل ان الله لم يرسلني بطريقة خصوصية لاعمد بل تكلّم على سبيل التعميم. اما ما يستشهدون بهِ من غير اماكن من الكتاب على طريق المقابلة حيث يؤوّلون النفي بلا كما في اريد رحمة لا ذبيحة الذي يقصد بهِ حسب زعمهم ان الله يطلب الرحمة بطريقة خصوصية الاَّ انهُ لا يرفض الذبيحة مت ٩:١٣ وهو ٦:٦

الاَّ ان هذا الكلام يتضح من العبارة التالية "ومعرفة الله خير من المحرقات" التي تبين ان المحرقات التي هي نفس الذبائح ليست مستثناة. اما الرسول فلم يرد في كلامهِ شيءٌ من هذا. لذلك فالمقابلة غير تامة وكلا البرهان والاستنتاج غير كافيين والاَّ لامكننا ان نفسّر على ذات النسق غير آيات من الكتاب كما جاء في كلام الرسول نفسهِ ١كو ٢:٥ "لكي لا يكون ايمانكم بحكمة

الناس بل بقوة الله" اذ يمكن ان يقال لكي لا يكون ايمانكم هكذا بطريقة خصوصية فاتخاذ حرية مثل هذه في التفسير تحدث تحريفاً وتشويشاً عظيمين في كلمات الكتاب

اعتراض ثانٍ اما اذا قيل ان سبب التعب بين الكورنثيين بخصوص المعمودية هو انقسامهم احزاباً ناسبين انفسهم الى الاشخاص الذين عمدوهم وهذا ما حمل الرسول على الكلام واساءة فهم الشيء لا توجب تركهُ .

فأُجيب نعم ان اساءة فهم الشيء لا توجب تركهُ اذا كان شرعياً لازماً ودون شك ان عدم فهمهم جعل الرسول يكتب هكذا . ولكن لماذا استعفى الرسول من المعمودية ولازم التبشير مع ان التعب نتج عن كليهما على السواء لان الكورنثيين تكنّوا باسماء الذين بشروهم (كما تكنّوا باسماء الذين عمدوهم) اما كونهم مؤمنين فظاهر من اكو ٣: ٤ و ٥ و٦ و٧ و٨

ان الكرازة فريضة واجبة لا يجب اهمالها فالرسول ازالة لكل التباس لا يقول انهُ لم يرسل ليبشر او اظهر سروراً لكونهِ بشّر عدداً قليلاً فقط لكون التبشير فريضة دائمة في الكنيسة والذي دعاهم الله لها لا يليق بهم ان يهملوها مها ألحق الشيطان بهم من الاهانات بسببها . وقد بين الرسول لهم في ذات الاصحاح عد ٨ و ٩ كيف يمكن ان يزال كل التباس من جهة الكرازة . اما المعمودية فلأنها ليست فريضة مسيحية دائمة بل بعض الرسل عمدوا الذين آمنوا من الامم اكراماً لليهود فعند ما تسبب عنها اقلّ تعب بين الكورنثيين بيّن لهم عدم اهميتها باظهار سرورهِ لانهُ عمد نفراً قليلاً فقط مصرّحاً وقائلاً ان الله لم يرسلهُ ليعمد

ولربما يسأل البعض قائلين كيف نعلم انهُ يقصد بالمعمودية هنا معمودية الماء وليس معمودية الروح . وعليهِ فيكون قد استثنى معمودية الروح كما

استثنى معمودية الماء

فاجيب **ان معمودية الروح هي العاملة للخلاص** ان الامر واضح والذين يسألون هذا السؤال انفسهم يعلمون جداً ان الرسول قصد معمودية الماء لان ارسالية بولس الرسول كانت لكي يردّ الشعب من الظلمة الى النور ويرشدهم الى الله وكل الذين يرجعون ويؤمنون (ولهم سؤال ضمير صالح امام الله ويسوع المسيح وقد قاموا معهُ في جدّة الحياة) هم معتمدون بمعمودية الروح ومن يقول ان هذا العدد القليل فقط الذين عمدهم بولس نالوا الخلاص. واذا وقفنا عند هذا الحدّ وسلمنا بتفسير مناظرينا أفلا تكون المعمودية قسماً من خدمة بولس نظير سواها. لذلك فليعلموا ان المقصود هنا معمودية الماء كما نعتقد نحن ونلفت ابصارهم الى زيادة التبصر وسابيّن فيما بعد لماذا قصد الرسول معمودية الماء وليس معمودية الروح. اما الآن فأتقدّم لذكر الاسباب التي يتمسك بها الذين يحسبون معمودية الماء ضرورية وهذه الاعتراضات نفسها يقدمونها مظهرين بها انهُ يجب ان لا تبطل

(٨) **اعتراض اوّل** ان البعض يعترضون قائلين ان المسيح الذي كان فيهِ الروح فوق كل قياس اعتمد بالماء

فأُجيب ان المسيح قد خُتِن ايضاً ولم يتخذ ذلك سبباً للحكم بأن عهد الختان يجب ان يبقى. اما السيد فرأى انهُ من المناسب ان يتم كل برّ وليس ما أُرسل يوحنا لاجلهِ فقط بل ما اوصى بهِ في الناموس ايضاً فهو حافظ على اعياد اليهود وفرائضهم وحفظ الفصح. أفلا يفهم من هذا حسب قولهم ان المسيحيين يجب ان يتمموا كل ذلك وفي مت ٣: ١٥ اعطى المسيح يوحنا سبباً لاعتمادهِ طالباً منهُ أن اسمح الآن وبهذا اظهر انهُ لم يقصد ان يضع فريضة لتلاميذهِ

اعتراض ثانٍ ويعترضون ايضًا بما جاء في مت ١٩:٢٨ "فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" وهذا هو اعظم اعتراض عندهم وعليه يبنون اكبر براهينهم وهو يُعَدّ جوابًا مطابقًا للفعل لو امكن التسليم بقولهم انهُ يقصد بهِ هنا معمودية الماء. ولكن ليثبتوا هذا بالبرهان لان العدد لا يصرّح بهِ على انني سأُبين اولاً ما نتخذهُ اساسًا لايماننا وبعد ذلك ابحث في الاسباب التي يذكرون انهُ يستدلّ منها ان المقصود منهُ معمودية الماء

اولاً ان القاعدة الاولى التي يسلّم بها الجميع هي انهُ يجب ان لا نهمل معنى العدد الحرفي ما لم يوجد دلالة مهمة واضحة تلجئنا الى ذلك

اما هنا فلا يوجد دلالة مهمة تلجئنا اليهِ

لذلك لا يجب ان نحوّل عن المعنى الحرفي

ثانيًا ان المعمودية التي اوصى بها المسيح تلاميذهُ هي المعمودية الواحدة اي معموديتهُ

اما المعمودية الواحدة اي معمودية المسيح فهي ليست معمودية الماء كما قد تبرهن سابقًا

لذلك المعمودية التي اوصى بها المسيح تلاميذهُ ليست معمودية الماء

ثالثًا ان المعمودية التي اوصى المسيح بها تلاميذهُ هي المعمودية التي كل من اعتمد بها قد لبسَ المسيح

اما هذا فلا يصدق على معمودية الماء

لذلك لا يقصد بالعدد معمودية الماء

رابعًا ان المعمودية التي اوصى بها المسيح تلاميذهُ ليست معمودية يوحنا

اما معمودية يوحنا فهي بالماء

لذلك المعمودية التي اوصى بها المسيح تلاميذهُ ليست بالماء

هم يعتقدون ان معمودية المسيح هي معمودية الماء لكنها تختلف عن معمودية يوحنا لان يوحنا عمد بالماء للتوبة . اما المسيح فاوصى تلاميذهُ ان يعمّدوا باسم الآب والابن والروح القدس فيحسبون ان هذا يجعل فرقًا عظيمًا بين معمودية يوحنا ومعمودية المسيح

فاجيب ان الفرق ليس بأن معمودية يوحنا كانت للتوبة لان معمودية المسيح للتوبة ايضًا ومناظرونا انفسهم لا ينكرون ان الكبار ينبغي ان يتوبوا معترفين بخطاياهم . اولاً قبل المعمودية حتى ان الاطفال ايضًا باعتبار المعمودية الحقيقي ينبغي ان يتوبوا ويعترفوا ايضًا . فاذًا لا فرق بين معمودية المسيح ومعمودية يوحنا فيما يتعلّق بالتوبة والاعتراف بالخطايا لانهما يتفقان من هذه الجهة . ومناظرونا منقسمون بهذا الاعتبار لان كلًّا يعلّم بمعمودية واحدة للمسيح ويوحنا لكنهُ يجعل فرقًا بينهما ان الواحدة بالماء بخلاف الاخرى

ثانيًا المقصود باسم الرب في الكتاب ان قول المسيح عند ما اوصى تلاميذهُ "عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" بيّن الفرق وهو فرق عظيم الآن منطوق العدد لا يعني انهُ قصد بذلك معمودية الماء بهيئة اخرى لانهُ لم يصرّح بهذا ولا أرى كيف يمكن ان يفهم منهُ ذلك اذ يفهم من اليوناني "باسم" واسم السيد في الكتاب يقصد بهِ غالبًا اكثر من معنى الكلمات الحرفي بل يعني قوّتهُ وفضيلتهُ كما جاء في مز ٥٤ : ١ وام ١٨ : ١٠ واماكن اخرى . والامر واضح ان التلاميذ عند اتمام خدمتهم كانوا يعمّدون الامم بهذا الاسم وبالفضيلة والقوّة كما يستدلّ من كلام بولس اي كل من اعتمد للمسيح قد لبس المسيح . وهذا معنى المعمودية باسم المسيح اي للقوّة والفضيلة وليس تلاوة كلمات ترافق معمودية الماء لان ذلك كما تقدم الكلام عنهُ ليس نتيجة طبيعية لها

ماذا يعني بالمعمودية باسم ثم انني اطلب من الذين يبنون ايمانهم على شهادة روح الله والاسفار المقدسة فقط ان يمعنوا النظر فيصلوا الى المعنى الحقيقي الذي يختلف عن التفاسير العلمية والتقليدية . لانه ربما يظهر لاوّل وهلة لذوي المعرفة السطحية اذا قلنا بصراحة انه لايفهم من الكتاب اننا يجب ان نتمسك بمعمودية الماء وان ما جاء في مت ص ٢٨ "وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" لا يعتبر وصية بها قوّضنا اساس المبادئ المسيحية

المسيح لم يعين المعمودية فريضة ومع ان معنى الاسم نفسهُ الدلالة على الفضيلة والقوّة كما سبق القول . فلو ان المسيح اراد ان يتخذ تلاميذهُ المعمودية سنّةً لكانوا بلا شك وضعوا لها خطّة خصوصية يتبعونها عند ما يعمّدون بالماء . ومع ان الموضوع تكرّر ذكرهُ في الاعمال فاقتصر على ذكر من اعتمد واسمهِ وكيف اعتمد اع ٢ : ٤١ و ٨ : ١٢ و ١٢ و ٣٨ و ٩ : ١٨ و ١٠ : ٤٨ و ١٦ : ١٥ و ١٨ : ٨ . ولم يذكر في كلها كلمة واحدة تشير الى ترتيب الفريضة

وقد قيل في موضعين من الاعمال ٨ : ١٦ و ١٩ : ٥ ان البعض اعتمدوا باسم الرب يسوع . اما تكرار ذكر المعمودية واغفال وضعها كفريضة كما يقولون فيمكن نسبتهُ الى احد امرين اما اهمال الكاتب وتهاونه (وذلك افتراء على الروح القدس الذي الهم لوقا ليكتب ما كتبهُ) او ان الرسل لم يفهموا المسيح عند ما ارسلهم مت ٢٨ انه يقصد فريضة المعمودية فلم يتمموها بقوة تلك الارسالية والاّ لكانوا رسموا لها فريضة خصوصية . على انني اقول ان استعمال معمودية الماء باسم المسيح فقط وليس باسم الآب والابن والروح القدس كما قيل صريحًا في الموضعين المارّ ذكرها يعدّ تجديفًا

ثانيًا يقولون انه وان كانت الكلمات لاتذكر معمودية الماء صريحًا

الاّ انهُ يفهم منها تعليم اشبه بعمودية الماء وكلاهما واحد

فأُجيب كلاّ . ان معمودية الروح هي شيءٌ يفوق التعليم او افهام المدارك لانها تخترق القلب وتذيبهُ فيرتدّ ثم تنبه المدارك ونحن نجد في الكتاب غالباً ان التعليم والتهذيب مذكوران معاً رفعاً لكل التباس او تأويل عديم الفائدة مع ان هاتين الكلمتين اقرب في المعنى من التعليم ومعمودية الروح

ثالثاً يقولون ان المقصود هنا معمودية الماء لانها عمل التلاميذ ولا يمكن ان تكون معمودية الروح التي ليست عمل انسان بل عمل المسيح ونعمتهِ

فأُجيب معمودية الروح بواسطة رجال الله كادوات لها انهُ وان تكن معمودية المسيح لا تتمّ دون المسيح ونعمتهِ لكنها تقوم بواسطة أُناس اعدَّهم الله لهذه الغاية . فلا يعدُّ غرابة اذا قلنا ان معمودية الروح قد اتمها الرسل لانهُ وان يكن المسيح يهب المواهب الروحيةَ بنعمتهِ الاّ ان الرسول في رو ١: ١١ يقول عن انهُ يمنحهم هبة روحية . وقد قال ايضاً للكورنثيين ١ كو ٤: ١٥ انهُ ولدهم في المسيح يسوع بالانجيل حال كون الولادة الى الايمان هي عمل المسيح بالنعمة وليست عمل انسان . ومع ان اقناع القلب هو عمل المسيح فالكتاب يذكرهُ احياناً كثيرة كانهُ عمل الانسان عند ما يتمّ بواسطتهِ فقيل ان ارسالية بولس كانت ان يردّ الناس من الظلمة الى النور (مع ان هذا لا يتمّ الاّ بعمل المسيح في القلب) وعليهِ يمكن ان يقال ان معمودية الروح تتمّ عن يد الانسان مع ان عمل نعمة الله ضروري جدّاً لاجل اكمالها فلا يعدُّ حماقة اذا قيل ان الرسل عمدوا بالروح

رابعاً واخيراً انهم يقولون ان المسيح قال انهُ يكون مع تلاميذهِ الى انقضاء الدهر . وعلى هذا يجب ان تبقى معمودية الماء الى انقضاء الدهر ايضاً

فاجيب انهُ لو كان قصد المسيح بذلك معمودية الماء لربما كانوا مصيبين بهذا . اما وقد بينت خطأهم من هذا القبيل مثبتاً ان المسيح تكلم عن معمودية الروح . وهذه المعمودية نحن نقرّ ونعترف انها تبقى الى انقضاء الدهر اي ما دام حضور المسيح مجملاً اولادهُ

(٩) ثالثاً انهم يعترضون بقولهم ان التلاميذ في بداءة الكنيسة عمدوا كل من اعتنق الايمان المسيحي بمعمودية الماء مظهرين بهذا انهم هم ايضاً فهموا انهُ قصد في مت ٢٨ معمودية الماء والاَّ فاما انهم كانوا غير فاهمين فاستعملوا الماء عند المعمودية او انهم سلكوا مسلكاً غير مدعوّين اليهِ

فاجيب ان الادعاء بأن التلاميذ استعملوا معمودية الماء دائماً غير صحيح . وهذا قد تبين من كلام بولس الرسول لانهُ من الضلال ان يقال ان بولس اجتذب الى الايمان هذا النفر القليل حتى ومن كنيسة كورنثس الذين ذكر انهُ عمدهم أولا يحسب حماقة اعظم ايضاً ان نعتبر عادة رسولية دائمة وذاك الذي هو من المتقدمين منهم وقد صرّح انهُ علىنظير كلّ منهم يظهر سرورهُ لكونهِ عمّد نفراً قليلاً . اما كون الرسل عمدوا بالماء فلا يمكن ان يستنتج منهُ انهم فهموا ان ما جاء في مت ٢٨ وصية بمعمودية الماء لانهم مع انهم عمدوا بالماء فلا يحتم انهم عملوا ذلك اتباعاً لهذه الوصية او لأنهم اساؤا فهمها . وليس من شاهد يمكن الاتيان بهِ لاجل اثبات هذه النتيجة . اما قولهم انهُ لمن الحماقة ان يقال انهم استعملوها دون وصية بها فمردود لانهم ربما مارسوها لكونها كانت مستعملة قبل موت المسيح ولان الشعب المعتاد على الفرائض الخارجية يصعب عليهِ تركها تماماً وهم داوموا استعمال فرائض اخرى ايضاً كالختان والتطهيرات المعتادة التي لم يوصهم المسيح بها وسيأتي تفصيل هذا مطولاً في القضية عند الكلام عن العشاء

اعتراض اما اذا قيل ان ذات الكلمة تطلق على المعنيين وبما ان

المسيح اوصاهم ان يعمدوا وهم بعد ذلك استعملوا معمودية الماء يترجح الحكم بكونهم فهموا ان المقصود ما اوصاهم في مت ٨ انهم أُعطوا سلطانًا ان يعمدوا بالماء ولذلك اجمعوا على استعمال معمودية الماء

تمنع الرسل من كرازة الامم فاجيب انهُ لمن الممكن ان التلاميذ استمرّوا مدةً ما على هذا الغلط زاعمين ان السيد قصد بتلك الوصية معمودية الماء (حال كونهِ لا يوجد سند نستند عليهِ في هذا) وليس هذا من الغرابة في شيء لانهُ واضح انهم بقوا مدَّة طويلة غير فاهمين ولم يقدروا ان يطيعوا تلك الوصية التي اوصاهم بها قائلاً اذهبوا وعلموا كل الامم بل كانوا يعتقدون انهُ لمن الخطإ العظيم ان يدخلوا الى الامم ويبشروهم ويعلموهم . حتى ان بطرس نفسهُ رفض ذلك الى ان اراهُ الله تلك الرؤيا السموية المقنعة. وقد بقي بطرس مع كل هذا زمنًا موضوع انتقاد رفاقهِ الى ان بيّن لهم وافهمهم ماجرى تمامًا. وعليهِ فان لزم لتعليم الرسل انفسهم زمانًا هذا مقدارهُ فأثَّر عليهم ميلهم وتمسكهم بالعادات اليهودية بعد قيامة المسيح وحلول الروح القدس واعترضوا على تقديم بشرى الخلاص للامم . أوَلم يعطهم السيد نفسهُ تلك الوصية ان يبشّروا الامم . فمع هذا كلهِ هل يمكن ان يعدَّ غرابةً اذا وقع بعض التلاميذ (وقد كانوا من اخلص تلاميذ يوحنا ومعمودية كانت ذات شأن عظيم عند اليهود) في الخطإ نفسهِ وفهموا ان المعمودية التي علم المسيح انها روحية قصد بها معمودية الماء التي ليست سوى معمودية يوحنا الذي بقي مدَّة يعمد ؟ ولكن يكفي ان اولئك الذين ارتكبوا ذلك الخطأ (على اني انا نفسي لا اعتقد ذلك) لم يستمرّوا عليهِ . والاَّ لما تكلم بطرس بهذا الصدد قائلاً ان المعمودية المخلصة ليست ازالة وسخ الجسد الذي هو دون شك من صفات معمودية الماء

هل استعمال بطرس معمودية الماء يجعلها فريضة يجب ان نتبع الا

انهم يقولون ان بطرس عمّد كرنيليوس ويعلقون على ذلك امرين مهمين الاوّل ان معمودية الماء استعملت بعد قبول الروح القدس والثاني انهُ قبل صريحاً انهُ اوصاهم ان يعمدوا اع ١٠: ٤٧ و٤٨ الَّا ان كلا هذين الادعائين لا يثبتان ان معمودية الماء فريضة مختصة بالعهد الجديد ويجب على الكنيسة ان تداوم عليها لان كل ما يقال هو ان بطرس عمد أناساً في ذلك الوقت وليس انهُ عمدهم اتماماً للوصية المذكورة في مت ٢٨ ام كيف يمكن ان يعتبر هذا اثباتاً لمعمودية الماء اكثر من غيرها مما مارسهُ الرسول نفسهُ على نفس الطريقة كالختان وغيرهِ

اما بطرس فالذي حسبهُ امراً غريباً ان يكون الامم شركاء في الانجيل (على رغم ما علم بهِ السيد كما تكلَّم سابقاً) الى ان اعلن لهُ بطريقة غير اعتيادية ان يأتي اليهم ويأكل معهم . فلا عجب اذا وضعوا هذه الفريضة عليهم لانها كانت منسوبة الى يوحنا سابق المسيح ولها علاقة بالانجيل اكثر من باقي الفرائض اليهودية التي استعملتها الكنيسة وقتئذٍ

الَّا ان كل هذا لا يثبت ما يدَّعيهِ مناظرونا

ثانياً ان الكلمات التالية "وامرهم ان يعتمدوا يفيد الامر وليس اعطاه وصية اي ان بطرس امرهم ان يعتمدوا بالماء . وهذا لا يمكن انكارهُ انما لا يقال ان بطرس اوصى بممارسة معمودية الماء كفريضة دائمة يجب على الكنيسة المحافظة عليها ولا يمكن الانسان ذو العقل السليم اذا اراد ان يفقه التسليم ان ما قيل لبعض اشخاص ان يعملوهُ يفهم منهُ وصية عمومية يتوجَّب على الجميع اتباعها ما لم يكن ذلك مبنياً على وصيةٍ صريحة لانهُ لماذا يعتبر قول بطرس لكرنيليوس ان يعتمد هو واهل بيتهِ وصية يجب المحافظة عليها اكثر من الختان حال كونهِ امرهم ان يختتنوا ويحافظوا على الناموس لانهُ لما عمد كرنيليوس لم يكن قد تقرَّر بعد ان الامم غير ملزومين ان يختتنوا بل

بالعكس لقد كان الفكر العامّ في الكنيسة انهُ يجب ان يختتنوا . فلا عجب اذا ظنوا ايضاً انهُ يجب ان يعتمدوا لان للمعمودية علاقة اكبر مع الانجيل وهي اخفّ ثقلاً من الختان

(١٠) **اعتراض رابع** انهم يعترضون قائلين ان معنى عمد ان يغمس او يغسل بالماء . فالكلمة نفسها تثبت انهُ يقصد بها معمودية الماء

فأُجيب ان هذا الاعتراض سقيم لانهُ لما كانت المعمودية طقس شائع بين اليهود قبل مجيء يوحنا كما قد اثبت بولوس ركسيوس فسمّيت الفريضة حسبما مارسها اليهود واستعملها يوحنا . الاّ ان المسيح ورسلهُ استعملوا تعبيرات كهذه لمعانٍ روحية فالختان مثلاً استعملهُ اليهود للدلالة على فريضة خارجية . اما الرسول فقد تكلم عن ختان القلب والروح الغير المصنوع بالايدي والمعمودية التي شاع استعمالها بمعنى الغسل بالماء قد تكلم يوحنا والمسيح والرسل عنها كمعمودية الروح والنار وهذه المعمودية يخصونها بالمسيح للتمييز بينها وبين معمودية يوحنا اي معمودية الماء كما قد اثبت آنفاً

لذلك وان تكن المعمودية في عرف اليهود هي معمودية الماء فقد قُصد بها بين المسيحيين معمودية الروح دون الماء والمسيح ورسلهُ استعملوا لاجل التعبير عن امور روحية اسماء هي ظلّ الامور العتيدة فعند ما تكلم المسيح عن جسدهِ (واساء اليهود فهمهُ) قال " اهدموا هذا الهيكل وفي ثلاثة ايام اقيمهُ " واشياء كثيرة نظير هذه التي ان تقيدنا بمعنى الكلمات الحرفي فيها تكون النتيجة خلاف ما يعتقدهُ مناظرونا كما انهُ احياناً يخالف مبادئنا ايضاً . اما معنى معمودية باللغة اليهودية فهو غمس او غطس . وقد كان استعمال المعمودية عند اليهود حسب طريقة يوحنا وكذلك عند المسيحيين الاوَّلين . اما اكثر مناظرونا فيكتفون برشّ قليلٍ منهُ على الجبهة مع انهُ لا ينطبق على معنى الكلمة البتة اي غطّس والمسيحيون الاوَّلون اعتقدوا ان التغطيس بالماء

ضروري جداً. فلم يعفوا منهُ نخفاء الاولاد الذين يضرّ بهم التغطيس زاعمين ان الرشّ دون تغطيس يجب ان لا تعتبرهُ الكنيسة كافياً لايفاء فريضة المعمودية . فاذا شاء مناظرونا ان يتشبثوا بمعنى الكلمة الحرفي وجب عليهم ان يغيّروا طريقة المعمودية عندهم

اعتراض خامس انهم يعترضون بما جاء في يو ٣ : ٥ ان كان احد لايولد من الماء والروح الخ . فيؤيدون بهذا ان معمودية الماء ضرورية كمعمودية الروح

فاجيب **الماء المطهّر هو ماء رمزي داخلي** ان هذا ليس ببرهان على ان معمودية الماء لازمة . لذلك لما استشهد البابويون بهذا العدد لاجل اثبات معمودية الماء اجابهم البروتستانت بحق ان معنى الماء هنا الغسل والتطهير الداخليين كما قصد المسيح بقولهِ يعتمدون بالنار اذ لايقصد بذلك النار الخارجية نفسها بل التطهير الرمزي لان التطهير هو من خواصّ النار وذلك يتضح جليًا من قول الرسول بغسل الميلاد الثاني تي ٣ : ٥ وقول بطرس المعمودية المخلصة كما تقدّم مرارًا . وقد فسّر كلفن ذلك بقولهِ ان المعمودية المخلصة هي ليست ازالة وسخ الجسد لانهُ لايمكن ان يفهم الماء بالمعنى الخارجي المادّي . لذلك لا يمكن ان نتخذ هذه الآية برهانًا لاجل اثبات معمودية الماء

اعتراض فاذا قيل ان الماء هنا يفيد فريضة ضرورية وان يكن غير مصرّح بها

فاجيب اولاً اذا قيل انهُ قيل انهُ يقصد هنا بالماء معناها الخارجي فقد سبق القول بفسادهِ مدعومًا بالبرهان

ثانيًا اذا قيل ان الماء والروح يوضعان هنا معًا " ان كان احد لا يولد من الماء والروح مما يثبت ان كليهما ضروريان على السواء . فانا

اعتبرنا الروح ضرورياً كان الماء ضرورياً ايضاً والاّ فنلتزم ان نقول ان ولادة الروح ليست ضرورية . وهذا يعترف الجميع بكونهِ خطأً عظيماً او ان الماء ضروري وقد برهنا ان هذا خطأ ايضاً ونحن نتفق مع البروتستانت من هذه الوجهة بي انهُ لا يقصد هنا بالماء معناهُ المادي الخارجي

اما اذا قلنا ان الماء والروح وُضعا هنا معاً بذات الرتبة وان يكن العدد لا يشير الى المعنى الخارجي او ما يشبههُ على الاطلاق . فلذلك يحكم بلزوم الماء حسب الفريضة ولكنهُ ليس جوهرياً . اما الروح فهو لازم حسب الفريضة والجوهر انما هذا يُعدّ إثباتاً ترجيحياً وليس برهاناً كافياً

سادساً واخيراً انهم يعترضون بقولهم ان معمودية الماء علامة منظورة تميّز المسيحيين عن الكفرة كما كان الختان علامة مميّزة لليهود

فاجيب انهُ لا اهمية لما ذكر مطلقاً اذا لم يمكنا ان نبرهن انهُ فريضة لازمة او انهُ قسم من العهد الجديد لانهُ لا يجوز لنا ان نفرض فرائض ورسوماً خارجية لمجرّد القول انها تميّز المؤمنين عن غير المؤمنين

أ الختان ختم العهد القديم اما معمودية الماء فلا يصح كونها علامة العهد الجديد اما الختان فقد سُمّي صريحاً ختم العهد الاوّل وقد برهنا انهُ لا يوجد وصية تأمرنا بمعمودية الماء ولا يوجد في الكتاب كلمة واحدة تدعوها العلامة المسيحية او ختم العهد الجديد . اما اذا اتخذنا ذلك نتيجة لازمة لان الختان كان علامة العهد القديم . فهذا برهان سخيف لا يُعتدّ بهِ

فما هي علامة المسيحي ولكن الاعتراف بالايمان بالمسيح المبني على الحياة المقدسة اللائقة بهِ هو علامة حقيقية للديانة المسيحية افضل من الغسل الخارجي الذي ليس لهُ فائدة كالختان لان للختان اثر في الجسد بخلاف المعمودية اذ لا يمكن تمييز الانسان المسيحي بمجرّد كونهِ تعمّد خصوصاً الاطفال ما لم يعترف

لشخص بنفسو انهُ قد تعمد. أ فلا يصح اذًا ان يكون للاعتراف بالايمان بالمسيح نفس الفائدة ؟

وانا اعلم ان آباء كثيرين قد اسهبوا في الكلام عن معمودية الماء قائلين انها علامة المسيحيين ولكنهم قالوا ان رسم الصليب هو علامة ايضًا وغير ذلك مما يرفضهُ البروتستانت وبذور المخالفة الخفية ابتدأت بالعمل في ايام الرسل وبمدة قصيرة سلبت بساطة العبادة المسيحية ليس بابقاء عادات يهودية كثيرة فقط بل بادخال رسوم وفرائض وثنية الى تلك العبادة النقية وخصوصًا كلمة " الاسرار" لذلك هو حماقة عظيمة ان يعلق المسيحيون ولاسيما البروتستانت اهمية كبرى لهذا التقليد او العادة القديمة حال كوننا نرى انهم كلهم لا يستعملونها طبقًا لما كان يستعملها الاقدمون. على اننا نرى مرارًا كثيرة ان الاقدمين ايضًا خالفوا تدريب الروح الجلي وانغمسوا في الامور الخارجية الّا ان اكثرهم كانوا يغلطون الذين يعدونهم بخلاف البابويين ومعظم البروتستانت. وقد وصل الانقسام بسبب هذا الى درجة ان حكم بعضهم على بعض بالهرطقة لتمسكهم ببعض مبادئ يتمسك بها البروتستانت اليوم كما حكم اوغسطينوس على البلاجيين من اجل اعتقادهم ان الاطفال اذا ماتوا دون معمودية يخلصون. وكما حكم على المانتشيين لانهم انكروا ان النعمة تمنح بطريقة عامة بواسطة المعمودية. وحكم جوليان على البلاجيين لانهم انكروا التقسيم عند المعمودية. وهذه كلها ينكرها البروتستانت ايضًا في وقتنا الحاضر

فالبروتستانت غير مصيبين في تسديد سهام اللوم نحونا كأننا غير قادرين ان نثبت ان بعض المسيحيين الأولين انكروا معمودية الماء الّا انهم لا يقدرون ان يثبتوا ان احدًا استعملها وسلم من الاوهام بانواع كثيرة من الهرطقة. مع ذلك وجد بعض البابويين في اظلم العصور الذين شهدوا ضد

استعمال معمودية الماء كما ان بعضهم يستعمل عند تلاوة فريضة المعمودية امورًا ينكرها البروتستانت كتكريم علامة الصليب وغيرها ؟ وقد ذكر انالوس في كتابهِ وجه ١٠٢ و١٠٤ و١٠٧ ان بعض الذين انكروا المعمودية حُرقوا لانهم قالوا ان المعمودية ليس لها تأثير في حياة الكبار والصغار حاسبين انها ليست امرًا وجوبيًا . وقد جاهر البعض بهذا خصوصًا عشرة من رجال الاكليروس فكان قصاصهم ان حُرقوا بأمر روبرت ملك فرنسا لاجل هذه الجريمة

ثم ان بيثو يذكر في منتطفاتهِ من تاريخ جويان وقد اثبت ذلك يوحنا فلوراسنسس راهب شهير في ذلك الوقت عند ما كتب الى اوليفا رئيسة دير اوسنيان قال انني اطلعكِ على الهرطقة التي وُجدت في مدينة اورليانس في يوم (تشلدرماس) فالامر حقيقي واقعي اذا كنتِ سمعتِ بهِ وهو ان الملك روبرت امر باحراق نحو ١٤ شخصًا من تلك المدينة من خاصة الاكليروس واشرافهم لانهم ابغضوا الله ونجّسوا السموات والارض بانكارهم نعمة المعمودية المقدسة وذبيحة جسد السيد ودمهِ وتاريخ هذه الحادثة كتبهُ بابيرماسن في تاريخ فرنسا

اما من جهة اتهامهم بالهرطقة فليس لدينا سوى شهادة اخصامهم التي لا يمكن ان يعتمد عليها ولاسيما ضد الذين ينكرون معمودية الماء كما انهم لا يقدرون ان يقدموا اسبابًا تجعلنا من عداد المانشئيين او تجعل البروتستانت من عدادهم لانهم يتفقون معهم في بعض الاشياء . فالسوآل المهمّ الآن هل يعملون حسب الحق المشهود لهُ من الكتاب المقدس ؟ وقد كان هذا مدار البحث في هذه القضية

اما من جهة القسم الاخير من القضية وهو انكار معمودية الاطفال فهذا واضح مما قد سبق ذكرهُ . لانهُ ان كانت معمودية الماء بجملتها ليست

ضرورية فمعمودية الاطفال بالاحرى تتبعها لان اثبات معمودية الاطفال بالبرهان يصعب على القائلين به اكثر من اثبات معمودية الماء بطريقة عامة . فاذ قد ثبت ان معمودية الماء باطلة فقد ثبت ضرورة ان معمودية الاطفال عديمة الفائدة . اما اذا ادعى احد انه يمكنه ان يورد براهين تثبت ان معمودية الماء لازمة فبراهينه لا تثبت معمودية الاطفال لان هذه تحتاج الى براهين اكثر من تلك



القضية الثالثة عشرة

العشاء الرباني او شركة جسد المسيح ودمهِ

ان شركة جسد المسيح ودمهِ هي امر داخلي روحي اي الاشتراك بجسدهِ ودمهِ الذي بهِ يتغذَّى يوميًّا الانسان الداخلي في قلوب الذين يسكن المسيح فيهم وقد كان رمزًا لهُ كسر يسوع الخبز مع تلاميذهِ الذي استعملهُ مدةً من الزمن حتى الذين حصلوا على الجوهر من اجل الضعفاء كما امتنعوا ايضًا عن المخنوق والدم واستعملوا غسل ارجل بعضهم بعضًا والمسحة بالزيت وهذه العادات الاخيرة كانت تمارس بدقَّة ووقار كالعشاء الرباني ولكن لكونها كلها معهُ ظلّ امور اسمى وافضل فقد ابطل رسمها الخارجي ورسمهُ ايضًا الذين لهم الجوهر في قلوبهم

اولاً ان شركة جسد المسيح ودمهِ لسرٌ مخبأ عن جميع الناس بحسب الطبيعة اي حالتهم الاولى الغير المتجدِّدة فلا يقدر احد ان يفهمها او يتوصَّل اليها او يدرك كنهها او يشترك بها ما لم يولد ثانيةً . ودون هذه الولادة الثانية لا يستطيع احد ان يميّز جسد الرب . فعبثًا يسعى السواد الاعظم من العالم (المسمَّى) المسيحي ويعمل ويجتهد ويأمل ان يرى امور الله الروحية وهو في الحالة العتيقة اي الغير المتجدِّدة لان هذه الامور هي سرٌ مكتوم ومختوم عنهم وباطلاً يتشاحنون ويتخاصمون ويقاوم احدهم الآخر من جهة مسائل هي لهم هيئة مجرَّدة وخيال خارجي ما زالوا بعيدين عن الجوهر والحياة والفضيلة

ثانيًا جسد المسيح ودمهُ روحيان ان جسد المسيح الذي يشترك

فيهِ المؤمنون هو روحي وليس مادياً والدم الذي يشربونهُ هو شراب سماوي طاهر وليس بشرياً او مادياً . واوغسطينوس يثبت هذا في مختصر لهُ عن جسد المسيح المأكول قائلاً "ان لم تاكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمهُ فليس لكم حياة فيكم" فكأن السيد يعني عند ما قال "الكلام الذي اكلمكم بهِ هو روح وحياة" افهموا ما اكلمكم بهِ روحيًا انتم لا تاكلون من هذا الجسد الذي ترونهُ او تشربون هذا الدم الذي سيسفكهُ اليهود الذين سيصلبونني "انا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء" فهو انما يسمي نفسهُ بالخبز السماوي تحريضًا لنا لكي نؤمن بهِ الخ

اعتراض ولربما يسأل احد ما هو ذلك الجسد وما هو ذلك اللحم والدم ؟

فاجيب هو ذلك الزرع السماوي ذلك الجوهر السماوي الالهي الذي سبق الكلام عنهُ في القضيتين الخامسة والسادسة . هذا هو جسد المسيح الروحي الذي فيهِ وبواسطتهِ هبة الحياة للعالم والخلاص لكل من يؤمن بهِ وبقلبهِ وبهِ ايضاً ينال الانسان شركة واتحادًا مع الله . ويثبت هذا ما جاء في يو ٦ : ٣٢ الخ حيث يتكلم المسيح مطولاً في هذا الموضوع اكثر من غير اماكن . وبالحقيقة ان هذا الانجيلي والتلميذ الحبيب الذي اتكأ على صدر يسوع يعطينا في هذا الاصحاح تقريرًا مطولاً من اقوال المسيح الروحية وتعليمهِ الداخلي . ومما يستحق الملاحظة ان هذا الرسول لا يتكلم شيئًا عن العشاء الذي اكلهُ المسيح مع تلاميذهِ وكسر فيهِ الخبز . لا في كلامهِ عن آلام المسيح وموتهِ ولا في رسائلهِ مع انهُ يتكلم بالتفصيل عن الاشتراك بجسد الرب ودمهِ اكثر من كل واحد . فالسيد اذ عرف ان اليهود تبعوهُ حبًا للخبز كما يتضح من الاعداد المذكورة نبههم ان لا يعملوا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الابدية . اما هم فاذ كانوا جسديين لم يدركوا ولم يفهموا اللغة الروحية وتعليم

المسيح بل حكموا ان المنّ الذي اعطاهُ موسى للآباء كان افضل خبز لانهُ نزل من السماء. ولكن المسيح لكي يصلح تلك الغلطة ويعلمهم افضل اثبتْ ما يأتي

اولاً ان ليس موسى الذي اعطاهم الخبز من السماء بل الآب يعطي الخبز الحقيقي من السماء عد ٣٢ و ٤٨

ثانياً انهُ يسمّي نفسهُ هذا الخبز عد ٣٥ "انا هو خبز الحياة" وعد ٥١ "انا هو الخبز الحيّ الذي نزل من السماء"

ثالثاً انهُ يصرّح ان هذا الخبز هو جسدهُ عد ٥١ "والخبز الذي انا اعطي هو جسدي" ثم عد ٥٥ "لان جسدي مأكل حقّ ودمي مشرب حقّ". ثم يظهر ايضاً شدّة لزوم الاشتراك بجسدهِ ودمهِ بقولهِ "ان لم تاكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمهُ فليس لكم حياة" ثم يبين اخيراً الاثمار المباركة والتأثير الذي ينجم عن الشركة بجسدهِ ودمهِ عد ٣٣ "هذا هو الخبز الواهب حياة للعالم" وعد ٥٠ "ياكل منهُ الانسان ولايموت" وعد ٥٨ "من ياكل هذا الخبز فانهُ يحيا الى الابد" و ٥٤ "من ياكل جسدي ويشرب دمي يلهُ حياة ابدية" وعد ٥٦ "يثبت فيّ وانا فيهِ" و ٥٧ "هو حي بالمسيح". فمن هذا الوصف المدقّق لاصل جسد المسيح وطبيعتهِ وتأثيرهِ يتضح انهُ يقصد فيهِ روحياً اي الجسد الروحي وليس هيكل جسد المسيح الذي وُلد من مريم العذراء والذي فيهِ كان يحيا ويمشي في ارض يهوذا وفيهِ ايضاً تألم لانهُ يقول انهُ نزل من السماء وعموم المسيحيين اليوم يقولون ان جسد المسيح لم ينزل من السماء ولاكان ذاك القسم من المسيح الذي نزل من السماء. ولما كان اليهود الجسمانيون لا يفهمون حقيقة ما قصدهُ. ولاجل ازالة كل شك قال لهم صريحاً عد ٦٣ "الروح هو الذي يحيي اما الجسد فلا يفيد شيئاً" وهذا الكلام ايضاً مؤسس على اركان صحيحة ثابتة. فالنفس هي التي يجب ان تغتذي بجسدهِ ودمهِ لان اللحم الخارجي لايغذّيها ولا يفيها اذ لا يوجد نسبة

او اتفاق بينهما ولا تتمّ شركة القديسين مع الله بالاتحاد والاشتراك المتبادل مع الجسد لان ذلك كله يتمّ روحيًا . لان من يتحد بالرب فهو معهُ روح واحد وليس جسد واحد لان الجسد (اعني الجسد الخارجي حتى وذاك الجسد الذي لبسهُ المسيح على الارض وعاش فيهِ وغير المستعار والمكني بهِ روحيًا) ليس لهُ شركة الأ مع الجسد والروح مع الروح . فكما ان الجسد لا يغتذي من الروح هكذا الروح لا تغتذي بالجسد . ولذلك فالجسد المحكي عنهُ هو روحي كما يفهم من قولهِ بعد ذلك ان من يأكلهُ لا يموت حال كون جسد كل انسان يموت

ان النور او الزرع الروحي هو كخبز يغذي النفس الجائعة ومن هذا يتضح ان هذا الخبز او جسد المسيح ودمهُ هو ذلك الزرع السموي الالهي الذي سبق الكلام عنهُ وينطبق وصفهُ وثمرهُ ايضًا اذ قيل اولاً انهُ نزل من السماء وانهُ يعطي حياة للعالم على شهادة يوحنا لذلك النور او الزرع في الاصحاح الاوّل حيث يقول انهُ نور وحياة للعالم . فذلك النور او الزرع الروحي لما يسكن في قلب الانسان ويجد فيهِ مكانًا للنموّ يكون كخبز للنفس الجائعة الضعيفة التي تظهر كأنها مائتة ومغمورة بشهوات العالم والتي تنال الحياة وتنتعش ثانيةً وتذوق الخبز السماوي وتشترك بهِ . وقد قيل ان المشتركين بهِ فقط يمكنهم الاتيان الى المسيح وان لا احد يقدر على الحصول عليهِ الأ بالاتيان الى يسوع والايمان بظهور نورهِ في قلوبهم بجسدهِ ودمهِ المعروفين والمسيح ايضًا يقصد بجسدهِ ودمهِ ما ذُكر في يوص ١ "النور الذي ينير كل انسان والحياة" الخ . فهذا النور وهذه الحياة اللذين يتكلم عنهما يوحنا هما المسيح الذي هو نور الحياة الخفيّ والخبز واللحم الخ المحكيّ عنهما في ص ٦ "انا هو خبز الحياة" ثم كما جاء في ص ١٢:١ ان كل الذين ينالون النور والحياة لهم سلطان ان يصيروا اولاد الله بالايمان باسمهِ . وقد قيل في يو ٢٥:٦

من يقبل الى خبز الحياة هذا فلا يجوع ومن يؤمن بهِ انهُ خبز الحياة فلا يعطش

جسد المسيح الخارجي وجسد المسيح الروحي فكما كان للمسيح جسد خارجي منظور وُلد من مريم العذراء لهُ ايضاً الجسد الروحي الذي فيهِ وبهِ كان الكلمة في البدء مع الله وكان هو الله وهو يظهر نفسهُ في كل الاجيال لبني البشر وبهِ يمكن جميع الناس في اي وقت كان ان يصيروا شركاء الحياة الابدية ويحصلوا على الشركة مع الله

البطاركة اكلوا جسد المسيح فلو لم يشترك بأخذ جسد المسيح آدم وشيت واخنوخ ونوح وابرهيم وموسى وداود وكل الانبياء ورجال الله القديسين وياكلونهُ لما كان لهم حياة في داخلهم ولا كان تقوَّى انسانهم الداخلي فكما ان الجسد الخارجي يسمَّى المسيح هكذا الجسد الروحي يسمَّى المسيح ايضاً حتى وقبل ظهورهِ بالجسد بزمان طويل . وبناء عليهِ قال الرسول اكو ١٠: ٣ و٤ وجميعهم اكلوا طعاماً واحداً روحياً وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً لانهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح . فهذا لايمكن ان يقصد بهِ سوى جسد المسيح الروحي ذاك الجسد الذي هو الطعام المخلص قبل الشريعة وبعدها . الَّا انهُ كان تحت الناموس مستتراً ومغطى بطقوس ورموز مختلفة نعم كان ايضاً مكتوماً ومخبأ على نوع ما في هيكل جسد المسيح مدة وجودهِ على الارض حتى ان اليهود لم يفهموا وعظ المسيح عنهُ .وليس اليهود فقط بل اكثر تلاميذهِ لانهم تذمروا وقالوا ان هذا الكلام صعب من يقدر ان يفهمهُ يو ٦: ٦٠ و٦٦ . و"من ذلك الوقت رجع كثيرون من تلاميذهِ الى الوراء ولم يعودوا يمشون معهُ" ولا شك انهُ يوجد كثيرون يدعون الآن انهم تلاميذ المسيح حال كونهم قلما يفهمون الخطبة او يدركونها كما كان اولئك وهم عرضة لان يعثروا ويرتدوا الى الوراء

عند ذكرها ومع انهم يتبعون الجسد الخارجي وينظرون اليو فهم يحولون النظر عن ذاك الذي يغتذي بو جميع القديسين كل يوم لانهُ كما ان المسيح بطاعتو للآب قدم بالروح الازلي جسدهُ فداء لمغفرة الخطايا متمّمًا بها شهادتهُ على الارض ومقدِّمًا لنا مثال الصبر الكامل والطاعة والقداسة لكي يصير الكل شركاء ثمرة ذبيحتهِ.وهو قد سكب في قلب كل من بني البشر قياسًا من النور والزرع الالهي الذي لبسهُ وبو يصل الى ضمائر الجميع وينتشلهم من الموت والظلمة بحياتو ونورهِ وبو يصير الجميع شركاء جسدهِ وبو يحصلون على الشركة مع الآب والابن

ثالثًا لو سئل كيف وبأية طريقة يحصل الانسان على الشركة بو او يتناولهُ؟

فاجيب بكلمات المسيح البسيطة الواضحة عند قولهِ "انا هو خبز الحياة من يقبل اليّ فلا يجوع ومن يؤمن بي فلا يعطش ابدًا.لان جسدي مأكل حقّ ودمي مشرب حق يو ٦: ٣٥ و ٥٥ . لذلك انت يا من يسأل هذا السؤَال او يقرأ هذه الاسطر سواء كنت مؤمنًا او كنت تشعر بحاسة اختبار مكدر بانك لم تزل غير مؤمن وتجد ان جسد المسيح ودمهُ لم يزالا بعيدين عنك ولا يمكنك الوصول اليهما لتغتذي بهما مع انك قد اخذت مرارًا كثيرة جسد المسيح وتناولتهُ . اما على حسب الطقس البابوي الذي اجتهد المعلمون بو ان يقنعوك انهُ حقيقةً جسد المسيح وانت اتخذت تعليمهم على علاّتو مع ان كل مداركك تنبهك بعدم صحتهِ او كنت لوثريًا وتناولت الخبز على انهُ يحتوي على جسد المسيح ودمو على ما يعتبرهُ اللوثريون وينظرون اليو او كنت كلفينيًا وتناولت ما يعتبرهُ الكلفينيون شركة حقيقية بجسد المسيح وان يكن رسم الجسد الخارجي عندهم فقط وهم لا يعلمون ولا يفقهون كيف حلّ فيو الجسد الروحي . فان وجدت انك مع ممارسة هذه الفرائض لا تزال

نفسك عنيمة تشعر بجوع واحتياج الى شيء اسمى تتمنى نوالهُ . فاعلم ان هذا الشعور هو النور الذي يكشف لك ذنوبك ويظهر لك فقرك وعريك وكونك فارغاً هذا هو الجسد الذي ينبغي ان تشترك فيهِ وتاكلهُ. الامر الذي لا يتسنى لك الاَّ بعد ان تترك الشرّ وترجع عنهُ وتأتي اليهِ تعالى وتقبلهُ لانك وان كنت تشعر بجوع نحوهُ فلا يمكنك ان تشبع جوعك دون الاقلاع عن الشرّ والاقبال الى الله تعالى لانهُ لا شركة لهُ مع الظلمة ولا تقدر ان تشرب من كأس الرب ومن كأس الشياطين معاً او تجلس على مائدة الله ومائدة الشياطين معاً اكو ١٠: ٢١ ولكن عند ما تسمح لزرع البر الصغير ان ينهض في قلبك وتحصل على الميلاد الثاني الجوهري الحقيقي الذي يتمّ في النفس تقدر ان تغتذي طبعاً بهذا الجسد الروحي. فكما ان لا حياة للجسد البشري دون تنفس الهواء المادّي هكذا الحياة الجديدة لا تعيش وتنمو في النفس ما لم تستنشق وتتنفس الهواء الروحي . وكما ان الحياة في الجسد الخارجي لا تدوم دون مناولة الغذاء المادي كذلك لا حياة في الولادة الثانية ما لم يغتذي الانسان بجسد المسيح ودمهِ داخلياً وينال احتياجاتهِ الروحية . هذا يوافق تعليم المسيح في هذا المعنى لانهُ كما ان الجسد الخارجي دون طعام ليس لهُ حياة هكذا قال السيد في الروحي يو ٦: ٥٣ "ان لم تاكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمهُ ليس لكم حياة ثابتة فيكم" وكما ان الطعام هو حياة للجسد الخارجي هكذا قال ان كل من يأكلهُ يحيا بهِ اش ٦: ٥٧ فهذه هي الشركة الداخلية مع انساننا الداخلي الروحي الذي بهِ نتحد مع الله اذ بهِ يصير لنا حقّ الشركة والارتباط معهُ كما قال "من ياكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وانا فيهِ" ولا يمكن ان يقصد بقولهِ هذا اكل الخبز الخارجي كأن النفس تنال بهِ شركة مع الله . وبما ان كل القديسين يشتركون بالجسد الواحد والدم الواحد فقد نال الجميع معاً شركة واحدة عامة. وقد قال الرسول بهذا الصدد فاننا نحن الكثيرون

خبز واحد وجسد واحد . ثم قال موجهاً كلامهُ الى حكماء الكورنثيين عدد ١٥ الخبز الذي نكسرهُ أليس هو شركة جسد المسيح وهذا هو عشاء الرب الروحي الحقيقي الذي نشترك بهِ باستماع كلام المسيح عند ما نفتح لهُ ابواب قلوبنا لكي يدخل اليها كما ذكر سابقاً وطبقاً لكلام الكتاب الواضح رؤ ٣: ٢٠ "هانذا واقف على الباب واقرع ان سمع احد صوتي وفتح الباب ادخل اليهِ واتعشّى معهُ وهو معي" هذا هو عشاء الرب الحقيقي لان حقيقة القول اننا نتعشّى معهُ ونشترك بجسدهِ ودمهِ لاتنحصر البتة في فريضة كسر الخبز وشرب الخمر في اوقات معينة بل التلذُّذ بهِ حقيقة هو كلما انفردت النفس مع الرب اذ نشعر اننا نشترك بالحياة السماوية فيغتذي انساننا الداخلي وهذا ما نعاينهُ ونشاهدهُ في المؤمنين في كل الاوقات وعلى الاخصّ عند ما يجتمعون معاً منتظرين الرب ومتكلين عليهِ

رابعاً الانسان ليس مضطراً لاخذ الخبز والخمر كما فعل المسيح وتلاميذهُ لان ذلك انما هو رمز ولدى اقلّ تأمل يتضح ان معلمي الكنائس المسيحية قد صوّروا هذا السرّ بطريقة مشوّشة وعلى نسق مضطرب شأنهم في اكثر المسائل وذلك لعدم فهمهم المعنى الروحي الحقيقي. ومن ثم اجتهدوا ان يمزجوا عشاء الرب بالفريضة التي تممها المسيح قبل موتهِ وكسرهِ الخبز وشربهِ الخمر مع تلاميذهِ . فهم مع كونهم متفقون مبدئياً في هذا الامر الاّ انهم مختلفون ويخاصم بعضهم بعضاً بالطريقة الغريبة التي بها يجهدون انفسهم ويتعبون عبثاً و يفرغون قواهم لكي يطبقوا هذا السرّ الروحي على تلك الفريضة . والاغرب من ذلك الافكار والظنون الشاذة المستهجنة التي انتحلوها لاجل تطبيق جسد المسيح ودمهِ على الخبز والخمر . وقد كان هذا سبباً لأشد المحاورات المرّة العنيفة القاسية المضرّة التي اضطرمت بين معلمي الكنائس عموماً وبين البروتستانت خصوصاً . وليس هذا فقط بل نجم عنها

ايضاً نتائج تجديفية لايمكن العقل التسليم بها وهي في غاية الحماقة وقد البست الديانة المسيحية منظراً غريباً مكروهاً من اليهود والاسلام والوثنيين وهم في هذا الامر ثلاثة مذاهب رئيسية

الأوّل اعتقاد البابويين بجسد المسيح ان جوهر الخبز والخمر يتحوّل الى حقيقة جسد المسيح ودمهِ الذي وُلد من مريم العذراء وصُلب من اليهود فبعد كلام التقديس تتحوّل طبيعة الخبز والخمر الى جسد المسيح ودمهِ الحقيقيين

الثاني اعتقاد اللوثريين ان جوهر الخبز يبقى على حالهِ الاَّ ان جسد المسيح يدخل فيهِ ويشترك معهُ حتى انهُ يجتمع في وقت واحد الخبز وجسد المسيح ودمهُ

الثالث اعتقاد الكلفينيين يخالف الفكرين الأوَّلين اذ يقال ان جسد المسيح غير موجود حقيقةً وجوهراً في الخبز والخمر الاَّ ان المؤمنين يتناولونهُ بالحق عند ما يتناولون الخبز والخمر . اما من جهة كيف او بماذا فهم لا يعلمون ولايقدرون ان يعبروا عنهُ بل يجب ان يؤمنوا او يسلموا ان هذه الامور هكذا هي

اما انا فلا اقصد ان ادخل في مبحث تخطئة هذه الآراء او ودحضها لان كل فئة منهم قد سفهت ودحضت آراء الاخرى على ان كل العقائد والاعتراضات ليست مبنية على اساس متين من الكتاب. والامر الذي يسهل ملاحظتهُ عند مطالعة كتاباتهم في هذا الموضوع انهم كلهم عند ما يدحضون آراء غيرهم يفعلون ذلك دون تردد وبغاية الشدَّة والعنف الاَّ انهم عندما يحاولون ان يثبتوا آراءهم يقعون في حيرة وارتباك . وهذا دليل واضح انهم لايفهمون ولايدركون حقيقة جوهر هذا السرّ

تردد كلفن في ايمانهِ من جهة مناولة الخبز والخمر ولنمعن النظر

فيما قالهُ كلفن فهو بعد ان دحض الرأيين المخالفين لهُ وسفهها رأى نفسهُ انهُ لم يكن اكثر نجاحاً وامتن حجة فيما يؤيد ويدعم بهِ آراءهُ فاقرّ معترفاً بانهُ لا يعلم ماذا يثبت في مكانها وبعد الشرح الطويل والاسهاب في الكلام توصَّل الى هذه النتيجة بأن جسد المسيح هو هناك ويجب ان يشترك بهِ القديسون ولكنهُ وقف اخيراً عند هذه الكلمات وقال مادة ٣٢ "ولكن لو سئلت كيف او بما يتمّ ذلك ? فانني اعترف بخجل انهُ سرّ سماويّ اسمى واعمق من ان افهمهُ بروحي او افسرهُ واوضحهُ بكلماتي" فلا شك انهُ هنا قد تصرَّف بحكمة فائقة ولكن من كان يظن ان رجلاً نظيرهُ يتعذَّر عليهِ ابداء رأيهِ والتعبير عن افكارهِ ولاسيما بعد الاطلاع على كلامهِ قبل هذا في ذات الفصل مادة ١٥ عند ما كان ينتقد معلمي البابويين قائلاً انني اقول مصرّحاً والحق نصيري في التصريح انهم لا يقدرون ان يفهموا ولا ان يوضحوا او يبينوا كيف يوجد المسيح في سرّ الافخارستيا . ثم لا يلبث هو نفسهُ ان يصرّح معترفاً وقائلاً انهُ قد وقع في ذات الارتباك والعجز . وعليهِ فبما ان البابويين لا يقدرون ان يبيّنوا او يثبتوا للآخرين تعليمهم في هذه المسألة وكلفن نفسهُ لا يقدر ان يفهم كنهها بروحهِ اي انهُ لا يقدر ان يدركها وبالنتيجة لا يقدر ان يعبر عنها بالكلام فبالاحرى لا يقدر ان يفسّرها او يبين حقيقتها لغيرهِ . اذاً ليس لنا من كل هذه المذاهب حقيقة ثابتة وعلى رغم انهُ قد بذلت مساعي عظيمة لاجل التوفيق في هذه الامور بين البابويين واللوثريين وبين هولاءِ الكلفينيين وبين الكلفينيين والبابويين فقد ذهبت كلها ادراج الرياح وباطلاً كانت توضع الصور والاعتبارات والتعبيرات المتعدّدة على امل ان يصير التسليم بها او الاتفاق على احدها . كل ذلك لم يأتِ بنتائج حسنة لان كل فئة كانت تفسّرها وتفهمها حسب فكرها وفي هذه كلها كانوا يموّهون على بعضهم البعض ويخادع احدهم الآخر . اما انا فاقول ان سبب اختلافاتهم كلها هو لانهم هم

انفسهم لايفهمون ولا يدركون حقيقة هذا السرّ بل كانوا يهيمون حول تخيلات وظنون خارجية لا اساس لها وكانت تدور محاوراتهم بما يتعلّق بالمسائل الخارجية الغير الضرورية فقط اما الجوهر فقد نسوهُ تماماً . وهذا يبين لنا ان الشيطان كثيراً ما يلهي ويشغل الناس بمنظر الاشياء الخارجي ويجعلهم ان يفرغوا كل اهتمامهم بالنظر الى الهيئة والظلّ حتى انهم بعملهم هذا يهملون الجوهر. نعم واكثر من هذا فهو لا يقف عند هذا الحدّ بل عند ما يهيجهم في المجادلات في هذه الامور الخارجية يحرّك فيهم روح غيرة باطلة وحدّة ملومة وحب انتقام تلهبهُ نار الغضب فيجرّهم ذلك الى التلفظ بعبارات خشنة وغير لائقة. وهذا شأنهُ في بناء دعائم مملكتهِ المظلمة فيما بينهم حتى انهُ فيما هم يزعمون انهم يحامون عن المسيح ينتزع منهم كل شعور او روح مسيحي . وقد نجم عن الاختلافات في هذا الموضوع روح عداوة وخصام وسفك دم اكثر من كل موضوع سواهُ وهذه كلها اخرت امتداد الاصلاح وانتشارهُ الى درجة لم يعقهُ بها خصام او جدال آخر ومن لهُ اقلّ المام بهذه المسائل من البروتستانت يعلم صدق هذا الكلام

سبب الاختلاف في العشاء غلطتان اساسيتان الاَّ اننا في الوقت نفسهِ اذا تأملنا بهذه الآراء الغير المحققة والافكار المستهجنة والمجادلات العظيمة المستمرّة بسببها نرى ان اساس النزاع هو غلطتان عموميتان يجب ان نبتعد عنها فمتى أزيلتا يمكن التوصل بسهولة الى حلّ وصلح موافقين فنتفق جميعاً ونتحد معاً مبدئياً وننظر الى هذا السرّ نظراً روحياً وندركهُ روحياً ايضاً وحينئذٍ يبطل الخصام وتبطل الحماقة والمجادلات الناتجة عن هذه الآراء الثلاثة لانها حينئذ ستسقط من نفسها لبطلانها

اما الخطأُ الاوّل فهو جعل العشاء الرباني (مناولة جسد المسيح ودمهِ) يشير الى هيكل جسد المسيح المولود من مريم العذراء الذي سار وتألم في

اليهودية حال كونه يشير الى جسد المسيح ودمه الروحيين اي ذلك النور وتلك الحياة التي هي غذاء كل المولودين ثانية في كل الاجيال سابقاً

واما الخطأ الثاني فهو وضع ارتباط ونسبة بين شركة جسد المسيح ودمه وتلك الفريضة التي استعملها المسيح وتلاميذه عند كسر الخبز كأن لا علاقة لها سوى بتلك ولا يمكن التمتع بها سوى باستعمال تلك الفريضة حال كونها ليس لها اقلّ علاقة بها. لان هذا هو الخبز الذي يعلمنا المسيح في صلاته انه الخبز الفائق الطبيعة (كما هو تفسير اسمه باللغة اليونانية) الذي تشترك به النفس دون هذه الفريضة التي ليس لها به اقلّ اتصال او اشتراك كما سيأتي اثباته بالبرهان الحقيقي الواضح

ثم لو وضعنا هاتين الغلطتين جانباً ولم نلتفت الى الخلاف الناجم عنها نرى ان الكل يتفقون في الامور الجوهرية وهي اولاً ان جسد المسيح ودمه ضروريان لتغذية النفس . ثانياً ان انفس المؤمنين يجب ان يكون لها اشتراك حقيقي بجسد المسيح ودمه لاجل نوال ذلك الغذاء منهما. ولكن لم يكتفِ العدد الاعظم من المسيحيين او بالحري يكترث لان يجعل هذا السرّ روحياً بل صوّروه حسب اهوائهم واميالهم واجتهدوا في انتحال براهين لاجل اثباته مؤوّلين آيات الكتاب ليتوصلوا الى غايتهم من مزج هذا السرّ الروحي وشركة جسد المسيح ودمه بفريضة الخبز والخمر وطقوس خارجية نظيرها . فلا عجب اذا توغلوا في الضلال لسبب هذه الآراء المشوّشة الباطلة وبواسطة سلطانهم الجسمانية . وسأبتدئ اولاً بدحض هذا الاعتقاد اي ان لشركة جسد الرب ودمه علاقة خصوصية بفريضة كسر الخبز . ثم انقدّم للنظر في طرق استعمال هذه الفريضة وان كان من ثم لزوم لمقاومة استعمالها وسأجتهد في كل هذا ان أجيب على كل الملاحظات والاعتراضات التي يقدّمها الذين يتشبثون بلزوم مداومتها كفريضة موضوعة من الرب يسوع المسيح

خامساً شركة جسد المسيح ودمهِ ليس لها علاقة تامة مع فريضة كسر الخبز اولاً ينبغي ان يفهم انني اتكلم عن علاقة خصوصية لازمة كائنة بينها حتى لا يمكن ان ينفكَّ احدهما عن الآخر وليس عن علاقة ممكنة وعلى وجه عامّ . فاقول ان شركتنا مع المسيح يجب ان تستدعي اعظم اهتمامنا ذلك لانهُ من الواجب علينا ان نعمل كل شيء من اجل الرب وشركتنا معهُ ويجب ان نوجّه التفاتنا خصوصاً ايضاً الى الامور التي لا تنفكّ عنها. اما بالنظر الى ذاتها او الى علاقتها معها لحدّ ان يظهر كأنهما واحداً ظاهراً وجوهراً طبقاً لوصيتهِ تعالى حتى انهُ لا يمكن الحصول على الواحد دون الآخر الاَّ فيما ندر او بطريقة غير اعتيادية . فالقداسة مثلاً لها اهمية خصوصية بالخلاص لانهُ دون القداسة لا يقدر احد ان يعاين الله. واكل جسد المسيح ودمهِ روحياً هو ضروري لحياتنا الروحية لاننا ان لم ناكل جسدهُ ونشرب دمهُ ليس لنا حياة ثابتة فينا. وشعورنا بحضورهِ تعالى لهُ علاقة ضرورية باجتماعنا معاً باسمهِ حسب القصد الالهي لانهُ وعد "حيثما اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي فهناك اكون في وسطهم" وعلى ذات النسق يتوقّف حصولنا على بركات الله وانعاماته على صلواتنا لانهُ وعد اطلبوا تجدوا . اما شركة جسد المسيح ودمهِ فليس لها اقلّ علاقة ضرورية في فريضة كسر الخبز وشرب الخمر والاَّ لاقتضى ان تكون علاقتها اما من جهة طبيعتها او بحسب الامر الالهي على انني سابرهن انهُ ليس لها اقلّ ارتباط من كلا الوجهين

(١) انهُ ليس لها علاقة طبيعية لان اخذ جسد المسيح ودمهِ هو عمل روحي يعترف الجميع اننا نشترك بهِ بالنفس والروح فقط فهو غذاءٌ للنفس وليس للجسد . اما اكل الخبز وشرب الخمر فهما امران ماديان طبيعيان لا يؤثران شيئاً في النفس وليس لهما اقلّ علاقة روحية لان الانسان مهما كان شريراً يقدر ان ياكل الخبز ويشرب الخمر نظير اقدس انسان

(٣) انهما ليسا من طبيعة واحدة والاَّ لكان يمتزج احدهما بالآخر ولا ينفك عنهُ . ولكن الجميع يعترفون ان كثيرين ياكلون الخبز ويشربون الخمر بعد تقديسهما واستحالتهما الى جسد المسيح الحقيقي على زعمهم وليس لهم حياة روحية وليس لهم المسيح ثابتاً فيهم ولا يعيشون كما يعيش كل الذين لهم الشركة بجسدهِ ودمهِ روحياً ودون استعمال هذه الفريضة الخارجية

البطاركة والانبياء اشتركوا حقيقة بجسد المسيح الروحي دون هذا الرسم فالبطاركة والانبياء مثلاً نالوا هذه الشركة الروحية قبلما ادخل هذا الرسم على ترتيبهِ الحالي حتى انهُ تحت الناموس لا يوجد اشارة رسم او علامة ما خصوصية ثابتة خارجية للشركة مع الله مع ان شركة جسد المسيح ودمهِ قد كانت وتكون في كل الاجيال ضرورية للخلاص . اما من جهة خروف الفصح مثلاً تك ١٢: ٨ و ٩ فان الغرض الخصوصي منهُ ان يتذكَّر اليهود نجاتهم من ارض مصر

(٤) انهُ ليس لهما علاقة بأحد الوصايا الالهية والاَّ لكان الكتاب صرَّح بها بالطريقة التي يعدُّها اخصامنا فريضة لهُ او كان قد جاء على ذكر ممارسة القديسين لها على نسق ثابت واضح ولكن ليس لهذه من اثر

اما من جهة الفريضة او بالحري التقرير عما عملهُ المسيح كما يذكره الانجيليون مت ٢٦: ٢٦ ومر ١٤: ٢٢ ولو ٢٢: ١٦ . فالاولان يذكران طريقة صنعهِ اي ان المسيح كسر الخبز واعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي واخذ الكاس وشكر واعطاهم قائلاً اشربوا منها كلكم هذا هو دمي الاَّ انهُ لا يذكر انهُ طلب منهم ان يصنعوهُ . اما في لوقا فبعد ما اخذ الخبز وقبلما بارك او اعطاهم الخمر يقول اصنعوا هذا لذكري وسأبين افكاري فيما بعد بخصوص استعمال يسوع هذه الفريضة . ولكن كيف يجاب على هذا السؤَال . ما هي العلاقة الضرورية بين هذا وبين شركة المؤمنين بجسد المسيح

ودمهِ ؟ اما الفائدة من عملهِ ان كان لازماً فهو تذكُّر المسيح . وقد بيَّن هذا الرسول صريحاً ١كو ١١: ٢٦ تخبرون بموت الرب . فيظهر ان تذكر المسيح والاخبار بموتهِ هما الغايتان الخصوصيتان المنسوبتان الى استعمال هذه الفريضة . ولكنهما ليستا الاشتراك بجسد المسيح ودمهِ وليس لهما علاقة بهِ اكثر من كون كليهما من الواجبات الروحية لانهُ كما ان اولئك الذين يشتركون بجسد الرب ودمهِ حقيقة لا يقدرون الاَّ ويذكرونهُ . كذلك يمكن الحصول على غايتي هذا الرسم الخصوصيتين اي تذكار الرب والاخبار بموتهِ دون اخذ جسد المسيح ودمهِ . فالعلاقة بينهما اذاً ليست ضرورية لازمة والاَّ لكان لا يمكن الحصول على احدهما الاَّ بالآخر . ولكن الامر بالعكس اذ يمكننا القول انهُ بما ان الوجه الايجابي من هذه الفريضة هو ليس الشركة بجسد المسيح ودمهِ بل تذكر موتهِ والاخبار بهِ . فلكون كل من اشترك بجسد المسيح ودمهِ لا يقدر الاَّ ان يذكر ذلك فكل الذين لهم شركة روحية معهُ لا يحتاجون ضرورة هذا الرسم لكي يتذكَّروهُ

ولكن لو اعترض احد بقولهِ ان الرب يسوع يسمّي الخبز هنا جسدهُ والخمر دمهُ ومن هذا يظهر انهُ قصد ان يجعل استعمال هذه الفريضة كإشارة خصوصية لاشتراك تلاميذهِ بجسدهِ ودمهِ

فاجيب ان تسمية الخبز جسدهُ والخمر دمهُ لا تُشير الى شيء من هذا . ولا ينكر ايضاً ان يسوع المسيح في كل اعمالهِ حتى في الامور الاعتيادية الطبيعية كان يغتنم الفرصة لكي يوجّه ويرفع ابصار التلاميذ والسامعين الى الامور الروحية

البئر فلما كانت المرأة السامرية على البئر تملأ جرَّتها ماء اتخذ ذلك فرصة ليخبرها عن الماء الحيّ الذي كل من يشرب منهُ لا يعطش . وهذا يشبه حقيقة ما قيل عن دمهِ . ولكن لا يستنتج من هذا ان لتلك البئر او لذلك

الماء علاقة خصوصية لازمة بالماء الحيّ او للماء الحيّ بها

الخبز والخمر ليسا سوى وسائل لاظهار الامور الروحية وعند ما تبعتهُ الجموع لاجل الخبز اتخذ ذلك فرصة ليرشدهم الى الخبز الروحي اي جسدهِ الذي كان اكلهُ لازماً واكثر فائدة لهم الّا انهُ ليس من الضرورة ان نجعل لأرغفة الخبز علاقة خصوصية بالطعام الباقي . وعلى ذات المنوال لما كان المسيح مع تلاميذهِ على العشاء اتخذ الخبز والخمر الذي كان امامهم مثالاً لكي يفسّر لهم انهُ كما ان ذلك الخبز كسرهُ لهم وذلك الخمر الذي باركهُ واعطاهم هو الواسطة لحفظ اجسادهم وتغذيتها . هكذا هو ايضاً كان مزمعاً ان يقدّم جسدهُ ويسفك دمهُ لاجل خلاص الانفس . ولذلك فالغرض المقصود من هذه الفريضة للذين يمارسونها هو ان يذكروا موتهُ . اما اذا قيل ان الرسول في ١كو ١٠: ١٦ يدعو الخبز الذي يكسرهُ شركة جسد المسيح والكاس شركة دم المسيح

فمع انني اسلّم بهذا كل التسليم لايمكنني ان اوافق على ان المقصود بالخبز هنا الخبز الماديّ ولا يمكن اثبات كونهِ الخبز الماديّ بل يظهر من القرائن ان الرسول قصد عكس ذلك لانهُ في كلامهِ لايذكر كلمة واحدة عن تلك الفريضة في كل الاصحاح . ففي اولهِ اظهر لهم كيف ان اليهود قديماً اشتركوا بالطعام الروحي والشراب الروحي اي المسيح وكيف ان كثيرين منهم بواسطة العصيان وعبادة الاوثان سقطوا من حالتهم الصالحة . ثم انهُ اتخذ ذلك سبيلاً لكي يحذرهم بقولهِ لهم ان الله اهلك اولئك اليهود قديماً وينبههم ويحثهم لكي يهربوا من تلك الشرور ويظهر لهم اي للكورنثيين انهم هم ايضاً لهم شركة بجسد الرب ودمهِ التي اذا بقوا في معاصيهم يحرمون منها لانهم "لايقدرون ان يشربوا كاس الرب وكاس شياطين ولا يقدرون ان يشتركوا بمائدة الرب ومائدة شياطين" عد ٢١

يمكن اشقى الخطأة ان يأخذ الخبز والخمر الخارجيين ومن هذا يتضح انهُ لم يقصد استعمال الخبز والخمر الخارجيين لان حتى الذين يشربون كاس الشياطين و ياكلون على مائدة الشياطين بل واشقى الخطأة يقدرون ان ينالوا الخبز والخمر الخارجيين بحسب الفريضة المعلومة . ثم ان الرسول يقول عد ١٧ "فاننا نحن الكثيرين خبز واحد وجسد واحد لاننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد" فان كان الخبز واحداً فلا يمكن ان يكون قد عنى بهِ الخبز المادي الخارجي والّا لانتفى الداخلي في حين انهُ لا يمكن ان ينكر ان شركة الخبز الداخلي هي التي تجعل القديسين جسداً واحداً وخبزاً واحداً وليس شركة الخبز المادّي .الّا انهم يقولون ان كلمة الخبز الواحد هنا تشمل الخارجي والداخلي معاً بقوة اتحاد التقديس .ولكن هذا تأويل وليس ببرهان مقنع لان الاتحاد بالتقديس هو ترتيب مصطنع ولا يوجد لهُ ذكر في كل الكتاب وعلى الاخصّ في العهد الجديد . ولا يوجد ما ينبه الافكار اليهِ في هذا الاصحاح لان الرسول كما سبق الكلام لا ياتي على ذكر تلك الفريضة البتة بل اغتنم تلك الفرصة الجيدة لكون الكورنثيين ابناء الايمان المسيحي ولهم حق الشركة بجسد المسيح ودمهِ فأخذ يقنعهم ان يهربوا من الاوثان ومما ذُبح لها لكي لا يكونوا عثرة للاخوة

اعتراض ويقدّم الكثيرون غالبًا ما جاء في ١ كو ١١ حجة لاثبات رأيهم مدّعين ان الرسول تكلم عن هذا الموضوع بطريقة خصوصية وهم يتخذون بعض عباراتهِ ايضاً متوهمين انها تظهر ثبوت معتقدهم كالعدد ٢٧ "اذاً اي من اكل هذا الخبز او شرب كأس الرب دون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب" وعد ٢٩ "يأكل ويشرب دينونة لنفسهِ" فبما انهُ يذكر كأس الرب فهم يدّعون ان لهذا الامر علاقة ثابتة ضرورية بجسد المسيح ودمهِ

فأجيب انهُ لمن الممكن ان يتوهم القارئ هذا الامر لأوّل وهلة . اما بعد

امعان النظر فيتضح له ان ليس له بهِ اقلّ علاقة ولا يمكن ان يستدلّ ان له اقلّ اشارة الى موضوع هذه المباحثة وسأتكلّم مفصلاً في استعمال الكورنثيين هذه الفريضة والسبب الذي لاجلهِ لا يتقيد المسيحيون اليوم بالمحافظة عليها . اما الآن فاكتفي اولاً ان افترض انهم يستعملونها . ثانياً انهم باستعمالها اساؤا التصرُّف من جهات مختلفة . ثالثاً ان الرسول يرشدهم الى عمل ما هو صحيح باظهارهِ لهم طريقة استعمالها الحقيقية وغايتها الصحيحة

وبعد بيان هذه يليق بنا ان نتمم النظر فيما يصرّح بهِ الرسول نفسهُ من جهة الفائدة فهو يقول "انهُ يخبر بموت الرب" ولكن الاخبار بموت الرب ومناولة جسد الرب ودمهِ هما امران مختلفان جدًّا . والرسول لم يقل كلما اكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكاس تنالون شركة جسد المسيح ودمهِ وتخبرون بموت الرب . وعليهِ فانا اسلّم ان استعمال هذه الفريضة عند الذين يعلمون حقيقة استعمالها له علاقة واضحة بجسد المسيح الخارجي وموتهِ على الصليب لكونهِ تذكاراً له . ولكن هذا لا يوجب كونهُ له علاقة بالمؤْمنين وشركتهم الداخلية الروحية بجسد المسيح ودمهِ او ذلك العشاء الروحي المحكي عنهُ في رؤْ ٣: ٢٠ لانهُ وان كان له علاقة عمومية ككل الامور الدينية التي تدلّ على نوعٍ ما دلالةً عمومية الى شركة القديسين الروحية مع الله . ولو كان المقصود علاقة كهذه لكنت اسلّم بها نظير غيرها

اما من جهة تسمية الكاس بكاس الرب وقولهِ انهم يكونون مجرمين بجسد الرب او انهم يأكلون ويشربون دينونة لانفسهم اذا تناولوا جسد الرب دون استحقاق الخ

فأُجيب ان هذا التصريح لا يزيد اعتبار هذا الرسم على غيرهِ من الرسوم الدينية وهذا القول انما قالهُ الرسول بما ان الكورنثيين كانوا ينظرون الى هذا الرسم كفريضة دينية ولذلك نبههم ان يعملوهُ بوقار لئلا يجلبوا دينونة

على انفسهم . اما مجرَّد ممارسة الكورنثيين لهذا الرسم فلا تجعله عملاً دينيًّا ضروريًّا يوجب على غيرهم استعماله اكثر مما يوجب قوله في رومية ١٤ :٦ "الذي يهتمّ باليوم فللرب يهتمّ" فهل يوجب قوله هذا المحافظة على الايام التي كان البعض يومئذٍ يعتبرونها كفريضة ضرورية لازمة . اما الانسان الذي يعتبر يومًا اتباعًا الوحي ضميره انهُ يجب ان يحفظهُ للرب فلا يتقيد بهِ لا محالة ولكن من جهة نفسهِ فقط لانهُ كرَّسهُ للرب ويوم الرب يجب ان يُحفظ بدقَّة ووقار فان تهاون بهِ بعد هذا يسبّب دينونة لنفسهِ . وهكذا الذين يحافظون على فريضة الخبز فهي لهم خبز الرب وكاس الرب لانهم ينظرون اليهِ كعمل ديني غايته ان يخبروا بموت الرب ويذكروا جسدهُ الذي صُلب ودمهُ الذي سُفك لاجلهم . فمع اعتبارهم هذا وايمانهم انهُ من الواجب عليهم اتمامهُ اتباعًا لوحي ضميرهم لو تمموهُ دون استحقاق ودون استعداد غير فاحصين انفسهم ولا مظهرين الاحترام الواجب الذي يجب ان يصحب كل الاعمال الدينية . فعندئذٍ عوضًا عن ان يذكروا موتهُ وتقديمهُ جسدهُ ودمهُ يجعلون انفسهم مجرمين كأنهم يتحدون بالفكر مع الذين صلبوهُ وسفكوا دمهُ ولو كانوا بحسب الظاهر يذكرونهُ بفرح وشكر

الفريسيون يزينون قبور الانبياء حال كونهم مجرمين بقتلهم لان الكتبة والفريسيين قديمًا مع انهم كانوا يزينون قبور الانبياء توبخوا من المسيح كأنهم مجرمون بقتلهم . ومما يثبت عدم شمول هذه الفريضة قول الرسول نفسهُ في مكان آخر رو ١٤ :٢٣ "والذي يرتاب ان اكل يدان" وذلك عندما تكلم عن الذين يحسبون اكل اللحم محرَّمًا . ثم يقول ايضًا انهم ان اكلوا ياكلون دينونة لانفسهم . فالمحافظة على هذه الامور اذًا وعدمها كان موقوفًا على الضمير فكأنهُ قال ان الذي ياكل ما يمتنع في ضميرهِ ان اكلهُ محرَّمٌ فهو ياكل دينونة لنفسهِ وكل من يعتقد في ضميرهِ انهُ يجب ان يأخذ الخمر كفريضة

دينية ثم تناولها دون الاستعداد والاحترام اللازمين فهو يأكل ويشرب دينونة لنفسو غير محترم ما يعتبرهُ جسد الرب وغير مهتمّ بما هو مزمع ان يأخذهُ فكأنهُ لم يقدّم الوقار اللازم للرب ولتذكار موت المسيح الكلّي الوقار

سادساً اذ قد اتضح لنا ما هي الشركة الحقيقية بجسد المسيح ودمو وكيفية الاتحاد بها وانهُ ليس لها علاقة لازمة بفريضة الخبز والخمر التي استعملها المسيح وتلاميذهُ . لننظر الآن في ماهية هذه الفريضة نفسها (وقد سبق الكلام في طرق استعمالها) وفيما اذا كانت فريضة لازمة دائمة يجب على كنيسة المسيح ان تمارسها وتحفظها كنوع مهم من العبادة في العهد الجديد او اذا كانت مؤسسة على دعائم افضل وامتن من التي يبنى عليها غيرها من الفرائض الاخرى التي نشأت في نحو ذلك الوقت ولكنها كما يسلم اكثر مقاومينا قد ابطلت الآن لان الكنيسة ترى انها غير ضرورية ولا يجب المحافظة عليها . فاقول لقد جاء ذكر هذا الرسم في اربعة اماكن من الكتاب المقدس فقط . فتكلم عنهُ متى ومرقس ولوقا من الانجيليين ثم بولس في رسالتو الى اهل كورنثس فاذا ادعى احد على ان تكرار ذكرهِ يدلّ على شدة لزومهِ فهذا وهم لا يزيد في اهميتو البتة . نعم ان اكثر الانجيليين قد اتوا على ذكرهِ الاّ اننا نرى انهُ يوجد امور قد تكرَّرت نظيرهُ واكثر قلما يحتفل بها . اما متى ومرقس فيرويان الطريقة التي تممهُ بها المسيح ولا يذكران شيئاً من جهة ممارستهِ في المستقبل . الاّ ان لوقا اضاف هذه الكلمات "اصنعوا هذا لذكري" على انهُ عند التأمل بما عملهُ المسيح وتلاميذهُ لا نجد ما يشير او يدعو الى الترتيب الموجود الآن الذي ليس لهُ من اساس سوى تخيلات كثيرة من أناس كثيرين . فقد قيل في متى ومرقس ان المسيح طلب منهم ان يأكلوا الخبز ويشربوا الكاس وقتئذ وهم يتناولون الطعام "وفيما هم يأكلون اخذ يسوع" الخ

كسر الخبز ليس سوى عادة يهودية فيتضح من هذا ان العمل ليس امرًا مهمًا او له صفة ممتازة مهمة توجب ممارسته كطقس انجيلي بل كان ذلك بحسب عادة اليهود المستمرّة وقد قال بولوس ربيبوس في كتابهِ المعروف "بالزرع السماوي" انهُ عند ما كان اليهود يأكلون الفصح كان رئيس العائلة يأخذ الخبز ويباركهُ ثم يكسرهُ ويفرقهُ على الآخرين. ثم يأخذ الخمر ويباركها ايضًا ويفرّقها. وعليهِ فكما ان المسيح "قد تمم كل برّ" وحافظ على اعياد اليهود وعاداتهم قد اقام هذه الحفلة مع تلاميذهِ حسبما اعتاد اليهود. وكما كان يفعل غالبًا من جهة امور متعددة حوّل ابصارهم وهم يتناولون الطعام والشراب الى موتهِ وآلامهِ لانهُ كان مزمعًا ان يتمّ ذلك بعد وقت قصير وقد كان نبههم الى هذا مرارًا وصعب عليهم تصديقهُ. اما من جهة ما قالهُ لوقا "اصنعوا هذا لذكري" فبما ان المسيح كان يحتفل بالفصح للمرَّة الاخيرة مع تلاميذهِ طلب منهم ان يذكروهُ كلما اكلوا وشربوا لان ذكرهُ يساعدهم ان يتبعوهُ باكثر اجتهاد حتى ولو سبّب لهم ذلك الاضطهاد والآلام الموت. وكل انسان عاقل قد وضع الفلسفة الخارجية وتأثير التقليد جانبًا يرى انهُ لا يمكن ان يتخذ من رواية حادث كهذا كما جاء في متى ومرقس او استنادًا على العبارة التي استعملها لوقا طقسًا يبني عليهِ اكثر المسيحيين نتائج عظيمة ويسمونهُ كما صوّرت لهم تخيلاتهم augustissimum eucharistoe sacramentum venerabile altaris sacramentum اعني ختم عهد النعمة العظيم اي ختم كل فوائد موت المسيح للمؤمنين وامور كثيرة نظير هذه ولكي يتجلى لنا برهان هذه القضية وهي ان استعمال عشاء الفصح وقول المسيح "اصنعوا هذا لذكري" لا يجب ان يعتبر اساسًا لهذه الفريضة للنظر فيما قالهُ المسيح وعملهُ في موضع آخر ومن جهة فريضة اخرى يو ١٣: ٢و٤ و٥و٨و ١٢ و ١٤و١٥

غسل المسيح ارجل التلاميذ "قام عن العشاء وخلع ثيابهُ واخذ

منشفة واتزر بها . ثم صبَّ ماء في مغسل وابتدأ يغسل ارجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التي كان متزرًا بها . اما بطرس فقال له لن تغسل رجليَّ ابدًا فأجابهُ يسوع ان كنت لا اغسلك فليس لك معي نصيب . ثم بعد ان غسل ارجلهم قال لهم أتفهمون ما قد صنعت بكم . فان كنت وانا السيد والمعلم قد غسلت ارجلكم فانتم يجب عليكم ان يغسل بعضكم ارجل بعض لاني قد اعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت انا بكم تصنعون انتم ايضاً" والامر الجدير بالالتفات هو ان يوحنا الرسول يذكر ان عمل الغسل هذا تمَّ بعد كسر الخبز اي ان كلا الامرين حدثا ليلة الفصح بعد العشاء . وعند التأمل في نص الامرين نرى ان الاخير منهما اتي على ذكره باكثر تصريح وتشديد ووقار . فقد قيل عن الاوَّل "وفيما هم ياكلون اخذ يسوع خبزًا" فكأن الامر صدر عرضاً . اما عن الثاني فيقول "قام عن العشاء وخلع ثيابهُ واتزر وصبَّ ماء وغسل ارجلهم ومسحها بالمنشفة التي كان متزرًا بها متمماً ومكررًا هذا العمل لكلٍّ منهم بمفردهِ مما يدلُّ دلالة صريحة على ان هذا الرسم كان اهمَّ من الاوَّل الذي كان فريضة يهودية يحتفل بهِ كل رب بيت او رئيس عائلة سنويًا . اما بأن يقوم رب العائلة او رئيسها ويتزر ويغسل ارجل خدامهِ او تلاميذهِ فهو امرٌ غريب يستحق الالتفات اليهِ

ثم انهُ في كسر الخبز ومناولة الخمر لا يذكر ان المسيح اعطى كلاً منهم بمفردهِ ولذلك فالارجح انهُ كسر وبارك واعطى الاقربين اليهِ . ثم هولاء ناولوا غيرهم فكان يناول بعضهم بعضاً . اما في فريضة الغسل فالسيّد لم يغسل ارجل البعض بل ارجل الجميع . من جهة العشاء لم يقل انهم يصابون باقلّ ضرر او خسارة ان لم ياكلوا من الخبز او لم يشربوا من الخمر . اما في الغسل فقد قال السيد لبطرس صريحاً عند ما رفض ان يغسل رجليهِ "ان كنت لا اغسلك فليس لك معي نصيب" فقولهُ هذا لا يدلّ على مجرَّد كونهِ

تمم غسل ارجل الجميع فقط بل على اهمية ذلك الغسل ايضاً . في الأول يظهر كما سبق الكلام انهُ قال على سبيل العرض "اصنعوا هذا لذكري" اما هنا فانهُ بعد ما اكمل عملهُ جلس ونبههم وطلب منهم ان يدركوا ويفهموا حقيقة ما عملهُ لهم

ثم قال بعبارة صريحة انهُ كما غسل ارجلهم "هكذا يجب ان يغسل بعضهم ارجل بعض" وزيادة في اهمية هذا الامر عاد فقال " لانني اعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت انا بكم تصنعون انتم ايضاً " وفوق هذا كلهِ انهُ لا يقلّ اهمية عن المعمودية او العشاء الرباني من جهة كونهِ طقساً خارجيًا لانهُ بواسطة الطهارة الخارجية ينبهّ الانسان الذي يستعملهُ حسب وصية المسيح ومثالهِ على طهارة الروح الداخلية وانني اترك الحكم في هل ان هذا الطقس مع اعتبار الوقت الذي صُنع فيهِ والطريقة التي اتبعها السيد في اتمامهِ والوصية التي اعطاها لاجل استعمالهِ يقلّ اهمية بالنظر لكونهِ طقساً انجيليًا عن المعمودية والخبز والخمر لكل ذي عقل سليم ووجدان حيّ يستعمل ما وهبهُ الله من القوى العقلية بحرية واخلاص غير منقاد الى عادات بشرية وتقاليد مضرّة . فما هو السبب يا ترى الذي يقدمهُ الطقسيون لاجل اعتبارهم لهُ فريضة اختيارية بين الكهنة فقط وعدم جعلهِ بين الاسرار المقدسة

اعتراض ولربما يدّعون بقولهم انهُ مستعملٌ فيما بينهم لان البابا وغيرهُ من الاكليروس يستعملونهُ او كانوا يستعملونهُ مرّةً في السنة لبعض الفقراء

فاجيب انني احب ان اعلم ما هو السبب في عدم تعميمهِ وجعلهِ شاملاً للجميع كسرّ الافخارستيا ام كيف يفهم من الفاظ تلك الآية "اصنعوا هذا لذكري" ان جميع الكهنة يجب ان يأخذوا الخبز والخمر . اما الشعب فيأخذ الخبز فقط اما يوميًا او اسبوعيًا ولكن الآية الثانية " كما صنعت انا بكم تصنعون انتم ايضاً" فيقصد بها ان يصنعهُ البابا او بعض الاكليروس مرّةً

في السنة لنفر قليل من الفقراء حال كون الآية الاخيرة نفسها تدلّ دلالة واضحة ثابتة على انهُ لافرق بينها و بين الاولى في الصراحة

عدم استعمال البروتستانت الغسل ثم لو امعن النظر قليلاً البروتستانت الذين لا يستعملون فريضة الغسل مطلقاً لرأوا انهم مخدوعون في استعمال العشاء الرباني كما كان اسلافهم مخدوعين في التقاليد البابوية الاخرى المتعدّدة لاننا كما سبق القول اذا تأملنا في تصريح الكتاب نرى انهُ لا يجعل اقلّ افضلية للواحد على الآخر. فان اهمل الواحد كان ذلك موجباً لابطال الآخر. ثم اذا قيل ان غسل الارجل هو طقس خارجي فما الذي يجعل كسر الخبز اكثر من ذلك. واذا قيل ان الغسل انما عمل علامة للاتضاع والطهارة وكان القصد منهُ وقتياً وليس لان يبقى كفريضة انجيلية فما هو البرهان على ان هذا هكذا وان كسر الخبز ضروري وبقاءهُ لازم. فبالحقيقة انهُ لا يوجد سبب لبقاء الواحد او اهمالهِ دون الآخر سوى ما تمكّن في العقول بسبب العادة والتعليم الخارجي والتقليد. وهكذا تولّد في قلوب الكثيرين اعتبار لكسر الخبز اعظم جداً مما لغسل الارجل الذي لو كان التقليد احتفل بهِ لكان الذين يحافظون عليهِ يدّعون انما يفعلون ذلك حسب الوصية مصرّحين بأن الآية التي يبنون اعتقادهم عليها هي جلية واضحة كما يفعل الذين يكسرون الخبز. وعليهِ فانني اقول انهُ كما ان المسيحيين قد اهملوا غسل الارجل ولم يعتبروهُ فريضة يجب عليهم ان يتقيدوا بها كذلك يجب عليهم للاسباب نفسها ان يبطلوا الفرائض الأُخر

سابعاً عدم استعمال كسر الخبز كما استعملهُ المسيح انني اتعجب غاية العجب من ان الذين يؤيدون هذا الطقس ويبالغون في اعتبارهِ ويتشبثون بوجوب المحافظة عليهِ قد غيّروا طريقة استعمالهِ ولم يتقيّدوا بما عملهُ المسيح نفسهُ والاغرب هو انهُ لا يوجد احد من الذين يواظبون على استعمالهِ

(ما عدا بعض المعمودين) يمارسهُ حسب منطوق الكتاب وكما عملهُ السيد لهُ المجد لانهُ صنعهُ في المساء عند ما كان على العشاء مع تلاميذهِ . اما هم فيصنعونهُ صباحاً مستقلاً بنفسهِ . فجرياً على اي قانون قد احدث هذا التغيير يا ترى ؟

اعتراض فلو قيل انما هو تغيير في الهيئة فقط وليس في الجوهر وعند المحافظة على الجوهر لا يعتدّ بتغيير في العرض

اجيب أ فلا يمكن ان يقال ان الامر كلهُ حدث عرضاً عند ما كان المسيح يأكل الفصح لانهُ ان كنا ننظر الى هذه الكلمات " اصنعوا هذا لذكري " اساساً لهذه الفريضة . فاذا اعتبرنا انهُ يقصد بها كسر الخبز فهي تطلق على طريقة كسرهِ ايضاً لانهُ كيف يمكن ان يبرهن ان معنى " اعملوا هذا لذكري " هو اكل الخبز وشرب الخمر فقط بقطع النظر عن الطريقة والوقت . ولماذا لا يفهم من كل ذلك انهُ قصد ان يقول لهم كما رأيتموني وانا على العشاء معكم آخذ الخبز واكسرهُ واعطيكم ثم آخذ الكاس وأُبارك وانا ولكم فاصنعوا انتم هكذا ؟ فاذ ان المسيح قال دون تخصيص اصنعوا هذا لذكري لا يمكن ان يسلم الاَّ انهُ قصد الامر كلهُ وان كان ذلك كذلك فكل الذين يمارسون هذا الطقس هم يخالفون وصية السيد ولا يتمّمون اشارتهُ على رغم كل ادعائهم التي يدّعونها بالمحافظة والطاعة

ثم لربما يعترض احد بقولهِ ان الوقت والطريقة اللذين مارسهُ فيهما السيد كانا عرضيين لكونهِ مارسهُ حسب الفصح اليهودي الذي كان يؤْخذ عند العشاء

فاجيب كسر الخبز فريضة يهودية انهُ يسهل ان يبرهن بأَن الكل كان امراً عرضياً وفريضة يهودية كما يستدلّ مما ذكر اعلاهُ . ثم أ فلا يمكن ان يقال على ذات النسق ان استعمال الخبز والخمر هو امر عرضيٌ ايضاً لانهما كانا من محصولات البلاد وعليهِ أَلا يجوز لسكان البلدان التي

لا يستقرج فيها الخمر ان يستعملوا الجعة او غيرها في ممارسة هذه الفريضة عوضاً عنها او لا يجوز ايضاً ان يعمل الخبز من انواع حبوب غير النوع الذي استعمله المسيح ؟ فان فعل احد ذلك ألا يعدهُ مقاومونا احتقاراً واستعمالاً غير جائز

خصام الكنائس الشرقية واللاتينية بخصوص الخمير والفطير في العشاء أوَلم تسبب امور طفيفة كهذه خصاماً ليس بقليل بين علماء الكنيسة المسيحية أوَلم ينشأ بين الكنائس الشرقية واللاتينية خصام عظيم من جهة الخبز فاللاتينيون يستعملون الفطير مدّعين ان اليهود كانوا يتناولون خبزاً فطيراً في عيد الفصح ولابدّ ان يكون المسيح كسر خبزاً فطيراً عند مناولته تلاميذهُ . اما الشرقيون فخبزاً مختمراً . اللوثريون يكسرون خبزاً فطيراً . اما الكلفينيون فيكسرونه مختمراً . أوَلم يشتدّ من اجل هذا الجدال والخصام في جنيفا بين البروتستانت عند ابتداء الاصلاح حتى ان كلفن وفاريس التزما ان يتركا بهِ بجدّة فافتخر البروتستانت بسبب اختلافات كهذه بابا بوبري البابويون انفسهم معذورين في حرمانهم العامة من الكاس ؟ أفلا يعني قوله "اصنعوهُ" ان يتخذ وصية انهم يجب ان يصنعوهُ طبقاً لما صنعهُ في الصفة والوقت وان العامة يجب ان يأخذوا من الكاس ايضاً وليس الخبز فقط كما يفعل البابويون

ثم من جهة اخرى ما هو السبب الذي يسوغ للبروتستانت ان يهملوا الخبز ولا يسوغ للبابويين ان يهملوا الكاس ؟ وامور كثيرة نظير هذه من اعظم الصعوبات واغرب الاختلافات التي جرّ المسيحيون انفسهم اليها بتمسكهم بهذه الفريضة الخارجية التي قد اصبح حكماً مقرّراً انهُ لا يمكن التخلص منها ألا بترك هذه الفريضة كما قد ترك فرائض اخرى كثيرة غيرها

الاكليريكي يكسر ويبارك ويعطي اما العامي فيأخذ وياكل ولا

يبارك ثم انني عدا عما ذكر احب ان افهم كيف حلّت هذه العبارة "اصنعوا هذا لذكري" حتى فهم منها ان الاكليريكي يمكنه ان يأخذ ويبارك ويكسر الخبز ويعطيهُ للآخرين اما العامي فيمكنهُ ان يأخذ ويأكل ولا يحقّ له ان يبارك الخ

اعتراض ولربما يدّعي احد بقوله ان الاكليريكيين وحدهم كانوا حاضرين مع المسيح ولهذا فالبابويون مصيبون في حرمان العامة من الكاس واعطائهم الخبز فقط

فأجيب انهُ يمكن ان يحتج آخر قائلاً اذاً الاكليروس وحدهم يمكنهم الاشتراك بهذا السرّ الذي لم يحضرهُ سوى الرسل ولهم فقط قد قيل اصنعوا هذا لانهُ لو وجهت "اصنعوا هذا" الى الجميع لكان يحقّ للجميع ان يطيعوا في كل شيء ويكون لهم حقّ الاشتراك في الكسر والاعطاء والاخذ والاكل

الخصام على طريقة اخذهِ ومن يجب ان يتناولهُ والى الآن نرى ان الكلثينيين في بريطانيا لا يزالون غير متفقين على طريقة اخذهِ في هل يجب ان يكونوا عندما يتناولونهُ جالسين ام واقفين ام راكعين. وهل يجب ان يُعطى للمرضى والذين على فراش الموت وهلم جرًّا. ومع ان هذه الاختلافات والمنازعات تظهر بحدّ ذاتها بسيطة وطفيفة الاّ انها مع امور اخرى نظيرها قد كانت سبباً ليس للخصومات البسيطة فقط بل للتعنيف والاضطهاد العظيم وسفك الدم والدمار حتى بين البروتستانت والى الآن اكليروس الكلثينيين يعدّون البرسبيتيريين مخالفين ومعاندين وهؤلاء يعدّونهم ايضاً ذوي خرافات وعبدة اصنام وبابويين

فمن هذا كلهِ يتضح بجلاء لكل ذي بصيرة ان الشيطان قد اثار هذه الغيرة والاختلافات والخصومات لكي يلهي الناس بهذه الامور التافهة العديمة الفائدة عن الامور المهمة الجوهرية التي قد نسوها واهملوها. ومع شدّة اهتمامهم بهذا

السرّ على زعم منهم ان المسيح مارسهُ فهم قد اهملوا طقوساً عديدة نظيرهُ مارسها المسيح وتكلّم عنها التي لاينجم عن الاحتفال بها نصف الصعوبات التي نجمت عنهُ

ثامناً فماذا اذاً أليس لنا من كل ما ذُكر سبب كافٍ للاعتقاد انهُ ليس من الموجب علينا ان نحافظ على هذا الطقس بل يجوز لنا ان نهملهُ كغيرهِ من الطقوس التي اهملها مقاومونا تماماً فنتخلص من كل هذه الخصومات التي نرى كل الذين يتمسكون باستعمالهِ عرضةً لها حتى انهُ يستحيل عليهم الاتفاق من جهة طبيعتهِ وماهيتهِ وطريقة استعمالهِ

بواسطة كسر الخبز كان كل شيء مشتركاً عندهم متذكرين الرب

وها انني اقول ولا اخاف لومة لائمٍ ان هذا الاختلاف كلهُ انما هو ناجم عن كونهم لاينظرون اليهِ بساطة روح الانجيل وحسب ما هو مدوّن فيهِ بل قد مزجوهُ وخلطوهُ بآرائهم المنتحلة في حين انهم لو اتخذوهُ كما هو لفهموا ان السيد لم يقصد بقولهِ هذا سوى مثال يبين لهم فيهِ انهُ سيقدّم جسدهُ ودمهُ كفارة عنهم وانهُ يطلب منهم ان يذكروهُ كلما اكلوا وشربوا ويتأملوا بأنهُ سفك دمهُ من اجلهم . اما الكنيسة الاولى فقد اثبتت بما فعلتهُ في اجتماعاتها حالاً بعد صعود السيد انها اتخذت كلامهُ حسب ما نفهمهُ نحن ولدى اقلّ تأمل يتضح لنا هذا من مراجعة سفر الاعمال في كل الاماكن التي يذكر فيها كسر الخبز الذي يفهم منهُ مقاومونا انهُ طريقة اتمام هذه الفريضة وانا ايضاً اوافقهم في هذا الامر (١) اع ٢: ٤٢ "وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز" فهل يمكن ان يفهم سوى مناولة الطعام الاعتيادي الامر الذي يتضح صريحاً من قولهِ والشركة لان كل شيء عندهم كان مشتركاً وقد قيل في العدد ٤٦ "وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفسٍ واحدة واذ هم يكسرون الخبز في البيوت كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة

قلب" وهذا ايضاً كلام بسيط جدًا يسهل فهمهٔ على كل من لا يقصد ان يتعامى عن الحق لان قولهُ "يكسرون الخبز ثم يتناولون الطعام" يظهر ان كل شيء كان مشتركًا وانهم كانوا يعيشون معًا ويداومون على مناولة الطعام سوية . وليس عندي اقلّ شكّ في انهم في علقاتهم هذه كانوا يتذكّرون الرب الذي كرّسوا انفسهم لهُ واتبعوهُ بحرارة واخلاص

تعيين شمامسة لخدمة الموائد ويؤيّد هذا ما جاء في اعمال ٦: ٢ من ان التلاميذ كانوا يهتمون بتقسيم الدراهم التي كان يسلمهم اياها المؤمنون عند بيعهم املاكهم ومقتنياتهم . ولما وجدوا ان ذلك يصعب عليهم اتمامهُ دون ان تُعاق الخدمة عينوا لهذه الخدمة ثمانية اشخاص . واما هم فافرغوا انفسهم لاجل مواظبة الصلاة وخدمة الكلمة التي لم يشاءوا ان يتركوها ويخدموا موائد . فهذا الوصف كلهُ لا يدلّ على انهم كانوا يتممون طقسًا معينًا او فريضة عبادة دينية ولكننا الآن نرى ان مناقضينا يخصصون اتمام هذه الفريضة بالقسوس وليس بالشمامسة في حين انهُ لا يمكن ان يفهم من كل ما ذُكر سوى ان كسر الخبز الذي يقال انهم كانوا يواظبون عليهِ في البيوت هو خدمة الموائد التي كان الرسل انفسهم يهتمون بها اولاً ولا يوجد اقل دليل يبين عدم صحة هذا الاعتقاد ولكن لما تكاثر عدد التلاميذ ولم يعد ذلك في امكانهم كما انهُ بازدياد عدد المؤمنين في الاماكن المختلفة تعذَّر عليهم ايضًا ان يداوموا على الشركة اي ابقاء كل شيء مشتركًا

العشاء في ترواس نصف الليل فتذكارًا لتلك العادة الحميدة صاروا يجتمعون في اوقات معينة ويكسرون الخبز معًا وقد قيل في اع ٢٠: ٧ لما كان بولس في ترواس "وفي اول الاسبوع اذ كان التلاميذ مجتمعين ليكسروا خبزًا خاطبهم بولس وهو مزمع ان يمضي في الغد واطال الكلام الى نصف الليل" فالكتاب لم يأتِ على ذكر مناولة فريضة بل يفهم ان بولس

اغتنم مناولة العشاء لكي يعظهم و يعلمهم وهذا يبين (١) انهم كانوا مجتمعين مساء وليس صباحًا كما يؤخذ الخبز والخمر في وقتنا الحاضر اذ ان العقل لايمكن ان يوافق على ان بولس بقي يعظهم من الصباح الى نصف الليل كما جاء في العدد ١١ "واكل وتكلم كثيرًا الى الفجر وهكذا خرج". وهذا يرفع الالتباس ويضع حدًا للجدال اذ يظهر ان كسر الخبز تأجل الى ذلك الوقت من الليل لان هذه الكلمات "ثم صعد وكسر الخبز واكل" تفيد ان لعمله علاقة بكسر الخبز المذكور آنفًا

(٢) **اكل بولس لاجل انعاش قواهُ الجسدية** ان فحوى كلامهِ عندما يقال على التتابع "ثم صعد وكسر الخبز واكل وتكلم" يظهر بأن ذلك لم يكن لاجل اتمام فريضة دينية بل لاجل انعاش قواهُ الجسدية لان الرسل كانوا يجتمعون احيانًا لاجل مناولة الطعام معًا ويتممون ذلك بخوف الله وبقلب واحد لكي يمتازوا باحتفالاتهم عن الذين يقيمون الولائم ويأكلون ويشربون وهم مملوءون خلاعة حتى ان البعض منهم كانوا يسمّون هذه الولائم ولائم المحبة اي انهم يجتمعون معًا ليس لاجل الاكل والشرب فقط او لغاية ما جسدية بل لكي يغتنموا الفرصة وهم مجتمعون معًا لكي يأكلوا ويشربوا في حضرة الرب وشعبهِ وهذه عادة مشكورة لايمكن ذمها وما عدا الاماكن التي قد مرّ بيانها لايوجد ذكر لهذا العشاء او الفريضة كما يسمونها في كل الكتاب ان كان في سفر الاعمال او غيرهِ وهذا امر يستحق الاعتبار

فلو كان المقصود منهُ الذبيحة المخلصة كما يعتقد البعض او فريضة خصوصية كما يعتبرها غيرهم لكان الكتاب قد اتى على وصفهِ وصفًا مدققًا شأنهُ في الامور المهمّة في الديانة المسيحية حتى فيما هو اقلّ اهمية من هذا

ترك المسيحيين الاولين عاداتهم الطاهرة ومن المستغرب ان يكون السكوت من جهتها تامًا بحيث لا نرى سوى اشارة احيانًا الى كسر الخبز

والاكل ومن المقرَّر ان المسيحيين الاوَّلين اخذوا حتى في زمان الرسل ان يتركوا طهارتهم و بساطتهم الاولى شيئًا فشيئًا فتوصلوا تدريجًا الى تقاليد خرافية شوَّهوا فيها عادات اسلافهم الطاهرة ومزجوها بالطقوس اليهودية والوثنية فدب الى الكنيسة عادات ذميمة التزم بولس الرسول ان يوبخهم عليها وبأمرهم باصلاحها اكو ١١: ١٧ الى الآخر

العشاء الرباني وتفسيرهُ وها انني مزمع ان اتكلم عن هذه الاعداد التي في كورنثس بالتفصيل لان اخصامنا يبنون حججهم عليها الا انك سترى انها تنطبق تمامًا على ما قد بيَّناهُ سابقًا

(١) ان الكورنثيين تطرَّقوا لاستعمال هذه العادة على نسق خرافي يخالف استعمالها الحقيقي لكونهم نظروا اليها كعشاء الرب السرّي. ولذلك خاطبهم قائلاً عدد ٢٠ "فحين تجتمعون معًا ليس هو لاكل عشاء الرب" فهو لا يقول ان هذه الطريقة ليست الطريقة الصحيحة لاكلهِ بل "ليس هو لاكل عشاء الرب" لان عشاء الرب هو روحيٌ وسرٌ عجيب

(٢) هو يلومهم لانهم كانوا يجتمعون ليس للافضل بل للاردأ ويقدم السبب لذلك العدد ٢١ "لان كل واحد يسبق فيأخذ عشاء نفسهِ في الاكل فالواحد يجوع والآخر يسكر". فهنا الرسول يلومهم لانهم (مع ان المسيحيين اعتادوا ان يتناولوا عشاء مشتركًا لكي تزداد المحبة فيما بينهم وكتذكار لعشاء المسيح مع تلاميذهِ) قد اساءوا التصرُّف فكان كل منهم ياكل وحدهُ فكان الاغنياء ياكلون فوق الشبع اما الفقراء فيجوعون وهكذا لم تبطل الغاية المقصودة فقط بل اتت بعكس ما كان يقصد بها. فوبخهم الرسول مظهرًا لهم ان من الواجب عليهم اما ان ياكلوا في البيوت او بعد ان يجتمعوا كلهم يتناولون معًا طعامًا مشتركًا كما جاء في العدد ٢٢ "أفليس لكم بيوت لتاكلوا فيها وتشربوا أم تستهينون بكنيسة الله وتخجلون الذين ليس لهم"

لماذا اشترك المسيحيون بالعشاء فالرسول يلومهم على الطرق الشاذة التي اتبعوها بعدم محافظتهم على الترتيب اللائق بالاكل لان البعض منهم كانوا يأتون الى المائدة المشتركة وقد اكلوا للشبع وامتلأوا سلافة غير مراعين حاسيات الفقراء او الذين ليس لهم بيوت الذين يأتون الى العلفة ويجلسون على المائدة وهم يشعرون بالجوع الشديد والاحتياج الحقيقي للاكل الأ انهم كانوا يخجلون وتجرح حاسياتهم بسبب عدم اكل الآخرين. وهذا يتضح بسهولة لكل من يطالع هذه الاعداد بعين مجرَّدة عن الاهواء والاميال كما انهُ يتضح ايضاً ان الرسول وبخهم لاجل هذا التحريف الذي جروا عليهِ في ممارسة هذه العلفة. ولو ان الكورنثيين جروا على العادة المتبعة الآن عند البابويين او اللوثريين او الكلثينيين لكانت الاعداد التي خاطبهم بها عارية من المعنى ولقد كان يصعب علينا ان نرى ما هو ذنب الكورنثيين

فالآن اذ قد بيَّنا معنى قول الرسول واصل هذه العادة اي اجتماعهم معًا احيانًا للاكل والشرب معاً وانهم كانوا يقصدون بهذا مثال علفة المسيح مع تلاميذهِ في الليلة التي اسلم فيها. فلنتمم النظر في كلام الرسول بعد كل هذا العدد ٢٣ عند ما قصَّ عليهم ما صنعهُ المسيح وتلاميذهُ قائلاً "لانني تسلمت من الرب ما سلمتكم ايضاً ان الرب يسوع في الليلة التي اسلم فيها اخذ خبزاً" الخ. فلا يخفى على كل من يفهم الفرق بين رواية شيء واعطاء وصية ان الرسول هنا لم يعطِ وصية بل قصَّ عليهم ما سمعهُ هو عما عملهُ المسيح. فهو لم يقل انني استلمت من الرب لكي اوصيكم وصية انهُ كما اخذ الخبز يجب ان تأخذوهُ انتم ايضاً بل بالعكس فهو في العدد ٢٥ حيث يعيد كلمات المسيح لتلاميذهِ يضعها في قالب لا يفهم منهُ الوصية "اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري" ثم يقول "فانكم كلما اكلتم هذا الخبز وشربتم هذا الكاس تخبرون بموت الرب الى ان يجيء" فبقولهِ "كلما" لا يفيد انها وصية لانهُ لو قيل لي كلما سافرت الى

رومية اذهب الى هيكل جوبتر فلا يعتبر هذا القول امرًا يلزمني ان اذهب الى رومية

اعتراض وقد يتخذ البعض هذه الكلمات "تخبرون بموت الرب الى ان يجيء" حجة مدعين انها تجعل استعمال هذا الطقس ضروريًا الى ان يجيء المسيح للدينونة عند نهاية العالم .

فاجيب انهم بقولهم هذا ينتظرون ان نسلّم لهم بركنين مهمين من المباحثة دون برهان حقيقي الاوَّل اتخاذ كلمة "كلما" وصية يجب العمل بموجبها . وقد تبين فساد هذا الزعم بحيث يتعذَّر معهُ على مقاومينا ان يثبتوا ادعاءهم بالبرهان الصحيح

والثاني مجيء المسيح الخارجي والداخلي انهم يفهمون بقوله "الى ان يجيء" اتيان المسيح الاخير بالصورة الخارجية وليس اتيانهُ الداخلي الروحي وهذا يحتاج الى برهان . اما الرسول فكان يفهم جيدًا اتيان المسيح وظهورهُ في في الداخل روحيًا ولكن من الممكن ان بعض اولئك الكورنثيين الجسدانيين الضعفاء او الذين كانوا يأتون سكارى لم يفهموا ذلك وحتى يترجح ان الذين كانوا يفهمون اشتركوا بهذه العادة مجاراةً لغيرهم (كما كانوا يستعملون غير عادات ما سيأتي الكلام عنهُ) فبولس الرسول نفسهُ يقول "صرت للضعفاء ضعيفًا صرت للكل كل شيء لاربح ان امكن احدًا" وهذا من الممكن ان سمح لهولاء الكورنثيين ان يمارسوا هذه العادة لتكون تذكرًا لهم بموت المسيح لكي يقوم المسيح فيهم داخليًا . ولكن ان كان هولاء الضعفاء يحتاجون الى وسائل خارجية لتنبيههم وتذكيرهم بموت المسيح . فليس من الضرورة ان يحتاج الذين ماتوا معهُ بل بالحري دُفنوا وقاموا معهُ ايضًا الى اشارات كهذه لاجل تذكيرهم وهولاء يخاطبهم قائلاً كو ٣:١ "فان كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله" اما الخبز والخمر فليسا من فوق

ولكنها ارضيان عالميان . وقد قال بولس ما قاله للكورنثيين نظرًا لبساطتهم ولمجرد علمه وغيرته عليهم وهذا ظاهر ما جاء في النسخة السريانية عدد ١٧ حيث يقول ولكني اذ اوصي بهذا لست امدحكم لانكم تجتمعون ليس للافضل بل للاردإ . فالرسول هنا يظهر استياءه من وجودهم على تلك الحالة وانه التزم ان يعطيهم تعليمات بخصوص هذه المسائل لكونهم ضعفاء في الحياة المسيحية لتمسكهم بامور حسبها ردية

ثم في العدد ٢٠ من ذات النسخة يقول "نحين تجتمعون معًا لاتجتمعون كما في يوم الرب بل تجتمعون للاكل والشرب" فهو يبين لهم انهم اذا اجتمعوا معًا لاكل الخبز الخارجي وشرب الخمر فعلهم هذا لا يليق ولا يجب ان يعمل في يوم الرب . ومع هذا كله ان كان مناظرونا يغارون على المحافظة على هذه الفريضة لان كنيسة كورنثس قد استعملتها مع كون استعمالها كما قد تبيّن كان مبنيًا على اساس واهن وبطريقة غير ممدوحة . فكيف يصرفون النظر غير مكترثين لوصايا الرسل الصريحة . ففي اعمال ١٥ : ٢٩ قد اوصى الرسل الام صريحًا ان هذا ما يراه الروح" ان تمتنعوا عما ذُبح للاصنام وعن الدم والمخنوق الخ" ويع ٥ : ١٤ يقول موصيًا صريحًا" ان يدهن المريض بزيت باسم الرب"

اعتراض اول ولربما يقال ان هذه الامور كانت وقتية فلا يجب على المسيحيين اليوم مداومتها

فاجيب ان قولهم هذا لا يمكن اثباته لانه لم يرد عليه نص صريح

اعتراض ثانٍ ثم لربما يقال ان النصّ يدخل ضمنًا في تعليم بولس الرسول عندما قال "فلا يحكم احد عليكم باكل او شرب الخ"

فاجيب انني اوافق ان هذا الكلام هو عين الحقيقة . ولكن لماذا يا ترى لا يسري قول الرسول على فريضة الخبز ايضًا ؟ فلا ريب ان الحقيقة هي هي

وان كلام الرسول يسري على الجميع على السواء انما العادة والتقليد فقط قد عظما هذه الفريضة كما اهملا سواها

اعتراض ثالث ويمكن ان البعض يعترضون من جهة ما جاء في رسالة يعقوب الرسول بقولهم ان المسح بالزيت يجب ان يصحبة عجيبة شفاء المريض ولان زمن العجائب قد انتهى فبانتهائه انتهت تلك الفريضة ايضاً

فاجيب وجوب ابطال كل فريضة ببطلان فائدتها وضع الايدي انه يسهل عليَّ ردّ هذا الاعتراض على طرق متعددة مثلاً هل يجب ان تهمل الصلاة لانه قد قيل ايضاً انها تشفي المريض ? على انني اوافق مناظري على صوابية ابطال فريضة المسح لزوال فائدتها . ثم اوجّه نحوهم هذا السؤال انهم ان كانوا يعتقدون انه يجب ابطال كل فريضة قد فقدت الفائدة المقصودة منها الامر الذي هو حق وصواب . فلماذا لا يبطلون بموجب هذا القانون فريضة وضع الايدي التي جرت العادة عليها اقتداء بالرسل مع ان وضع الايدي الآن لا يتبعهُ حلول الروح القدس كما كان الحال في ايام الرسل

تاسعاً انه لقد ثبت لنا بشواهد متعددة من الكتاب ان هذه الطقوس والفرائض الخارجية ليست ضرورية في العهد الجديد وانه لا يجب مداومتها وان تكن استعملت مدة من الزمن قديماً وسأورد زيادة عما مضى عدّة شواهد تبين انه لا لزوم لمداومة فريضة الخبز والخمر لان طبيعتها تقضي باهمالها للاسباب التي بها حكم مناظرونا بوجوب اهمال فرائض عديدة غيرها

(١) عدم لزوم فريضة الخبز والخمر "لان ليس ملكوت الله اكلاً او شرباً بل هو برّ وسلام وفرح في الروح القدس" رو ١٤: ١٧ فهل من الممكن ان يتكلم الرسول باكثر وضوح ليثبت ان ملكوت الله او انجيل

المسيح لا يقوم بالاكل والشرب بل بالبرّ الخ. ثم انك ترى من مطالعة باقي الاصحاح ان الرسول يخطئ من يدين غيره من جهة الاكل والشرب أَوليست هذه الفريضة اكلاً وشرباً فاذاً ملكوت الله او انجيل المسيح وعمله لا يقومان باكل الخبز وشرب الخمر الخارجيين وعليه فهذه الفريضة ليست لازمة وليس من الضرورة ابقاؤُها

وقد تكلم الرسول نفسه في كو ٢: ١٦ قائلاً "فلا يحكم عليكم احد في اكل او شرب او من جهة عيد او هلال او سبت" حتى ان الرسول في كل الاصحاح نراهُ يؤيّد حقيقة مبدإنا ويخطئ مبدأ مناظرينا الخرافي الذي هو المحافظة على الرسوم والفرائض. ففي بداءة الاصحاح يبين النعم التي يتمتع بها المسيحيون الذين قد نالوا حقيقة الحياة بالمسيح ويطلب منهم قائلاً "فكما قبلتم المسيح يسوع الرب اسلكوا فيهِ" ثم يقول "انظروا ان لا يكون احد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب اركان العالم وليس حسب المسيح فانهُ فيهِ يحلّ كل ملء اللاهوت جسدياً وانتم مملوءُون فيهِ الذي هو راس كل رياسة وسلطان وبهِ ختنتم ختاناً غير مصنوع بيد (الذي يسميهِ ختان المسيح) مدفونين معهُ بالمعمودية التي فيها اقمتم ايضاً معهُ بايمان عمل الله" فبعد ان بيّن الرسول حقيقة الاشتراك بالمعمودية الروحية بالمسيح والقيامة بها معهُ ايضاً. فهل يوجد سبيل للظنّ انهُ كان يعتقد ان يلزم المشتركين بها اكل وشرب او مناولة الخبز والخمر لكي يتذكروا موت المسيح وهل يمكن ان يُدان أُناس كهؤلاء لعدم محافظتهم على هذه الفريضة مع انهُ يقول في العدد الذي مرّ ذكرهُ "فلا يحكم عليكم احد في اكل او شرب" وبما ان الخبز والخمر هما اكل وشرب. فهما بحسب كلام الرسول "ظلّ الامور العتيدة واما الجسد فللمسيح" فعلى مناظرينا ان يعترفوا ان رسم الخبز والخمر هو ظلّ او علامة

وبحسب كلام الرسول لا يقدر احد ان يحكم علينا بهِ او يدينا على ابطالهِ كفريضة مسيحية وليس هذا فقط بل انهُ لا يليق بالذين قد ماتوا مع المسيح ان يكونوا مقيدين بهِ او بفرض عليهم فرائض عد ٢٠ "اذًا ان كنتم قد متم مع المسيح عن اركان العالم فلماذا كأنكم عائشون في العالم تفرض عليكم فرائض (لا تمسّ ولا تذق ولا تجسّ التي هي جميعها للفناء في الاستعمال) حسب وصايا وتعاليم الناس" فهل من الممكن ان يتكلم الرسول باكثر صراحة أوليس هذا كافيًا لان يظهر عدم لزوم استعمال هذه الفريضة . والسبب الذي يقدمهُ لعدم تقيّدنا بالفرائض وهو "لانها جميعها للفناء بالاستعمال" يطلق دون شك على الخبز والخمر لانهما يفنيان بالاستعمال كغيرهما من الاطعمة . اما اذا حسبنا الماء والخبز والخمر اختام العهد الجديد واسرار الانجيل الرئيسية وفرائض العهد المسيحي فما هو الفرق بين الانجيل والناموس او ما هي افضليتهُ عليهِ

ليس العهد الجديد اكلاً وشربًا بل الناموس اما الرسول فقد اتى على ذكر الفرق بين الانجيل والناموس بقولهِ في عب ٩: ١٠ ان العادات اليهودية هي رمز الانجيل وهي قائمة بأطعمة واشربة واغتسالات مختلفة فان كانت خدمة الانجيل كذلك فما هو الفرق بينهما

اعتراض ولربما يدّعي البعض ان لهذه الرسوم في العصر الانجيلي معنى روحيًا

فأقول ان لفرائض العهد القديم معنى روحيًا ايضًا لان الله هو واضعها كما ان المسيح هو رئيس العهد الجديد .ولكن المحافظة على استعمال الماء والخبز والخمر كفرائض ضرورية للعبادة في العهد الجديد تحط بشأنهِ لانهُ بها يكون ظلّ الامور العتيدة وليس حقيقتها . اما الرسول فقد بيّن في كولوسي بأن الذين قد ماتوا مع المسيح وقاموا معهُ ايضًا لا يحتاجون الى استعمال فرائض

هي ظلّ فقط وهو في كل الرسالة الى العبرانيين يحاجّ اليهود ويحثهم على ترك عباداتهم القديمة المملوءة من الرموز والاشارات . فهل يليق بعد هذا ان ينتقلوا منه الى عهد مشابه له . ثم على اي اساس انجيلي يبني مناظرونا حججهم لكي يثبتوا ان الرمز او الظلّ يشير الى رمز او ظلّ آخر وليس الى الجوهر الحقيقي لاننا نراهم يعلمون ان فريضة الختان تشير الى معمودية الماء وخروف الفصح الى الخبز والخمر . فهل سمع قط ان رمزاً يكون مرموزاً لرمز آخر ولاسيما بحسب الاعتقاد البروتستانتي الذي لايخوّل هذه المرموزات افضلية عما كان يرمز اليها اذ يصرّحون ان ليس لهذه الفرائض التي يمارسونها فائدة خاصة بل ان فائدتها هي بالنسبة الى ايمان الشخص الذي يتممها أم هل يمكن ان ينكر ان المؤمن اليهودي كان ينال نعمة بواسطة عبادته الرمزية بالنظر الى ايمانه ايضاً

هذا ومع ان البابويين يدّعون انهم بواسطة فرائضهم ينالون نعمة خصوصية فائقة العادة فالاختبار قد اظهر للعيان عكس ما هم يدعون

عاشراً من اين يستمدّ مناظرونا القوة التي يدعون ان طقوسهم مقرونة بها ثم لنفرض ان الكنيسة الاولى كانت تستعمل معمودية الماء والخبز والخمر وتمتنع عن المخنوق والدم وتحافظ على التطهيرات حسب الشريعة اع ٢١: ٢٤-٢٥ وعلى مسح المريض بالزيت وذلك للاسباب التي قد مرّ بيانها . فمع افتراض صحة كل هذه الامور يبقى على مناظرينا ان يبيّنوا لنا القانون او السلطان الذي يعملون هم بموجبه عند استعمال هذه الفرائض فالامر واضح انهم لايتبعون نصّ الكتاب والاّ لوجب ان يتقيدوا بحفظ امور غيرها يصرّح الكتاب ان الكنيسة الاولى كانت تمارسها

فان قيل انهم تسلموها من الرسل اما رأساً او بواسطة فأقول انني قد

اثبتُّ في القضية العاشرة انهُ لا يمكن ان تكون بالواسطة نظرًا للاختلال الذي جرى بسبب الارتداد فيبقى كون هذه الامور سُلّمت اليهم دون واسطة اي بقوَّة الروح القدس الذي كان يوحيهِ لهم ولكن لا احد منهم يدعي بهذا الامر. فماذا اذًا وما هو سرّ قوّتهم ان كان لا هذا ولا ذاك . ان لخاوميتا حلاً آخر لانك تراهم في هذه المسألة وفي غيرها من المسائل يرفعون اصواتهم مدعين وقائلين ان الكنيسة قد سلّمت بها وهذا شأن المسيحيين في كل الاجيال الاَّ ان التقليد ليس اساسًا كافيًا يمكننا ان نبني ايماننا عليهِ ولاسيما فيما يتعلّق بفرائض كهذه لان الرسوم الخرافية والارتدادات ابتدأت باكرًا جدًّا في الكنيسة كما يتضح من رسالتي بولس الى غلاطية وكولوسي . اما نحن فلا يوجد اقلّ سبب يجبرنا بأن نقتدي بهم في ممارسة تلك الامور التي لم يطق الرسول احتمالها بل تأسّف جدًّا لوجودها بين المسيحيين ووبخهم بعنف على استعمالها واذا تأملنا قليلاً في هذه الفرائض والتقاليد نرى انها كانت في كل الاوقات ومنذ القديم عرضةً للتغيير والتبديل

القدماء يعطون فريضة العشاء للصغار وها اننا الآن نرى ان كلا البروتستانت والبابويين يمارسونها على طرق مخالفة للزمان القديم ولبعضهم بعضًا فالاقدمون كانوا يناولون فريضة الخبز للصغار . اما البروتستانت والبابويون فيمنعونها عنهم. ثم مع ان معمودية الماء وكسر الخبز نشأا في وقتٍ واحد فهم يحافظون على معمودية الاطفال ونحن نقول انهم انفسهم لا يعتقدون بما كان يمارسهُ الاولون ولا يعتمد احد عليهِ منهم وخصوصًا من جهة هذه الفرائض لانهُ لا يوجد كنيسة ما ان كانت بابوية او بروتستانتية الاَّ وتختلف جدًّا عن الكنيسة القديمة . وقد قال داليوس "لماذا يطلبون منا ان نتمسّك بالفرائض قائلين ان الآباء كانوا يستعملونها حال كونهم هم انفسهم لا يتبعون سنن الآباء في استعمالها . ولماذا لا يمكننا نحن ان نترك

هذه الفرائض وهم انفسهم قد اهملوا فرائض غيرها كان الآباء يمارسونها بغيرة عظيمة

وليس عندي شكّ بأنّ الله نفسهُ يفتقد كثيرين ممّن اظلمت هذه الفرائض بصائرهم ويعلن لهم الحقيقة ولكنهم لايقدرون ان يفهموا بل قد أُغلقت عنهم لانهم بقوا مصرّين على التمسك بالامور الخارجية واذا اجهدوا عقولهم الجسدية في ادراك هذه الامور الروحية اخذوا يتصوّرون صوراً مختلفة من ان جوهر الخبز يتحوّل الى حقيقة جسد المسيح او ان الجسد نفسهُ يحضر فيهِ الخ . وانني لامتدح كلفن من هذا القبيل لانهُ اعترف بحكمة قائلاً "انني لا ادركهُ ولا يمكنني ان اعبّر عنهُ بالكلام الاّ انني اقول عن اختبار حسي ان الله حاضر بالروح"

اما انا فاقول انني لا اشكّ بأن كلفن كان يشعر بحضورهِ تعالى دون هذه الفريضة وهذا الفهم المُعطى لهُ منهُ تعالى جعلهُ ان يرفض الاعتقاد الغير الصحيح بالاستحالة او بحضور الله الحقيقي بالخبز والخمر الاّ انهُ لم يكن يدري ماذا يجب ان يضع مكانها . فلو انهُ انتظر الاعلان الالهي بصبر واخلاص ولم يعتمد على فهمهِ في ادراك تلك الفريضة الخارجية وحلها بل على الحضور الالهي بالروح وحسبما عرف بالاختبار لكان توصل الى معرفة هذا السرّ معرفة اسمى من معرفة كل الذين سبقوهُ "لان الكل اذا توبخ يظهر بالنور" اف ٥: ١١

حادي عشر اذا سلكنا بضمير نقي الله يتلطف بجهلنا اخيراً اذا كان أُناس اليوم بروح طاهر حقيقي وضمير صالح امام الله يمارسون هذه الفريضة كما مارسها المسيحيون الاولون في كورنثس . وحسب ما جاء في الكتاب (الامر الذي لا احد يعمل بموجبهِ اليوم) فلا شكّ انهم يستفيدون منها وان الله ينظر اليهم ويظهر لهم ذاتهُ الى حين كما اننا نعرف بالاختبار انهُ

كان يظهر ذاته لنا في ازمنة الجهل. هذا اذا لم يطلبوا ان يلزموا الغير بها او ان يدينوا الذين يعتبرون انفسهم انهم غير مقيدين باستعمالها والتمسك بها لاننا نعتقد انهُ قد اتى الوقت الذي فيهِ قد قام الله وابطل كل هذه الطقوس والفرائض لكي نقدم لهُ العبادة الروحية فقط لانهُ بها يظهر نفسهُ لكل من يطلبهُ بصبر. واما طلب الله بواسطة الطقوس والفرائض فهو اشبه شيء بما فعلتهُ مريم عند ما كانت تطلب الحيَّ بين الموتى . اما نحن فنعلم انهُ قد قام واظهر نفسهُ بالروح لاولادهِ الذين حرَّرهم من كل هذه الرموز لكي يسيروا معهُ في النور لهُ المجد الى الابد آمين



القضية الرابعة عشرة

لو ٩: ٥٥ و ٥٦ مت ١٣: ٧ و ١٢ و ١٧ في ٣: ١٠

سلطة الحكومة المدنية في الامور الدينية البحتة المتعلقة بالضمير

ان الله اختصّ نفسهُ بالسلطة على الضمير فهو وحدهُ يقدر ان يدرّبهُ ويحكم عليهِ بالحق ولا يجوز لاحد من ارباب السلطة في هذا العالم ان يسيطر او يضغط على ضمير غيرهِ لذلك فالحكم بالنفي او الاعدام او التغريم او السجن وما اشبه الصادر بحق اناس عملوا ما توحيهِ اليهِ ضمائرهم وخالفوا رأي غيرهم في طرق العبادة هو من روح قايين السفاح ويخالف الحق القويم. لانهُ لا يسوغ لاحد تحت ستار الضمير ان يضرّ بحياة قريبهِ او يغتصب او يتلف املاكهُ او يعاملهُ معاملة سيئة لا تنطبق على ناموس الانسانية والذوق السليم. فالشريعة تقضي على المتعدي والعدالة تجري بحق الجميع دون محاباة

(١) ان حرّية الضمير وسلطة الحكومة المدنية قد جرى البحث فيها مفصلاً في السنين الاخيرة على طريقة علمية لذلك ساختصر في الكلام عليها على انني اتأسف جدًّا لان نفرًا قليلاً يسير طبقًا لناموس الحق في هذه المسألة بينما نرى السواد الاعظم الذين يريدون ان يتمتعوا هم انفسهم بحرّية الضمير لا يسمحون للآخرين بذلك كما سيأتي ذكرهُ. ودفعًا لكل سوء تفاهم سأبين القضيّة نفسها بوضوح لكي يسهل فهم ما يلي

ما هو الضمير

فالضمير كما قد تبيَّن في القضيتين الخامسة والسادسة هو اقتناع العقل

الصادر عن طريق الفهم والايمان بصحة شيء او فساده . فاذا خالف الانسان اقتناع ضميره اقترف ذنباً حتى ولو كان مخطئاً وغير مصيب فيما يعتقده لان من يتعمد ان يخالف ايمانه غير مقبول لدى الله ولو كان ايمانه غير صحيح رو ١٤: ٢٣

فالشيء الواحد قد يكون في ذات الوقت محللاً لأناس ممنوعاً عن غيرهم كما لو ارتاب انسان في اكل نوع من اللحوم (مع ان كل مخلوقات الله محللة وجائزة للانسان اذا أُخذت بالشكر) بسبب خرافة او ضعف فالاوفق ان يمتنع . وقد قال اماس دي كاس "مع ان الضمير يغلط هو على الدوام رابط فمن يعمل مخالفاً اقتناع ضميره يخطئ" (اي بحسب زعمه) لانه بعمله يخالف ارادة الله المعلنة فانه وان لم يكن خالف حسب الحقيقة فانه خالف الناموس نسبياً

اولاً اما السؤال الاول المهم فهو هل للهيئة الحاكمة صلاحية ان تضطر الناس في المسائل الدينية ان يسلكوا ضد ضميرهم وان امتنعوا ان تقاصهم بضبط اموالهم او بالضغط على حريتهم او بالاضرار بحياتهم وهذا الوجه السلبي لهذه القضية

ثانياً كما اننا نطلب من الحكام ان يتجنبوا التطرف في الضغط على ضمائر البشر نحن نجاهر ايضاً اننا ننفر ايضاً من كل ما يشجع على اتخاذ حرية الضمير وسيلة لهضم حقوق الآخرين او لضرر المجموع البشري . فالمسائل المتعلقة بالضمير هي بين الله وبين الانسان رأساً والجماعة التي تتفق على اعتقاد ما يحق لهم ان يجتمعوا معاً لاجل عبادة الله في الطريقة التي يرونها حسب زعمهم الطريقة المستقيمة المقبولة لديه تعالى . انما لا يحق لهم ان يسيطروا على الآخرين المخالفين لهم ويرغموهم على اتباعهم بل عليهم ان يقنعوهم بالبرهان الجلي وبالطرق التي استعملها المسيح ورسله اي بالتعليم والارشاد لكل من يريد

ان يقبل او يسمع . الا انه في الوقت نفسو لايجوز لاي كان ان يعمل امورًا مخالفة للآداب والمبادئ التي يعترف بها المسيحيون عمومًا مدعيًا ان ضميره يرشدهُ اليها . ففي حالة كهذهِ يحق للسلطة ان تستعمل القوة للمحافظة على النظام كما لو اعتقد البعض ان ضميرهم يوحي لهم انهم يجب ان يقرضوا جميع الاشرار (اي كل الذين يخالفونهم) او لو اصرَّ المسيحيون الذين يريدون ان يجعلوا كل شيء مشتركًا ان يضطروا رفاقهم لكي يقاسموهم اموالهم بالقوة الجبرية . وهذه الامور وامثالها من الحركات العنيفة التي تحكى عن البعض اللاجئين الى العنف بسبب الكبرياء والحسد وليس عن ضمير نقي قد جعلتني ان احترس جدًا فيما قلتهُ في القسم الاخير من القضية الماضية . ولكني انما اطلب ما كانت تحق تطلبهُ الكنيسة الاولى من الامبراطورين الوثنيين وذلك ان يتمتع الناس الامناء المتعقلين السالكين في طريق السلام وسبل المحبة بالحرية الشخصية لكي يمكنهم ان يسلكوا بضمير صالح نحو الله والناس وان نعم هذه المنحة كل من يشاركهم في السلوك في هذه الحقائق لكي يصيبهم اجحاف او اضطهاد من قبل الكنيسة المدنية

ثالثًا مع اننا لانحب ان نمس ماديات احد او نسلبهُ من حق يتمتع بو كعضو من المجتمع اتباعًا لاقتناع حقيقي داخلي لكننا في الوقت نفسو لا نمانع البتة من انتقاد الذين يسقطون في الضلال في الكنيسة والذين يرتكبون الشرور علانية

فنحن نعتقد ان لكل كنيسة مسيحية حق عند ما تجد ان بعض اعضائها قد سقطوا في ضلال ان تنبههم وتفهمهم بروح المحبة حسب ترتيب الانجيل واذا بقوا متشبثين في آرائهم ان تقطعهم من الشركة معها بسيف الروح وتمنع عنهم ما كانوا يتمتعون بو من الحقوق كأعضاء الكنيسة . انما لايحق لها ان تقتص منهم او تقطعهم من العالم بالسيف البتار او تحرمهم من الحقوق المدنية العالمية

لانهم يحق لهم التمتع بهذه الحقوق كاعضاء من خليقة الله وليس كاعضاء من كنيسة المسيح او شركاء بها. وما احسن ما قاله الذهبيّ الفم بهذا الصدد "انه لمن المتوجب علينا ان ندين ونقبح مبادئ الكفرة الشريرة انما في الوقت نفسه لا يحق لنا ان نضرّ بشخصهم بل نصلّي لاجل خلاصهم"

الضمير عرش الله

(٣) انه لامر واضح جليّ ان الانسان لا يحق له ان يسيطر على ضمير الناس بواسطة القوّة او سطوة الحكومة لان ضمير الانسان هو كرسيّ الله وعرشه فالله وحدهُ هو الحاكم العديم الغلط الذي بقوّة روحهِ يقدر ان يدرك اغلاط الضمير وقد حفظ لنفسه حق دينونة الضلال بحسب ما يراهُ مناسباً. فكل سلطة تدعي بهذا الحق تتدخل بما هو خارج حدود حقوقها لانه لو كان هذا من خصائص الحكم المدني لحق له ان يحكم في المسائل الدينية ولوجب ان يتصف بصفات خاصّة جوهرية تؤهله مع كونه الحاكم ان يقضي في الامور الدينية. اما الحاكم المدني كحاكم ليس له حق ان يحكم في هذه المسائل وليس له سلطة فيها ايضاً ومناظرونا لا يقدرون على انكار هذا والاّ وجب عليهم ان ينكروا كل سلطة غير مسيحية لكونها غير شرعية او لانها تنقصها امور جوهرية تلزم للسلطة وهذا يخالف تعليم الرسول في رومية ص ١٣ او ان يسلموا بما هو اشدّ حماقة اي ان لهولاء الحكام الغير المسيحيين سلطة كقضاة على ضمير المسيحيين. اما اذا قيل انه اذا كان يحق للسلطة ان تقاصّ فهي يجب ان تفعل ذلك بحسب ما يدوّنه ويقررهُ خدمة الدين مما يجعل السلطة المدنية سلطة تنفيذية للكنيسة وهذا سيأتي الكلام عليهِ. ولكن اذا لم يكن لاعضاء الكنيسة الخصوصيين الذين رسموا وعينوا لكي يعلموا ويهذبوا الشعب سلطة على ايمان وضمير جماعة المؤمنين كما يظهر جلياً من كلام الرسول ٢ كو ١: ٢٤ فانّى لهم

ان يغتصبوا لانفسهم تحريك الحكام لكي يضطهدوا ويقتلوا الذين لا يسلمون معهم بكل ما يعتقدون بهِ

ثانيًا ان هذه السلطة المدعاة معاكسة روح الانجيل ولا تلائمهُ لانهُ يخالف حكم السلطة السياسية تمامًا كما صرَّح السيد قائلاً ملكوتي ليس من هذا العالم . فلو كان الانجيل يحتاج مساعدة القوَّة السياسية لما تكلم المسيح هكذا . وقد ارانا ايضًا بواسطة امثلة كثيرة يجب علينا اتباعها اننا يجب ان نأتي امورًا كهذه عن طريقة الاقتناع وبقوَّة الله غير لاتذين الى السوط والحبس والنفي والقتل . فالانجيل يجب ان يبشَّر بهِ والمبشرون هم على الدوام عرضة لان يُضطهَدوا من الاشرار وليس لان يَضطهِدوا الاشرار مطلقًا لانهُ لما ارسل تلاميذهُ قال لهم انا ارسلكم كغنم وسط ذئاب فيجب ان يسلّموا انفسهم لكي يفترسوا امامهم فلا يجب ان يفترِسوا البتةَ . السيد قال لهم انهم سيُضرَبون ويُحبسون ويُقتلون لاجل ايمانهم انما يجب ان لا يَضرِبوا او يحبسوا او يَقتلوا البتةَ . فان كان جماعة المؤمنين كحملان فالحملان لا تفترس ولا تهلك ولا فائدة من القول انهُ في ايام المسيح والرسل كانت السلطة وثنية والمسيح ورسلهُ لم يكونوا في مركز سلطة ولم يمكنهم ان يستعملوا قوتهم . على انهُ ما من احد يقدر ان ينكر ان المسيح ابن الله ولهُ الحق والسلطة على كل الممالك والوارث الحقيقي على الارض . ثم اذا نظرنا الى القوَّة فلا ينكر انهُ قد كان في امكانهِ ان يدعو ربوات الملائكة لكي يحافظوا عليهِ ويخضعوا رؤساء هذا العالم وقوَّاتهِ عنوة له مت ٢٦: ٢٩ انما امتناعهُ عن هذا هو لان طبيعة انجيل المسيح هي ضدّ استعمال القوَّة والعنف عند التبشير وهذا ظاهر من توبيخهِ لابنَي زبدي عند ما ارادوا ان يطلبوا نارًا من السماء تحرق الذين امتنعوا من قبولهِ . لذلك يجب ان لا نقرن العنف بالايمان المسيحي لان هذا يعدّ ذنب عظيم وضلال مبين ليس لعدم المقدرة لانهُ لا شكَّ بوجد قوَّة كافية لاجراء التأديب ضد

كل من يرفض المسيح كما انه كان قوّة تمكّن من عمل العجائب. لكننا نرى مع ان طلب ابنَي زبدي لم يتجاوز ما طلبهُ رجل الله تحت الناموس قال لهما المسيح لا تعلمان من اي روح انتما لان ابن الانسان لم يأتِ ليهلك بل ليخلص لو ٩: ٥٥ فاظهر السيد المسيح بهذا انهُ لا يستصوب هذه الغيرة الباطلة. وعلى هذا فالذين يزعمون ان هذه هي طريقة التبشير بالمسيح او تبشير الانجيل هم يجهلون من اي روح هم . فاذا كان لا يجوز ان يطلبوا نارًا من السماء لتحرق الذين لم يقبلوا المسيح فكم بالاحرى لا يجوز ان تُضرَم نار على الارض لتهلك المؤمنين بالمسيح لانهم يؤمنون حسب نور ضميرهم الذي لا يمكنهم ان يؤمنوا كما تشاه السلطة الحاكمة

ثم اذا كان غير جائز لاولئك الرسل ان يجبروا الآخرين لكي يرضخوا لاحكامهم مع انهم كانوا حاصلين على قياس عظيم من روح الله يقيهم من التعرّض لاغلاط كثيرة فهل يجوز الآن لأُناس يشهد الاخبار وهم انفسهم يقرّون ايضًا انهم ليسوا معصومين عن الغلط بل عرضة لاغلاط كثيرة ان يقتلوا ويهلكوا كل من خالفهم في الايمان والمعتقد لان علمهم دلهم وضميرهم ارشدهم الى ذلك . فان كانت حكمة ملك الملوك لم تشأ ان ترغم الآخرين ان يؤمنوا به او يقبلوهُ لان ذلك ينافي روح ملكوته أَ فلا يغيظهُ كل من يدعي انه احلم منهُ ويستعمل القوّة في ارغام الآخرين لكي يوافقوهُ في طريقة التعليم والعبادة خلافًا لما يعتقدون ويقتنع به ضميرهم . اما كلمة الله فتقول زك ٤: ٦ "لا بالقدرة ولا بالقوّة بل بروحي قال رب الجنود" اما هم فيقولون ليس حسب روح الله بل بالقوّة والاقتدار الجسديين . وقد قال بولس الرسول ٢كو ١٠: ٤ "اذ اسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون" اما هؤلاء فيريدون المحاربة مع اللحم والدم ولما لا يمكنهم الغلبة بالروح والفهم لان ليس لهم الاسلحة الروحية يعمدون الى الاسلحة الجسدية زاعمين انهم بها يمكنهم ان

يشيّدوا ملكوت السيد المسيح وهذا لا يقدرون عليهِ البتة . وعند امعان النظر في حقيقة هذه الامور كلها نرى ان محبة الذات التي فيهم والكبرياء الانسانية التي يريدون ان يخضعوا لها كل شيء قد اتخذت هذه الخطط وليس محبة المسيح وقد جاء في مز ١١٠: ٣ "شعبك منتدب في يوم قوّتك" اما هولاء فيريدون ان يعلموا الناس على رغم ارادتهم واقتناع ضميرهم ويرومون ان يقتنوا شعباً للمسيح ليس بقوّتهِ وروحهِ بل بقوّة السيف وهذا امرٌ لا يمكن نيلهُ كما سيأتي بيانهُ

ثالثًا ان المسيح يوضح لنا هذا صريحًا عندما فسّر هو نفسهُ مثل الزوان مت ١٣ عد ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ و ٤٢ حيث يدعوهم بني الشرير ولم يسمح للتلاميذ ان ينتقوا الزوان لئلاَّ يقتلعوا الحنطة معهُ والامر واضح ان قول المسيح يطلق على المراطقة الذين زرعوا الزوان . وقد كان تمييزهُ ممكنًا لكنهُ منعهُ عن ان ينتقوهُ لئلاَّ يضرُّوا بالحنطة . فيظهر من هذا انهُ بما ان الانسان معرَّض للغلط يجب ان يلجم نفسهُ ويحترس في هذه الامور ورفعًا لكل غلط يمكن حدوثهُ اعطى السيد هذا المنع البات وقال "لا" عد ٢٩ لذلك فمع انهم يدعون انهم انما ينتقون ما يعلمون انهُ زوان فهم يخالفون وصية السيد الصريحة . اما ادعاؤهم ان المسيح هنا قصد المرائين وليس المراطقة فهو سخيف غير حري بالاعتبار وليس لديهم ما يثبتونهُ بهِ سوى آرائهم الخصوصية لانهُ ما الفرق بين المرائين والمراطقة فكلاهما بنو الشرير

اعتراض اما اذا قالوا ان المرائين لا يمكن تمييزهم بخلاف المراطقة

فاجيب ان هذا لخداع وتمويه لان الذين عندهم قوّة التمييز الروحي يمكنهم ان يعرفوا المراطقة والمرائين ايضًا . اما الذين تنقصهم هذه القوّة فلا يمكنهم التمييز بين الفريقين ومن ثم يجب ان نجيب على هذا السوْال المهمّ وهو هل كل ما يسميهِ الحكام هرطقة يعدّ هرطقة ؟ لانهُ كثيرًا ما اتفق كما يقرّ

الجميع ان الحكام حكموا على امور انها هرطقة خلافاً للحقيقة فاقتصوا من أناس متمسكين بالحق كأنهم اشرار . فلا يمكنا اذاً نحن ان نتخذ المرطقة حجة ما لم يكن لدينا براهين قاطعة تحفظنا من ارتكاب الغلط في تمييز الهراطقة وهذا ينافيه اختبارنا اليومي بين المسيحيين . ثم لو فُرض امكانه فأمر معاقبتهم غير جائزٍ لان السيد قال لعبيده مع انهم كانوا قادرين ان يميزوا الزوان "لا لئلاّ تقلعوا الحنطة مع الزوان وانتم تجمعونهُ"

(٣) انهم يعترضون على حرية الضمير هذه بما جاء في تث ص ١٣: ٥ حيث يأمر بقتل الانبياء الكذبة "وذلك النبي والحالم ذلك الحلم يُقتل لانهُ تكلم بالزيغ من وراء الرب الهكم"

فاجيب انهُ لا يوجد وجه للمقابلة بين الامرين فالوصايا الخصوصية المعطاة لليهود ليست ناموساً مطّرداً للمسيحيين والاّ لامكنا ان نقول على ذات القياس انهُ يجوز لنا ان نستعير امتعة من جيراننا ولا نردّها لهم لان اليهود عملوا ذلك بأمر الله او ان نغزو الممالك المجاورة لنا ونحرّمها لان اليهود فعلوا ذلك بالكنعانيين بامر الله

واذا قيل ان وصايا نظير هذه يجب المحافظة عليها ما لم يرد في الانجيل نصّ يناقضها

فأُجيب ان وصايا المسيح وتصرّفهُ هو ورسلهُ تكفي لنقض ذلك . فلو تمكنا بالقول ان كل وصية اعطيت لليهود يجب السلوك بموجبها الآن ما لم يرد نصّ خصوصي يناقضها لامكننا القول انهُ اذا قتل احدٌ يجوز لقريب المقتول ان يتعقب القاتل ويقتلهُ . وما جاء ايضاً في تث ١٣: ٦-٩ من انهُ "اذا اغواك سرّاً اخوك ابن امك او ابنك او ابنتك او امرأتك او صاحبك . . . . . . فاقتلهُ او اقتلها . يدك تكون عليهِ اولاً لقتلهِ" فاننا ان تصرّفنا

بموجب هذه الوصية فلا لزوم لفحص او لحكومة والاَّ فلماذا يمكن نقض قسم دون آخر

ثم اذا جاز لنا ان نسند براهيننا على ما كان يعمله اليهود لكان علينا ان نترك الانجيل ذاته ونرجع الى الطقوس الجسدية الخارجية اليهودية مهملين الامور الروحية التي يعلم بها الانجيل انما يتضح لنا جلية الامر بواسطة المقابلة بين حالة اليهود الرمزية الجسدية والحالة الروحية الحقيقية في عهد الانجيل. لانهُ كما خلص موسى اليهود من مصر الخارجية بقوَّة خارجية وشيَّد لهم مملكة خارجية بابادة اعدائهم الخارجيين هكذا المسيح ليس بواسطة غلبة خارجية او بقتل الآخرين بل بآلامهِ وموتهِ انقذ وينقذ مختاريهِ الداخليين من مصر الرمزية بابادة اعدائهم الروحيين مشيداً بينهم مملكة روحية ليست من هذا العالم. وكما ان الذين تركوا اسرائيل الخارجي صار قطعهم بواسطة السيف الخارجي هكذا الذين يتركون اسرائيل الداخلي الروحي يصير قطعهم بواسطة سيف الروح. وهذا مثال واضح بهِ تنجلي هذه المسألة لانهُ كما ان اليهود كان عليهم ان يتغلبوا على اعدائهم الخارجيين ليثبتوا مملكة خارجية وعبادة خارجية ويتمكنوا من اثباتها. هكذا مملكة انجيل المسيح لم تكن لتقوم بابادة الامم وتدميرهم بل باقناعهم لانها لا تحتاج لاجل بقائها الى غير ذلك

ثانياً انهم يعترضون بما جاء في رو ١٣ من ان "السلطان لا يحمل السيف عبثاً اذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذي يفعل الشرّ" والهرطقة على قولهم هي شرّ

والجواب الرياء هو شرّ ايضاً ولكنهم يقرّون ان هذا الشرّ لا يجب ان يقاصّ لذلك يجب ان يفهم انهُ يقصد بالشرّ هنا الشرور المدنية التي يقترفها الانسان ضد الانسان وليس مسائل العبادة والدين والاَّ لعدّ ذلك حماقة عظيمة لان بولس كتب الى كنيسة رومية التي كانت وقتئذٍ تحت حكم نيرون

الوثني الظالم الشرير مضطهد الكنيسة . فلو كان المقصود مما ذكر معاقبة المراطقة لكان من الضرورة ان تكون تلك السلطة بيد نيرون وان الله سلمه اياها لان الرسول يحثّ على الطاعة والطاعة هي من الله . فهل يرتكب حماقة اعظم من ان يقال ان نيرون كان له سلطة للحكم في الامور الدينية الروحية فان كان الحكام المسيحيون لا يناط بهم معاقبة المراطقة لانه لا يمكنهم دائماً تمييزها فنيرون بالاحرى لا يحق له ذلك اذ ليس باستطاعتهِ تمييزها واذا كان لنيرون حق القصاص في هذه المسائل بطلت اذ ذاك قوّة هذا العدد في اثبات برهانهم لان ما كتب هنا كان عن نيرون الذي له علاقة خصوصية مع الذين كُتب اليهم . ثم لو كان لنيرون سلطة دينية لحق له استعمالها بحسب حكمتهِ واقتناع ضميرهِ فلا ملامة عليهِ بهذا الاعتبار لاجل اضطهادهِ المسيحيين وقتلهِ الرسل لان عملهُ حسبما كان يرتئيهِ مبررٌ

ثالثًا انهم يعترضون بما جاء في غلاطية ٥: ١٢ من قول الرسول "يا ليت الذين يقلقونكم يقطعون ايضاً"

فأُجيب ان هذا القطع يعني افرازهم عن الكنيسة . وقد قال بيزا بهذا الصدد "اننا لا يمكننا ان نفهم بهذا سوى حرمهم من الكنيسة كما جرى بحق الكورنثيين المرتكبين والاَّ لعدَّ الاعتقاد بخلاف ما ذكر ضرب من الحماقة لان بولس لا يقصد سوى القطع الذي لهمنايس وفيليتس المجدفين وقد كان ذلك بتسليمهم الى الشيطان وليس بقطع رؤُوسهم"

وبهذه الطريقة يمكن ان يجاب على كل البراهين التي يوردونها رؤ ٢: ٢٠ حيث تلام كنيسة ثياتيرا لاجل سماحها المرأة ايزابل التي لا يمكن فهمها بخلاف هذا اي انهم لم يحرموها او يرفضوها بحكم كنسيّ . اما القصاصات الجسدية فالامر واضح ان الكنيسة المسيحية في ذلك العصر لم يكن لها اقلّ سلطة في قصاص المراطقة حتى لو ارادوا ذلك

رابعاً انهم يقولون ان الهرطقة تعدّ من اعمال الجسد غل ٥: ٢٠

فاجيب انهُ ليس للحكام ان يعالجوا كل اعمال الجسد ولا يوجد برهان انهُ كان لهم حق بذلك فكل شرّ هو من اعمال الجسد ولكن ليس كل شرّ تعرف بهِ السلطة أَوَ ليس الرياء من اعمال الجسد ومناظرونا يعترفون انهُ لا يحق للسلطة ان تقاصّ الرياء والبغض ايضاً والرياء قد ذُكرا بين اعمال الجسد . مع ذلك لا يمكن للحكام معاقبتهما دون ان يكونا السبب لارتكاب ذنب آخر يقضي القانون بالقصاص من اجلهِ . وهكذا ما دام الهرطقة لا ينجم عنها اعمال مخلّة بالنظام البشري العام بل بقيت محصورة في المبادىء والعبادة الشخصية التي تطلب من الانسان نحو الله تعالى فلا يحق للسلطة ان تتعرَّض لها

(٤) ان الضغط على حرية الضمير مخالف للعقل السليم وناموس الطبيعة نفسها لان كل العذابات الجسدية تقصر عن ان تجبر الانسان ان يعتقد بخلاف ما هو مقتنع بهِ خصوصاً في الامور الروحية الفائقة الطبيعة . فالشواهد المقنعة بالبرهان وقوة الله المؤثرة في القلب يمكن ان تغير عقل الانسان وفكرهُ وليس التعذيب بالضرب والجلد وما اشبه لان هذه تؤلم الجسد وتهلكهُ لكنها لا تقدر ان تؤثر في النفس لكي تقتل او تغيّر المعتقدات التي تتوصّل الى معرفتها بعامل جوهرها الحرّ المستقلّ وكل من يطلب ان يرغم العقول عن غير طريق الاقتناع يشبّه الانسان بالحيوانات العديمة الفهم ويذهب عملهُ ضياعاً كمن يطلب تبييض الزنجي بغسل الماء . ناهيك عن ان تصرُّفاً مثل هذا يقتاد الناس الى الرياء عوضاً عن ان يأتي بهم الى المسيح واذا اضطرّ البعض بسبب الضغط والمعاملة القاسية ان يعترفوا بمبادىء او عبادة ما او يوافقوا عليها . فاعترافهم هذا وموافقتهم غير مقبولين لديهِ تعالى لانهُ يرفض كل عبادة غير صادرة عن القلب ولا يطلب ان يأتي اليهِ احد

مرغماً. فكل من يضطرّ الآخرين لكي يعترفوا بالمسيح على رغمهم هو بعيد عن السراط القويم كما ان المرغمين بعيدون عن عضوية الكنيسة وهم لا يزالون عبيداً للشيطان اضعافاً اكثر مما كانوا سابقاً لانهم يضيفون الى شرّهم الرياء وهو احط انواع الشرور الشائنة بالدين والتي يمقتها السيد المسيح

واذا قيل انهم باعترافهم تمحى خطاياهم ويزول عنهم خبثهم

فأُجيب اننا قد برهنا سابقاً ان المسيح لا يسمح بهذا كما ان الكنيسة لا تستفيد من انضمام عدد من المرائين لانها بذلك يستطرق اليها الفساد المقرون بالخطر . اما الهرطقة الصريحة فيمكن اجتنابها بالابتعاد عن القائلين بها عند ما تقطعهم الكنيسة بواسطة نظارها . واما المستترون بثوب الرياء فيمكنهم القاء بزور الفساد قبل ان يشعر بهم احد واذا ثبت المضطهدون متمسكين بآرائهم التي يعتقدون صحتها على رغم العذابات الجسدية التي يعذبون بها . فقد علمنا الاختبار انهم يستفيدون غالباً لما لا ينتفع المضطهدون شيئاً لان الآلام كثيراً ما تولد روح الوداعة والاحتمال وهذا يوجه الافكار الى الفحص والتنقيب عن الامور التي لاجلها احتملوا آلاماً وخسائر بشهامة وصبر باكثر اجتهاد فيحملهم ذلك على الاعتقاد انهُ لا بدّ من غرض سامٍ يسهل عليهم احتمال القصاص والاستهانة بهِ اذ ليس من ورائهِ اكتساب شهرة ولو ان الاستشهاد يتمّ عن طريق القوّة والقيادة الجبرية فقط لكان ذلك محطاً بكرامة الشهداء ولذلك يدفعون لذلك لغرض اسمى وارفع . ثم لو فرض ان للحكام الحق ان يسيطروا على ضمير رعاياهم وان يسيّروهم بالقوّة كما يشاؤُون لنجم عن ذلك امور كثيرة مخلّة وغير لائقة ومنافية جداً لروح الانجيل وديانة المسيح

لانهُ اولاً يحتم على السلطة ان تفعل هذا والاَّ فتكون مخطئة لاجل اهمالها واجباتها واذ ذاك يمكن ان يقال ان المسيح اهمل كنيستهُ لانهُ كان بامكانهِ ان يرغم الناس . ومع انهُ كان لهُ ايضاً سلطان ان يدعو ربوات من الملائكة

لم يفعل هذا بل ترك كنيسته لرحمة الاشرار دون ان يأخذ الاحتياطات اللازمة

ثانياً لو قلنا انه يحق للحاكم ان يستعمل قوّته لاجل اجراء ما يوحي اليه ضميرهُ انه حق حسب ارشاد فهمهِ فنحن نبرّر الامبراطورين الوثنيين واضطهادامهم للكنيسة المسيحية ونبرّر ايضاً ديوان التفتيش الاسباني الذي لم يضطهد البروتستانت فقط بل البابويين المعتدلين. ام كيف يلوم البروتستانت البابويين لاجل اثارة الاضطهاد ضدّهم حال كونهم انما يعملون ما يستصوبونه حسب اعتقاد ضميرهم وفهمهم. والبروتستانت انفسهم لو كانوا في مركز السلطة لكانوا يعاملون البابويين نفس المعاملة وهذا يجعل احتمالهم للعذاب عديم الفائدة . اما ما اكسب الكنيسة المسيحية شهرة قديماً فهو احتمالهم القصاص وهم ابرياء لان مبادئهم لاتسمح لهم ان يضرُّوا باحد . اما من يعامل الآخرين بنفس المعاملة القاسية عند ما تمكنه الظروف فهو ليس جديراً بالشفقة لانه انما عومل كما يعامل ولا يفيد ادعاؤُهم السقيم بقولهم انه لايحق لهم ان يضطهدونا لانهم يجانب الغلط . اما نحن فمصيبون لان هذا المبدأ يشدّد ايدي المضطهدين في كل مكان متخذين المحاماة عن النفس حجة بقولهم ان الانسان لايلام اذا سعى في هلاك من يعلم انه يترقب سنوح الفرصة للايقاع بهِ وهذا يجعل كل اضطهاد تباهي الكنيسة المسيحية باحتمالهِ ضربة لازب وليس المسيحيون المضطهدون كحملان تساق الى الذبح نظير المخلص بل كذئاب نشبت في فخ ولايمنعهم عن الافتراس سوى عدم مقدرتهم . فلو انقلب جانب القوة لكانوا بدورهم مستعدّين للتنكيل بمضطهديهم و يعاملونهم نفس المعاملة التي عوملوا بها

فاين ايمان المسيحي وصبرهُ واين فضلة في احتمال الاضطهاد مرغماً لاننا على هذه القاعدة يمكننا ان نسمي كل لصّ او سارق شهيداً وقد بيّن الاختبار

فساد هذه المبادئ المخطئة جليًا في الاعصر المتأخرة لانهُ مهما تكلم كل فريق في ان السلطة ينبغي ان تطاع في مثل هذه الاحوال او ان القوة مخصرة بها الّا ان النتيجة الطبيعية لهذا المبدأ تبقى ثابتة وهي ان كل حزب يعتقد ان الحق بجانبهِ ويبذل جهدهُ لكي يتفوّق على الفريق المخالف وعندئذٍ تنقاد لهُ السلطة وتساعدهُ لاجل اهلاك الآخرين. فكم استعمل بابوات رومية قوّتهم الموهومة ضد الامراء والولاة عند ما يبدو منهم اقلّ علامات مما ينظرون اليهِ كهرطقة فكان البابا يهيج الرعايا ضدّ اولئك الامراء ويقوّض سلطانهم ويغتصب املاكهم ويهبها لامراء غيرهم يتممون مقاصدهُ. وكل من قرأ حياة هيلوابراند يعلم كيف ناضل البروتستانت عن حرية الضمير على نفس الطريقة فالاضطهادات التي قاسوها في فرنسا زادتهم نشاطًا وعددًا وحالما شعروا بتفوّق حزبهم ورأوا ان بعض الامراء قد انحازوا اليهم شرعوا ان يطلبوا من الملك التمتع بحرية الضمير واخذوا يهددون انهم سوف يتوصلون الى ذلك بحدّ السيف وليس باحتمال العذاب والآلام. ثم ان اخبار بعض ولايات بروتستانتية يظهر انهُ لو لم يترك هنري الرابع ديانتهُ ارضاءً للبابويين لكي يحصل على التاج بسلام لكان البروتستانت بدورهم طلبوا التفوّق بحدّ السيف وادبوا البابويين حرقًا بالنار واقتادوهم الى النطع لان الاضطهادات بكل انواعها كانت آيات الشقاء المرافقة الخصومات. لان كل حزب اعتقد ان لهُ الحق بل ومن المتوجب عليهِ ان يهلك كل من يخالفهُ متذرّعًا بكل الوسائل الممكنة لكي يبني امجادهُ على انقاض مقاوميهِ. فاعتقد البابويون انهُ يجوز لهم ان يستعملوا الحكام لتنفيذ غاياتهم كلما سمحت لهم الفرصة وكان ذلك في طاقتهم وقد كانت الشريعة المعروفة عندهم انهُ يحق للبابا ان يخلع حاكمًا هرطوقيًا ويحلّ شعبهُ من المحافظة على يمين الطاعة التي اقسموها لهُ. فنفّذ هذا القانون فعلاً في عدّة امراء. وقد حامى بلارمين عن هذا التصرّف مخالفًا باركلي. اما

الفرنسيون فأبوا الخضوع لهنري الرابع الى ان غيّر مذهبهُ

وكثيرون من البروتستانت ايضًا يوِّيدون هذه القاعدة القاضية بخلع الحكام الاشرار واعدامهم وبروتستانت سكتلند ليسوا اقلَّ تمسكًا بها من اليسوعيين . فلم يعترفوا بشارل الثاني ملكًا مع انهُ امير بروتستانتي الى ان اقسم انهُ ينكر سلطة الاساقفة الامر الذي مع كونهِ ليس ذات بال عندهُ الَّا انهُ كان مخالفًا لوحي ضميرهِ والامر واضح جدًّا ان المسيح ورسلهُ والمسيحيين الاولين ساروا على خط ينقض هذه كلها . ثم بعد ذلك تسربت هذه الشرائع من الخرافات العديدة المغايرة لروح الانجيل التي ادخلت الى الكنيسة الاولى وسلبوا منها حرية الضمير التي هي جزءٌ مهمٌّ في ديانة المسيح كما قد تقدم بيانهُ وكل كتبة الثلاثة الاعصر الاولى تقريبًا حاموا عنها بشدَّة وسفهوا راي كل من تصرَّف بخلاف ذلك

(٥) وقد قال اثناسيوس " انهُ لامر جوهريٌّ في التقوى ان يستعمل الاقتناع بدلًا من القوَّة اقتداءً بقول السيد الذي لم يجبر احدًا على اتباعهِ بل دعا الجميع تاركًا الحرية لكل من يريد . اما ابليس الذي لا يملك شيئًا من الحق فهو يستعمل الفؤوس محطمًا ابواب الذين يقبلونهُ بخلاف تعليم المخلص الوديع الذي قال كل من يتبعني وكل من يريد ان يكون لي تلميذًا الخ غير مستعمل الغلظة البتة بل برقةٍ يقول افتح لي يا اختي فان لبى احدٌ الدعوة يدخل والَّا فيبقى خارجًا لان اعلان الحق لا يقوم بالسيف والقوس او بالجنود والقوَّة المسلحة بل بالمشورة والاقتناع

اما الذين ادخلوا العنف واضطهدوا غيرهم من المسيحيين فهم الآريوسيون العديمو التقوى . ثم تبعهم في ذلك البابويون ثم البروتستانت وقد وبخ ذلك اثناسيوس قائلًا " من علمهم ان يضطهدوا ؟ حقًّا لا يمكنهم القول انهم تعلموا ذلك من القديسين لانهم انما تلقوهُ واتخذوهُ وتعلموهُ من ابليس ان السيد

قال لتلاميذهِ اهربوا وقد هرب القديسون احيانًا. اما الاضطهاد فهو اختراع ابليس وبرهانهُ وهو يسدده نحو الجميع". وقد قال ايضًا في الآريوسيين عندما حكموا بالنفي على الذين لا يشتركون بالاكتتاب لذوي الرتب "انهم يظهرون بهذا انهم اعداء المسيحيين واصدقاء ابليس"

وقد قال هيلاريوس "انهم يا للاسف رعاة عالميون يبشرون بديانة الله ولكنهم يقرنون اسمهُ بروح الطمع فيجردونهُ من كل فضيلة. فالكنيسة توبخ وتحارب بالنفي والحبس وتعلم الايمان بها بالقوة الجابرة بينما كانت قبلاً تجذب الناس الى الايمان بواسطة احتمال النفي والسجون تلك الكنيسة التي دشنت سابقًا باحتمال القساوات الفظيعة التي اثارها عليها مضطهدوها تعتمد الآن على غطرسة اعضائها تلك التي اكتسبت شهرتها بواسطة نفي كهنتها تنفي الكهنة الآن وتفتخر ان العالم يحبها. مع انها ان لم يبغضها العالم لا تحسب خاصة المسيح"

وقد قال جيروم "ان الكنيسة تأسست على احتمال الآلام وسفك الدم وليس على الاضرار بالغير. فالكنيسة نمت عن طريق الاضطهاد وتتوجت بدم الشهداء"

وقال امبروس متكلمًا عن اوكسنتس "من لم يقدر اكسنتس ان يخدعهُ بالكلام زعم انهُ يجب ان يقتل بالسيف. فسنَّ لهذه الغاية شرائع بلسانهِ ونفذها بيديهِ متصورًا ان المختار يمكنهُ ان يحكم على الايمان"

وقال امبروس عن نفسهِ ايضًا انهُ عند مرورهِ في فرنسا لم يشترك مع الاساقفة الذين حكموا بقتل المراطقة

والامبراطور مارتيانوس الذي امر بالتئام مجمع خلكيدونيا. قال "انني لا اجبر احدًا او اضغط عليهِ لكي يؤيد مجمع خلكيدونيا على رغم ارادتهِ"

وهوسيوس اسقف كوردوفيا يشهد بأن الامبراطور كونستانوس لم

يضغط على احد لكي يصير ارثوذكسيًا

وقال هيلاريوس "ان الله يعلم ولا ينفذ معرفة ذاتهِ ويرفق وصاياهُ بآيات ومعجزات سموية ولا يشاء ان يعترف بهِ احد مرغمًا بالقوَّة هو اله العالم اجمع ولكنهُ لا يسرّ بالطاعة الغير الاختيارية او بالاعتراف عن طريق الضغط"

وقال امبروس "ان المسيح ارسل تلاميذهُ لكي يزرعوا بزور الايمان ليعلّموا وليس ليضغطوا ليذيعوا تعليم الوداعة وليس لكي يمارسوا الضغط بالقوَّة"

وقد قابل سيربان بين العهد القديم والعهد الجديد بقولهِ "لقد قتل الاقدمون بحدّ السيف . اما الآن فالمتكبرون والاردياء فينقطعون بسيف الروح اي يفرزون من الكنيسة". ولنا بهذا جواب حسن على الاعتراض المذكور سابقًا المبني على تصرُّف اليهود تحت الناموس .

قال ترتوليان للوثنيين "ان سلب حرية الاديان يزيد الناس ميلاً الى عدم التديُّن كأَنَّ يسلب الانسان حق الحرية في ان يعبد الله كما يختار ويعتقد ويرغم على تقديم عبادة لا يرضاها. نعم ان الانسان نفسهُ لا يرغب في ان يقدّم لهُ خضوع جبري . وقد قال ايضًا انهُ لامر سهل ان نرى انهُ لمن التعدّي المحض ان يضغط على الانسان بالقوَّة لكي يقدّم ذبيحة مرغمًا . لان الله يطلب عند تقديم العبادة القلب الراغب . وقد قال ايضًا لكل انسان حق بل هي قوَّة طبيعية في كل فرد ان يعبد ما يحترمهُ . فديانة شخص ما لا تنفع او تضرّ شخصًا آخر فلا يليق بنا ان نذيع الديانة بالقوَّة لانها يجب ان تقبل برضًا وليس بالرغم والذبائح نفسها لا تقبل ما لم تقدم بقلب راغب .

وليحكم العاقل كيف يقدر البابويون او البروتستانت الذين يفتخرون بالقديم ان يصرفوا النظر عن هذه الشهادات الواضحة على اننا اذا راجعنا

كتابات الاقدمين نرى انهم في كل نقطة خلاف بيننا وبين مناظرينا على وفاق تام معنا. ومن هذا نرى انهم مخطئون في حسبانهم الضغط موافقاً للروح المسيحي. وقد اكثر المسيحيون في زمان الارتداد من طرق الاضطهاد وتدرجوا فيها من القليل الى الكثير حتى ان البابوات عند اقل تكدير كانوا يحرمون الامراء ويحلون رعاياهم من اطاعتهم ويطردونهم ثم يرضون عنهم بعد ذلك حسبما يخطر لهم. والامر الذي يستوجب مزيد الاسف ان البروتستانت الذين قبحوا افعال البابويين هذه اولاً هم انفسهم مارسوها فيما بعد لانهم في بادئ نشأتهم وفي طهارتهم الاولى لم يخطر لهم هذا ببال كما يظهر جليًا من قول لوثيروس "لا البابا ولا الاسقف ولا رجل آخر له سلطة ان يرغم المسيحي في ابسط الاشياء ما لم يختره هو نفسه من تلقاء خاطره. وها انني بجسارة اصرّح لكل المسيحيين انه لا انسان ولا ملاك يقدر ان يفرض عليهم شريعة ما سوى ما يختارون هم لانفسهم لاننا احرار تجاه الجميع" وعند ما مثل امام مجمع سبرس امام الامبراطور في مؤتمر خصوصي وفي حضرة رئيس اساقفة تريرس وتجونشيم مختار برتسبرج لما قطع الامل من اتفاقه مع مقاوميه وسألوهُ ما هو العلاج الموافق الذي يرتئيه اجابهم المشورة التي اعطاها غملائيل لليهود قديمًا اي ان كان هذا الراي من الله فسوف يثبت والاَّ فسينتقض. وهذا قاله لكي يقنع البابا ولم يقل لانه بجانب الحق يجب ان يخلى سبيله. وهذه المشورة تفيد ان بعض الامور المستنسبة يحتمل كونها غلطًا. اما لوثيروس نفسه بعد مدة قصيرة وقبل ان يثبت قدمه الحّ على حاكم سكسونيا لكي ينفي كارلوستاديوس لانه لم يخضع في كل شيء الى ما حكم به. ثم بعد ذلك تأثر جدًا وحزن لما بلغه ان كارلوستاديوس ذكر في تحرير كتبه الى رعيته انه قد نفي بسبب معتقد ضميره بايعاز من مارتن لوثيروس

اما اللوثريون والكلفينيون فبما انهم لا يرتضون ان تقدم الثقة منهم

العبادة في الاماكن المختصة بالاخرى فهم من هذه الجهة ليسوا احسن كثيرًا من البابويين والآريوسيين. ومع ان كلفينوس نفسهُ يقول ان الضمير محرَّر من سلطة البشر قد كان السبب في ابعاد كاستيليو لانهُ اتباعًا لوحي ضميرهِ آمن ان الله قد عيَّن البعض للهلاك. وقد كان السبب ايضًا في احراق سرفيتس لانهُ انكر لاهوت المسيح (هذا اذا صدَّقنا ما قرَّرهُ عنهُ كلفينوس) ومع ان انكار لاهوت المسيح هو بالحقيقة ممقوت الآن ما اجراهُ كلفينوس لم يكن بأقلّ مقتًا لانهُ امات أُناسًا بالنار. وتصريحهُ هذا بجواز احراق الكفرة شجع البابويون ان يقتادوا اتباعهُ باكثر جرأة الى الخازوق لانهم عاملون حسب قوانين زعيم ديانتهم ولم يغفلوا ان يذكّروهم بذلك مرارًا فلم يكن عندهم ما يجيبون به

ولذلك عند ما تكلم بهذا الصدد مؤلف تاريخ مجمع ترنت في الكتاب الخامس عند الاتيان على ذكر عدَّة اشخاص من البروتستانت الذين حُرقوا لاجل ايمانهم اظهر دهشة وعجبًا عظيمين لان المصلحين المتأخرين انفسهم اقتصُّوا ايضًا من البعض لاجل معتقداتهم الدينية. ثم لمح الى تبرير كلفينوس الاقتصاص من الهراطقة قائلاً ان الهرطقة كلمة متسعة المعنى ينظر اليها من اوجه مختلفة وقد تضرُّ البعض في ظروف وتفيدهم تحت ظروف غيرها

اما موافقة البروتستانت على استعمال الاضطهاد فقد قوَّى ايدي المتفتشين البابويين وبالحقيقة جعل البروتستانت نظير البابويين تمامًا لانهُ ان كان لا يسوغ للانسان ان يعترف ويعلم بالديانة التي يقتنع بها ضميرهُ فما الفائدة من تفتيش الكتب المقدسة لكي يتخذ الانسان ايمانهُ منها لانهُ يجب ان يفهم ويقتنع حسب ارادة الحكام والسلطة الكنسية المحلية والأَّ تحتم عليهِ ان يغير فكرهُ او ينتقل الى مكان آخر او يموت. أفلا يعدّ هذا الاعتقاد نفسهُ هرطقة وضدَّ المسيح ويوقع كلا البابويين والبروتستانت في منهاج محمد المستهجن فهو قد حرَّم المباحثات الدينية لانها تسبب الانقسامات والتحزبات والحقيقة

هي ان كل الذين يستعملون الاضطهاد وينكرون حرية الضمير هم تلاميذ محمد اكثر مما هم تلاميذ المسيح ولا يسلكون بحسب الوصية التي كتبها الرسول الى اهل تسالونيكي "امتحنوا كل شيء تمسكوا بالحسن" ا تس ٥: ٢١

وقد قال ايضاً في ٣:١٥ وان افتكرتم شيئاً بخلافه فالله سيعلن لكم هذا ايضاً اي ليس بالضرب والنفي بل بالاعلان

اصل الاضطهاد

(٦) اما اساس الاضطهاد فهو كما قد تبين سابقاً عدم الاحتمال. فالانسان الذي يضطهد غيرهُ لاجل اقتناع ضميرهِ لا يختار هو نفسهُ ان يحتمل الاضطهاد اذا امكنهُ التخلص منهُ لانهُ يعتقد انهُ يجب ان يدعم ما يعتقد بصحتهِ بالقوَّة لكي يمكنهُ ان يلزم غيرهُ ان يعتقد نظيرهُ. ولاجل زيادة الايضاح امام كل الشعوب اذكر بوجه الاختصار شيئاً مما احتملهُ المسيحيون الحقيقيون عند تقديم شهادتهم الامينة في الوقت الحاضر فوق ما هو مشهور ومعروف عنهم في القرون المتعددة بعد الارتداد وفي الوقت نفسهِ يجب ان لا اخفض من شأن ما احتملهُ شهداء البروتستانت الذين سلكوا بامانة امام الله حسب ناموس النور والاعلان الالهي وقد كان بعضهم اعداء الاضطهاد كما يظهر مما يشهدون بهِ ضدهُ

الاحتمال الحقيقي اما الاحتمال المسيحي الامين الصادق فهو الاعتراف بما يعتقد بهِ الانسان انهُ الحق وان يمارس عبادة الله تعالى كما يحق ويتمّمها كالواجب فلا يكثر منها بداعي تنشيط الناس ولا ينقص منها خوفاً من الشريعة والقصاص والمسيحي الحقيقي يحامي عن حريتهِ الصادقة بكل شجاعة واخلاص وبراءة توصل الى السلام في الوقت المناسب وان يكن بواسطة سفك الدم كما قد تبرهن لنا في هذا الجيل بواسطة شهود كثيرين وستزداد هذه الحقيقة جلاء للعالم كلما ازداد الصدق على الارض. فما اعظم

خطأ الذين لا يعترفون بايمانهم أوان الاضطهاد كما يعترفون أوان السلم. ثم لما تكون السلطة بجانبهم لا يكتفون بالتمتع بتمام الحرية بل يتخطون ذلك بانكار الحرية على غيرهم

اضطهاد الكويكرس دون سبب ولقد اعطى المدعوون بهزه كويكرس مثالاً حسناً للصبر وشدّة الاحتمال في تقديم شهادتهم الامينة لله مبرهنين عن شدّة اخلاصهم. لانهم حالما اعلن لهم الله الحق اتبعوهُ على رغم كل المقاومات والصعوبات والعقبات التي كانت تعترض طريقهم فساروا حسبما ارشدهم روح الله مبشرين ومعلنين بالحق في الازقّة ومفارق الطرق والاسواق والهياكل غير مبالين بالاهانات والضرب والجلد والحبس وحيثما وجدوا إن في الكنيسة او في المجتمعات علّموا باقامة اجتماعات علنية فلم يغلقوا الابواب ولا تكلموا في الخفاء بل كانت اجتماعاتهم مباحة للجميع وكل من شاء دخل وبذلك ازالوا كل شبهة من انهُ يوجد مؤامرات ضد الحكومة وقد اظهروا بسالة وامانة عظيمتين في عدم التوقف عن الاجتماع. وكثيراً ما أثّر حضور الله المعلن بقوّة في الاجتماع على ضمائر مضطهديهم فقلّل من حدّتهم واحياناً توقّفوا عن اجراء مأموريتهم لانهُ عند ما كانت ترسل قوّة لايقافهم كانت تلتزم تلك القوّة ان تخرج كلاًّ بمفردهِ لانهم لم يرتضوا ان يفقدوا حرّيتهم من تلقاء انفسهم عند ما صدرت الاوامر بايقافهم حتى بعد ما طردوا الى الخارج ان لم يضبطوا بعنف كانوا يتسلّلوا راجعين الى اماكنهم بكل هدوء وسكينة واحياناً لما هدم الحكام بيوت الاجتماعات كانوا في اليوم التالي يقيمون اجتماعاتهم علناً في العراء على انقاضها. وبهذه الطريقة البسيطة السلبية بقوا قابضين على ما هو ملك لهم ومتمسكين بالحق الذي لهم من الاجتماع لعبادة الله وعند اتيان قوّة مسلحة لايقافهم لم يتمكنوا من ذلك سوى بقتل كل واحد منهم لانهم ثبتوا معاً كتلة واحدة بقوة فلم يتحرّك احد من مكانهِ ما لم يطرد منهُ عنوةً حتى عند

اشتداد حنق خصومهم وكانوا في حنقهم يرمون الاوحال والاوساخ عليهم لبثوا غير متحركين واحتملوا كل شيء بطيبة خاطر شهادة لله تعالى ثابتين حتى الموت فطريقة الاحتمال هذه بمنتهى السكينة والصبر جعلت مضطهديهم يثقلون يدهم عليهم مع انهم داخلهما نُخسوا في قلوبهم واعجبوا بشجاعتهم وشدّة صبرهم وعدم مقاومتهم ولا التجاء الى الاسلحة للذود عن انفسهم او طلبًا للانتقام ممن اساء اليهم وبعد ضيقات متنوعة يضيق المقام عن وصفها لانه يلزم لها مجلدات ضخمة (وسوف نعلنها للملإ لانها قد دُوّنت واحدة واحدة) وكلها احتملت بمنتهى الصبر حصل الكويكرس على نوع من الحرية وصار يمكنهم الاجتماعات دون مقاومة من الحكام. اما باقي البروتستانت فكانوا يجتمعون سرًا ويخفون شهادتهم وعند ما ينكشف امرهم يلوذون بالهرب مستعملين العنف احيانًا لاجل النجاة ولو انتهى ذلك باهلاك طالبيهم. فتصرّفهم هذا اضاع فضيلة احتمالهم لانهم لم يظهروا للملإ شهادة أتباع السيد الطاهرين الابرياء بعدم تعدّيهم اذية الغير والتزام خطة المسالمة. فاثاروا بمقاومتهم غضب مضطهديهم وحقدهم الشديدين لزيادة التنكيل بهم. اما مقاومتهم لمضطهديهم على هذه الطريقة العنيفة فلا يمكن تطبيقها على ناموس من نواميس المسيح ولا يمكنهم ان يقدموا لها مثالاً وافق عليه السيد او رسله الاطهار

اعتراض ولكنهم يحامون عن هربهم واجتماعهم سرًا وعدم تقديمهم الشهادة الصريحة للحق بما قال السيد المسيح مت ١٠: ٢٣ و"متى طردوكم في هذه المدينة اهربوا الى الاخرى" ويو ٢٠: ١٩ "حيث كان التلاميذ مجتمعين بسبب الخوف من اليهود" واع ٩: ٢٥ "فاخذهُ التلاميذ ليلاً وانزلوهُ من السور مدلّين اياهُ في سلّ"

فأُجيب على هذا كلهِ اولاً انهُ من جهة قول المسيح فالارجح انهُ انما يشير الى ارسالهِ التلاميذ بطريقة مخصوصة الى اليهود والكلمات الاخيرة تشير الى

ذلك اشارة واضحة "فاني الحق اقول لكم لا تكملون مدن اسرائيل حتى يأتي ابن الانسان" فلا يجوز ان نتخذهُ فريضة او فرصة لعدم حملنا صليب المسيح في وقت من الاوقات او في عصرنا الحاضر. ثم لنفرض ان هذه الوصية تطلق الى ما بعد ارسالهم لليهود فاننا انما يجب ان نتبعها حسب ارشاد روحهِ القدوس لانهُ ما من احد يهرب ويحمل الاضطهاد معاً . فلماذا لم يهرب يوحنا وبطرس عند اوّل اضطهاد في اورشليم لكنهما بالعكس ذهبا في اليوم التالي بعد ان اطلقا من المجمع وعلّما الشعب بجسارة . اما كثيرون فيريدون ان يطلقوا معنى هذه الاقوال الى كل الازمان لكي يتقوا بها انفسهم. انما تفسيرهم هذا قد يعيقهم عن تأدية الشهادة للمسيح خوفاً من ان ينالهم ضرر فيكونون بذلك عثرة . اما من جهة اجتماع الرسل الخصوصي فهو رواية حادثة جرت ولا يقصد بهِ وضع قانون لنا وكل من يختار ان يتبع قدوة الرسل في هذا دون سواهُ (مما يدلّ على ضعف العزيمة) فلا يمكن ان يعدّ اقتداؤهُ هذا دليلاً على شدّة الغيرة للتشبه بالرسل ولكن رغبةً في وقاية النفس . واخيرًا من جهة كونهم دلّوا بولس من عن السور في الشام فتلك حادثة خصوصية تمت بتدبيرهِ تعالى الذي عينهُ خادمًا للانجيل وشاء بحكمتهِ الفائقة ان يبطل مشورة اليهود الشريرة . اما مناظرونا فليس عندهم عذر كهذا للهرب . اما الغرض من هربهم فهو وقاية انفسهم فقط وليس اطاعة الاعلان الالهي. ويتضح من تصرّف بولس انهُ لم يجرِ دائمًا حسب هذه الخطة فهو مرّة على رغم الحاح اصدقائهِ وتصريح النبوّات بالشدائد التي كانت تنتظرهُ لم ينثنِ عزمهُ عن التوجّه الى اورشليم ولو انهُ اتبع القاعدة المارّ ذكرها لما اقدم على الذهاب البتة

السنة ١٦٧٥

اخيرًا اننا في ختام هذا البحث نقدّم المجد لله بربنا يسوع المسيح لانهُ

اعطانا في الخمسة وعشرين سنة الماضية منذ عُرفنا كشعب مستقلٍ قوّة الاحتمال بالصبر لاجل اسمهِ فلم نستعفِ او نفرّ من حمل الصليب . والحرية التي نتمتع بها الآن هي رحمة منهُ وليست نتيجة عمل ما عملناهُ نحن انفسنا لانهُ تعالى مسّ قلوب مضطهدينا بواسطة الشهادة البسيطة العديمة الضرر وهكذا اعطانا قوة الاحتمال وحفظنا في المسيح فلم نخالف مبادئنا ونضطهد الغير خلافاً للخطة التي اتبعها غيرنا من المسيحيين . اما قولهم اننا انما سلكنا هذا المسلك المسيحي البسيط لانهُ لم يكن لدينا قوّة تمكننا من استعمال العنف فهو افتراء محض وتملّص خيالي يتخلونهُ تنفيو الحقيقة. وهو لاشكّ لاعظم جرأة ضد الحق ان يقال هكذا عن أناس لم يظهر في سابق حياتهم شيء من عدم الاخلاص فاخصامنا انما يحكمون على الآخرين قياساً على انفسهم . ولكن احكام نظير هذه لا تصحّ عنا ما دمنا ابرياء . اما متى ارتكبنا هذه الجريمة القاسية واضطهدنا الآخرين مستعملين التعذيبات الجسدية لكي نلزمهم ان يتبعوا طريقنا فحينئذ ليحكم باننا مراؤون ومن اعظم المكابرين



القضية الخامسة عشرة

التحيات والملاهي الخ

ان غاية الديانة هي حفظ الانسان من روح العالم الباطل واحاديثهِ الفارغة وارشادهُ الى الشركة الداخلية مع الله الذي ان سلكنا دائمًا في خوفهِ نعيش عيشة السعادة. لذلك يتوجب على الجميع اجتناب كل العادات الرديئة سواء كان بالكلام او بالاعمال كرفع القبعة مثلاً والخضوع بانحناءٍ وباقي التحيات التي هي من نوعها مع ما يلحق بها من التكريمات الخرافية التي هي اختراع الانسان الرجعي اشباعًا لكبرياء قلبهِ حسب فخفخة هذا العالم وامجادهِ . كما انهُ يجب اجتناب كل الالعاب العديمة الفائدة والملذّات الباطلة والملاهي كالقمار والمراهنة التي تقتل الوقت الثمين وتحوّل قوى العقل عن الشهادة لله في القلب وعن خوفهِ تعالى وعن روح الانجيل الذي يجب على كل المسيحيين ان يختمروا فيهِ لانهُ المرشد الى التعقّل والرزانة والتقوى التي ان سلكنا فيها ترافقنا بركة الله تعالى في كل اعمالنا اللازمة لاجل اعالة انساننا الخارجي

(١) لقد كان مدار البحث الى الآن في مبادئ الديانة التي تتعلّق بالترتيب والعبادة فاتقدّم الآن للكلام في نتيجة هذه المبادئ اي سلوك وتصرُّف شهود الله الذين اقامهم في هذه الايام للشهادة للحق . فهؤلاء عمومًا كما يشهد لهم كل عاقل ذو وجدان حتى من اعدائهم انهم يجتنبون الطرق الذميمة التي يسير فيها غيرهم كالسكر والرذيلة والخصام والكلام الباطل الخ . ومما لاريب فيهِ ايضًا ان الذين يعاشرون هؤلاء الناس يتساعدون لاجل تغيير معيشتهم فكثيرون ذوو سلوك منحطّ وسيرة رديئة اقبلوا الى الحقّ وأرشدوا

الى طريق الفضيلة بسببهم وهذا يقرّ بو مناظرونا الاّ انهم على الدوام يفتشون عن اشياء يتهموننا بها وينكرون علينا صفات لو وُجدت فيهم لعدّوها حسنات فتراهم يسمون رزانتنا جموداً وسكوتنا خمولاً . وقد اتفق ان انضمّ الينا منهم من كانوا سائرين في طريق الضلال فتركوا طرقهم الباطلة واصلحوا سلوكهم وسيرتهم السابقين ولكنهم يقولون انهم صاروا شراً مما كانوا واصبحوا مرائين متصلفين روحياً . ولو وجد بينهم من كانوا مسرفين خبثاء وعند ما اتحدوا معنا لازموا عيشة الاعتدال والبساطة والكدّ اتهموهم بالبخل وروح الحسد او اذا اندمج في عضويتنا بعض منهم كانوا مشهورين بالتقوى والورع ومعرفة الله قالوا ان هولاء كانوا دائماً عرضةً للسوبداء والهوس مع انهم كانوا قبلاً يعتبرونهم ويوقرونهم ولا ينسبون اليهم عيباً من العيوب بل يصفونهم بالغيرة والاعلان المقدس . حتى انهم يعدّون جسارتنا واحتمالنا من اجل اسم المسيح عناداً وقحة حال كونهم اذا وُجد بينهم من اتصف بنصف هذه الاوصاف الجميلة يحسبونهم جسورين ومملوئين شهامة وهكذا روح الحسد الكامن فيهم يريهم كل حسنة فينا سيئة اما متى صدرت من جانبهم ففضيلة . اما الحقيقة فاقوى من ان نقاوم وهكذا على رغمهم يحسبنا الراي العام اطهاراً اتقياء ولا سيما في محادثاتنا الخارجية

ثم انهم يقولون ان هذه سياسة نستر بها هرطقتنا . فأُجيب ان هذه السياسة جرى عليها السيد المسيح ورسله وعلى كل المسيحيين الحقيقيين ان يتبعوها والمشهور حتى الآن ان الحق يشهد بتعقّل اتباعنا حتى اذا صدر من احدهم عمل ما قد اعتادوا هم عليه كأن هزل او بالغ او لم يدقق في المحافظة على كلامه فسمح للزعل او الغضب ان يتغلب عليهِ فتراهم حالاً يسددون نحوهُ سهام اللوم قائلين ان هذا مغاير لمبادئكم كأن هذه الاعمال تنطبق مع مبادئهم . وهكذا وهم يتكلمون الحق يشهدون ضد مبادئهم . اما اذا وجدوا احداً من

الكويكرز اتى عملاً من الاعمال الباطلة الكثيرة الشيوع فيما بينهم (لانهُ من المحتمل ان يوجد بين الالوف بعض الضعفاء كما وُجد بين الاثني عشر رسولاً خائنًا) فلا يليق بهم ان يرفعوا صوت التنديد ويكثروا من الصياح لاجل واحد بيننا اكثر من مئات بينهم

(٢) يوجد اشياء كثيرة يعتقد مناظرونا انهُ يجوز لهم عملها كمسيحيين اما نحن فنرى انها غير جائزة لنا لان المسيح قد اوصى بتركها وقد اصابنا بسبب هذا اضطهادات وآلام كثيرة وبغض واحتقار هذا العالم وبما ان هذه الامور لا يمكن كتمانها نتميز بها لاوّل نظرة فلا نقدر ان نختفي على احد ما لم ننكر شهادتنا ونظهر عدم الامانة وقد وقعنا في ضيقات وشدائد عديدة صعبة كما سيأتي ذكرهُ في هذه القضية بوجهِ الاختصار وقد قسمت تلك الامور الى ستة ابواب

(١) انهُ لا يجوز اعطاء الانسان القاب تعظيم وتبجيل نحو قداستكم وجلالتكم ونيافتكم وسعادتكم ونعمتكم وسيادتكم وعزتكم الخ. كما انهُ يجب الامتناع عن كلام التفخيم والتمجيد

(٢) انهُ لا يجوز للمسيحي ان يجثو ويسجد امام الانسان او يرفع قبعتهُ لاحد

(٣) انهُ لا يجوز للمسيحي ان يفرط في التأنق في اللباس والبهرجة والزينة الباطلة

(٤) لا يجوز استعمال لعب القمار والروايات الهزلية الشائعة بين المسيحيين والملاهي بانواعها التي لا تطابق الهدو المسيحي والرزانة والتعقل لان الهزل واللهو والمراهنة والمزح والسخرية والكلام الباطل كلها لا توافق روح الحرية المسيحية وليست طربًا خاليًا من الأذى

(٥) انهُ بحسب ناموس العهد الجديد لا يليق بالمسيحي الحلف ولبس

فقط النطق باسم الله باطلاً في سياق الحديث كما كانت الشريعة الموسوية بل في المجالس وامام الحكام ايضاً

(٦) لا يجوز للمسيحي ان يقاوم الشرّ بالشرّ او يحارب البتة

رتب الاحترام والتفوّق المسموح بها

وقبلما انقدّم للبحث في كل من هذه الامور على حدَة ساذكر بعض الايضاحات العمومية دفعاً للالتباس . ثم اضيف بعض اعتبارات اجمالية تتعلّق بكل منها . فلا يظن احد اننا نقصد ان نتعرّض للعلاقات المتبادلة بين العامة والامراء او السادة والخدم او الوالدين والاولاد لانني لا اقصد هذه العلاقات مطلقاً لان ما ساذكرهُ يثبتها ويؤيدها لانها حسب مبادئنا يجب ان تكون وطيدة ثابتة وغير متراخية

ثانياً يجب ان لا يستنتج احد من كلامنا اننا نعتقد ان الجميع متساوون بالرتبة او يجب ان يكون كل شيء بينهم مشتركاً لاننا نترك الحرية لكل فرد ان يتمتع بطمأنينة بكل الحقوق التي حصلها بكدّهِ او ورثها عن والديهِ . انما عليهِ ان يستعملها بامانة لخيرهِ وخير الآخرين ومجد الله تعالى فهو حرّ في اعمالهِ وغير مضغوط عليهِ ونعتقد ايضاً ان ليس لانسان حقّ في المعمور اكثر من سواهُ الاّ اننا نعلم ان الله شاء فقسم الارزاق معطياً البعض كثيراً والبعض قليلاً فعلى كلٍّ ان يعمل بحسب ما اعطاهُ الله تعالى فاحوال الناس تختلف والتهذيب الذي يناله كل واحد حسب حالتهِ لا يمكن الخادم ان يساوي السيد في العلم والمعرفة او المزارع مالك الارض او الفقير الغني او الفلاح الامير الاّ انهُ لا يجوز لايٍّ كان مهما كانت حالتهُ العلمية او المادية ان يتمادى في التأنق والترف

الفرق في درجة العلوم! ولكن لا بأس اذا عاش بالنسبة الى حالتهِ

وعلمو وكان في امكانو ان يعيش عيشة مرتبة خالية من الافراط والاسراف الاّ انهُ يجب ان يحاشى ويحترس لكي لايكون تجربة للذين اعتادوا العيشة البسيطة الموافقة لحالتهم فيدفعهم الهوس لكي يعيشوا فوق طاقتهم لانهُ امر واضح انهُ مهما انبتت الارض محلل للانسان ويمكنهُ ان يصرفهُ ضمن دائرة الاعتدال و بالنسبة الى حالتو . وقد يتفق ان ما يمكن ان يعدَّ اقتصادًا للواحد يكون اسرافًا للآخر

ما يجوز استعمالهُ من طرق الرفاه وما لايجوز فمن كان مثلاً معتادًا لكونهِ غنيًا او عالمًا ان يأكل اللحوم و يشرب النبيذ و يلبس البزّ وكانت حالتهُ المالية تمكنهُ من ذلك وهو لا يتخطى حد الاعتدال و ينصرف الى حدّ الاسراف والبذخ جازلهُ. ذالك لانهُ لو اقتصر على العيشة الخشنة من مأكل وملبس لم يعتد عليهِ ربما اضرَّ ذلك بصحتهِ فلا يساعد ذلك تقدمهُ الروحي. اما من اعتاد العيشة الخشنة من الاكل واللبس فلا يليق ان يحمل نفسهُ حملاً لا يقدر على اطاقتهِ ولا اعتاد عليهِ لان ذلك مجحف بحقهِ وحقّ عيالهِ . وهكذا نرى ان ما يجوز للواحد لا يجوز للآخر فليتنبهِ الغني اذًا وليحترس لكي يعيش عيشة الاقتصاد والاعتدال متجنبًا البذخ وليبذل جهد المستطاع لكي يساعد الذين لم تمنحهم العناية الالهية دخلاً كافيًا وليفتخر الذين في حالة رفيعة باتضاعهم . اما الذين هم في حالة وضيعة فليقنعوا بما قسم الله لهم ولا يحسدوا الاخوة عالمين انهُ يمكنهم ان يكونوا اغنياء في الانسان الداخلي الذي هو اكثر اهمية

الاغنياء يساعدون الفقراء لذلك يجب على الجميع ان يحترسوا من السقوط في التجربة لئلاَّ تتحوَّل الدعوة الى طلب الغنى عالمين ان اتباع الحق افضل من كل غنى وشرف حتى في نظر العالم لان شركة القديسين الداخلية الروحية تزيد الانسان رفعة واعتبارًا وتصيرهُ أخًا ورفيقًا لمن هم ارفع واغنى

منه كما قيل ليفرح المتضع بارتفاعه

وهذه الاشياء التي مرّ بيانها تطلب من كل مَن يكون مسيحيًّا باخلاص بالحق وبالفعل وليس بالاسم فقط ان ينظر اليها بعين الاعتبار فيهمل كل القاب الشرف الباطلة وينصرف عن طرق البذخ والاسراف والتأنق في الملابس والمآكل ويبتعد عن المقامرة وكل انواع الملاهي لانها محطة بشأن الديانة المسيحية وغير لائقة بها كما انها تعيق الانسان عن السير في سبيل حياة الفضيلة في المسيح مقتفيًا حياة التلاميذ الرسل ومظهرًا مثالاً حسنًا نظيرهم . ثم لو طرح هذا السؤال امامنا أليس الافضل ان يترك المسيحي كل هذه الصفات المشينة فلا اشك ان جواب كل مسيحي حقيقي مخلص اينما وُجد بالايجاب قائلاً نعم ان الاجدر به ترك كل ذلك

لذلك لا يناسب ان يرشق الذين نبذوا كل هذه الامور بسهام اللوم لانهم حسبوها ممنوعة وغير لائقة بالمسيحيين بل بالاحرى يستحقون المديح لانهم يؤيدون بسلوكهم وبمبادئهم ما يعترف الغير بكونه لازمًا الا انهم لا يستطيعون عنه فعلاً لانهم لا يريدون ان يحرموا من التلذذ باستعماله لكنّ الله قد فتح في عصرنا هذا ابصار الكثيرين الذين عندما شعروا بالمضارّ الناتجة عن هذه الشرور نبذوها جانبًا معلنين ضدها وتاركين الملاهي العالمية مع انهم لم يزالوا في العالم . وهكذا قد برهنوا للملا انه يمكن لعموم بني البشر تركها وليس فقط لفئة محصورة في المناسك والاديرة

الالقاب

(٢) اما من جهة المسألة الاولى فنحن نعتقد تمامًا انه لا يجوز للمسيحيين ان يخاطبوا غيرهم بكلمات التبجيل كفخامتكم وجلالتكم وسعادتكم ونيافتكم الخ او يسمحون للغير ان يلقبوهم بها

اولاً لان هذه الالقاب لا تفيدنا زيادة الطاعة اللازمة للحكام والرؤساء كما ان اهمالها لا يفيد نقصاً في الطاعة الواجبة لهم لان الخضوع هو اطاعة الاوامر الشرعية العادلة وليس مجرّد القاب وامتيازات

ثانياً انا لانجد في الكتاب اثراً لاستعمال هذه الالقاب سواء كان في العهد القديم ام في العهد الجديد حتى في مخاطبة الملوك والامراء والاشراف كانوا يلتزمون البساطة التامة نحو ايها الملك واستعاضوا بذكر اسم الشخص عن الاسهاب في ذكر النعوت والالقاب الكثيرة نحو ايها الملك اغريباس

ثالثاً الالقاب الكاذبة ان استعمالها يلجئ الشخص مراراً كثيرة الى الكذب لاننا كثيراً ما نرى ان الحاصلين على هذه الالقاب ان كان بالارث او بالانتخاب لا يستحقونها ولا تليق بهم . فمن يلقب مثلاً بعزتكم لا يكون فيه شيء من العزّة او بنعمتكم فقد يكون عديم النعمة ومن يلقب بسموكم قد يكون معروفاً بالدناءة والانحطاط فأي ناموس بشري يجبرني والحالة هذه ان اكذب فيما اقوله وادعو الشرّ خيراً والخير شراً واي شريعة تقيني اذا فعلت هذا من دينونة الله العادلة التي تحاسبني على كل كلمة بطالة والكذب هو احط الصفات ويكفي المسيحيين عاراً وخجلاً ان يبقوا متبعين هذه العادات وهي مناقضة لمشيئة الله تعالى

اعتراض اما اذا قيل اننا مجبورون تأدّباً ان نفترض انهم اهل لها لان الملك منحهم هذه الالقاب

فأُجيب ان التأدّب لا يزيل المعرفة ولا يجبر احداً ان يكذب او يصدّق الكذب وانه لامر مشهور ومعروف بحيث لا يمكن انكارهُ ان الفضائل المقصودة بالالقاب كثيراً ما تكون معدومة في الذين يحملونها وموجودة في أُناس لا يمكن نعتهم بها لان السلطة لم تمنحهم اياها . فالغير المستحقين الالقاب يلقبون بها لانهم نالوا امتيازاً بها والمستحقون محرومون منها لان السلطة

لا نخولهم ذلك وهذا كله يجري عليهِ الذين يدَّعون انهم اتباع السيد الذي قال لتلاميذهِ أن لا يدعوهم الناس سيدي سيدي . وقد قال ايضاً انهُ لا يليق بالمسيحيين ان يطلبوا مجداً بعضهم من بعض بل يطلبوا المجد الذي يأتي من الله فقط وهذا امر جليٌّ واضح وليس فيهِ اقلّ شبهة يفهمهُ كل من هو مسيحي بالحق

رابعاً اما الالقاب قداسة ونيافة وغبطة الخ المستعملة عند البابويين للبابا والكردينالية ونعمة وسيادة وعبودية المستعملة عند بعض البروتستانت للاكليروس فهي تجديف وافتراء . فاذا استعملنا القداسة والنعمة عند مخاطبة البابا والاسقف لان هذه الصفات يجب ان توجد فيهم . فهل يليق بهم ان يغتصبوا هذه الصفات ويختصوا بها انفسهم . ألا يجب ان توجد النعمة والقداسة في كل مسيحيّ . فهل يليق اذاً ان يستعمل المسيحيون هذه النعوت عند مخاطبة بعضهم بعضاً قائلين قداستكم ونعمتكم . ومن ثم كيف يمكنهم ان يمارسوا القاباً ونعوتاً لم يمارسها ولا تطلبها الرسل ولا المسيحيون الاولون الذين يدَّعون انهم خلفاؤُهم حال كونهم يقولون انهم انما يدَّعون بما كان لاسلافهم فقط . فان كان اولئك لم يسمحوا بالالقاب وما اشبهها من التشريفات ولا قبلوها لانفسهم فمن اين اتصلت لهؤلاء . اما اذا قالوا ان الرسل سبقوا واستعملوها فليدَّعوا هذا بالبرهان الحقيقي اذا قدروا لان الكتاب لا يأتي على ذكر شيء منها بل كان المسيحيون يخاطبون الرسل دون القاب فلم يقولوا سيدي بطرس ولا سيدي بولس ولا السيد بطرس او السيد بولس ولا الدكتور بطرس او الدكتور بولس او اذا شاءت نعمتكم او قداستكم او نيافتكم بل بطرس وبولس وهذه ليست لغة الكتاب فقط بل لغة الكنيسة مئات السنين بعدهم وهذا يظهر جلياً ان هذه الالقاب هي ثمرة الارتداد لانها لو كانت تعطى بالنسبة الى الاستحقاق لكان الرسل احرى بها من كل من

يدعيها فالامر واضح ان الرسل لانهم كانوا متصفين بالقداسة والنعمة والسعادة فكانوا قديسين وسعداء ومتمتعين بالنعمة ضربوا صفحًا عن تطلب الالقاب واستعمالها . اما هولاء فلكونهم خالين من القداسة والسعادة والنعمة فهم في حاجة اليها اشباعًا لاميالهم المتعظمة وعقولهم الطموحة وهذا يظهر جليًا مقدار تدينهم

خامسًا لا يليق استعمال جلالتكم وكيف اعتبر سنة ١٥٦٠ ان لقب جلالة اوعظمة المستعمل للامراء والسلاطين لم يذكرهُ الكتاب سوى لاسم الله عزَّ وجلَّ اي ٢٧ :٢٢ مز ٢١: ٥ و ٢٩: ٤ و ٤٥: ٣ و ٩٣: ١ اش ٢: ١٠ و ٢٤: ١٤ و ٢٦: ١٠ وعب ١: ٣ و ابط ١: ٦ . واماكن كثيرة غير هذه وقد جاء في يه ٢٥ "الاله الحكيم الوحيد مخلصنا له المجد والعظمة والقدرة والسلطان الآن والى كل الدهور آمين" وليس ذلك للانسان. والكتاب يذكر عن نبوخذ نصر الملك المتعظم انه اتخذ لنفسهِ هذا اللقب دا ٤: ٣٠ فنال للوقت توبيخًا عنيفًا وحلَّ بهِ قضاء فجائي . وهذا يظهر انه لا العهد القديم ولا العهد الجديد اتى على ذكر هذه الالقاب لانسان .فبولس الرسول قبلاً كان ملاطفًا جدًا لاغريباس لكنه لم يعطهِ لقبًا ما .وكذلك المسيحيون الاوَّلون في الأعصر الاولى لم يأتوا على ذكرها وفي تاريخ الاصلاح الاكليريكي في فرنسا في الكلام عن خطاب اللورد رونشفورث في موتمر الولاة في فرنسا الذي التأم تحت رئاسة تشارلس التاسع سنة ١٥٦٠ يقول "ان ذلك الخطاب كان مشهورًا جدًا لانهُ لم تستعمل فيهِ كلمة جلالة التي ينشط استعمالها بعض المتملقين في ذلك العصر" وهذا المؤلف لم يعبأ بأن معلمة كلثينوس استعمل الالقاب في تبجيل فرنسيس الاوَّل ملك فرنسا وليس هذا فقط بل دعاهُ في رسالتهِ الى ابرشيتهِ الملك المسيحي العظيم مع انهُ كان يضطهد المصلحين يوميًا وهذا لاشك يجب ان يجعلهُ بعيدًا عن تلك الصفة حتى وفي اعتبار كلفن نفسهِ

فالتسليم بالقاب باطلة كهذه ادخلها ضدّ المسيح قد لطخ الاصلاح وجعله ناقصاً من عدة وجوه

اخيراً **الروح المتعظمة تسعى وراء الالقاب** يجب على المسيحيين رفض الالقاب ونعوت الشرف لان شرفهم من العلاء وليس الشرف العالمي اما ابناء هذا العالم فنحن نعلم انهم يجدون في طلبها ويبذلون ما عزّ وهان لاجل اكتسابها لانها انما يطلبها الطموح المتعظم النفس والمتغطرس المتشامخ الروح فليحكم العاقل اذا كان هذا يتفق مع روح السيد البسيط الطاهر الوديع الذي لا يطلب ولا يشتهي القاباً ذلك الروح الذي لا يميل الى الشهرة العالمية بل يهتمّ بالسمويات وبشركة ابناء الله في ٣ : ٢٠ فهل يتوق اذاً الى العظمة او يسعى وراءها ويجدّ منتظراً نوالها او يحتدّ ويغضب ويسخط عند ما يكون نصيبه منها الفشل كلا . ولكن تطلب الترؤس والسيادة منبعة روح لوسيفورس رئيس سلطان هذا العالم الذي تعظم قديماً ولم يرتضِ ان يبقى في مكانهِ الوضيع وذلك الروح الشرير في كل آنٍ يبث في اتباعهِ محبة الكبرياء والعظمة والخيلاء فيندفعون والحسد يلهبهم الى هذه الالقاب التي هم ليسوا منها بشيء لاننا اذا فحصنا نرى ان الشريف بالحقيقة هو البارّ المتقدس المتضع القلب والوديع الروح وهذا يتفق ان يكون جليلاً بين المسيحيين ويمكن وجود هولاء بين الفقراء والعملة والصيادين النشيطين ولماذا لا يمنح هولاء ايضاً القاب الشرف هذه التي يتطلبها ويسعى وراءها الاغنياء الذين لهم الحظ الاوفر من حطام هذه الدنيا المتعظمون الطاغون النهمون ظالمو الفقير والمتبعون الشهوات واباطيل العالم ونعظم المعيشة وطرق الرذيلة الذين هم رجاسة الشعوب وبليتها ولا يمكن ان يعتبر شرّهم والقابهم بافضل من شرف هامان المتكبر والقابه فهل يعدّ هذا الشرف من الله ام من الناس ام هل يمكن ان يعدّ الله من يخالفه ويهينه كل يوم شريفاً . اما اذا كان هذا الشرف

من الناس وليس من الله وابناء هذا الدهر هم الذين يجلّون بعضهم بعضاً ويقبلون مجداً بعضهم من بعض. فكيف يمكن ابناء الله او المسيحيون بالحق ان يقبلوا هذا او يطلبوا مجداً بعضهم من بعض دون ان يوبخوا من السيد المسيح الذي علَّم ان أُناساً نظير هولاء لايمكن ان يكونوا من الايمان . اما اذا اعتبرنا الاسباب التي لاجلها تعطى هذه الالقاب فلا يوجد لقب من الف يعطى لاجل فضيلة مسيحية . اما البقية فلاجل امور يمقتها المسيحي بالحق كاستعطاف الامراء بالتجبل او بوسائط احط او نظراً لشهرة في حرب او في خدمة الجندية وهذه كلها لا تزيد في اعتبار الرجل المسيحي لان الحروب لايليق ان توجد بين المسيحيين بالحق على الاطلاق واذا وجدت فذلك دليل واضح انهم ليسوا سالكين كما يليق لان يعقوب الرسول يقول ان الحروب ناجمة عن الشهوات فالاجدر بالمسيحي اذاً ان يحارب هذه الشهوات بسيف الروح فلا يهلكوا بعضهم بعضاً مخدوعين بشهواتهم . وقد كانت الحروب في العهد القديم تكسب قوّادها شهرة اما في عهد الانجيل فالشهرة تكتسب بالاحتمال وقبول المتاعب والاضطهادات بصبر وطيبة خاطر وليس بالحروب ولم يكتب عن التلاميذ انهم استعملوا العنف سوى مرّة عندما قطع احدهم اذن ملخس ولم ينل بذلك شرفاً او مديحاً بل بالعكس بكّتة السيد علانية . اخيراً اذا امعنا النظر الى ماهية هذه الالقاب واسباب نوالها وطرق التوصل اليها والعبارات المستعملة فيها نرى انها كلها لا يحسن بالمسيحي الغيور ان يجدّ او يرغب في الحصول عليها

(٤) انه لقد تسرب بين الذين يسمّون ذواتهم مسيحيين ما عدا هذه الالقاب عبارات تبجيل عديدة وقد اعتاد الجمهور ان يمضوا عند مكاتبة بعضهم بعضاً خادمكم الحقير او عبدكم الكلي الخضوع او الطاعة وحقيقة الامر ان ليس بينهم اقلّ علاقة من نحو خادم او سيد ام رئيس ام مرؤوس فعادات

كهذه باطلة مضرَّة للنفس وقد عوَّدت المسيحيين على الكذب اما هم فيعدُّون كذبًا كهذا تمدُّنًا ويا لهُ من خداع فظيع وتملُّق ممقوت لمجاملات عارية من كل اخلاص . فاذا طلب من قائليها ان يقرنوا قولهم بالفعل لقامت قيامتهم وظنوا اننا نحتقرهم لانهم انما كتبوا اتباعًا لعادة شاع استعمالها ليس الا .

واني لاستغرب جدًّا كيف لا يخجل الذين لا يتخذون التوراة قاعدة لهم من استعمال اصطلاحات كهذه مع ان الرجل اليهودي الذي لم يكن لهُ التوراة توصل بواسطة النور الداخلي (الذي يزعمون انهُ ليس كافيًا) لان يقول اي ٣٢ : ٢١ و ٢٢ " لا احابينَّ وجه رجل ولا املث انسانًا . لاني لا اعرف الملث لانهُ عن قليل يأخذني صانعي " وقد كتب رجل ورع في العصور الاولى لاسقف وامضى خادمكم الحقير ومع انهُ يغلب الظنّ انهُ كان مخلصًا في كتابتهِ بخلاف متملقي هذا العصر لكنهُ توبخ على ذلك بشدَّة *

اعتراض اما هم ففي المحاماة عن انفسهم يحتجون غالبًا بما قالهُ لوقا ايها العزيز ثاوفيلس وبولس في كلامهِ مع فستوس

فأُجيب ان لوقا كتب بوحي روح الله المعصوم عن الغلط فلا شكَّ ان ثاوفيلس كان مستحقًّا لذلك اللقب ومتصفًا بتلك الفضيلة بخلاف الذين يسيرون على هذه القاعدة وليس لدينا برهان ان كان لوقا اعطى ثاوفيلس لقبًا ورثهُ عن والدهِ او منحهُ اياهُ بعض الحكام او انهُ وصفهُ بهِ وهو لا يستحقهُ . فبما ان جلية الامر غير معروفة تمامًا فلا يمكن ان نتخذ برهانًا ضدنا ومثلهُ في

---

* هذه الحادثة يذكرها كاسوجون في كتابهِ العادات وجه ١٦٠ قائلاً في هذا العصر يعدّ غير مهذَّب من لا يمضي لمن هو اوطى منهُ او مساوٍ لهُ خادمكم ولكن سلبيتوس سرفيرس توبخ بعنف من بولينوس اسقف نولا لانهُ في رسالتهِ لهُ امضى خادمكم فقال لهُ احذر من ان تكتب عن نفسك خادمًا لمن هو اخ لان انجيل خطية وليس علامة تواضع بان تعالى يعطي الناس القابًا تختصّ بالسيد والرب الاله فقط

مسئلة بولس وفستوس لانهُ لولم يكن مستحقاً لما لقب هكذا على انهُ قد كان بالحقيقة شريفاً لانهُ سمح لهُ بالكلام محامياً عن نفسهِ ولم يسلمهُ الى حنق اليهود فهو لم يخاطبهُ كشريف بسبب لقب خارجي ولو كان ذلك كذلك لكان لقب سلفهُ فيلكس الذي شغل نفس الوظيفة ولكن بما انهُ كان رجلاً طماعاً فلم يعطهِ ذات اللقب

(٥) استعمال المفرد لمخاطبة الواحد في اللغة اللاتينية انهُ لمن المناسب ان اذكر في هذا الفصل شيئاً من جهة استعمال الجمع مكان المفرد الامر الذي لا خلاف بانهُ يعدّ غلطاً حسب قواعد اللغة اللاتينية كما يعرفهُ صغار الاولاد ولكن كبرياء الانسان التي افسدت اموراً كثيرة ابت ان ترتضي بهذه البساطة في اللغات الدارجة فسولت للبعض ان لا يكتفوا بضمير المفرد بل يطلبوا من الجمهور ان يخاطبهم بضمير الجمع. وقد وبخ هذه العادة لوثيروس ساخراً بها وكذلك ايراسمس رفض هذا في مخاطباتهِ كما رفضهُ يعقوب هل في رسالتهِ الى اشراف انكلترا قبلما صار التلميح الى ذلك في القاموسين الفرنساوي والانكليزي اذ يقول ان الشائع في فرنسا وغير اماكن ان كلمة انت تستعمل للمخاطب المفرد ولكن على كرور الايام عندما تحولت الجمهورية الرومانية الى امبراطورية اخذ اهل البلاط يعظمون الامبراطور لان لهُ سلطاناً ان يمنح القاباً ويعين موظفين فخاطبوهُ عند الكلام معهُ انتم ثم قرنوها ايضاً بالقاب شرف كما نقرأ في رسالة سيماخوس الى الامبراطورين تيودوسيوس وڤلانتينيانوس التي يذكر فيها القاب التعظيم والتبجيل كابويتكم والوهيتكم وحكمتكم ورحمتكم. وضمير الجمع انتم نظير القاب الشرف يظهر انها استعملت المفرد اولاً عند مخاطبة الملوك ثم شاع استعمالها لغيرهم بالتدريج ويوحنا مار بسيوس احد اعضاء الاكادمي الافرنسية يقول في مقدمة كتابهِ " لا يعجب احد ان كلمة انت استعملت بالمفرد للامراء

لانها تستعمل ايضاً عند الكلام مع الله وكانت تستعمل قديماً عند مخاطبة الاسكندر والقياصرة والملكات والامبراطورات فكلمة انتم عند مخاطبة المفرد ادخلها أُناس ملقون ادنياء في العصور الاخيرة لانهم ارتأَوا ان يستعملوا الجمع المفرد ليجعلوه يتصوَّر نفسهُ مساوياً لجمهور من البشر في الرتبة والاعتبار ثم تدرَّج استعمالها بعد ذلك لقوم من طبقة اوطى

الخطاب بالمفرد للواحد اشرف من الجمع وقد تكلم ايضاً كودو أُ بهذا الصدد في مقدمة ترجمة العهد الجديد الحديثة فقال "اني اودّ ان أُحافظ بامانة على كلمات بولس ذاتها فلا اتبع كلمات لغتنا الحالية المنمقة واستعمل المفرد دائماً عند مخاطبة الاله وليس الجمع مفضلاً كلمة انت على انتم انا اعلم ان عادة العصر الحالي تقضي باحترامو حسب خطتها . اما الحقيقة فبالعكس لان لغة الكتاب الاصلية ليس لها علاقة بهذه المدنية فلا نجد لها اثراً في النسخ القديمة فلا يظنّ احدانا لانقدّم اعتباراً كافياً لله عند ما نخاطبهُ تعالى بكلمة انت . كلاَّ . انني اعتقد (ولربما العادة تؤثّر في هذا) انني أُقدّم اعتباراً اعظم للعزّة الالهية عند ما ادعوها بحسب اللغة الاصلية وليس حسب لغة البشر الملقين في كلامهم"

فنرى مما تقدّم ان هولاء الرجال يشهدون ان طريقة الكتابة هذه مقتبسة عن بعض كتبة العصور الاخيرة المتملقين وعن أُناس عالمين متعظمين انتحلوها لاجل تعظيم بعضهم بعضاً بلاموجب فنجم عن هذا ان كثيرين من المسيحيين بالاسم في الوقت بالغوا في مديح رجال بطالين وعادات باطلة بحسب العادة فاضاعوا بساطة الانجيل تماماً لدرجة اصبحت معها دعوة الناس باسمائهم الخاصة وتسمية الاشياء باسمائها الحقيقية عادة مهملة حتى عدها هولاء الدخلاء المتملقون فظاظة مخالفة للحشمة والآداب واستعمال الناس صيغة المفرد عند مخاطبة الفقراء والخدم يثبت صريحاً ان المتمسكين بهذه العادات هم

متكبرون متعظمون حتى عند توجيه كلماتهم وصلواتهم لله ايضاً وهولاء المتعظمون لا يسمحون لمن هم دونهم مقاماً ان يخاطبوهم بنفس الطريقة التي يخاطبونهم هم بها لانهم يحسبون ذلك يحطّ بمقامهم فتخمة الانسان هذه وكبرياؤهُ قد وضعت الله تعالى في مقام التفسير المستعطي وعليهِ لا لزوم لذكر البراهين المبيّنة ان اللغة تقضي باستعمال المفرد للشخص الواحد جرياً على طريقة الكتاب في كل الترجمات مما يظهر ان استعمال الجمع للمفرد مصدرهُ الكبرياء فضلاً عن كونهِ بحدّ ذاتهِ كذباً ولكي نقدّم شهادة ضدّ هذه العادة الفاسدة نحن نخاطب الجميع على السواء بصيغة المفرد

لغة الكتاب بسيطة ومع ان مقاومينا لايقدرون ان يقدّموا سبباً يضطهدوننا لاجلهِ ولاسيما المسيحيون منهم لاننا بهذا انما نتبع طريقة الكتاب فترى انهم بكبريائهم قد اكثروا من تعذيبنا واوسعونا ضرباً وتحقيراً صارّين باسنانهم علينا حنقاً وغيظاً لاننا كنا نخاطب الفرد منهم بصيغة المفرد وما كانت معاملتهم هذه الجائرة الأ لتزيدنا تمسكاً بصدق مبدإنا لاجل الشهادة للحق التي يطلبها الله منا في كل الاشياء وان نكن بذلك نثير غضب ابناء الظلمة الثعبانية الخبيثة

(٦) السجود للانسان ثانياً ان ما يلي الالقاب ويشبهها اظهار الاحترام بين المسيحيين بواسطة السجود والإنحناء ورفع القبعة الواحد للآخر ولا اعلم مسوغاً لهذا كلهِ يمكن ان يقدمهُ مناظرونا سوى بعض حوادث العهد القديم وعادات العصر الحالي. فيقولون ان ابرهيم جثا امام بني حث ولوطاً امام الملائكة الخ ولكن العادة التي جرى عليها اولئك البطاركة لايليق ان تكون نموذجاً للمسيحيين الآن فلا يجب ان نقتدي بهم في كثير من العادات بداعي انهم لم يوبخوا عليها لان ابرهيم مثلاً لم يوبخ لانهُ تزوّج هاجر. ولذلك اذا قلنا انهُ يجوز لنا كلما كان جائزاً لاولئك فالامر واضح لدى الجميع ان

ذلك يوقعنا في صعوبات كثيرة لا نهاية لها

شرائع وعادات الامم ليست قانونًا للمسيحي رو ١٢: ٢ ولا حاجة للبرهان بأن الاحرى بالمسيحيين ان يكون لهم شرائع اسمى من التي كانت الامم تعمل بها فالرسول يطلب الينا ان لا نشاكل هذا الدهر الخ . وهذا يظهر انهُ لا مجال لمناظرينا لكي يطيلوا الكلام كثيرًا في هذا الموضوع. اما نحن فالاسباب التي لدينا كافية لان نثبتنا في مبادئنا التي تعلمنا ان نضع كل هذه الامور جانبًا

السجود هو للعبادة ولا يصح لغير الله فنقول اولاً ان الله هو خالق الانسان ولهُ وحدهُ يجب ان تكرّس النفس والجسد وبهِ يليق كل اكرام وعبادة سواء كان روحيًا او بتقديم السجود الخارجي الجسدي ايضًا فالسجود ورفع ما نلبسهُ على رؤوسنا هي العلامة الخارجية لاظهار عبادتنا لله ولذلك لا يجوز ان نقدمها لاحد افراد البشر . فمن يركع او يسجد لانسان ماذا يترك لله ومن يجثو كاشفًا رأسهُ للمخلوق فاي اكرام يتركهُ للخالق

والرسول يظهر لناصريحًا ان الله يطلب منا ان نكشف رؤوسنا عندما نقدم العبادة لهُ ١ كو ١١: ٤ فاذا كنا نخاطب الانسان على ذات النسق فأيّ فرق نجعل بينهما؟ ان كان باعتبار الاشارة الخارجية او باعتبار القصد ايضًا وهذا ما يجعل عبادة الصور التي يمارسها الباباويون مرفوضة

ثانيًا ان جميع الناس من طينة واحدة (ولو كانوا يشغلون مقامات مختلفة ويطلب منهم خدمات متبادلة بحسب ما يقتضيهِ مقامهم) فلا يطلب منهم تقديم العبادة بعضهم لبعض لانهم كلهم يطلب منهم تقديم العبادة لله على السواء لان لهُ وحدهُ ولاسمهِ القدوس ينبغي ان تجثو كل ركبة وامام عرشهِ يسجد الاربعة والعشرون شيخًا فاذا تطلب الانسان من اخيهِ الانسان سجودًا فهو يسلب الله حقهُ والمجد المختصّ بهِ فابن آدم يقدر ان يقدّم الاعتبار

اللازم لابناء جنسهِ دون الالتجاء الى السجود الذي لسنا مسؤولين عنهُ تجاه بعضنا البعض بل تجاهة تعالى وحدهُ . فالناس من كل امة قد اتفقوا ان يقدموا السجود للاله . اما السجود للبشر فالامر واضح انهُ نتيجة الخوف الذي يستولي على مقدميهِ

ثالثًا ان بطرس رفض سجود كرنيليوس قائلاً انا انسان فهل البابوات اجل او ارفع مقامًا من بطرس الرسول ليسمحوا للناس ان يسجدوا لهم يوميًا وان يقعوا على ارجلهم ويقبلوها مع ان توبيخ بطرس يظهر جليًا ان هذه العادات لا يليق ان تدخل الى الديانة المسيحية والملاك ايضًا رفض هذا السجود من يوحنا رؤ ١٩: ١٠ و٢٢: ٩ مبينًا السبب بقولهِ "انا عبد معك ومع اخوتك" مما يؤيد تمامًا انهُ لا يجوز للخادم ان يسجد لمن هو نظيرهُ والبشر كلهم يحسبون خدامًا لله على السواء

اعتراض اما اذا قيل ان يوحنا قصد هنا العبادة الدينية وليس السجود المدني

فاقول انهُ لا يمكن اثبات هذا بالبرهان ولا نظن ان يوحنا في تلك الساعة من النهار كان يجهل ان عبادة الملائكة لا تجوز انما يظهر انهُ لعظم اندهاشهِ من الامور الخطيرة التي أُعلنت لهُ اراد ان يقدم احترامًا فوق العادة وعلى ذلك وبخهُ الملاك . فبعد ايضاح ما تقدم نسلم لحكم المسيحيين الحقيقيين ان كان علينا ملامة اذا امتنعنا عن تقديم السجود للانسان . اما الذين يرموننا بسهام اللوم فليتهموا اذا قدروا مردخاي بسوء الآداب لانهُ سلك نظيرنا من هذه الجهة . اما اذا اتهمونا بالخشونة والكبرياء حال كون شهادة ضميرنا تبرّرنا امام الله من هذه التهم فيوجد بيننا رجال من اهل العلم والتهذيب معروفون تصرّفوا بحسب وحي ضميرهم وليس لنقص في التربية لانهم من عائلات عريقة في الشرف وعليهِ انهُ لمن الجهالة ان ينسب امتناعهم

عن السجود لكبريائهم وليس اطاعة لوحي ضميرهم. وقد احتمل الكثيرون منا الضرب والاهانة والسجن عدَّة اشهر وليس عليهم من ذنب آخر سوى اننا لم نرضِ كبرياء البعض المتصلفين فلم نرفع لهم قبعتنا ولم نحنِ لهم اجسامنا

الامتناع عن السجود للانسان ليس سوء آداب ولا كبرياء او خشونة اما عادتنا البسيطة عند ما نقف بهدوء منتصبين وغير رافعين قبعتنا عن رؤوسنا اتباعاً لوحي ضميرنا فليس فيها شيء من الكبرياء او الخشونة اما ضربهم وجلدهم لنا ففيها خشونة مجسمة تظهر عدم لطفهم وكبرياء قلوبهم

ثم لنفرض ان ضعفنا اوصلنا الى غلطة كهذه فلكونها ليست مخالفة لوصية من وصايا السيد لا يليق ان ندان كما قال الرسول عن الذين يمتنعون عن اكل اللحم أفلا يشبه اضطهادهم وتعييرهم لنا لاجل هذا تشامخ هامان وكبرياءهُ اكثر مما ينطبق على حلم تلاميذ الرب يسوع واتضاعهم ؟ وها انني اتكلم بجراءة امام الله بحسب اختباري واختبار الوف نظيري انه مهما كان هذا الامر طفيفاً ويظهر كأنهُ جهالة يسهل علينا ان نختار الموت لاجلهِ من ان نخالف اعتقاد ضميرنا اما من جهة اميالنا الخارجية فمع ان هذه التشريفات تناقض اعتقادنا تماماً قد كان تركها لكثيرين امرَّ من الموت فلو اننا قدرنا ان نتمتع بسلام الله في القلب مع محافظتنا على هذه العادات المألوفة لما تركناها مطلقاً على اننا لا ندين الذين لم يعلن لهم الله شرَّ مداومتها لكننا نعتقد ان كل الذين يريدون ان يكونوا شهوداً امناء لنور المسيح المقدس لا بدَّ ان يعلن لهم الله شرَّ هذه العادات

(٧) ثالثاً لا يجوز التأنق بالثياب والمباهاة بها ان الامر الثالث الذي عليهِ مدار بحثنا هو الفخفخة الباطلة والتأنق في اللباس فأقول اننا في هذه يجب ان نراعي امرين حالة الانسان والاقليم الذي يسكنهُ لذلك

لايمكن ان يلبس الجميع زيًا واحدًا لان ذلك ربما لايوافق صحتهم او البقعة التي يسكنون فيها . فاذا اقتصر الانسان في اللباس على اللائق المناسب ولم ينصرف الى التأنق والتخفخف فلا يلام رب البيت مثلاً اذا ارتدى بثوب افضل من ثوب خادمه لان امتناعهُ عن فاخر اللباس الذي تسمح له به حالته وعلة بحسب له انكار نفس اكثر مما يحسب للخادم اذا امتنع عن لبس الثياب الثمينة التي لم يعتد عليها

اما الاقليم فلا يعدّ متأنقًا في اللباس من استعمل الاقمشة التي هي من نتاج ذلك الاقليم او ما تداولته ايدي التجار فيه بكثرة لان المواد الطبيعية بلا شك قد وُجدت لفائدة الانسان . فحيثما يكثر الحرير يمكن استعماله كالصوف واذا سكنا بلدًا او كنّا بالقرب منه وفيه يوجد الذهب والفضة بكثرة كالحديد او النحاس فيجوز حينئذٍ استعمالها كلها على السواء . فالخطية تظهر لما تتمكن شهوة التأنق وحب الزينة في الرجال والنساء وبحولان افكارهم الى طلب ما لا تمكنهم حالتهم من احتماله او الى الرغبة فيما هو نادر في بلادهم نظرًا لندورته وصعوبة نقله اليهم فلا يصلهم الا بثمنٍ باهظ . فاتجاه رغائب الانسان بشدّة الى هذه التخفخفات الباطلة يعدّهُ كل ذي عقل سليم اثمًا

ثانيًا اذا لم يقتنع الانسان بالفائدة الحقيقية لما خلقهُ الله من الاشياء البسيطة الفاخرة الموافقة واندفع الى تطلب الاشياء الانيقة من شرائط وسجف والحرائر باشكالها المتنوّعة او تفرّغ الى صبغ الوجه وتخضيب الشعر وضفرهِ واشباهها هي كلها اثمار الطبيعة الساقطة الشهوانية الفاسدة ولا تليق بالخليقة الجديدة كما يعترف الجميع . ومع ان العقلاء من كل الطبقات متفقون انه خير للانسان ان يبتعد عن هذه كلها لكنهم لا يعدونها غير جائزة فلا يمنعون اعضاء كنيستهم من استعمالها . اما نحن فنحسبها كلها غير لائقة بالمسيحيين للاسباب الآتية

حقيقة استعمال الثياب اولاً ان استعمال الثياب هو نتيجة السقوط

لانهُ لو لم يسقط الانسان لما احتاج الى اللباس ولكن حالته الساقطة التعيسة جعلت الثياب لازمة له لسببين اولها الاستتار وثانيهما التحفظ من البرد وهذان السببان هما الداعيان لاستعمال الثياب. اما التأنق في الثياب فما هو سوى ثمرة السقوط ونتيجة الخطية فلا يجوز بوجهٍ من الوجوه فاذا تطرَّفنا في الامور الى ما هو فوق حدّ فائدتها الحقيقية او اضفنا اليها ما هو فضولي فالامر ظاهر ان ذلك باطل وغير لائق بالمسيحي

ثانياً ليس لاشباع الشهوات الامر واضح ان الذين يرغبون في ان يزينوا انفسهم بارتداء الاثواب المزركشة المظرفة باشياء عديمة الفائدة قصد الزينة فقط يبينون صريحاً انهم يرومون بها اشباع الشهوات او اطاعة فكر متصلف باطل جاهل (ولهذا يكثر التفنن والاختراع في الموض) وكثيراً ما نرى الناس تفاخر بثيابها وتباهي رافلة ومتظاهرة بمظاهر الغطرسة الباطلة ولاسيما عند ما يكونون مرتدين على هيئة توافق ذوقهم. ولا لزوم للبرهان ان حالة كهذه هي دون مقام الانسان المسيحي وغير لائقة به فكل من يحب المباهاة والبهرجة في الثياب يظهر انه قلما يهتم باماتة الجسد وانكار الذات ولانه ينظر الى الزينة الخارجية اكثر من زينة النفس الداخلية فلا يهمه الاعتدال وهذه الصفات هي صفات المسيحيين بالاسم فقط وليس المسيحيين بالحق

ثالثاً ان الكتاب المقدس يوبخ هذه العادات معلناً بافضلية البساطة فاشعياء ص ٣ يوبخ بنات اسرائيل بشدَّة لاجل الخلاخل المخشخشة والضفائر والاهلَّة والحلق والاساور الخ. أفليس من المستغرب ان المسيحيين مع كل هذا يسمحون لانفسهم باستعمال هذه الاشياء عينها عوضاً عن ان يحافظوا بشدَّة وتدقيق مظهرين للآخرين مثالاً. والمسيح يطلب منا ان لا نهتمَّ باللباس مت ٦:٢٥ ولكي يبين ان كبرياء الذين يباهون بالثياب الفاخرة باطلة قال ان سليمان في كل مجدهِ لم يلبس كزنابق الحقل التي توجد اليوم وتطرح غداً في

التنور اما الشديدو الرغبة في التأنق في الثياب ويخطون على من يوبخهم لاجلها فليتعظوا بكلام بولس الرسول الصريح الواضح اتي ٢: ٩و١٠ "وكذلك ان النساء يزينّ ذواتهنّ بلباس الحشمة مع ورع وتعقل لا بضفائر او ذهب او لآلئ او ملابس كثيرة الثمن بل كما يليق بنساء متعاهدات بتقوى الله باعمال صالحة" وقد قال بطرس ايضاً بهذا الصدد ابط ٣: ٣و٤ "ولا تكن زينتكنّ الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلي بالذهب ولبس الثياب بل انسان القلب الخفي في العديمة الفساد زينة الروح الوديع الهادي الذي هو قدّام الله كثير الثمن" فكلا الرسولين يعلقان اهمية كبرى على شيئين مهمين . اولاً ان زينة الامرأة المسيحية (واظن انها هي المقصودة هنا على الاخصّ نظراً للضعف الجنسيّ في الميل الى هذه الاباطيل اما رجال ذلك العصر فعلى ما يظهر انهم لم يحتاجوا ان يوبخوا كثيراً) لا يليق ان تكون خارجية او تنحصر في اللباس

ثانياً ضفر الشعر الخ انه لا يليق ان يستعملنَ ضفر الشعر حسب عادات الامم في تلك العصور وانه لامر غريب مدهش ان الذين يتخذون الكتاب دستوراً لهم ويدّعون انه المرشد لحياتهم يستعملون هذه الامور نفسها ويبررون انفسهم مع ان الكتاب يدينهم لان الرسول لا يمدح الامتناع عنها فقط حاسباً اياهُ فضيلة مسيحية بل يدين استعمالها كأمر جائر . والاشدّ غرابة هو انهم لا يكتفون بمخالفتهم تعليم الرسول وازدرائهم بتقديم شهادة حقيقية له لكنهم يدينون الذين يجتهدون ان يسلكوا طبقاً لهذه القاعدة اتباعاً لوحي ضميرهم ويعيّرونهم ناسبين اليهم انهم اصحاب خرافات متكبرون ضيقو العقول . وهذا هو بالحقيقة ارتداد عظيم محزن ممن يعدون انفسهم مسيحيين لانهم فوق مخالفتهم يخطون على الذين يرغبون في ان يسلكوا في طاعة المسيح والذين يجتنبون الاباطيل الكاذبة معرضين عن ابهة هذا العالم الفاني

وبهذا هم يضعون انفسهم في صف الذين يغضون التوبيخ فلا يدخلون ولا يدعون الداخلين يدخلون

(٨) **الملاهي الخ لا تتفق مع روح الكتاب** اما بحثنا الرابع فهو فيما يتعلّق بالمقامرة والتمثيل والملاهي وما شاكلها التي يستعملها المسيحيون على اختلاف المذاهب لاجل السلوى. فهل تتفق هذه كلها يا ترى مع الرزانة والتعقل وخوف الله حسب دعوة الانجيل ام هل يوجد فرق بين الوثنيين وبين الذين يسمّون انفسهم مسيحيين سواء كانوا بروتستانت ام بابويين من جهة الميل الى هذه الامور كلها والاحتفال بها الّا بالاسم فقط والاعتراف الخارجي ألا يوجد عندهم كلهم ذات الجهالات والاباطيل لاجل اضاعة الوقت الثمين ناهيك عن الخصام والمشاجرات والكلام البذيء الذي ينجم عنها والولائم الفاسدة التي ترافقها وكيف يمكن ملافاة كل هذه واتقاء شرورها اذا لم يحسبها الواعظون والمعلمون مناقضة لروح الديانة المسيحية . اما الاتفاق على السماح بها فهو منتهى الغرابة فديوان التفتيش سواء في رومية او في اسبانيا لم يتعرّض لها مع ما تضمنته من الحماقة والتهتك والالحاد والمساخر وهذه كلها تمثل علناً امام كل العالم وقد لطخت الاسم المسيحي بعارٍ عظيم واذا نبه احد متبّعيها الى الاخطار المحدقة بهم ونصح لهم ان يتركوا طرقهم الخبيثة ويكرسوا انفسهم لخدمة الله الحقيقية وعبادته الروحية فيصبح هدفاً لانتقامهم وفريسة معاملتهم القاسية . فهل ينطبق هذا على الروح المسيحي بوجهٍ من الوجوه ام يشابه تصرُّف الكنائس المسيحية الاولى ؟ وهاك ما يذكرهُ الكتاب كوصايا صريحة للمسيحيين يتضح منها ان الذين يسلكون بحسبها لا يمكنهم ان يسلوا بهذه العادات الفاسدة . قال بولس الرسول "ان اكلتم او شربتم او فعلتم شيئاً آخر فاعملوا الكل لمجد الله"

الالعاب والملاهي ليست لمجد الله اما الذي يتجرأ ان يقول

بوقاحة ان الله يتمجد بهذه الالعاب والملاهي فهو يعترف صريحًا انهُ لا يعرف الله ولا قوّة مجدهِ وقد علمنا الاختبار ان الذين يمارسون هذه الامور قلما يخطر ببالهم مجد الله اذ انهم يندفعون بكل قواهم لاشباع الاميال والشهوات الجسدية

وقد قال الرسول ايضًا ١كو ٧: ٢٩-٣١ "لان الوقت منذ الآن مقصر . . . . . . فالذين يشترون كأنهم لا يملكون والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونهُ الخ" فكيف يمكنهم اطاعة هذه الوصية وهم يزعمون ان الوقت اطول مما يمكنهم احتمالهُ فيلجأُون الى المقامرة والملاهي بدلاً من الاهتمام بما يؤُول لخير نفوسهم والاعتناء اللازم باجسادهم فاخترعوا الالعاب والملاهي لقتل الوقت كاعمال لخدمة الله او نفع البشرية . وقد قال بطرس الرسول "سيروا زمان غربتكم بخوف" ابط ١: ١٧ فهل يقدر احد ان يقول ان المقامرة والرقص والملاهي توجّه الافكار نحو اتمام هذه الوصية حال كونها منتهى مظاهر الخفة والطيش والتهوُّر والرذيلة وهي بالاحرى تحوّل الانسان من خدمة الله الى خدمة الشيطان . اما الكتاب فيوصي بخوف الله والمثول امامهُ باحترام كأنهُ في حضرتهِ ولا يوجد وصية تكرّر ذكرها كفرض واجب على المسيحي باكثر منها . اما المتبعون الملاهي فاذا تكلموا بامانة وحرية ضمير فلا شكَّ انهم يعترفون صريحًا انهم ينسون خوف الله بالكلية وانهم كلما وبخهم نور الله في ضمائرهم منبهًا اياهم على سلوكهم في طريقهم الباطل كانوا يغلقون قلوبهم مستعملين هذه الملاهي الباطلة وسيلة يلتهون بها عن تبكيت الضمير فكأنهم يسرُّون بكونهم يصلبون لانفسهم ابن الله ويشهرونهُ ثانيةً . وقد قال السيد المسيح مت ١٢: ٣٥ و٣٦ "الانسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يخرج الصالحات والانسان الشرير من الكنز الشرير يخرج الشرور" ويقول ايضًا كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابًا

يوم الدين" اما الكثر الذي ينتج عنه هذه الاعمال فلا يصعب معرفته ويكفي برهانًا على انها صادرة عن الشرّ وليس عن الصلاح الكلام البطال الذي يرافقها . أَوَليست الروايات مجموع كلام باطل كاذب فليجب الذين يعتقدون منهم بخلود النفس والحساب والقضاء حسبما تكلم الرب يسوع ماذا تكون منزلة هذه الاقوال والافعال في ذلك اليوم الرهيب وما هو اعتبار الكلام الملفق عن الرقص والمقامرة والملاهي والتمثيل

الروايات مجموع كلمات بطالة وكذب اما سماح المسيحيين بها وعدم رفضهم لها فقد شجع بعض الذين يسمّون ذواتهم مسيحيين ان يكرّسوا كل وقتهم لها فاتخذوها تجارةً وشغلاً خاصًا نظير اصحاب المراقص ومؤلفي الروايات . اما اي سيد يخدمون وما هي نهايتهم فظاهر من اللغة الجهنمية التي يمثلون بها ولا ينكر ان الذين يديرون هذه الاعمال او لهم اهتمام بها يكونون على الغالب ملحدين او ساقطين لا يهتمون بالدين او بما يؤول لخير الانسانية او خير انفسهم. فلو رفض المسيحيون كل هذه لكونها مخالفة لنصّ الكتاب لقلّ انتشارها والتزم اصحابها ان يتخذوا حرفة نافعة يعيشون منها فلا يكونون عارًا مشينًا للاسم المسيحي وعثرة عظيمة تزول بوجودها النعم وبزوالها يزول الجهل الذي يقيد عقول الكثيرين بسلاسل الظلمة ويغرّقهم في بحار الشهوات والجهل والملذّات العالمية فيلتهون عن الله تعالى وعن خلاص انفسهم

على ان كثيرين من الآباء والاعضاء العاملين في الكنيسة قد ابدوا اسفًا عظيمًا لان هذه الاباطيل تسرّبت الى الكنيسة ويحثوا في طرق الوقاية منها والشواهد على هذا كثيرة نضرب عنها صفحًا حبًا للاختصار

(٩) انهم يعترضون بقولهم ان عقل الانسان لا يمكنه مداومة التأملات

الروحية الجدية فيطلب شيئًا من السلوى لاجل انعاشهِ ولكي يقدر ان يعود اليها باكثر قوة ونشاط

فأُجيب انَّنا لو سلمنا بصحة ما ذُكر فتسليمنا لا ينقض ما قد اتينا على ذكرهِ ولا يثبت جواز استعمال هذه الامور التي بحسب اعتقادنا يجب ان ترفض تمام الرفض . اما ان الانسان لا يمكنهُ ان يلازم الجدَّ والتعمق في الافتكار دائمًا فالامر واضح انهُ ما زال لابسًا هذا الجسم الترابي يستحيل عليهِ ذلك .ولكن هذا لا يجيز لنا في وقت من الاوقات الحيدان عن الله تعالى بل يجب ان نبقى سالكين في خوفهِ لئلَّا نساق الى عمل ما لا يرضيهِ

خوف الله اعظم وافضل مريح في العالم اما النزهة اللازمة لاجل حفظ الانسان الخارجي فهي اراحة العقل من شدَّة التأمل في المسائل المهمة وهذا يتمُّ ببركة الله تعالى في القلب المملوء بمحبتهِ والشعور بحضورهِ فيرفق العمل بلذَّة والمام روحيين سواء كان في الاكل او الشرب او النوم او العمل لاننا في كلها نرغب في ان نرضي الله تعالى ونعبدهُ ونتم ما خلقنا لاجلهِ فنشعر ببركتهِ وحضورهِ . اما الاشرار فمع كونهم يتمتعون في هذه كلها لكن روحهم تختلف عنا بسبب رجاساتهم لانهم لا يريدون ان يأتوا الى مكان قدسهِ وعليهِ فهم يلامون في كل ما يفعلون حتى ان صلواتهم هي مكرهة في عيني الرب

اما اذا أصرَّ البعض على القول بأن اراحة العقل هي اعطاؤهُ حرية في غير هذه الامور اللازمة لكيانهِ

فأُجيب انني لا اعترض عليهِ ما زالت الحرية ضمن دائرة الاعتدال ولا تجرّ الانسان الى الشهوات والاباطيل والملاهي الكاذبة او ما يقود اليها او يسمّ عقول الآخرين بطريقة من الطرق المشينة

السلوى المفيدة لانهُ يوجد طرق للتنزُّه سليمة العاقبة يمكننا بها ان

نحصل على الراحة من العناء العقلي كزيارة الاصدقاء وقراءة الاخبار او استماعها او المحادثة بتعقل في الامور الماضية والحاضرة او الاعتناء بجنينة او عمل هندسي او رياضة بدنية وما اشبه. لاننا في مثل كلها لا ننسى الله الذي بهِ نحيا ونتحرك اع ١٧: ٢٨ ولا نشعر كأننا نريد ان نخفي عنهُ شيئاً منها او نخاف من حضورهِ فيما بيننا الامر الذي يعلنهُ لنا احياناً بحاسة سرور او بكلمات قليلة وهذا ليس من الغرابة بشيء اذ لا ينكر ان محبة الله يجب ان تفوق كل محبة

الصديق يتجنب اغاظة صديقهِ ومن المعلوم انهُ اذا شغف احدٌ بحب شخصٍ ما او شيء ما فتمكن من عقلهِ وقلبهِ وفكرهِ فازالة ذكرى ذلك الشخص او ذلك الشيء تصعب جداً لانها ترافقهُ وهو ياكل او يشرب او ينام حتى انهُ يحنو جداً الى مكان وجود المحبوب ولا يلهيهِ عنهُ عمل او رياضة. لانهُ مهما شُغف بها فلا بدَّ وقت قصير الاَّ وتتجه افكارهُ نحو من احبَّ او ما ولع بحبهِ فهو يطلب رضاهُ ويتجنَّب ما لا يرضاهُ تجنب الموت بقدر ما تكون فائدتهُ والعامل فيهِ ذلك هو قوَّة واندفاع داخليان نحوهُ لانهُ لهُ الغلبة والسيطرة على اميالهِ فلا يشاء ان يخالف حاسيات ذلك الصديق او يكدر لهُ خاطر اما الانسان فيجب ان يحب الله والحياة الابدية اكثر من كل شيء كما جاء في كو ٣: ٢ "اهتموا بما فوق لا بما على الارض" وهذا ما اختبرهُ وتوصَّل اليهِ بعض رجال الله كما يصرح الكتاب المقدس مز ٦٣: ١ و ٨ ومز ٨٤ و ٢كو ٥: ٤

وقد اظهر الاختبار لكل منكر ذي وجدان حيّ ان الملاهي والمراقص وتمثيل الروايات تبعد الناس طبعاً عن السلوك في خوف الله وتنسيهم السماء والموت ويوم الدين وتهيج فيهم الشهوات والميل الى الاباطيل والطيش ولذا نرى انها شائعة بين طبقة مخصوصة من الناس ولدينا على هذا كلهِ شواهد حسية مقنعة

الحلف ممنوع بتاتاً

(٠) خامساً انقدم الآن للبحث في الحلف الذي شاع استعماله جداً بين كل الطوائف المسيحية تقريباً ليس فقط في الاحاديث الاعتيادية بين الطبقة الواطية التي فيها يجدّفون يومياً على اسم الله القدوس بل في الاقسام التي يتلفظ بها بوقار اهل الرزانة والتقوى ايضاً فاقول

ان السواد الاكبر بين المسيحيين يوجب القسم امام الحكام ليس على مَن لامانع عندهم من استعماله فقط بل على الذين يحرّمون استعماله اطاعة لوصية السيد وكثيراً ما هاج الحكام على هولاء واثاروا ضدهم اضطهادات عظيمة وجرّوا بعضهم الى السجون وسلبوا اموالهم

وسلوك كهذا يقضي بالعجب العظيم عند اقلّ تأمل لان كلام المخلص في الحلف صريح جداً مت ٥: ٣٣ و ٣٤ " ايضاً سمعتم انه قيل للقدماء لا تحنث بل اوفِ للرب اقسامك واما انا فاقول لكم لا تحلفوا البتة لا بالسماء لانها كرسيّ الله الخ. بل ليكن كلامكم نعم نعم لا لا وما زاد على ذلك فهو من الشرير" وقول يعقوب الرسول ٥: ١٢ "ولكن قبل كل شيء يا اخوتي لا تحلفوا لا بالسماء ولا بالارض ولا بقسم آخر بل ليكن نعمكم نعم ولاكم لا لئلاّ تقعوا تحت دينونة"

فكيف يجسر مَن يعترف باسم المسيح ان يفوه بقسمٍ ما بطمأنينة وراحة ضمير اوكم بالحري مَن يضطهد غيرهُ من المسيحيين عند امتناعهم عن القسم امتثالاً لقول السيد بصورة وصية شاملة عامة دون استثناء. لان السيد يصرّح بوضوح بعبارة النهي قائلاً لا تحلفوا البتة لا بالسماء ولا بالارض ولا بقسم آخر ثم يردف كلامهُ بعبارة ايجابية قائلاً " بل ليكن كلامكم نعم نعم لا لا وما زاد على ذلك فهو من الشرير" والرسول يعقوب يقول " لئلاّ تقعوا تحت

دينونة" فهذه الآيات بجملتها وكل واحدة منها على حدة تمنع القسم بتاتًا دون استثناء . اما الغرابة المدهشة فهي ان الذين يباهون بأن الكتاب هو قاعدة ايمانهم وحياتهم ينتحلون حلاً لهذه الوصايا خلافًا للحقيقة لانه لا يجوز لنا ان نهمل هذا المنع المطلق العامّ الذي نطق بهِ السيد او نخالفهُ ما لم يكن لدينا وصية استثنائية صريحة واضحة كالمنع . فلا يليق ان نجتهد في انتحال مسوّغ للمخالفة بواسطة استنتاجات وارجحيات غامضة غير ثابتة ولا تكفي لاراحة الضمير . فان قالوا انهُ يمكن ان يستثنى من هذه الوصية كما استثنى السيد من بعض الوصايا المطلقة التي تفوّه بها في الاصحاح الخامس عند ما نهى عن الطلاق حيث قال "قيل من طلّق امرأتهُ فليعطها كتاب طلاق . واما انا فاقول لكم ان من طلق امرأتهُ الاّ لعلة الزنى يجعلها تزني" فان كانوا يرومون ان يتخذوا من هذه الآية اثباتًا لمبدإهم فسعيهم باطل بل هم يناقضون انفسهم ايضًا لانهم لا يشيرون الى مكان في العهد الجديد يذكر فيهِ السيد اقلّ استثناء لهذه القاعدة المطلقة التي تنهى عن الحلف بتاتًا ولو اراد السيد ان يستثني الحلف امام الحكام لكان قال الاّ في القضاء او امام الحكام كما ذكر عند الكلام عن الطلاق حيث قال الاّ لعلة الزنى . فعليهِ لا يليق بنا ان نعبث بهذه القاعدة العامة التي قد وضعها المسيح نفسهُ كما انهُ لا يليق بطهارة المسيحيين ان يجعلونا نحمل اثم مخالفة وصية السيد باستعمال الاقسام الكثيرة التي قد شاع استعمالها اساءة التفسير وهذا الاستثناء الموهوم

تعليم علماء اللاهوت والآباء الاولين وانهُ لامر مؤكد ان جهابذة علماء اللاهوت من كل الطوائف يعلمون حق العلم ان الآباء الاقدمين في الثلاثة القرون الاولى بعد المسيح فهموا ان السيد نهى عن كل نوع من الحلف فكيف لا نعجب اذًا من ان علماء الدين البابويين وكهنتهم الذين يتعهدون ان يفسروا الكتب المقدسة حسب شرح الآباء الاولين القديسين يفهمون

هذه الآيات المختلف عليها بعكس ما فهمها المتوسطون وهذا يبين سخافة وضلال التقليد البابوي لانهُ ان كانت كتابات الآباء تدلّ على ايمان الكنيسة فقد زاغوا عن تعليم الكنيسة في الثلاثة القرون الاولى فيما يتعلق بالحلف . ثم بما انهُ ليس البابويون فقط بل اللوثريون والكلفينيون وغيرهم قد وضعوا حدًّا لكلمات السيد ويعقوب الرسول . لذلك أرى انهُ من الضرورة ان ابين الاساس الفاسد الذي يبنون عليهِ حكمهم

(١١) اولاً انهم يعترضون بقولهم ان السيد نهى عن الحلف بالمخلوقات او الاشياء المخلوقة ويبرهنون على هذا انهُ عند النهي ذكر بعضها

ثانيًا انهُ نهى عن كل حلف باطل يذكر دون تروٍّ في المحادثات الاعتيادية لانهُ يقول ليكن نعمكم نعم ولاكم لا

فأُجيب اولاً ان الناموس ينهى عن الحلف بالمخلوقات وعن كل قسم باطل ينطق بهِ دون انتباه في المحادثات الاعتيادية منبهًا على ان الحلف يجب ان يكون باسم الله فقط . انما لا يجوز ان ينطق باسمهِ تعالى ان صدقًا وان كذبًا

ثانيًا يظهر جليًّا ان المسيح نهى عما كان مسموحًا بهِ تحت الناموس اي الحلف باسم الله لانهُ لم يسمح لاحد ان يقسم الاَّ بالله نفسهِ . ثم بما انهُ قال ولا بالسماء لانها كرسيّ الله فهو ينهى عن كل الاقسام الاخرى حتى القسم بالله لانهُ يقول ص ٢٣ : ٢٢ "ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليهِ" وهكذا يقال فيما بقي ايضًا

اخيرًا انهُ لكي يجعل المسألة غير قابلة للاعتراض البتة يقول ولا بقسم آخر . اما الحلف امام الحكام باسم الله فهو حلف لذلك هو بلا شك ممنوع

ثانيًا انهم يعترضون بقولهم انهُ لا يقصد بهذه الكلمات منع القسم باسم الله

لان الآب السموي امر بهِ ولان الآب والابن هما واحد فان قلنا ان الابن نهى عما امر بهِ الآب فكأننا نقول انهما ليسا واحداً

فأُجيب انهما حقاً واحد ولا يمكن ان يناقض احدهما الآخر الا ان الله الآب اعطى اشياء كثيرة لليهود في العهد القديم نظراً لضعفهم . وقد كانت تلك ظلّ الخيرات العتيدة لاحتيفتها الى ان جاء المسيح الذي هو الحقيقة فابطلها كلها اي السبوت والختان وخروف الفصح. كانت الذبائح تقدَّم لاجل خطايا الناس ضد الله تعالى وضد بعضهم البعض فبطلت كلها باتيان المسيح لانهُ الحق والكلمة الابدية والقسم الحقيقي والامين ومواعيد الله بهِ نعم وآمين وهو قد جاء ليخلص العالم من الخصومة والانقسام

ثالثاً انهم يعترضون قائلين ان الاقسام ليست فرائض ولا قسماً من ناموس الفرائض

فأُجيب انهُ ان لم يثبت ان تلك الفريضة ادبية ابدية غير متغيرة فلا يمكن ان تبقى فالاقسام ليست قديمة العهد كالاعشار او تقدمة اوائل الغلة التي قدَّمها قايين وهابيل قديماً قبل اعطاء الشريعة ولكنها كلها مها قيل فيها تبقى فرائض وقد بطل استعمالها

رابعاً انهم يقولون ان القسم باسم الله فريضة ادبية ثابتة لانها قسم من العبادة الجوهرية تث ٦: ١٣ و ١٠: ٢٠ "الرب الهك تتقي واياهُ تعبد وبهِ تلتصق وباسمهِ تحلف"

فأُجيب ان هذا لا يثبت انها فريضة ادبية ابدية لان موسى قد حكى في اماكن متعددة بنفس الطريقة عن كل الفرائض والرسوم كما في تث ١٠: ١٢ و ١٤ "والآن يا اسرائيل ماذا يطلب منك الرب الهك لتسلك في كل طرقهِ وتحبهُ وتعبد الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك وتحفظ وصايا الرب وفرائضهُ التي انا اوصيك بها اليوم لخيرك" و ١٤: ٢٣ يتكلم عن خوف

الله والاعشار على السواء وفي لاويين ١٩: ٢و٣ و١٢ يذكر السبوت واحترام الوالدين والاقسام معًا

خامسًا انهم يعترضون بقولهم ان منع المسيح لا يشمل الحلف الذي اوصى به الله لانه يقول وما زاد فهو من الشرير . اما الله فلم يأمر بشيء شرّير او من الشرير

فأجيب انه يوجد اشياء صالحة عند ما يوصي الله بها ثم لما ينتهي زمانها تصبح شرّيرة واشياء غيرها يوصي بها لكونها اصبحت باطلة كالختان والاقسام اللذان لما اوصى بهما كانا مستحسنين اما وقد بطلت فائدتهما في عهد الا مل فهما من الشرير

وهكذا كل الفرائض اليهودية وُجد فيها شيء من الصلاح في حينها كالرمز الى شيء فاضل . فالختان والتطهير وغيرها رمز الى قداسة الله ولكي يكون بنو اسرائيل قديسين كما ان الله قدوس هكذا الاقسام فريضة قصد بها صدق الله وامانته وحنانيته والتنبيه بواسطتها الى كلام الصدق في كل شيء لكي نشهد للحق

الحق قبل الاقسام اما الشهادة للحق فقد كانت قبل الاقسام وتبقى بعد ان تزول بتمامها لانها غاية كل حلف فما دام الانسان محافظًا عليها فلا لزوم للحلف . وقد شهد پوليبوس قائلاً ان استعمال الحلف كان نادرًا جدًا بين القدماء ثم بازدياد الكذب ازداد استعمال الاقسام . وقد صادق على هذا كروسيوس قائلاً ان الحلف يجب ان يكون علاجًا يستعمل عند اللزوم فقط . فاليمين الخشوعي يستعمل فقط لملافاة نقص لان خفة الناس وعدم استقامتهم اوجدا اختلافات كثيرة فجعل الحلف علاجًا لها . وقد قال باسيليوس الكبير ان القسم هو نتيجة الخطية . وامبروسيوس قال ان الاقسام اعتراف بالتقصير . ويوحنا فم الذهب قال ان الحلف ادخل عندما كثرت

الشرور واكثر الناس من الغش وفسدت المبادئ الاساسية فيكون سبب ادخال الحلف قلة الصدق وشهادات اخرى كثيرة نظير هذه تفوه بها غيرهم على انه لا حاجة الى شهود لان الحقيقة اكبر شاهد وهي تثبت نفسها لان من يحكم على الانسان ان يحلف جبراً وهو مقتنع بأنه يبغض الكذب . وقد قال الذهبي الفم وغيره ان لا فائدة من اجبار من يعتقد انه يتكلم الصدق الى حلف اليمين جبراً

(١٣) فاذاً انّ ما لم يكن منذ البدء وما لا فائدة ترجى منه منذ نشأته ولم يكن حسب مشيئة الله بل بسبب عمل الشيطان اي بسبب عدم الامانة والكذب والغش الذي هو اولاً اختراع الناس علاجاً عاماً لتلك المعصية فكانوا يدعون باسماء اصنامهم . وكما قال جيروم ويوحنا فم الذهب وغيرهما ان الله اعطى الحلف للاسرائيليين كما لاولاد لكي يمتنعوا عن التفوه باسماء اصنام الوثنيين ار ١٢: ١٦ لا يصح ان يكون فريضة ادبية ابدية . لذلك لا يصح ان يكون الحلف فريضة ادبية ابدية

اخيراً ان كل ما هو رجس ونجس وملطخ بالخطية كالاقسام في عصرنا هذا او المواعيد بقسم لا يليق ان تبقى فريضة مسيحية دائمة البتة

سادساً انهم يعترضون بقولهم ان الله اقسم فالقسم اذاً مستحسن

فاجيب بما قاله اثناسيوس بما ان الطريقة المثلى عند القسم ان يُقسم بآخر فالله لما اقسم كان مخالفاً لهذه الطريقة لكنه عندما تكلم مع الناس قيل انه اقسم لكي يظهر شدة ارادته وان ما تفوه به هذا اكيد ثابت . فهكذا قيل انه اقسم انظر مز ١١٠: ٤ حيث يقول "اقسم الرب ولن يندم" "واقسمت بنفسي" (قال الرب) وهذا ليس حلف لانه لم يقسم كما يقسم الانسان لذلك لا يمكننا ان نتخذه مثالاً للحلف ولكن لنعمل ونتكلم مظهرين ذواتنا قولاً وفعلاً اننا لا نحتاج الى قسم لاجل اقناع الذين يسمعوننا وحينئذٍ تكون كلماتنا

نفسها شهادة للحق ونكون قد اقتفينا مثال الله الصريح الواضح

انهم يعترضون بقولهم ان المسيح حلف لذلك يجب ان نقتدي بهِ

فاجيب ان المسيح لم يقسم اما لو فرض انهُ اقسم وهو في الناموس فهو لا يوجب علينا ذلك القسم في عهد الانجيل كما انهُ لا يوجب علينا الختان او عمل الفصح . وقد قال جيروم بهذا الصدد نحن كعبيد لا توافقنا كل الامور التي كانت توافق الرب . اما الرب فحلف كربٍ ولا احد يقدر ان يمنعهُ اما نحن العبيد فلا يجب ان نحلف لان الرب قد نهانا عن الحلف في ناموسهِ ولكن لكي لا يسبب لنا مثالهُ عثرة فهو لم يحلف بعد ما نهانا عن الحلف

ثامناً انهم يعترضون بقولهم ان بولس الرسول استعمل الحلف مراراً رو ١: ١ وفي ١: ٨ان الله "شاهد لي" و٢كو ١١: ١٠ "حق المسيح فيَّ" و٢كو ١: ٤٣ "ولكني استشهد الله على نفسي" ورو ٩: ١ "اقول الصدق في المسيح ولا اكذب" وغل ١: ٢٠ هوذا قدام الله اني لست اكذب فيهِ" وبولس الرسول نفسهُ يطلب بقسم من الآخرين ١كو ٥: ٢١ "أُناشدك امام الله والرب يسوع المسيح" و١تس ٥: ٢٧ اناشدكم بالرب ان تقرأَ هذه الرسالة على جميع الاخوة القديسين . فلو كانت كل انواع القسم ممنوعة لما تكلم بولس الرسول بهذا وهو رسول المسيح

فأُجيب على هذا كلهِ اولاً ان استعمال عبارات كهذه ليست اقساماً ولا يعتبرها مناظرونا اقساماً لانهُ ان كان لاجل شدة التنبيه في ظروف خصوصية . قيل اننا نتكلم الصدق بخوف الله وامامهُ او انهُ هو شاهد علينا ومفتش قلوبنا مردفين كلامنا بعبارات تاكيد مما ذُكر فان هذا الاعتراض عليهِ عندنا ولكننا نمتنع عن القسم حسب فريضة وضع اليد على الكتاب او رفع اليد او الاصابع مستعملين عبارة اليمين المصطلح عليها نحو ساعدني يا الله او ليعنّي الرب الاله القادر على كل شيء الخ

ثانيًا ان ما قالهُ بولس لا يوافق ما يستشهد مناظرونا بهِ فالرسول لم يكن امام حكام طلبوا منهُ ان يحلف اليمين وهو نفسهُ لم يتخذ صفة حاكم يطلب اليمين من الآخرين

ثالثًا ان الامر المهمّ ليس ما عملهُ بطرس او بولس بل ماذا يطلبهُ منا سيدهم وسيدنا فاذا حسبوا انهُ استعمل الحلف (اما نحن فلا نعتقد ذلك) يكون بحسب قولهم قد خالف وصية السيد وان يكن لم يحلف امام الحكام بل عند كتابة رسائل الى اصحابهِ

تاسعًا انهم يعترضون بقولهم لقد جاء في اشعياء ١٦:٦٥ وهو يتكلم عن زمان الانجيل قائلاً "فالذي يتبرّك في الارض يتبرّك بالٰه الحق والذي يحلف في الارض يحلف بالٰه الحقّ لان الضيقات الاولى قد نسيت ولانها استترت عن عينيّ لانني هانذا خالق سموات جديدة وارضًا جديدة" لذلك في هذا الوقت يجب ان يحلف باسم الرب

فأجيب ان الانبياء قد اعتادوا ان يعبروا عن اعظم الواجبات الانجيلية باصطلاحات موسوية كما يتضح من ار ٢:٤ و ٣٩ و ٤٠ وحز ٢٦:٣٥ وص ٤٠ واش ٢٣:٤٥ "بذاتي اقسمت . . . . . انهُ لي تجثو كل ركبة يحلف كل انسان" حيث يعبر عن برّ اورشليم الجديدة وطهارة الانجيل وعبادتهِ الروحية والاعتراف باسم المسيح على نسق واحد كما تكلم عن اورشليم القديمة تحت رسوم الناموس وتطهيراتهِ واسماء الفرائض وخدمة الهيكل وذبائحهِ واقسامهِ الخ . ثم ان ما يعبّر عنهُ النبي هنا بكلمة "يحلف" يفسرهُ بولس الرسول صريحًا بكلمة "يحمد" رو ١١:١٤ "لانهُ مكتوب انا حي يقول الرب انهُ لي ستجثو كل ركبة وكل انسان سيحمد الله" فعند النظر الى هذه الكلمات بامعان صحيح يظهر جليًّا انها عند ما كتبها النبي تحت الناموس لما كانت الاقسام مستعملة قال " يحلف كل انسان" اما الرسول تحت ناموس الانجيل

عند ما بطلت الاقسام قال "وكل انسان يحمد الله"

عاشراً انهم يعترضون بقولهم ان الرسول استحسن القسم المستعمل بين الناس كما يظهر من كتابة عب ٦: ١٦ فان الناس يقسمون بالاعظم ونهاية كل مشاجرة عندهم لاجل التثبيت هي القسم والآن يوجد خصومات وخداع واختلافات كما كان يومئذٍ لذلك فمن الضرورة ابقاء القسم

فأجيب ان الرسول يروي حقيقة ما استعمله وقتئذٍ أناس كانوا عائشين في الخصومات وعدم الثقة وليس ما يرغب فيه او ما عمله القديسون الذين أنقذوا من الخصومات والظنون باتيانهم الى المسيح الذي هو "الحق والامين" بالله وعدا عن ذلك انه يشير الى عادة مستعملة بين الناس لكي يبين شدة صدق الوعد الالهي ويحث القديسين الى زيادة الثقة بمواعيد الله وليس لكي يحثهم على استعمال القسم المخالف لشريعة الله او يثبتهم فيه كما انه في اكو ٩: ٢٤ لا يعلم المسيحيين الاشتراك في المسابقة الباطلة التي فيها احياناً كثيرة يعرض الناس انفسهم الى الخطر لاجل الحصول على جعالة تفنى وكما ان السيد ايضاً وهو رئيس السلام لا يشير بالاشتراك بالحروب مع انه في لو ١٤: ٣١ يخبرهم عن الطريقة الموافقة التي يتخذها الملوك المحاربون قبل الدخول في حرب

ثانياً ان ما يتخذونه حجة من ان الخصومات وعدم الامانة والاختلافات وصلت الى درجة تجعل استعمال القسم لازماً اليوم كما في الزمان السابق

فاقول انني لا انكر فساد العصر الحاضر لان الاختبار يرينا يومياً ان انواع الغش والشرور بازدياد دائم بين الناس العالميين والمسيحيين بالاسم ولكن ليس بين المسيحيين بالحق واذا فقدت الثقة بين الناس وصاروا يتطلبون الحلف من بعضهم البعض فلا يعد هذا برهاناً على ان المسيحيين يجب ان يتخذوا الحلف

سنة لان الذين هداهم المسيح الى الصدق والامانة نحو الاله الحيّ ونحو بعضهم البعض قد اعتقهم من الخصام والغشّ وبالنتيجة من الاقسام

حادي عشر انهم يقولون اننا لو سلمنا ان لاحاجة الى الحلف بين المسيحيين بالحق فما هي الطريقة التي يمكننا ان نميزهم بها عن غيرهم . فبناء على عدم امكان تمييزهم يجب الحكم بلزوم الحلف ويجوز المسيحي ان يحلف ارضاء للذين لا يقرّون بأن هذا الانسان او ذاك هو مسيحي بالحق

فأُجيب انهُ لا يجوز للمسيحي الذي دعاهُ السيد الى الحق القويم الكائن قبل كل الاقسام ان يحلف لان السيد نهى عن الحلف وامر بالتزام الصدق في كل شيء فاكراماً لمن دعاهُ ولكي يتضح للجميع ان كلام المسيحي يجب ان يصدق اكثر من حلف الرجل العالي لا يليق بالمسيحيين ان يضعوا امانتهم ارضاء للآخرين او هرباً من احتمال الاضطهاد فالمسيحيون الاولون بقوا امناء عدّة اجيال ولما احضروا لكي يحلفوا اجاب كل واحد منهم انني مسيحي لا احلف

شهادة الوثنيين ضد الحلف وماذا اقول عن الوثنيين فالبعض منهم كما يشهد القديسون توصلوا الى هذه الدرجة الراقية . فقد قال ثيودورس سيكولوس "ان اعطاء اليد اليمنى عند الفرس كان علامة التكلم بالصدق" والسيثيون حسبما قال كريثوس انهم في مؤتمر مع اسكندر الكبير خاطبوهُ قائلين "لا تظنّ ان السيثيين يجب ان يحلفوا لكي يبرهنوا صدقهم لانهم انما يبرهنون على صدقهم بالمحافظة على مواعيدهم" ويروي ستوبيوس ستدم ان سولون قال "يجب ان يحلّ الرجل الفاضل فلا يطلب منهُ ان يحلف لكي يبرهن صدقهُ لان الحلف يخفف من اعتبارهِ" وفيثاغوروس في خطبة لهُ عن المعاملات فاه بهذه القاعدة مع امور اخرى "لا يجب ان يطلب من احد ان يحلف بالله اثباتاً لصدق كلامهِ حتى في المحاكمات بل ليلتزم كل واحد

الصدق لكي يكون اهلاً لان يصدَّق دون قسم" وباسيليوس الكبير ينصح كلينياس الوثني قائلاً "انهُ افضل لك ان تدفع ثلاث وزنات (وهي تساوي ثلاثة آلاف ليرة) ولا تحلف" وقد قال ستوبيوس ان سقراط فاه بما يأتي "ان واجبات الناس الافاضل ان يظهروا للعالم ان سلوكهم واعمالهم اثبت من اليمين" وهكذا كانت مبادئ سقراط وافلاطون اثبت ضد الحلف في محاكمة كنيليانوس قائلاً "ان الاقدمين عدّوا طلب اليمين تحقيراً فاذا سئل شريف ان يحلف اليمين كان ذلك دليلاً على الارتياب في صدقهِ" وقد قال الامبراطور مرقس انطونيوس في وصف الرجل الصالح "ان الثقة بهِ يجب ان تكون ثابتة فلا يحتاج الى حلف" وقد شهد ايضاً بعض اليهود كما حكى كروثيوس عن ميموندس الاجدر بالانسان ان يمتنع عن كل حلف. وقد روى فيلو تجوديوس عن الاسينيين "انهم اعتبروا كلمتهم اثبت من اليمين لذلك لم يكن للحلف اعتبار عندهم" وفيلو نفسهُ عند الكلام في الوصية الثالثة يقول "الاوفق ان يمتنع الجميع عن الحلف ويتعوّد كلام الصدق لان الكلمات البسيطة المجرَّدة لها قوّة الحلف" وقد قال في موضع آخر "ان الامتناع عن الحلف تماماً ينطبق على العقل السليم لان قول الانسان الفاضل لهُ قوّة اليمين تماماً"

المسيح يمنع عن الحلف فهل يليق باحدان يعتقد بأن السيد المسيح الذي يريد ان يرقي تلاميذهُ الى اعلى درجات الكمال ابقى لهم الاقسام التي هي جرثومة الضعف ولم يوصهم ان يتكلموا بالصدق دونها او من يظنّ ان الشهداء القديسين والآباء الاولين الذين قاوموا الحلف في الثلاثة الاجيال الاولى وذهب كثيرون مذهبهم بعدهم يجوّزون الحلف بالمخلوقات والاصنام الوثنية التي كانت مكروهة في عهد الناموس الموسوي حال كونهم يمنعون الحلف صدقاً باسم الرب مع ان ناموس موسى يوصي بهِ

شهادة الآباء ضد الحلف والاقسام واقوال علماء الديانة المسيحية في هذا كثيرة واضحة يزول عند مطالعتها كل شكٍّ من هذا القبيل وهذه اسماء بعضهم بوليكربوس . تجوشن . مارتر . يوسيبيوس . ترتوليان . اكليمندس الكزندرينوس . اوريجان . كبريانوس . اثناسيوس . هيلاربوس . باسيليوس ماكن . امبروس . ابرونيموس . أيدم . اوغسطينوس . سيرلوس . تيودوريتس . ايسيدوروس . پالوسيوتا . كرومانيوس . تجوهناس . داماسينوس كاسيودورس . ايسيدورس . هسپالنسس . انتيوخوس . امبروسيوس انسبرتوس . تيوفيلكس . وغيرهم فمن يطالع كتابات هولاء ويبقى عندهُ اقلّ ريب فيما كانوا يعتقدون ألم يحن الوقت الذي يجب ان يعمل فيهِ كل الرجال الصالحين معًا لاجل تحرير الديانة المسيحية من هذا العار المذلّ

اخيرًا انهم يعترضون بقولهم ان المنع يشجع الغش وعدم الاستقامة لان المعوّجين يزيغون عن الحق ويتفوهون بالكذب دون خوف العقاب

فأُجيب ان الانسان يلتزم الصدق لامرين اولها خوف الله في القلب والثاني محبة الحق فمتى وُجدت هاتان الخلتان في امرء لالزوم للحلف لاجل التكلم بالصدق

قصاص الكذابين اما خوف قصاص القضاة فيهابهُ المخاتلون الذين يدّعون بالظاهر فقط انهم يحافظون على البساطة والصدق . فليفرض اذًا نفس القصاص بل اعظم منهُ على الذين يمتنعون عن الحلف بتاتًا بدعوى انهم يفعلون ذلك من اجل الضمير ولانهم يتفوّهون دائمًا بالصدق اذا ثبت انهم غير مخلصين . وبهذا يكون نفس الترتيب والنظام قد جرى بحقهم ويأمن الناس مكر الغشاشين اكثر مما لو حكم عليهم بحلف اليمين اذ يقع عليهم قصاص اعظم فيخاف المكرة وينجو رجال الله الصالحين من الاضطهاد والظلم وسلب الحرية والمال لاجل اتباع وحي ضميرهم والله يعتني بالحكومة

وشؤونها وهي اذ ذاك مقبولة لديهِ

مثل نذرلند المتحدة ومن ارتاب في انهُ يمكن العمل بموجب هذا الناموس دون ايقاع ضرر بالمصلحة العامة فلينظر الى نذرلند المتحدة فيرى الفوائد العظيمة الناتجة عنهُ . فعدد التجار القائلين بمنع الحلف قد كان عظيماً والحكومة منحتهم بذلك تمام الحرية منذ بضع مئات من السنين (قبل ١٦٧٥) حتى انهُ يوجد يومياً قضايا من هذا النوع ومع كل هذا لم تتضرر المصلحة العامة او الحكومة او النظام بل ازدهت التجارة وزاد الدخل العمومي

الانتقام والحرب مخالفان لروح المسيح

(١٣) سادساً نختم بحثنا هذا في الكلام عن الانتقام والحرب اللذين نعتبرهما شرّين مخالفين لروح تعليم المسيح مخالفة الظلمة للنور لانهُ بواسطة الازدراء بوصايا المسيح كما قد بينا فيما سبق امتلأ العالم روح انتقام ولعن وتجديف وحلف وخبث وبواسطة احتقار نواميس الله تعالى ساد الظلم والتساوة والتعدّي والتخريب وكل انواع الخشونة والفظاعة . وقد اصبح من الغرابة المدهشة ان الانسان وهو مخلوق على صورة الله تقهقر الى الوراء وتطوّر باطوار افظع السباع واشرس الاسود الكاسرة والنمرة الممزقة والذئاب المفترسة والدببة الهائجة نابذاً اطباع الخليقة المادئة المزدانة بالعقل . اما ما يوجب الاسف العظيم ان شبح الحرب الهائل القبيح قد وجد منفذاً رحباً متسعاً بين الذين يدعون انفسهم تلاميذ الرب يسوع المسيح رئيس السلام الذي كان يكرز ضد كل انواع الخشونة والعنف موصياً تلاميذهُ ان يسلكوا نظيرهُ في الصبر والمحبة والاحتمال متبعين الفضيلة التي تليق بمن يحمل اسمهُ وهاك

ما قالهُ ذلك النبي العظيم الذي يجب ان يطاع من الجميع مت ٥: ٣٨ الى آخر الاصحاح "سمعتم انهُ قيل عين بعين وسنّ بسنّ ٣٩ واما انا فاقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الايمن فحوّل لهُ الآخر ايضاً ٤٠ ومن اراد ان يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك لهُ الرداء ايضاً ٤١ ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معهُ اثنين ٤٢ من سألك فاعطهِ ومن أراد ان يقترض منك فلا تردهُ"

السيد المسيح يحرّم الانتقام سمعتم انهُ قيل تحب قريبك وتبغض عدوّك ٤٤ واما انا فأقول لكم احبوا اعداءكم باركوا لاعنيكم احسنوا الى مبغضيكم وصلّوا لاجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم ٤٥ لكي تكونوا ابناء ابيكم الذي في السموات فانهُ يشرق شمسهُ على الاشرار والصالحين ويمطر على الابرار والظالمين ٤٦ لانهُ ان احببتم الذين يحبونكم فايّ اجر لكم أليس العشارون ايضاً يفعلون ذلك ٤٧ وان سلّمتم على اخوتكم فقط فأيّ فضل تصنعون أليس العشارون ايضاً يفعلون هكذا ٤٨ فكونوا انتم كاملين كما ان اباكم الذي في السموات هو كامل" فهذه الكلمات تنهى عن الانتقام كما ان الكلمات التي قبلها تنهى عن الحلف وكلاهما كانا جائزين سابقاً عند اليهود نظراً لحالتهم والعهد الذي وجدوا فيهِ

ناموس المسيح اكمل من ناموس موسى اما الذين يرغبون في ان يكونوا تلاميذ المسيح فقد اوصاهم ان يعيشوا بالمحبة الكاملة وبكل معنى الكلمة اي بالصبر والاحتمال وذلك فوق ما كان يطلب من الذين عاشوا قبلهم في ناموس موسى والمحيط الذي وُجدوا فيهِ واكثر الآباء الاوّلين ان لم نقل كلهم في الثلاثة الاجيال الاولى وغيرهم ايضاً ممن جاءوا بعدهم عاشوا عيشة المحبة وحكموا بوجوب اتباعها ويمكن القول بطريقة عامة ان كل الذين

فهموا حقيقة شريعة المسيح المختصة بالحلف وجاهروا بها قد اتفقوا في تقبيح الحرب بتاتاً

شهادة الآباء ضد الحرب وهذا يتضح من كلام يوستينس مارتر وكثيرين غيره الذين تكلموا في شرح الاصحاح الخامس من متى وغير اماكن واوغسطينس مع انهُ يخالف غيرهُ في غير مسائل فهو يوافقهم من هذه الجهة في كل الاماكن. وهذا يظهر انهُ يوجد علاقة بين هاتين الوصيتين التي اوصى بها المسيح اي ضد الحلف والحرب فكما انهُ اوصى بهما في وقت واحد وجد من قبلهما وعلم بهما في كل العصور ليس فقط لما كان عدد الرسل قليلاً عند نشأة الكنيسة الاولى بل بعد ان تكاثر عدد التلاميذ في الثلاثة الاجيال الاولى حتى وفي زمن الارتداد لم تقبل احدى الوصيتين وترفض الاخرى. وهكذا في وقتنا الحاضر في ايام التجديد وانتعاش بشرى الانجيل الابدي قد صار الاقرار بهما كفريضتين ابديتين غير مفترقتين ملازمتين لحالة الكمال الانجيلي الذي اذا قصر احد عنهُ عُدَّ مقصراً عن الكمال المسيحي

ناموس المسيح ضد الاضطهاد والحرب والخصومات في العهد الجديد اما هذه الكلمات فهي حقاً واضحة بنفسها لا تحتاج اسهاباً في الشرح لانهُ ان امكن تطبيق متعاكسين يمكن التطبيق بين شرائع الرب يسوع المسيح واعمال الحرب الشريرة لانهُ من يقدر ان يوفق بين لا تقاوموا الشرَّ بالشرِّ وبين مقاومة القوَّة بالقوَّة. بين قدّم خدَّك الآخر واصفعهُ ثانية. بين احبوا اعداءكم ومزقوهم واسلبوهم وحكموا البندقية والسيف فيهم. بين صلوا لاجل الذين يضطهدونكم ويعيّرونكم وبين عذّبوهم واحسدوهم واقتلوهم والاضطهاد قد لا يحصر بمن يراد بهم سوءا بل قد يتخطاهم الى من يرغب لهم الخير ويسعى لاجلهِ ومن يقول بامكان التوفيق بين هذه الاضداد كأنهُ يقول انهُ لمن الممكن ان يوفق بين الله والشيطان او بين المسيح وضد المسيح او بين

النور والظلمة والخير والشرّ . فكما يستحيل التوفيق بين هذه كلها هكذا يستحيل التوفيق بين الحرب وديانة المسيح اما من يجمع بينهما فهو مخدوع يضلّ نفسهُ ويضلل الآخرين ايضاً

(١٤) على ان البعض قد يتعدّون وصية المسيح هذه سهوًا وبحسب العادة او التقليد فسأبين بالاختصار شدّة مخالفة الحرب لوصايا المسيح والفرق العظيم الذي لايمكن توفيقهُ بينهما وأثبت انها غير جائزة لاتباع المسيح مطلقًا

(١) ان المسيح علمنا ان نحب أعداءنا اما الحرب فبالعكس توجب بغضهم واهلاكهم مت ٥: ٤٤

(٢) قال الرسول ان محاربتنا ليست مع لحم ودم اف ٦: ١٢ اما الحرب العالمية فهي مع لحم ودم لاجل اراقة دم الواحد وهلاك الآخر

(٣) ان اسلحة محاربتنا حسب قول الرسول ليست جسدية بل روحية ٢كو ١٠: ٤ اما اسلحة الحرب فجسدية المدفع والبندقية والسيف والرمح وكلها لايذكرها بولس عند تعداد اسلحة الروح

(٤) ان يعقوب الرسول يشهد ان الحروب هي نتيجة اللذات المحاربة في اعضاء الانسان العالمي يع ٤: ١ اما المسيحيون اي القديسون فقد صلبوا الجسد مع الاهواء والشهوات غل ٥: ٢٤ فلا يمكنهم ان يتلطخوا بالحروب فيما بعد

(٥) ان النبيين اشعياء وميخا تنبأا صريحًا ان المسيح في جبل بيت الرب سيقضي بين الشعوب فيطبعون سيوفهم سككًا اش ٢: ٤ مي ٤: ٣ الخ والآباء الاولون في الثلاثة الاجيال الاولى اثبتوا قبول هذه النبوات في عصرهم وكانوا معاكسين للحرب على خطّي نقيض . وقد كتب بهذا الشأن نجوستن مارتير وترتوليان وغيرهما . ولاعجب من هذا لان فيلو تجوديوس شهد ان الاسونيين لم يوجد بينهم من اراد ان يعمل ادارة حرب وكم تمنى السيد المسيح ان يحفظ

اتباعهُ من الحرب ويقتادهم الى المحبة والصبر

(٦) ان اشعياء النبي تنبأ قائلاً "لا يؤذون ولا يهلكون في كل جبل قدسي قال الرب" اش ٦٥: ٢٥ اما الحرب فهي للاذية والهلاك

(٧) السيد المسيح قد قال ان ملكوته ليس من هذا العالم يو ١٨: ٣٦ لذلك خدّامهُ لا يحاربون . فكل الذين يحاربون ليسوا تلاميذ المسيح لانهم ليسوا من خدّامهِ

(٨) ان السيد المسيح وبخ بطرس لانهُ استعمل السيف قائلاً ردَّ سيفك الى غمدهِ لان الذين يأخذون بالسيف بالسيف يؤْخذون مت ٢٦: ٥٢ وما اجمل ما تكلم بهِ ترتوليان بهذا الصدد "كيف يقدر المسيحي ان يحارب والسيد قد اخذهُ ؟ ومع ان بعض الشرطة جاءوا الى يوحنا وحازوا ديهِ قبولاً الا ان قائد المئة الذي آمن بعد ذلك فلا بدَّ انهُ نزع سلاح اكل عسكري كما نزع السيد سلاح بطرس . وايدم دي كورون سأل هذا السؤَال هل يجوز استعمال السيف بعد ان قال السيد الرب كل من يأخذ بالسيف بالسيف يؤْخذ

(٩) ان الرب علَّم التلاميذ قائلاً "لا تنتقموا لانفسكم ايها الاحباء (لا تجازوا شراً بشرّ) بل اعطوا مكاناً للغضب لانهُ مكتوب لي النقمة انا أُجازي يقول الرب فان جاع عدوُّك فاطعمهُ وان عطش فاسقهِ" رو ١٢: ١٩ اما الحرب بجملتها وفي كل انواعها فتعلم بعكس هذا وتقترح ضدهُ

(١٠) ان المسيح طلب من تلاميذهِ ان يحملوا صليبهُ مرقس ٨: ٣٤ وليس ان يصلبوا ويقتلوا الآخرين فهو يدعوهم للصبر وليس للانتقام يأتي بهم الى الحق والبساطة وليس الى الغشّ والخداع والوشاية التي ترافق الحرب التي نهى عنها يوحنا يدعوهم لكي يهربوا من امجاد هذا العالم وليس لكي يطلبوهُ بطرق حربية مهما كلفهم الامر

فالحرب اذًا هي معاكسة تمامًا لشريعة روح المسيح

(١١) انهم يعترضون قائلين ان ابرهيم حارب قبل اعطاء الناموس والاسرائيليين حاربوا بعد اعطائهِ

(١) فاجيب كما اجبت سابقًا ان ابرهيم قدَّم ذبائح في ذلك الزمان وختن كل ذكر وكلا هذين غير جائز لنا الآن في عهد الانجيل

(٢) ان الاسرائيليين لم يشرعوا في هجوم او دفاع حسبما ارادوا ولكنهم قبل الشروع كان عليهم دائمًا ان يسألوا الرب

(٣) لان حروبهم ضد الشعوب الشريرة كانت رمزًا الى حرب المسيحيين ضد الاعداء الروحيين ويقصد بهذه الحرب الغلبة على الشيطان والعالم والجسد

(٤) ان المسيح في مت ٥: ٣٨ يمنع صريحًا ما كان مسموحًا بهِ لليهود قديمًا لاجل صلابة قلوبهم. ثم اعطانا وصية معاكسة فامرنا بالصبر والمحبة الشيء الذي يطلبهُ موسى من شعبهِ . وقد تكلم ترتوليان بهذا بالصواب عند ما قال ان المسيح يعلم صبرًا جديدًا فيمنع الانتقام والمضرَّة بالغير الذي سمح بهِ الخالق سابقًا . وقد قال غيرهُ ان الناموس ربح اكثر مما خسر بسبب الآية التي تفوَّه بها المسيح احبوا اعداءكم .وقد شهد اكليمنضس المكسندر عن المسيحيين في عصرهِ قائلاً ابتعد المسيحيون عن الحروب فلم يكن اثر للعنف او الانتقام بينهم . وقد قال لاتمسحوا وجوه الاصنام لان اعتبارهم ممنوع كما انهُ لايجوز حمل السيف والقوس لمحابي السلام ولا الكاس لمتبعي التعقل

ثانيًا انهم يعترضون بقولهم ان المدافعة هي حقٌ طبيعي والديانة لاتنقض الامور الطبيعية

فأُجيب انهُ لو فُرض ان المدافعة حق طبيعي فامر اطاعة الله والامتثال لهُ بالايمان والصبر لاينقض الامور الطبيعية بل يرقيها ويكملها اي يرفعها

من الحياة الطبيعية الى ما هو فوق الطبيعة بواسطة حياة المسيح في الداخل المقرونة بالتعزية والقوّة فيعظم انتصار المسيح في كل الاشياء

ثالثًا انهم يعترضون بقولهم ان يوحنا لم يقبح الحرب عند ما حضر اليه جنديون

فاجيب اننا لا نبحث الآن في مبادئ يوحنا بل في مبادئ المسيح لاننا تلاميذهُ ولسنا تلاميذ يوحنا . المسيح هو النبي الذي ينبغي ان نسمع له وليس يوحنا ولما قال المسيح "بين المولودين من النساء ليس اعظم من يوحنا المعمدان" لو ٧: ٢٨ اردف كلامهُ قائلاً "ولكن الاصغر في ملكوت الله اعظم منهُ" ولكن في الوقت نفسهِ اذا انعمنا النظر في جواب يوحنا نرى انهُ لا يبرّر الروح العسكري العصري لاننا لدى اقلّ تأمل نجد انهُ يهاجم عن ممارسة وظيفتهم اذ قال لهم لا تظلموا احدًا ولا تشوا باحد واكتفوا بعلائفكم . فاذا امتنع الجندي عن الظلم والخداع لا يمكنهُ ان يحارب لان الدهاء والعنف والظلم من اخصّ صفات الحروب الحاضرة وهي نتاج المعارك الطبيعية

رابعًا انهم يعترضون بقولهم ان كرنيليوس وقائد المئة المذكور في مت ٨: ٥ كانا جنديين ولا يقال انهما تركا خدمتهما العسكرية

فاجيب انهُ لا يقال ايضًا انهما داوما وظيفتهما على انهُ يرجح انهما اذا بقيا مداومين على اتباع المسيح (ولا يذكر الكتاب انهما تركا الايمان) لا يمكنهما مداومة وظيفتهما ولاسيما لانهُ بعد ذلك في الجيلين او الثلاثة الاجيال الاولى منع الرسل الحرب تمامًا . وقد كتب الامبراطور مارك انطوان بعد ذلك بمدة طويلة وكلامهُ حريّ ان يصدّق "انني صلّيت لآلهة بلادي وعند ما رأيت انهم تركوني والعدوّ محدق بي فلفئة جنودي دعوت واحدًا وطلبت الذين يسمّون مسيحيين ولم يكن عددهم بقليل فاجبرتهم بتهديدات غير لائقة لانني بعدئذ علمت ما هو مصدر قوّتهم ونشاطهم وذلك انهم تعهدوا ان

لا يحملوا القسي ولا ينفخوا بالابواق احتراماً لاسم المهم الذي قدَّسوهُ في ضمائرهم"
وقد كان هذا نحو ١٦٠ ب.م وقد قال تجوستن مارتر ان المسيحيين اجابوا
"اننا لا نحارب اعداءنا" وجواب مارتن لجوليان المرتدّ عن الايمان كما نقله
سيستوس "انني جندي للمسيح ولا يمكني ان أُحارب" وقد كان هذا بعد المسيح بثلاث
مئة سنة فيظهر جلياً مما تقدم ان المسيحيين الاولين لم يشتركوا باعمال حربية
فكيف يتمسك Vincentius Lyrinensis والبابويون بقانونهم ان كل
ما قبله الجميع دائماً وفي كل مكان الخ ? ام كيف يتخلص الكهنة من القسم الذي
يقسمون بهِ انهم دائماً يفسرون الكتب المقدسة حسب تعليم الآباء وكما تسلَّموها
منهم ? لا اعلم لانهُ ان كان ممكناً ان تنكر الشمس في رائعة النهار يمكن ان تنكر
ان المسيحيين الاولين حرموا الحرب وروح الانتقام

اضطهاد المسيحيين لعدم حملهم السلاح وصيامهم وصلواتهم لاجل
الانتصار ومع أن هذا الامر معروف تمام المعرفة قد اهملتهُ كل الطوائف
تقريباً محتقرة ناموس المسيح حتى انهم يضطهدون الذين يرفضونهُ اتباعاً لوحي
ضميرهم . وقد جرى علينا اضطهاد عظيم في بلادنا لاننا لا نحمل السلاح
ولا نسلم ان نرسل من ينوب عنا او ندفع بدلاً عسكرياً او مواد عسكرية
ولاننا لا نقفل ابواب بيوتنا ومخازننا ايام الاحتفالات والصلوات وطلب الغلبة
والنجاح للدولة التي نعيش تحت لوائها او نقدم الشكر لاجل الانتصارات
المكتسبة باراقة دماء كثيرة . وهم يشددون في ارغام اخوتنا العائشين في
ممالك مختلفة عند ما تكون تلك الممالك في حالة حرب مع بعضها ان يطلبوا
من الله اموراً متباينة متعاكسة وبالنتيجة غير ممكنة لانهُ لا يمكن ان يكون النصر
على الجانبين ونحن معرَّضون للاضطهاد لكوننا لا نسلم معهم بهذا الخلط حتى
ان بعض الذين يعتقدون كما نعتقد نحن انهُ لا يجوز للمسيحيين استعمال السلاح
نظروا الينا شزراً عند عدم اشتراكنا بهذه الاحتفالات . ولكن من بعد امينا

حنيفياً في هذه المسئلة هل هم الذين عند صدور اوامر الحكام يقفلون حوانيتهم وبيوتهم ويحضرون الاجتماعات لاجل الدعاء لعساكرهم بالنصر او تقديم الشكر لاجل الفوز بالانتصارات مع انهم ينكرون الحرب ام نحن الذين نمتنع عنها كلها طبقاً لوحي ضميرنا ولكي لا ننقض ما نجاهر به . وبعد ان ذكرت ما قد ذكرت اترك الحكم فيه لكل ذي عقل سليم

خامساً انهم يعترضون بقولهم ان المسيح في لوص ٢٢ : ٣٦ وهو يتكلم مع تلاميذه يقول لهم ان من ليس له سيف فليبع ثوبه ويشتري سيفاً ومن هنا يستنتجون ان استعمال السلاح جائز

فاجيب لقد فهم البعض ان المسيح قصد بهذا السلاح الخارجي مع انهم يعتقدون ان الحرب غير جائزة للمسيحيين فقالوا ان حمل السلاح مسموح به في ذلك الوقت فقط وبين هولاء امبروس الذي تكلم بهذا المعنى قائلاً "يا رب لقد امرتني ان اشتري سيفاً ثم منعتني عن ان اضرب به فلماذا تأمرني ان املك ما لا تسرّ ان استله أليس لكي تكون معدّات الدفاع جاهزة عندي ولكن ليس لاجل الانتقام لانه لما يسهل عليّ الانتقام لنفسي يجب ان امتنع عنه لان الشريعة تنهاني عن ان أُقابل الشرّ بالشرّ". ولذلك اجاب السيد بطرس عندما قال هوذا سيفان هنا يكفي فكأنه كان جائزاً قبل عصر الانجيل لان بالناموس معرفة الخطية . اما الانجيل فيهدينا الى الصلاح الكامل . وقد قال غيرهُ ان المسيح تكلم هنا مجازاً ولم يقصد المعنى الحرفي كما قال اوزغن في شرح مت ١٩ "اذا نظر احد الى الحرف ولم يفهم المعنى فهماً حنيفياً تبادر الى ذهنه انه يجب ان يبيع ثوبه ليشتري سيفاً مفسراً كلام المسيح بخلاف المقصود منه فيهلك لان السيف الذي تكلم عنه المسيح لا محل له هنا لاننا بالحقيقة لما ننظر الى جواب التلاميذ يا سيد هوذا سيفان دليل اتخاذهم المعنى الحرفي فاجابهم السيد هذا يكفي الذي يتضح منه جلياً انه لم يرد

ان يقتني الباقون سيوفاً او يبيعوا ثيابهم ويشتروا سيوفاً (ان كان عندهم سيفان) فلو قصد المسيح المعنى الحرفي كما يظن البعض فهل يكفيهم كلهم سيفان ؟ وهذا برهان كاف يتضح لنا منه انه لا يجوز استعمال السلاح في عصر الانجيل

سادساً انهم يعترضون بقولهم ان الكتب المقدسة والآباء الاقدمين منعوا الافراد فقط من الانتقام لانفسهم ولكنهم لم يحرّموا عليهم استعمال السلاح في الدفاع عن الوطن والنفس والنساء والاولاد والمقتنيات عند ما تدعوهم الحكومة لان اطاعتها واجبة نعم ان الافراد لا يسوغ لهم ذلك من تلقاء انفسهم لكنهم مقيدون باوامر الحكومة عند الاقتضاء

فاجيب الحكام المسيحيون مقيدون بحفظ وصية السيد انه ان كان الحاكم مسيحياً حقيقياً او يرغب في ان يكون مسيحياً فهو نفسه مقيد باطاعة وصية سيده القائلة "احبوا اعداءكم" وعندئذٍ لا يمكنه ان يأمرنا بقتلهم . اما اذا كان غير مسيحي فيجب ان تتقدم طاعة سيدنا ومليكنا الذي طاعته واجبة على الحاكم ايضاً لان الكل يجب ان يخضع لملكوت المسيح الملك والصعلوك الرفيع والوضيع الكبير والصغير فيا للاسف اين هذه الطاعة فما اعظم السقوط !

لودفيف ضد السلاح وقد قال لودفيف في هذا عند ما دخل الحاكم الى الكنيسة لم يدخلها كما يجب كمسيحي حقيقي بسيط لكنه أدخل معه عظمته وشرفة السلطنة واوسمة انتصاراته وشامخة كبريائه وازدرائه وهكذا دخل بيت الله مصحوباً بالشيطان وكأنه جمع متضادين معاً ما يختص بالله وما يختص بابليس وهذا امر مستحيل كما يستحيل الجمع بين القسطنطينية ورومية والبرّ والبحر فاصل بينها

وقد قال بولس الرسول اي شركة للمسيح مع بليعال فالغيرة تبرد

رويداً رويداً والايمان ينقص والتقوى تضمحل وعوضاً عن ان نبقى متمسكين بالحقائق الثمينة نقبض على الظلّ فيا حبذا لو قدرنا ان نبقى ثابتين فيها

حكام العالم المسيحيين في الوقت الحاضر اخيرًا يظهر ان امر الدفاع عن النفس هو آخر ما يمكن الانسان العالي ان يسلم به ولكنهُ اوّل ما تطلب تضحية الديانة المسيحية الحقيقية التي تعرف بانكار الذات التامّ والتسليم الكامل لله وكفى بالسيد المسيح ورسلهِ مثالاً لذلك . اما حكام العالم المسيحيين في عصرنا الحاضر فمع اننا لاننكر جواز اطلاق اسم مسيحيين عليهم لانهم يعترفون جهارًا باسم المسيح الاّ اننا نقول دون تردد انهم بعيدون جدًّا عن كمال الديانة المسيحية لانهم في حالتهم (كما قد سبقت فقلت) غرباء عن طهارة عهد الانجيل وما زالوا في هذه الحالة يمكن ان يقال عنهم انهم اذا اشهروا حربًا لسبب موجب حسب زعمهم ان ذلك جائز لهم لانهُ كما سمح لليهود بالختان وطقوس اخرى لمدة ما ليس لكون هذه الطقوس جوهرية او ضرورية ولاسيما بعد قيامة المسيح بل لان روحهُ قد تأسّس فيهم لكي يُعتَقوا من ظلّ هذه الرموز وهكذا الحال مع الذين يعترفون باسم المسيح في الوقت الحاضر ولا يزالون يخلطون بين الامرين لانهم لم ينالوا روح التأنّي ولا يزالون مقصرين عن الدرجة المسيحية السامية والكمال الذي يمكنهم معهُ الدفاع عن انفسهم بالسلاح لانهم يتوكلون على الله المعتني بهم

الخلاصة

(١٦) والخلاصة اخيرًا ان الالقاب لاتعطى غالبًا بحسب الاستحقاق بل يمنحها أناس اشرار لمن هم نظيرهم سواء كان السجود لبعضهم البعض او التكريمات الشفاهية كقولهم عبدك المطيع او ما اشبه وهي لايقصد فيها

الاخلاص في الكلام والخدمة الحقيقية وعليهِ فان امكن تعدّ هذه التشريفات من الله وليس من اسفل يكون مناظرونا المؤمنين الحقيقيين ونحن المتعظمون المكابرون لاننا ننكرها كلها

ولكن ان كنا كمردخاي نمتنع عن السجود للبشر المتعظمين استير ٣: ٥ او كاليهو الذي أبى ان يملث الانسان اي ٣٢: ٢١ و ٢٢ لكي لانكون ملومين امام الخالق بل نتبع مثال بطرس والملاك ونسجد لله فقط وليس للانسان ونسير بموجب وصية السيد فلا ندعو احداً معلماً او سيداً الاَّ في المواقع الحقيقية فحقاً اننا لا نستحق التوبيخ او اللوم

اما اذا كان التعظم بالناس وادهان الوجه وضفر الشعر والتحلي بالذهب والفضة والحجارة الكريمة والتزين بالوشي والسجف والشرائط هو لباس الحشمة الذي يليق بالمسيحيين الودعاء الخشوعين المتضعين فمناظرونا هم المسيحيون الحقيقيون ونحن المتعظمون المتصلفون بتمسكنا بما هو دون الحقيقة ومخالفاً لها

وان كانت المقامرة والمراهنة والرقص والاغاني الباطلة والتشخيصات الكاذبة هي السلوك بخوف الله او تتفق مع قول الكتاب "اعملوا كل شيء لمجد الله" او معناها ان نسلك كاننا لسنا من هذا العالم او ان نعيش ليس بحسب شهواتنا السابقة او عدم مشاكلة روح العالم وحديثة الباطل فمقاومونا باستعمالهم كل هذه ومحاماتهم عنها هم المسيحيون الصادقون المتعقلون الناكرون انفسهم ونحن نستحق اللوم لاجل انتقادهم ورشقهم بسهام اللوم من اجلها

وان كانت واجبات المسيحي الحقيقي ان ينطق باسم الله بالباطل ويحلف باسمهِ القدوس لاجل مسائل صغيرة ويشهد على نفسهِ في امور تافهة بحسب ولاة هذا العالم انفسهم مترفعين عنها فاقرّ واعترف ان مناظرينا هم المسيحيون المخلصون ونحن المقصرون في واجباتنا. اما اذا كانت الحقيقة غير ما يذهبون فطاعتنا الحقيقية الصادقة هي الصواب المقبول لديهِ

هل ينطبق على ناموس المسيح حب الانتقام لانفسنا والاضرار بالغير ومقابلة الشرّ بالشرّ لطمة بلطمة وعين بعين وسن بسن والمحاربة لاجل الامور الفانية التي فيها نهاجم أناساً لم نرهم قبلاً وليس بيننا وبينهم سابق خصومة او اختلاف لاننا لا نعلم للحرب من سبب سوى ان الحكام اشهروا حرباً ضد بعضهم البعض ودون ان يدرك العسكري حقيقة الامر ومن المصيب ومن المخطئ يستسلم للغضب ويثور فيه ثائر النقمة فيقتل ويخرّب ويتلف عن غير هدى . فهل تنطبق هذه كلها على عبادة الله ام هي مضادة لها . فان كانت هي والاقطع منها تنطبق على ناموس المسيح يكون مقاومونا المسيحيين الحقيقيين ونحن المراطقة العصاة الذين نسلم انفسنا للتلف والسجن والنفي والضرب والشتم دون ان نقاوم بل في كل شيء نضع اتكالنا على الله الحامي عنا والذي يقتادنا فيها كلها بالصليب الى ملكوته . اما وطريقنا هو الطريق القويم فلا بد اننا ننال المكافأة التي وعد بها السيد للذين يتبعون في الايمان ناكرين انفسهم

ونهاية الامر انه ان كانت الامور المارّ ذكرها وما شاكلها تنطبق على السلوك في الطريق المستقيم المؤدي الى الحياة الابدية وحمل صليب المسيح فيموت تابعوها معها عن الاهواء والشهوات والاباطيل العالمية ويقومون معهُ في جدّة الحياة ويجلسون معهُ في الاماكن السموية فعندئذٍ يكون مقاومونا من عداهم ولا يخافون من انهم سالكون في الطريق الواسع المؤدي الى الهلاك . اما نحن الذين لاجل المسيح قد تركنا كل هذه الاباطيل والاهواء والشهوات معرضين انفسنا للشتم والعار وحسد ابناء هذا الدهر وانتقامهم لكننا لا نحسب اننا بعملنا هذا نستحق السماء ولكننا بالحقيقة نرفض تلك لكونها مغايرة لادارة الفادي الذي افتدى اولادهُ من محبة العالم وشهواته واقتادهم في طريق الحق والقداسة التي يسرهم السلوك فيها

الخاتمة

فيا ايها القارئ المنزّه عن الغرض الذي اذا انعمت النظر في هذه الديانة المارّ بيانها وكلما تضمنته من الترتيب الموافق والمطابق لكتاب الحق فلا شك انك تصرّح معي ومع كثيرين غيري ان هذا هو يوم ظهور المسيح الروحي الذي فيه يعلن ثانية طريق الحقّ والبرّ القديم لانك يمكنك هنا ان تطلع على الديانة المسيحية بتفاصيلها الحنيفية الحية الداخلية الروحية الطاهرة الجوهرية وليس فقط كأنها فريضة او هيئة او ظلّ او مجموع افكار كما يقرر الكثيرون الذين تظهر اثمارهم انهم يريدون ان يتبعوا الاسم الذي يعترفون به الا انهم مشغوفون بحب الفرائض الفارغة والطقوس ولا ينفكون عن توبيخنا عند ما ننصح لهم وندعوهم لكي ينظروا الى الجوهر كاننا ننكر الحقيقة او نهمل نظام الديانة المسيحية وهذا يعلم الله فاحص القلوب انه خطأ محض

اما لكوننا قد نبهنا الآخرين ان ينظروا الى الله قريباً منهم وفي داخلهم مبينين لهم انهم اذا حسبوا الله بعيداً عنهم ومحجوباً بالغيوم لا يستفيدون كثيراً ان لم يشعروا بقربه فلاجل ذلك نسبوا الينا اننا لا نؤمن باله سوى بالاله الساكن فينا

ولكوننا نقول للناس انهم بواسطة النور والناموس الداخليين يمكنهم ان يعلموا حالتهم ويتخلصوا من كل الشرور وليس بالحرف الخارجي يتهموننا اننا نهمل الكتب المقدسة ونفضل تصوراتنا وافكارنا عليها

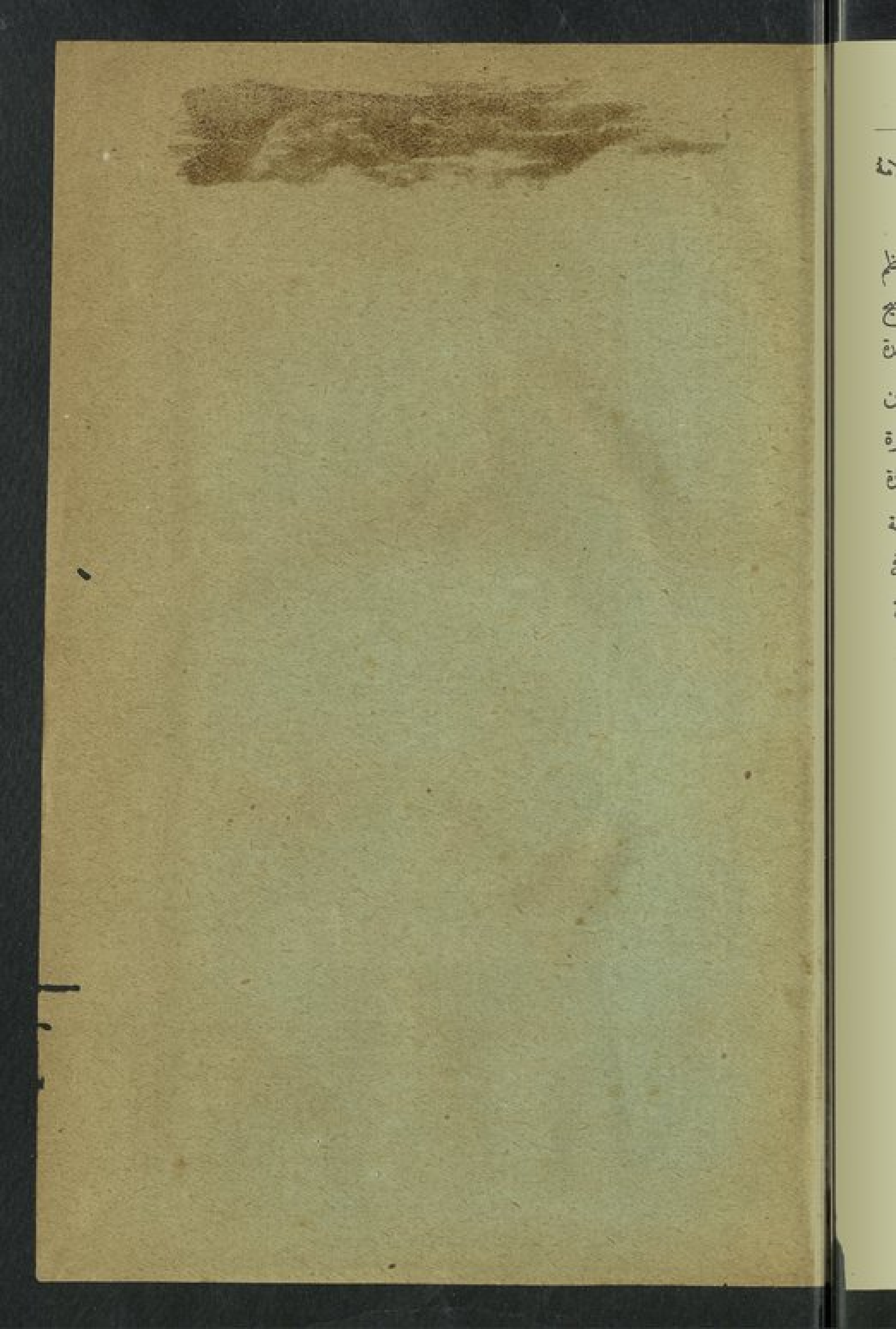
ولاننا نقول لهم انهم ليس بواسطة كلامهم واعترافهم الخارجي بتاريخ حياة المسيح وآلامه وموته وقيامته يقدمون خدمة ويتبرّرون في عيني الرب كما ان اليهود لم يتبرّروا بصراخهم "هيكل الرب هو هيكل الرب هو" لان التبرير يتمّ بمعرفة المسيح في داخلهم اي بقوم ذلك الذي صلبوهُ ويبرّرهم

ويفتديهم من خطاياهم فمن ثمَّ يقولون اننا ننكر حياة المسيح وموتهُ وآلامهُ والتبرير بدمهِ لمغفرة الخطايا

ولاننا نقول لهم عند ما يتكلمون ويبرهنون عن القيامة انهم بحاجة اعظم الى معرفة قيامة البارّ الذي قتلوهُ داخلهم يتهموننا اننا ننكر قيامة جسد المسيح ولاننا عند ما نسمعهم يتكلمون بجهالة عن السماء وجهنم والدينونة العتيدة نحضهم ان يتركوا حالتهم الجهنمية ويتخلصوا من دينونة المسيح في قلوبهم وان يؤمنوا بالنور ويتبعوهُ حتى يمكنهم ان يجلسوا في الاماكن السموية في حضرة المسيح . فحينئذٍ يقولون كذبًا اننا ننكر وجود السماء وجهنم والدينونة العتيدة والله يعلم ان هذه الاراجيف. تقال عنا كذبًا نحن الذين قد اعدّنا الله لهذه الغاية لكي يبطل بواسطتنا حكمة الحكماء وادّعاء الفهماء وبقوّتهِ وعمل روحهِ في شعب محتقر (لكي لا يفتخر كل ذي جسد امامهُ) يحطم صورة المسيحية الخارجية المظلمة المائتة الفاسدة التي قد خدع بها ضد المسيح الشعوب ولهذه الغاية قد اختارنا لكي نخدمهُ ونعبدهُ ليس بحسب الحرف بل بجدّة الروح

ومع ان عددنا قليل بالنسبة الى الآخرين ونظهر كأننا ضعفاء بالنظر الى القوّة الخارجية التي لا نعتدّ بها وبسطاء امام حكماء هذا العالم ولكن كما ان الله اعطانا الغلبة فوق كل مقاومة فهو يتمم ايضًا حتى انهُ لا يمكن قوّة او حكمة او عنف البشر ام الشياطين ان يطفئ هذا النور الذي ظهر لكنهُ سيغلب ويبتلع كل قوّة تقاومهُ لان فم الرب قد تكلم نعم ان ذاك الذي قام بضعف سوف يجيء بقوّة في ظهورهِ الروحي حتى يخضع كل اعدائهِ وكل ممالك الارض فتتحوّل كلها الى مملكة الرب يسوع المسيح

الحكم ولله القادر الذي ابتدأ هذا العمل ليس بين الاغنياء والعظماء بل بين المساكين الضعفاء واعلنهُ ليس للحكماء والفهماء للبسطاء والاطفال والرضع الملك والقوّة والمجد من الآن والى الابد هللويا آمين



DATE DUE

